

البداية والنهاية

لشيخ الإسلام

الإمام الحافظ المفسر المؤرخ

عماد الدين أبي الفداء إسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي، الدمشقي

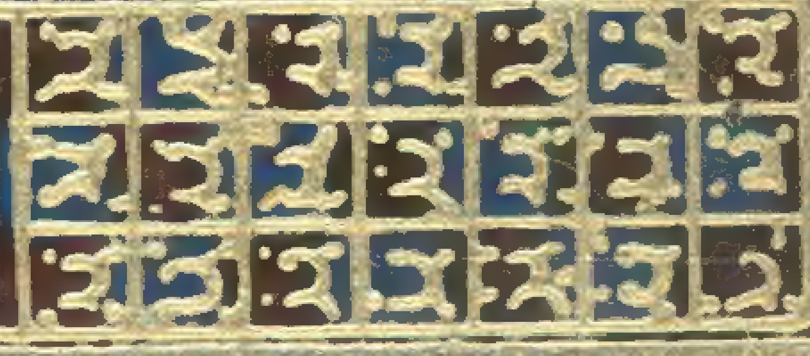
المتوفى سنة ٧٧٤هـ

حققه وراجعه وعلق عليه

محمد عبد العزيز النجار

الناشر



دار الغد العربي
ت . ٨٢٤٣٢٩ القاهرة


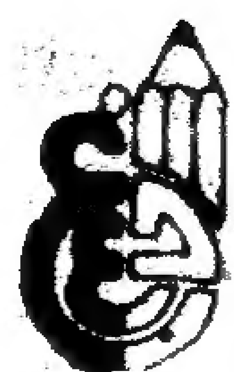
البداية والنهاية

لشيخ الإسلام
الإمام الحافظ المفسّر المؤرخ
عماد الدين أبى الفدا اسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشى، الدمشقى
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

طبعة جديدة محققة ومصححة

الطبعة الأولى

المجلد الثانى

الناشر

دار الغد العربى
٣ شارع دانش ـ العباسية
ت : ٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م

الناشر :  دار الغد العربي

الإدارة : ٣ شارع دانش باشا ـ العباسية (عبده باشا) القاهرة ج.م.ع
تليفون : ٨٢٤٣٢٩

البداية والنهاية

لشيخ الإسلام

الإمام الحافظ المفسر المؤرخ

عماد الدين أبي الفدا إسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي، الدمشقي

بسم الله الرحمن الرحيم

باب كيفية بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ ، وذكر أول شىء أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبيرعن عائشة رضى اللّه عنها ، أنها قالت : أول ما بدىء به رسول اللّه ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . فقال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : (**اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم**)(١) فرجع بها رسول اللّه ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا واللّه لا يخزيك اللّه أبداً . إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرءًا قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللّه أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم !

---

(١) الآيات : ١ ـ ٥ من سورة العلق

اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول اللّه ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول اللّه ﷺ : « أوَ مُخْرِجيّ هم ؟» فقال : نعم . لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى . وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم يَنْشَب ورقة أن توفى وفتر الوحى [1] فترة . حتى حزن رسول اللّه ﷺ - فيما بلغنا - حزناً غدا منه مراراً كى يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تبدّى له جبريل فقال: يامحمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا كمثل ذلك . قال فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك . هكذا وقع مطولا فى باب التعبير من البخارى . قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد اللّه الأنصارى قال - وهو يحدث عن فترة الوحى - فقال فى حديثه « بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض . فرعبت منه . فرجعت فقلت : زملونى ، زملونى فأنزل اللّه : (**يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك . فطهر . والرجز فاهجر**) [2] فحمى الوحى وتتابع » ثم قال البخارى تابعه عبد اللّه بن يوسف ، وأبو صالح ، يعنى عن الليث ، وتابعه هلال بن داود عن الزهرى . وقال يونس ومعمر :- بوادره . وهذا الحديث قد رواه الإمام البخارى رحمه اللّه فى كتابه فى مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولا فى أول شرح البخارى فى كتاب بدء الوحى إسناداً ومتناً وللّه الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومعمر عن الزهرى كما علقه البخارى عنهما ، وقد رمزنا فى الحواشى على زيادات مسلم ورواياته وللّه الحمد وانتهى سياقه إلى قول ورقة : أنصرك نصراً مؤزراً .

فقول أم المؤمنين عائشة : أول ما بدىء به من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، يقوى ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثى أن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال: « فجاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من

---

(١) إلى هنا رواية البخارى فى صحيحه مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) الآيات : ١ - ٥ من سورة المدثر .

ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت ما أقرأ ؟ فغتني ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحو حديث عائشة سواء ، فكان هذا كالتوطئة لما يأتى بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرّحا بهذا فى مغازى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه رأى ذلك فى المنام ثم جاءه الملك فى اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى كتابه دلائل النبوة : حدثنا محمد بن أحمد ابن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا جناب بن الحارث حدثنا عبد اللّه ابن الأجلح عن إبراهيم عن علقمة بن قيس . قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى بعد وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده .

ذكر عمره عليه الصلاة والسلام وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن داود بن أبى هند عن عامر الشّعْبى أن رسول اللّه ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشراً بمكة وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة . فهذا إسناد صحيح إلى الشعبى وهو يقتضى أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا ينافى هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا . ثم وكل به إسرافيل فى تلك المدة التى كان يخلو فيها بحراء فكان يلقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدرجاً له وتمرينا إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعدما غطه ثلاث مرات ، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس أُنزل على النبى ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً . ومات وهو ابن ثلاث وستين ، وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيب ثم روى أحمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث رسول اللّه ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر

سنين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد ابن سلمة أنبأنا عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال : أقام النبى ﷺ بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول اللّه ﷺ يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما فى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن » انتهى كلامه .

وإنما كان رسول اللّه ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه ، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء اللّه إليه صلوات اللّه وسلامه عليه . وقد ذكر محمد بن إسحاق عن عبد الملك ابن عبد اللّه بن أبى سفيان بن العلاء بن حارثة ـ قال ـ: وكان واعية ـ عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول اللّه ﷺ يخرج إلى حراء فى كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه . وكان من نسك قريش فى الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة . وهكذا روى عن وهب ابن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبداللّه بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين فى قريش أنهم يجاورون فى حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته المشهورة :

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه * وراق ليرقى فى حراء ونازل

هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلى وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى رحمهم اللّه ، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرقى فى حر ونازل ـ وهذا ركيك ومخالف للصواب واللّه أعلم .

وحراء يقصر ويمد ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى ، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والغار فى تلك الحنية ، وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج :

فلا ورب الآمنات القطّن * وربّ ركن من حراء منحنى

وقوله فى الحديث : والتحنث التعبد ، تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنث من

حنث البنية [١] فيما قاله السهيلى الدخول فى الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة فى اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أى خرج من الحنث وتحوب وتحرج وتأثم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقذر أوردها أبو شامة . وقد سئل ابن الأعرابى عن قوله يتحنث أى يتعبد ، فقال : لا أعرف هذا إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، قال ابن هشام : والعرب تقول التحنث والتحنف يبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا جدف وجذف كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الأجذاف *

يريد الأجداث . قال وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول فُمَّ فى موضع ثمَّ . قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين (وفومها) [٢] أن المراد ثومها .

وقد اختلف العلماء فى تعبده ﷺ قبل البعثة هل كان على شرع أم لا ؟ وما ذلك الشرع ؟ فقيل شرع نوح وقيل شرع إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى . وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به ، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر فى أصول الفقه والله أعلم .

وقوله حتى فجئه الحق وهو بغار حراء أى جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى : (**وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**) [٣] الآية . وقد نزول صدر هذه السورة الكريمة وهى (**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم**) [٤] وهى أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك فى التفسير وكما سيأتى أيضاً فى يوم الاثنين كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم أنزل علىّ فيه » وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونبىء يوم الاثنين . وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء : أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

---

(١) كذا فى النسخة الحلبية وعبارة السهيلى : والتحنث بالثاء المثلثة . انظر الروض الألف .

(٢) الآية : ٦١ من سورة البقرة .

(٣) الآية : ٨٦ من سورة القصص .

(٤) الآيات : ١ ـ ٥ من سورة العلق .

ثم قيل : كان ذلك فى شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد ﷺ ، فى الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان ، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما .

وقال ابن إسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : (**شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن هدى للناس**) [1] فقيل فى عشره . وروى الواقدى بسنده عن أبى جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل فى الرابع والعشرين منه قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال : « أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان ، وروى ابن مردويه فى تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه ، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل : « اقرأ » فقال : « ما أنا بقارىء » فالصحيح أن قوله : « ما أنا بقارىء » نَفْى ، أى لست ممن يحسن القراءة . وممن رجحه النووى وقَبْلَه الشيخ أبو شامة . ومن قال : إنها استفهامية فقوله بعيد لأن الباء لا تزاد فى الإثبات . ويؤيد الأول رواية أبى نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله ﷺ ـ وهو خائف يرعد ـ « ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ » فأخذه جبريل فَغَتَّه غتا شديداً . ثم تركه فقال له : اقرأ . فقال محمد ﷺ : « ما أرى شيئاً أقرأه ، وما أقرأ ، وما أكتب » .

يُروَى فغطنى كما فى الصحيحين ، وغتنى ، ويروى قد غتنى ، أى خنقنى « حتى بلغ منى الجهد » يُروَى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع . وفعل به ذلك ثلاثا .

قال أبو سليمان الخطابى : وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتأخذه الرحضاء أى البهر والعرق . وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمور : منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقى إليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس . كما قال تعالى : (**إنا سنلقى عليك**

---

(١) الآية : ١٨٥ من سورة البقرة .

قولا ثقيلا) [١] ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحى يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الإبل ويتفصد جبينه عرقا فى اليوم الشديد البرد .

وقوله : فرجع بها رسول الله ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده . وفى رواية : بوادره ، جمع بادرة ، قال أبو عبيدة : وهى لحمة بين المنكب والعنق . وقال غيره : وهو عروق تضطرب عند الفزع ، وفى بعض الروايات ترجف بآدله ، واحدتها بادلة . وقيل بادل ، وهو ما بين العنق والترقوة ، وقيل : أصل الثدى . وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك .

فقال : « زملونى زملونى » فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة : « مالى ؟ أى شيء عرض لى ؟ » وأخبرها ما كان من الأمر . ثم قال : « لقد خشيت على نفسى » وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك ، ولا كان فى خلده . ولهذا قالت خديجة : أبشر ، كلا والله لا يخزيك الله أبداً . قيل : من الخزى ، وقيل : من الحزن ، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد فى خلقه أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يخزى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : إنك لتصل الرحم وتَصْدقُ الحديث ـ وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق ـ وتحمل الكَلّ . أى عن غيرك تعطى صاحب العيلة ما يريحه من ثقل مؤنة عياله ـ وتكسب المعدوم أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك . ويسمى الفقير معدوما لأن حياته ناقصة . فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم :

ليس من مات فاستراح بميْت * إنما الميْت ميّت الأحياء

وقال أبو الحسن التهامى ، فيما نقله عنه القاضى عياض فى شرح مسلم :

عدَّ ذا الفقر ميّتاً وكساه * كفناً بالياً ومأواه قبرا

وقال الخطابى : الصواب « وتكسب المعدم » أى تبذل إليه ، أو يكون تلبس المعدم بعطيته مالا يعيش به . واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى أن المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه . ومن قال : إن المراد أنك تكسب باتجارك المال المعدوم ، أو النفيس القليل النظير ، فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزع وتكلف ما ليس له به علم ، فإن مثل هذا لا يمدح به غالباً ، وقد ضعّف هذا القول عياض والنووى وغيرهما والله أعلم .

---

(١) الآية : ٥ من سورة المزمل .

وتقرى الضيف ـ أى تكرمه فى تقديم قراه ، وإحسان مأواه . وتعين على نوائب الحق ويروى الخير ، أى إذا وقعت نائبة لأحد فى خير أعنت فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش ، وقوله : ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . وقد قدمنا طرفا من خبره مع ذكر زيد بن عمرو ابن نفيل رحمة الله . وأنه كان ممن تنصر فى الجاهلية ففارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش فتنصروا كلهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق ، إلا زيد بن عمرو بن نفيل فإنه رأى فيه دخلا وتخبيطا وتبديلا وتحريفاً وتأويلا . فأبت فطرته الدخول فيه أيضا ، وبشره الأحبار والرهبان بوجود نبى قد أزف زمانه واقترب أوانه ، فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن اخترمته المنية قبل البعثة المحمدية . وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها فى رسول الله ﷺ كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له ، وما هو منطوٍ عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات .

ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله ﷺ وجاءت به إليه فوقفت به عليه . وقالت : ابن عم اسمع من ابن أخيك ؛ فلما قص عليه رسول الله ﷺ خبر ما رأى قال ورقة : سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ . هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ولم يذكر عيسى ، وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام ، ونسخت بعضها على الصحيح من قول العلماء كما قال تعالى : (**ولأحلَّ لكم بعض الذى حُرم عليكم**) [١]. وقول ورقة هذا كما قالت الجن : (**يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم**) [٢] . ثم قال ورقة : يا ليتنى فيها جذعا . أى ياليتنى أكون اليوم شابا متمكنا من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح ، ياليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك ، يعنى حتى أخرج معك وأنصرك ، فعندها قال رسول الله ﷺ : « أومخرجىّ هم ؟» قال السهيلى : وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : نعم ! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يُدْركْنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، أى أنصرك نصراً عزيزاً أبداً . وقوله : « ثم لم ينشب ورقة أن توفى » أى توفى بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضى عنه ، فإن مثل هذا الذى صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحى ونية صالحة للمستقبل .

---

(١) الآية : ٥٠ من سورة آل عمران .

(٢) الآية : ٣٠ من سورة الأحقاف .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن عن ابن لهيعة حدثنى أبو الأسود عن عروة عن عائشة . أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض » . وهذا إسناد حسن لـكن رواه الزهرى وهشام عن عروة مرسلا فالله أعلم . وروى الحافظ أبو يعلى عن شريح بن يونس عن إسماعيل عن مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته فى بطنان الجنة وعليه السندس » . وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : « يبعث يوم القيامة أمة وحده » وسئل عن أبى طالب فقال : « أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها » وسئل عن خديجة ، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ـ فقال : « أبصرتها على نهر فى الجنة فى بيت من قَصَب لا صَخَب فيه ولا نصب » إسناد حسن ولبعضه شواهد فى الصحيح والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا ورقة فإنى رأيت له جنة أو جنتين » وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبى سعيد الأشج عن أبى معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة وهذا إسناد جيد . وروى مرسلا وهو أشبه .

وروى الحافظان البيهقى وأبو نعيم فى كتابيهما دلائل النبوة من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : « إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء ، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر » . قالت : معاذ الله ما كان ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتَصْدُق الحديث . فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرت له خديجة فقالت : يا عتيق : اذهب مع محمد إلى ورقة . فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر . فقال : انطلق بنا إلى ورقة قال : « ومن أخبرك ؟ » قال خديجة فانطلقا إليه فقصا عليه . فقال رسول الله ﷺ : « إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يامحمد يامحمد ، فأنطلق هارباً فى الأرض » فقال له : لا تفعل إذا أتاك فاثبت ، حتى تسمع ما يقول لك ثم ائتنى فأخبرنى فلما خلا ناداه يامحمد قل : (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالين) [1] قل : لا إله إلا الله . فأتى ورقة فذكر له

---

(١) سورة الفاتحة .

ذلك ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر . فأنا أشهد أنك الذى بشر بك ابن مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبى مرسل ، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك . فلما توفى . قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بى وصدقنى » يعنى ورقة . هذا لفظ البيهقى وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان وعقده عليه وتأكده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة وكيف كانت الغمامة تظلله فى هجير القيظ . فقال ورقة فى ذلك أشعاراً قدمناها قبل هذا ، منها قوله :

لجججتُ وكنتُ فى الذكرى لجوجا * لأمرٍ طالما بعثَ النشيجا
ووصفٍ من خديجة بعد وصفٍ * فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكَّتين على رجائى * حديثُك أن أرى منه خُروجا
بما خبرتنا من قول قس * من الرهبان أكره أن يَعُوجا
بأن محمداً سيسود قوماً * ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهرُ فى البلادِ ضياءَ نورٍ * يُقيم به البرية أن[1] تَعُوجا
فيلقى من يحاربه خساراً * ويلقى من يسالمه فلوجا
فياليتى إذا ما كان ذاكم * شَهدتُ وكنتُ أولَهم وُلُوجا
ولو كان الذى كرهتْ قريشٌ * ولو عَجَّتْ بمكَّتِها عجيجا
أرجى بالذى كرهوا جميعاً * إلى ذى العرش إذ سفلوا عُروجا
فإن يبقوا وأبقَ يكن أموراً * يضج الكافرون لها ضجيجا

وقال أيضاً فى قصيدته الأخرى:

وأخبار صدق خَبَّرَتْ عن محمد * يُخبرها عنه إذا غاب ناصحُ
بأن ابن عبد الله أحمد مُرْسَلٌ * إلى كل من ضَمَّتْ عليه الأباطِحُ
وظنّى به أن سوف يُبْعَثُ صادقا * كما أُرسِل العبدانِ هودٌ وصالحُ
وموسى وإبراهيم حتى يُرَى له * بهاءٌ ومنشورٌ من الحق[2] واضحُ
ويتبعه حيًا لؤىّ بن غالبٍ * شبابهم والأشْيَبُون الجحاجحُ

---

(١) وردت فى السيرة لابن هشام : أن تموجا .

(٢) فى الحلبية : من ذاكر واضح القصيدة ذكرها السهيلى فى الروض وفيها طول .

فإن أبقَ حتى يُدرِكَ النـاسَ دهـرُه * فإنـى به مسـتـبـشـرُ الـوُدِّ فارحُ
وإلاَّ فأنـى يا خديجـةُ فاعـلمـى * عن ارضـكِ فى الأرض العريضةِ سائحُ

وقال يونس من بكير عن ابن إسحاق قال ورقة :

فإن يكُ حقـاً يا خديجـةُ فاعلمى * حديثَـك إيانـا فأحـمـدُ مرسـلُ
وجـبـريل يأتيه وميكـال معـهـمـا * من الله وحى يشـرح الصـدر مُنْـزَلُ
يفـوز به من فاز فيهـا بتـوبـةٍ * ويشـقى به العـانى الغـريرُ المضلَّلُ
فريقـان منـهـم فرقـة فى جِنـانـهِ * وأخـرى بأحـواز الـجـحـيم تعـلَّلُ
إذا مادُعـوا بالـويل فيهـا تتـابعتْ * مقـامـعُ فى هامـاتـهـم ثم تُشْعَـلُ
فسبحـان من يهـوى الـرياحُ بأمرهِ * ومـن هو فى الأيام ما شاء يَفْـعَـلُ
ومـن عرشـه فوق السمـاوات كلِّهـا * وأقـضـاؤه فى خلقـه لا تُبَـدَّلُ

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجـالِ وصـرفِ الـدهـرِ والقـدرِ * ومـا لشـىء قضـاه الـلـه من غِيرِ
حتى خديجـة تدعـونى لأخبرهـا * أمـراً أراه سيأتـى الـنـاس من أُخَـرِ
وخـبـرتْـنـى بأمـرٍ قد سمعـتُ به * فيمـا مضى من قديم الـدهـر والعصـرِ
بأن أحـمـد يأتـيه فيخـبـره * جبـريل أنـك مبعـوثٌ إلى البشَـرِ
فقـلتُ علّ الـذى ترجـين ينجـزه * لك الإلـهُ فرجّـى الـخيرَ وانـتـظرى
وأرسـليه إلـينـا كى نسـائـله * عن أمـره ما يرى فى الـنـوم والسهـرِ
فقـال حين أتـانـا منـطقـاً عجبـاً * يقـف منـه أعـالى الجلد والشعـرِ
إنـى رأيت أمـين الـله واجـهـنى * فى صورة أُكمِلت من أعـظم الصـورِ
ثم استمـر فكـاد الخـوف يذعرنى * ممـا يسلم من حولى من الشجـرِ
فقلتُ ظنى ومـا أدرى أيصـدقنى * أن سوف يُبْعَـثُ يتلو مُنزَلَ السـورِ
وسـوف يبليك أن أعـلنت دعـوتهم * من الـجـهـاد بلا مَنٍّ ولا كدرِ

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقى من الدلائل وعندى فى صحتها عن ورقة نظر والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى - وكان داعية - عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنه ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ،

فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء فى رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى وهب بن كيسان مولى آل الزبير ، قال : سمعت عبد الله ابن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى : حدثنا يا عبيد كيف كان بُدُوّ ما ابتدىء به رسول الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل . قال : فقال عبيد وأنا حاضر ـ يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس ـ: كان رسول الله ﷺ يجاور فى حراء فى كل سنة شهراً يتحنث ، قال : وكان ذلك مما يحبب به قريش فى الجاهلية ، والتحنث : التبرر ، فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : « فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال فغتنى حتى ظننت به الموت ثم أرسلنى . فقال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا اقتداءً منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ، فقال : (**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم**) [1] .

قال : فقرأتها ثم انتهى وانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كُتِبَ فى قلبى كتابا . قال فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال: فرفعت رأسى إلى السماء فأنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صافٍّ قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فما أنظر فى

---

(١) الآيات : ١ ـ ٥ من سورة العلق .

ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ، ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها ، فقالت يـاأبـا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلىّ .ثـم حدثتها بالذى رأيت فقالت أبشر يا بن العم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وإنه لنبى هذه الأمة ، وقولى له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة ، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل بالكعبة فقال : يا بن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت ، فأخبره فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الـذى جاء موسى ، ولتكـذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله » . وهذا الذى ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضى الله عنها فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه فى اليقظة صبيحة ليلتئذ ويحتمل أنه كان بعده بمدة، والله أعلم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : وكان فيما بلغنا أول ما رأى ، يعنى رسول الله ﷺ ، أن الله تعالى أراه رؤيا فى المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق ، فقالت : أبشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيراً ، ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شُقَّ ثم غُسِل وطُهِّر ثم أُعيد كما كان ، قالت : هذا والله خير ، فأبشر ، ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجلسه على مجلس كريم معجب كان النبى ﷺ يقول : أجلسنى على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن رسول الله ﷺ ، فقال له : جبريل : اقرأ ، فقال : كيف أقرأ ؟ فقال : **(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان**

ما لم يعلم) [١] . قال: ويزعم ناس أن (يا أيها المدثر) [٢] أول سورة نزلت عليه والله أعلم .

قال : فقبل رسول الله ﷺ رسالة ربه واتبع ماجاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلبا إلى بيته جعل لايمرُّ على شجر ولا حجر إلا سلم عليه ، فرجع الى أهله مسروراً موقناً أنه رأى أمراً عظيما فلما دخل على خديجة قال : أرأيتك الذى كنت حدثتك أنى رأيته فى المنام فإنه جبريل استعلن إلىّ ، أرسله إلىّ ربى عز وجل ، وأخبرها بالذى جاءه من الله وما سمع منه ، فقالت : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، واقبل الذى جاءك من أمر الله فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقا . ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، نصرانياً من أهل نينوى ، يقال له : عداس ، فقالت له يـا عداس ، أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل ؟ فقال : قدوس ، ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل الأوثان ؟ فقالت : أخبرنى بعلمك فيه قـال : فإنه أمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام . فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبى ﷺ وما ألقاه إليه جبريل . فقال لها ورقة : يا بنية أخى ما أدرى لعل صاحبك النبى الذى ينتظر أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوبا فى التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله لأن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حى لأبلين الله فى طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر . فمات ورقة رحمه الله .

قـال : الـزهرى فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ﷺ . قال الحافظ البيهقى بعد إيراده ما ذكرناه : والذى ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به فى صباه ، يعنى شق بطنه عند حليمة ، ويحتمل أن يكون شُقَّ مرة أخرى ثم ثالثة حين عُرِج به إلى السماء والله أعلم .

وقد [٣] ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمى قال : بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولا على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شىء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقص ذلك على زوجته خديجة

---

(١) الآيات : ١ ـ ٥ من سورة العلق .
(٢) الآية : ١ من سورة المدثر .
(٣) من هنا إلى وقال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ساقط من بعض النسخ .

ابنة خويلد . فقالت له : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فبينما هو ذات يوم فى حراء ، وكان يفر إليه من قومه ، إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله ﷺ مخافة شديدة ، فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وطهر قلبه ، يا محمد أبشر ! فإنك نبى هذه الأمة اقرأ . فقال له نبى الله ـ وهو خائف يرعد ـ : ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ ، فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً ثم تركه ، ثم قال له : اقرأ ، فأعاد عليه مثله ، فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له : (**اقرأ باسم ربك الذى خلق**) الآيات ثم قال له : لا تخف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف ، وأقبل على رسول الله ﷺ همه فقال : كيف أصنع وكيف أقول لقومى ؟ ثم قام رسول الله ﷺ ، وهو خائف ، فأتاه جبريل من أمامه وهو فى صورته فرأى رسول الله ﷺ أمراً عظيما ملأ صدره فقال له جبريل : لا تخف يا محمد ، جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله فأيقِنْ بكرامة الله فإنك رسول الله ، فرجع رسول الله ﷺ لا يمر على شجر ولا حجر إلا هو ساجد يقول : السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفزعها ذلك ، فقامت إليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول : لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم ، فقال : يا خديجة أرأيتِ الذى كنت أرى فى المنام والصوت الذى كنت أسمع فى اليقظة وأُهال منه ، فإنه جبريل قد استعلن لى وكلمنى وأقرأنى كلاماً فزعت منه ، ثم عاد إلىّ فأخبرنى أنى نبى هذه الأمة ، فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن السلام عليك يا رسول الله . فقالت خديجة : أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً وأشهد أنك نبى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود ، قد أخبرنى به ناصح غلامى وبحيرا الراهب وأمرنى أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله ﷺ حتى طعم وشرب وضحك ، ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها قال : مالك يا سيدة نساء قريش ؟ فقال : أقبلت إليك لتخبرنى عن جبريل ، فقال : سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكر فى هذه البلاد التى يعبد أهلها الأوثان ؟ جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهوصاحب موسى وعيسى فعرفت كرامة الله لمحمد ، ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له : عداس ، فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد . قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى ابن مريم الذى أيده الله به .

ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ، ثم سألها ما الخبر فأحلفته أن يكتم ما تقول له فحلف لها ، فقالت له : إن ابن عبد الله ذكر لى وهو صادق أحلف بالله ما كَذَب ولا كُذِّب ، أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنه نبى هذه الأمة وأقرأه آيات أرسل بها . قال : فذعر ورقة لذلك وقال : لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض وما نزل إلا على نبى وهو صاحب الأنبياء والرسل ، يرسله الله إليهم ، وقد صدقتك عنه فأرسلى إلىّ ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه فإنى أخاف أن يكون غير جبريل ، فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلها مجنونا .

فقامت من عنده وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ورقة فأنزل الله تعالى : (**نٓ والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون**) [1] الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل ، فقالت له : أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه ، فجاءه رسول الله ﷺ ، فقال له ورقة : هذا الذى جاءك فى نور أو ظلمة ؟ فأخبره رسول الله ﷺ عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه . فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشى تبلغه قومك وإنه لأمر نبوة فإن أُدْرِك زمانك أتبعك ، ثم قال أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به ، قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله ﷺ فشق ذلك على الملأ من قومه ، قال : وفتر الوحى . فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ، ولكن الله قلاه فأنزل الله والضحى وألم نشرح بكمالهما .

وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن إسحاق حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله ﷺ فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته : يا بن عم تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك . فقال : نعم ! فقالت : إذا جاءك فأخبرنى . فبينا رسول الله ﷺ عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله ﷺ . فقال : يا خديجة ! هذا جبريل ، فقالت : أتراه الآن ؟ قال : نعم ! قالت فاجلس إلى شقى الأيمن ، فتحول فجلس ، فقالت : أتراه الأن؟ قال : نعم ! قالت

---

(١) آيتا : ١ ـ ٢ من سورة القلم .

فـاجلس فى حجرى ، فتحول فجلس فى حجرها فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم فتحسـرت رأسها فشالت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : لا ، قالت : ما هذا بشيطان إن هذا الملك يا بن عم فاثبت وأبشر ، ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن إسحاق فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعت أمى فاطمة ابنة الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام . قال البيهقى : وهذا الشىء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً . فأما النبى ﷺ فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التى ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم تسليما .

وقد قال مسلم فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثنى سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أُبعث إنى لأعرفه الآن » وقـال أبو داود الطيالسى : حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن بمكة لحجراً كان يسلم علىّ ليالى بعثتُ إنى لأعرفه إذا مررت عليه » . وروى البيهقى من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن عباد بن عبد الله عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله وفـى رواية : لقد رأيتنى أدخل معه الوادى فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه .

فصـــــل

قال البخارى في روايته المتقدمه : ثم فتر الوحى حتى حزن النبى ﷺ ، فيما بلغنا ، حزناً غدا منه مراراً كى يتردى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تَبَدّى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك .

وفى الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال : سمعت أبا سلمة

عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجثيت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلى فقلت : زملونى زملونى فأنزل الله : **(يا أيها المدثر قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر)** [1] قال : ثم حمى الوحي وتتابع ، فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقاً ، ذاك قوله : **(اقرأ باسم ربك الذى خلق)** وقد ثبت أن أول ما نزل : **(يا أيها المدثر)** واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فإن فى سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذى عرفه ثانياً بما عرفه به أولا إليه . ثم قوله : يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الإيحاء والله أعلم .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث على بن المبارك وعند مسلم والأوزاعى كلاهما عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أىُّ القرآن أنزل قبل . فقال : **(يا أيها المدثر)** فقلت و **(اقرأ باسم ربك)** فقال : سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل فقال : **(يا أيها المدثر)** فقلت و **(اقرأ باسم ربك)** فقال: قال رسول الله ﷺ « إنى جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى فنوديت فنظرت بين يدى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر شيئاً ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش فى الهواء فأخذتنى رعدة ـ أو قال وحشة ـ فأتيت خديجة فأمرتهم فدثرونى فأنزل الله : **(يا أيها المدثر)** حتى بلغ **(وثيابك فطهر)** ـ وقال فى رواية ـ فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجثيت منه » وهذا صريح فى تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم .

ومنهم من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة **(والضحى . والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى)** إلى آخرها . قاله محمد بن إسحاق . وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله ﷺ فى أولها فرحا وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبى الصحيح من أن أول القرآن نزولا بعد فترة الوحي : **(يا أيها المدثر . قم فأنذر)** ولكن نزلت سورة والضحى بعد فترة أخرى كانت ليالى يسيرة كما فى الصحيحين وغيرهما من حديث الأسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلى قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم

---

(١) الآيات : ١ ـ ٥ من سورة المدثر .

يقم ليلة أوليلتين أو ثلاثا فقالت امرأة : ما أرى شيطانك إلا تركك فأنزل اللـه : (والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى) وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة .

وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً ، والظاهر والله أعلم أنها المدة التى اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبى وغيره ، ولا ينفى هذا تقدم إيحاء جبريل إليه أولا: (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ثم اقترن به جبريل بعد نزول: (ياأيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر) ثم حمى الوحى بعد هذا وتتابع - أى تدارك شيئاً بعد شىء - وقام حينئذ رسول الله ﷺ فى الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والأحرار والعبيد، فآمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد ، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، ومن الغلمان على بن أبى طالب ، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته ﷺ ، ومن الموالى مولاه زيد بن حارثة الكلبى رضى الله عنهم وأرضاهم . وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحى ومات فى الفترة رضى الله عنه .

فصـــــل

فى منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليـه فيلتبس الأمـر ويختلـط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم فى قوله : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً) [١] . وقال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) [٢] . قال

(١) الآيات : ٨ - ١٠ من سورة الجن .

(٢) الآيات : من ٢١٠ - ٢١٢ من سورة الشعراء .

الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ـ وهو الطبرانى ـ حدثنا عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحى فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فأما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زادوا فتكون باطلا ، فلما بُعث النبى ﷺ مُنعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يُرْمى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : هذا لأمر قد حدث فى الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلى بين جبلين فأتوه فأخبروه ، فقال: هذا الأمر الذى قد حدث فى الأرض .

وقال أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب ، فقالوا : ماذلك إلا من شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبرالسماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : (**إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً**) فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : (**قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن**) [1] الآية . أخرجاه فى الصحيحين .

وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فإذا نزل الوحى سمعت الملائكة صوتا كصوت الحديدة ألقيتها على الصفا ، قال فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رءوسهم حتى ينزل فإذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فإن كان مما يكون فى السماء قالوا : الحق وهو العلى الكبير ، وإن كان مما يكون فى الأرض من أمر الغيب أو موت أو شىء مما يكون فى الأرض تكلموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم ، فلما بُعث النبى محمد ﷺ دُحِروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف ، فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة، وذو الإبل فينحر كل يوم بعيراً ، فأسرع الناس فى أموالهم فقال بعضهم

---

(١) الآية : ١ من سورة الجن .

لبعض : لا تفعلوا ، فإن كانت النجوم التى يهتدون وإلا فإنه لأمر حدث ، فنظروا فإذا النجوم التى يُهتدَى بها كما هى لم يزل منها شىء فكفوا بها ، وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه ، فقال : هذا حدثٌ فى الأرض فأتونى من كل أرض بتربة فأتوه بتربة تهامة فقال : هٰهنا الحدث .

ورواه البيهقى والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب . وقال الواقدى : حدثنى أسامة بن زيد بن أسلم عن كعب قال : لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه، فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ، ففعلت ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء ، فقال: إن إفادة المال بعد ذهابه شديد ، فلا تعجلوا وانظروا ، فإن تكن نجوماً تعرف فهو عندنا من فناء الناس ، وإن كانت نجوما لا تعرف فهو لأمر قد حدث ، فنظروا فإذا هي لا تعرف ، فأخبروه فقال : الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبى .

فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله فجاء عبد ياليل فذاكره أمر النجوم فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبي مرسل ، فقال عبد ياليل : فعند ذلك رمي بها .

وقال سعيد بن منصور عن خالد بن حصين عن عامر الشعبي . قال: كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله ﷺ فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم . فقال عبد ياليل انظروا فإن كانت النجوم التي تعرف فهو عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث ، فنظروا فإذا هي لا تعرف . قال : فأمسكوا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي ﷺ .

وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه . فلعل مراد من نفى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة ، ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما ، بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رمي بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمي بهذا ؟ » قال : كنا نقول : مات عظيم ، وولد عظيم فقال :«لا، ولكن»

فذكـــر الحديث كما تقدم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب فى أول بدء الخلق ولله الحمد .

وقد ذكر ابن إسحاق فى السيرة قصة رمى النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم فى النظر فى النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها ، ولكن سماه عمرو بن أمية فالله أعلم . وقال السدى لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون فى الأرض نبى أو دين لله ظاهر، وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد فى سماء الدنيا يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رجموا ليلة من الليالى ، ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ، ويسيبون مواشيهم . فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف ، أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء وإنما هو من ابن أبى كبشة ، وإن أنتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء ، فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم .

وفزعت الشياطين فى تلك الليلة فأتوا إبليس فقال : ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب ، فأتوه فشم فقال : صاحبكم بمكة ، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله ﷺ فى المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله أمرهم على نبيه ﷺ . وقال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح عن ابن أبى حكيم ـ يعنى إسحاق ـ عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال : لما بعث رسول الله ﷺ أصبح كل صنم منكسا، فأتت الشياطين فقالوا له : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكسا ، قال : هذا نبى قد بعث فالتمسوه فى قرى الأرياف ، فالتمسوه فقالوا : لم نجده فقال : أنا صاحبه ، فخرج يلتمسه فنودى ، عليك بجنبة الباب ـ يعنى مكة ـ فالتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب ، فخرج إلى الشياطين فقال: إنى قد وجدته معه جبريل فما عندكم ؟ قالوا: نزين الشهوات فى عين أصحابه ونحببها إليهم ، قال : فلا آسى إذاً .

وقال الواقدى: حدثنى طلحة بن عمرو عن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لمـا كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال : أمر قد حدث ، هذا نبى قد خرج ، عليكم بالأرض المقدسة مخرج بنى إسرائيل ، قال: فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد ، فقال إبليس : أنا صاحبه ، فخرج فى طلبه بمكة ، فإذا رسول الله ﷺ

بحراء منحدراً معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال : قد بعث أحمد ومعه جبريل فما عندكم ؟ قالوا: الدنيا نحببها إلى الناس ، قال: فذاك إذاً .

قال الواقدى : وحدثنى طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس . قال: كانت الشياطين يستمعون الوحى فلما بعث محمد ﷺ منعوا فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: لقد حدث أمر، فرقى فوق أبى قبيس ـ وهو أول جبل وضع على وجه الأرض ـ فرأى رسول الله ﷺ يصلى خلف المقام . فقال: أذهب فأكسر عنقه . فجاء يخطر وجبريل عنده، فركضه جبريل ركضة طرحه فى كذا وكذا ، فولى الشيطان هاربا . ثم رواه الواقدى وأبو أحمد الزبيرى كلاهما عن رباح بن أبى معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال : فركضه برجله فرماه بعدن .

فصـــــل

فى كيفيـــة إتيان الوحى إلى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل فى أول مرة ، وثانى مرة أيضاً ، وقال مالك عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها . أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال : « أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس - وهو أشده علىّ - فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلا يكلمنى فأعى ما يقول » . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا . أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك به . ورواه الإمام أحمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه ، وكذا رواه عبدة ابن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة ،وقد رواه أيوب السختيانى عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت: كيف يأتيك الوحى ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة .

وفى حديث الإفك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه . فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو فى يوم شاتٍ من ثقل الوحى الذى أنزل عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنى يونس بن سليم قال: أملى علىّ يونس بن

يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القارى سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على الرسول ﷺ الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل، وذكر تمام الحديث فى نزول (**قد أفلح المؤمنون**) (١) وكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائى : منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

وفى صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشى عن عبادة ابن الصامت . قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى كربه وتربد وجهه ـ وفى رواية وغمض عينيه ـ وكنا نعرف ذلك منه ، وفى الصحيحين حديث زيد بن ثابت حين نزلت (**لا يستوى القاعدون من المؤمنين**) (٢) فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (**غير أولى الضرر**) (٢) . قال: وكانت فخذ رسول الله ﷺ على فخذى وأنا أكتب ، فلما نزل الوحى كادت فخده ترض فخذى . وفى صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى عن عطاء عن يعلى بن أمية . قال : قال لى عمر : أيسرك أن تنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه ؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة ، فإذا هو محمر الوجه . وهو يغط كما يغط البكر . وثبت فى الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا ، فقال عمر : قد عرفناك يا سودة . فرجعت إلى رسول الله ﷺ فسألته وهو جالس يتعشى والعرق فى يده ، فأوحى الله إليه والعرق فى يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إنه أُذِنَ لَكُنّ أن تخرجن لحاجتكنّ » . فدل هذا على أنه لم يكن الوحى يغيّب عنه إحساسه بالكلية ، بدليل أنه جالس ، ولم يسقط العرق أيضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه .

وقال أبوداود الطيالسى حدثنا عباد بن منصور حدثنا عكرمة عن ابن عباس . قال : كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحى تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم . وفى مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت : يا رسول الله هل تحس بالوحى قال : « نعم ، أسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك ، ومامن مرة يوحى إلىّ إلا ظننت أن نفسى تفيظ منه » . وقال أبو يعلى الموصلى : حدثنا إبراهيم بن الحجاج حدثنا عبد الواحد ابن زياد حدثنا عاصم بن كليب حدثنا أبى عن خاله العليان بن عاصم . قال : كنا عند

---

(١) الآية : ١ ـ من سورة المؤمنون .

(٢) الآية : ٩٥ من سورة النساء .

رسول الله ﷺ وأنزل عليه وكان إذا أنزل عليه ، دام بصره وعيناه مفتوحتان وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل . وروى أبو نعيم من حديث قتيبة حدثنا على بن غراب عن الأحوص بن حكيم عن أبى عوانة عن سعيد المسيب عن أبى هريرة . قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى صدع وغلف رأسه بالحناء . هذا حديث غريب جداً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية سنان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء ابنة يزيد . قالت : إنى لآخذة بزمام العضباء ، ناقة رسول الله ﷺ ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة . وقد رواه أبو نعيم من حديث الثورى عن ليث ابن أبى سليم به . وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنى جبر بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو . قال: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها . وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل عن عاصم الأحول حدثتنى أم عمرو عن عمها أنه كان فى مسير مع رسول الله ﷺ فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها . وهذا غريب من هذا الوجه . ثم قد ثبت فى الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ حين مرجعه من الحديبية ، وهو على راحلته . فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم

وقد ذكرنا أنواع الوحى إليه ﷺ فى أول شرح البخارى وما ذكره الحليمى وغيره من الأئمة رضى الله عنهم .

فصـــــل

قال الله تعالى : (**لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه**) [1] وقال تعالى : (**ولا تعجل بالقرآن من قبل إن يُقْضى إليك وحيه ، وقل رب زدنى علما**) [2] وكان هذا فى الابتداء ، كان ﷺ من شدة حرصه على أخذه من الملك ما يوحى إليه عن الله عز وجل ليسابقه فى التلاوة فأمره الله تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحى ، وتكفل له أن يجمعه فى صدره ، وأن ييسر عليه تلاوته وتبليغه، وأن يبينه له، ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه . ولهذا قال: (**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقْضى إليك وحيه وقل رب زدنى علماً**) وقال: (**لاتحرك به لسانك لتعجل**

---

(١) الآيات : ١٦ ـ ١٩ من سورة القيامة .

(٢) الآية : ١١٤ ـ من سورة طـه .

به إن علينا جمعه) أى فى صدرك (**وقرآنه**) أى وأن تقرأه (**فإذا قرأناه**) أى تلاه عليك الملك (**فاتبع قرآنه**) أى فاستمع له وتدبره (**ثم إن علينا بيانه**) وهو نظير قوله : (**وقل رب زدنى علماً**) .

وفى الصحيحين من حديث موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ؛ فكان يحرك شفتيه ، فأنزل الله : (**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه**) قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه : (**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**) فاستمع له وأنصت (**ثم إن علينا بيانه**) قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : ثم تتابع الوحى إلى رسول الله ﷺ وهو مصدق بما جاءه منه ، وقد قبله بقبول وتحمل منه ما حمله ـ على رضا العباد وسخطهم ـ وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله عز وجل ، فمضى رسول الله ﷺ على ما أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن إسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه فخفف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لاصخب فيه ولا نصب » . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث هشام . قال ابن هشام : القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف . قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله ﷺ يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله . وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ، قبل أن تفرض الصلاة .

قلت : يعنى الصلوات الخمس ليلة الإسراء . فأما أصل الصلاة فقد وجب فى حياة خديجة رضى الله عنها كما سنبينه .

وقال ابن إسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء به . ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات ، ثم رجع النبى ﷺ وقد أقر الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات ، ثم كان هو وخديجة يصليان سراً .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التى صلاها به عند البيت مرتين، فبين له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء ، وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان .

فصل
فى ذكر أول من أسلم ، ثم ذكر متقدمى الإسلام من الصحابة وغيرهم

قال ابن إسحاق : ثم إن على بن أبى طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان . فقال على : يا محمد ما هذا ؟ قال دين الله الذى اصطفى لنفسه ، وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأن تكفر باللات والعزى . فقال على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاضٍ أمراً حتى أحدث به أبا طالب . فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلنَ أمره . فقال له : يا على إذا لم تسلم فاكتم . فمكث علىّ تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع فى قلب علىّ الإسلام ، فأصبح غاديا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال : ماذا عرضت علىّ يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من من الأنداد » ففعل علىّ وأسلم ، ومكث يأتيه على خوف من أبى طالب ، وكتم علىّ إسلامه ولم يظهره ، وأسلم ابن حارثة ـ يعنى زيداً ـ فمكثا قريباً من شهر يختلف علىّ إلى رسول الله ﷺ ، وكان مما أنعم الله به على علىّ أنه كان فى حجر رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : حدثنى ابن أبى نجيح عن مجاهد . قال : وكان مما أنعم الله به على علىّ أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس ـ وكان من أيسر بنى هاشم ـ « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير

العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله » فأخذ رسول الله ﷺ فضمه إليه ، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علىّ وآمن به وصدقه .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثنى يحيى بن أبى الأشعث الكندى - من أهل الكوفة - حدثنى إسماعيل بن أبى إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه - أنه قال : كنت امرءاً تاجراً فقدمت مِنًى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرءاً تاجراً ، فأتيته أبتاع منه وأبيعه ، قال : فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلى تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت تصلى ، وخرج غلام فقام يصلى معه . فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو ، فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب آمن به . قال عفيف فليتنى كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانيا .

وتابعه إبراهيم بن سعد بن إسحاق ، وقال فى الحديث : إذ خرج من خباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلى . ثم ذكر قيام خديجة وراءه . وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن عبيد المحاربى حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبدة البجلى عن يحيى بن عفيف . قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس ابن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ؛ فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجدا معه ، فقلت : يا عباس أمر عظيم ! فقال أتدرى من هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى ، أتدرى من الغلام ؟ قلت : لا . قال : هذا على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - أتدرى من هذه المرأة التى خلفهما ؟ قلت : لا ، قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى . وهذا حدثنى أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذى تراهم عليه ، وايم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

وقال ابن جرير حدثنى ابن حميد حدثنا عيسى بن سوادة بن أبى الجعد حدثنا محمد ابن المنكدر وربيعة بن أبى عبد الرحمن وأبو حازم والكلبى . قالوا : علىّ أول من أسلم ، قال الكلبى : أسلم وهو ابن تسع سنين . وحدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن

إسحاق . قال أول ذَكَر آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدقه على بن أبى طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان فى حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام . قال الواقدى أخبرنا إبراهيم عن نافع عن ابن أبى نجيح عن مجاهد . قال : أسلم علىّ وهو ابن عشر سنين . قال الواقدى : وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعدما تنبأ رسول الله بسنة . وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلى ، وأسلم على قبل أبى بكر ، وكان على يكتم إيمانه خوفا من أبيه ، حتى لقيه أبوه فقال أسلمت ؟ قال : نعم ! قال وَازِرْ ابن عمك وانصره . قال وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام .

وروى ابن جرير فى تاريخه من حديث شعبة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس . قال : أول من صلى علىّ . وحدثنا عبد الحميد بن يحيى حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر . قال : بُعث النبى ﷺ يوم الاثنين وصلى علىّ يوم الثلاثاء . وروى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة ـ رجل من الأنصار ـ سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله ﷺ على بن أبى طالب . قال : فذكرته للنخعي فأنكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم . ثم قال : حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين . وهكذا رواه ابن ماجه عن محمد بن إسماعيل الرازى عن عبيد الله ابن موسى الفهمي ـ وهو شيعى من رجال الصحيح ـ عن العلاء بن صالح الأزدى الكوفى ـ وثقوه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة ـ وقال على بن المدينى روى أحاديث مناكير والمنهال بن عمرو ثقة . وأما شيخه عباد بن عبد الله ـ وهو الأسدى الكوفى ـ فقد قال فيه على بن المدينى هو ضعيف الحديث ، وقال البخارى فيه نظر . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وهذا الحديث منكر بكل حال ، ولا يقوله على رضى الله عنه ، وكيف يمكن أن يصلى قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصور أصلا والله أعلم . وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق .

والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السياقات ـ وقبل الرجال أيضاً ـ وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان على بن أبى طالب . فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت . وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدراً معظما ، ورئيسا فى قريش مكرما ، وصاحب

مال : وداعية إلى الإسلام . وكان محبباً متألفاً يبذل المال فى طاعة الله ورسوله كما سيأتى تفصيله . قال يونس عن ابن إسحاق ثم إن أبا بكر الصديق لقى رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، وتكفيرك آباءنا فقال رسول الله ﷺ : « بلى ، إنى رسول الله ونبيه ، بعثنى لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق أدعوك يا أبا بكر ، إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر . فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن رسول الله ﷺ قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ماعكم عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه » عكم - أى تلبث - وهذا الذى ذكره ابن إسحاق فى قوله : فلم يقر ولم ينكر ، منكر ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخلق ، فكيف يكذب على الله؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ، ولا عكم ، وقد ذكرنا كيفية إسلامه فى كتابنا الذى أفردناه فى سيرته وأوردنا فضائله وشمائله وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبى ﷺ من الأحاديث ، وما روى عنه من الآثار والأحكام والفتاوى فبلغ ذلك ثلاثة مجلدات ولله الحمد والمنة .

وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة وفيه . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق . وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبى » مرتين فما أوذى بعدها ، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه ، وقد روى الترمذى وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ألست أحق الناس بها ، ألست أول من أسلم ، ألست صاحب كذا ؟ وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو إسحاق السبيعى عن الحارث ، سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبى ﷺ من الرجال على بن أبى طالب .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبى ﷺ أبو بكر الصديق . رواه أحمد والترمذى والنسائى من حديث شعبة وقال الترمذى

حسن صحيح . وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم على بن أبى طالب قال عمرو ابن مرة ، فذكرته لإبراهيم النخعى فأنكره وقال : أول من أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وروى الواقدى بأسانيده عن أبى أروى الدوسى وأبى مسلم بن عبد الرحمن فى جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحميدى عن سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، أما سمعت قول حسان :

إذا تذكرتَ شجواً من أخى ثقةٍ * فاذكر أخاكَ أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاها وأعدلها * بعد النبى وأوْلاها بما حملا
والتالى الثانى المحمودُ مشهدُهُ * وأولُ الناس منهم صدّقَ الرسلا
عاش حميداً لأمرِ اللهِ مُتَّبِعا * بأمرِ صاحبِهِ الماضى وما انتقلا

وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة . حدثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال : سألت ابن عباس - أو سئل ابن عباس - أى الناس أول أسلاماً ؟ قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره ، وهكذا رواه الهيثم بن عدى عن مجالد عن عامر الشعبى ، سألت ابن عباس فذكره . وقال أبو القاسم البغوى : حدثنى سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال : أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبى عبد الرحمن وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النخعى ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن إبراهيم وهوالمشهور عن جمهور أهل السنة . وروى ابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص ومحمد ابن الحنفية أنهما قالا : لم يكن أولهم إسلاماً ، ولكن كان أفضلهم إسلاماً . قال سعد : وقد آمن قبله خمسة . وثبت فى صحيح البخارى من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر . قال : رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبى النجود عن زر عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية وصهيب ، وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه

الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد . وهكذا رواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا . فأما ما رواه ابن جرير قائلا : أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن جبلة ، عن إبراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن محمد بن سعد بن أبى وقاص . قال : قلت لأبى : أكان أبو بكر أولكم إسلاماً ؟ قال : لا ! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا إسلاماً . فإنه حديث منكر إسناداً ومتناً . قال ابن جرير وقال آخرون كان أول من أسلم زيد بن أبى ذئب ، سألت الزهرى من أول من أسلم من النساء ؟ قال : خديجة قلت : فمن الرجال ؟ قال : زيد بن حارثة وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد : أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلا مألفاً لقومه محباً سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه فيما بلغنى : الزبير بن العوام وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر . فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا فى الإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله .

وقال محمد بن عمر الواقدى حدثنى الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبى عن إبراهيم بن محمد بن أبى طلحة . قال : قال طلحة بن عبيد لله : حضرت سوق بصرى فإذا راهب فى صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم قال طلحة : قلت : نعم أنا ، فقال : هل ظهر أحمد بعد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء مخرجه

من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ ، فإياك أن تُسبق إليه . قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت : هل كان من حديث ؟ قالوا نعم ، محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبى قحافة . قال : فخرجت حتى قدمت على أبى بكر ، فقلت : اتبعت هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق ، فأخبره طلحة بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب فسر بذلك . فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد ابن العدوية - وكان يدعى أسد قريش - فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبى ﷺ : « اللهم اكفنا شر ابن العدوية» رواه البيهقى .

وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الأطرابلسى حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمرى قاضى المصيصة ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق ابن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثنى أبى :عبيد الله حدثنى عبد الله [بن محمد] بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : حدثنى أبى :محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبى بكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً فى الجاهلية ، فلقيه فقال : يا أبا القاسم فُقِدْتَ من مجالس قومك واتهموك بالعيب لأبائها . وأمهاتها . فقال رسول الله ﷺ : « إنى رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبى بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبى عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبى سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبى الأرقم فأسلموا رضى الله عنهم .

قال عبد الله بن محمد : فحدثنى أبى محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة . قالت : لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى

رسوله ﷺ ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين ، فضربوا فى نواحى المسجد ضربا شديداً ووطىء أبو بكر وضرب ضربا شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير أنظرى أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله مالى علم بصاحبك . فقال : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمك تسمع ، قال: فلا شىء عليك منها ، قالت: سالم صالح . قال : أين هو؟ قالت : فى دار ابن الأرقم ، قال : فإن لله علىّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله ﷺ . فأمهلتا حتى هدأت الرِّجْل وسكن الناس ، خرجتا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ ، قال فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة . فقال أبو بكر : بأبى وأمى يا رسول الله ليس بى بأس إلا مانال الفاسق من وجهى ، وهذه أمى برة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ فى الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلا .

وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر ، ودعا رسول الله ﷺ لعمر ابن الخطاب ـ أو لأبى جهل بن هشام ـ فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلا مكة ، وخرج أبو الأرقم ـ وهو أعمى كافر ـ وهو يقول : اللهم اغفر لبنى عبيد الأرقم فإنه كفر ، فقام عمر فقال : يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على

الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » فقال عمر : فوالذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مر بقريش وهى تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبأت ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل أصبعه فى عينه ، فجعل عتبة يصيح فتنحى النـاس فقام عمر، فجعل لايدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه، حتى أعجز الناس . وأتبع المجالس التى كان يجالس فيها فيظهر الإيمان ، ثم انصرف إلى النبى ﷺ وهو ظاهر عليهم . قال ما عليك بأبى وأمى ، والله ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف البيت وصلى الظهر مُؤمِّنا ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبى ﷺ .

والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك فى السنة السادسة من البعثة كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله . وقد استقصينا كيفية إسلام أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى كتاب سيرتهما على انفرادها ، وبسطنا القول هنالك ولله الحمد .

وثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى أمامة عن عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فى أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفٍ ، فقلت مـا أنت ؟ قال : أنا نبى ، فقلت : وما النبى ؟ قال : رسول الله ، قلت : الله أرسلك قـال : نعم ، قلت : بم أرسلك ؟ قال : بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام وتوصـل الأرحام . قال : قلت : نِعْم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد - يعنى أبا بكر وبلالا - قال : فكان عمرو يقول : لقد رأيتنى وأنا ربع الإسلام . قال : فأسلمت ، قلت : فأتبعك يا رسول الله ، قال : لا ، ولكن الحق بقومك ، فإذا أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى . ويقال : إن معنى قوله ﷺ حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بأبى بكر وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل : عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم دع الأجـانب دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم .

وفى صحيح البخارى من طريق أبى أسامة عن هاشم بن هاشم عن سعيد بن المسيب قال : سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام . أما قوله ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه فسهل ، ويروى إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه وهو مشكل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد بالإسلام . وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الأثير. ونص أبو حنيفة رضى الله عنه على أن كلا من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم . وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام فمشكل وما أدرى على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله – وهو ابن مسعود – قال : كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط بمكة ، فأتى علىَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر ـ وقد فرا من المشركين ـ فقال ـ أو فقالا ـ عندك يا غلام لبن تسقينا قلت : إنى مؤتمن ، ولست بساقيكما ، فقال : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت : فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول ﷺ الضرع ودعا فحفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقيانى ثم قال للضرع : أقلص فقلص ، فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت : علمنى من هذا القول الطيب ـ يعنى القرآن ـ فقال : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة به . ورواه الحسن بن عرفة عن أبى بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود به

وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن بطة الأصبهانى حدثنا الحسن بن الجهم حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا محمد بن عمر حدثنى جعفر بن محمد ابن خالد بن الزبير عن أبيه ـ أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ قال : كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان أول أخوته أسلم . وكان بدء إسلامه أنه رأى فى المنام أنه وقف به على شفير النار ، فذكر من سعتها ماالله أعلم . ويرى فى النوم كأن آتيا أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحقويه لايقع ففزع من نومه فقال : أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق ، فلقى أبا بكر بن أبى قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه ، فإنك ستتبعه وتدخل معه فى الإسلام ، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها ، فلقى رسول الله ﷺ

وهو بأجياد ، فقال يارسول الله يا محمد إلامَ تدعو؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ولا يبصر، ولاينفع، ولا يدرى من عبده ممن لايعبده» . قال خالد : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، فسر رسول الله ﷺ بإسلامه ، وتغيب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل فى طلبه فأتى به فأنبه وضربه بمقرعة فى يده حتى كسرها على رأسه وقال : والله لأمنعنك القوت ، فقال خالد : إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به ، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى ﷺ

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثنى رجل ممن أسلم ـ وكان واعية ـ ان أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجّه منها شجّة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، وقالوا : ما نراك إلا قد صبأت؟ قال حمزة : ومن يمنعنى وقد استبان لى منه ما أشهد أنه رسول الله ﷺ وأن الذى يقول حق : فوالله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإنى والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع فكَفُّوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة فى ذلك شعراً [١] .

قال ابن إسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال : أنت سيد قريش ، اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك ، للموت خير لك مما صنعت . فأقبل حمزة على نفسه وقال : ما صنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه فى قلبى ، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا ، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان ، حتى أصبح ، فغدا على رسول الله ﷺ . فقال : يا بن أخى إنى قد وقعت فى أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلى على مالا أدرى ما هو أرشد أم هو غى شديد ؟ فحدثنى حديثا ، فقد

---

(١) لم يذكر المؤلف شعر حمزة وذكر السهيلى فى الروض الأنف قطعة له مطلعها :

حمدت الله حين هدى فؤادى * إلى الإسلام والدين الحنيف . إلخ

اشتهيت يا بن أخى أن تحدثنى ، فأقبل رسول الله ﷺ فذكَّره ووعظه ، وخوفه وبشره ، فألقى الله فى قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ . فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأظهر يا بن أخى دينك فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء ، وأنى على دينى الأول . فكان حمزة ممن أعز الله به الدين . وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

ذكر إســـــلام أبى ذر رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا عبد الله بن الرومى حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار عن أبى زُميل سماك بن الوليد عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبى ذر . قال : كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلى ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله ﷺ فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار فى وجه رسول الله ﷺ . هذا سياق مختصر .

وقال البخارى فى إسلام أبى ذر : حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن المثنى عن أبى حمزة عن ابن عباس . قال : لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتنى ، فانطلق الآخر حتى قَدِمه وسمع من كلامه ثـم رجع إلى أبى ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ماهو بالشعر ، فقال مـا شفيتنى مما أردت . فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه علىّ فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعـه فمر به علىّ فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله ، فأقامه فذهب به معه لايسأل واحد منهما صاحبه عن شىء ، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فأقام معه فقـال : ألا تحدثنى بالذى أقدمك ؟ قال : إن أعطيتنى عهداً وميثاقا لترشدننى فعلت ففعل فأخبره . قال فإنه حق وإنه رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإنى إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى ، ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه

فقال له النبى ﷺ : « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » فقال : والذى بعثك بالحق لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلا صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، فأتى العباس فأكب عليه فقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غِفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام . فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه هذا لفظ البخارى .

وقد جاء إسلامه مبسوطاً فى صحيح مسلم وغيره ، فقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ابن هارون حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غِفار ـ وكان يحلون الشهر الحرام ـ أنا وأخى أنيس وأمنا فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذى مال وذى هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس : فجاء خالنا فنثى ما قيل له [1] فقلت له أمّا ما مضى من معروفك فقد كدرته ، ولا جماع لنا فيما بعد . قال فقرّبنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكى ، قال : فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة قال : فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فخير أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثلها وقد صليت يا بن أخى قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين ، قال : قلت : لمن ؟ قال : لله ، قلت : فأين توجه ؟ قال : حيث وجهنى الله . قال : وأصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألفيت كأنى خفاء [2] حتى تعلونى الشمس ، قال : فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فألقنى حتى آتيك ، قال : فانطلق فراث علىّ ، ثم أتانى فقلت : ما حبسك ؟ قال : لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال : فقلت : ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون : إنه شاعر وساحر ، وكان أنيس شاعراً . قال : فقال : لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون . قال : فقلت له : هل أنت كافىّ حتى أنطلق ؟ قال : نعم ! وكن من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شنعوا له وتجهموا له . قال : فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت : أين هذا الرجل الذى يدعونه الصابىء ؟ قال : فأشار إلىّ فمال أهل الوادى علىّ بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علىّ ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر ، فأتيت زمزم فشربت من مائها

---

(١) فى النهاية لابن الأثير : من حديث أبى ذر فجاء خالنا فنثى علينا الذى قيل له أى أظهره إلينا .

(٢) فى النهاية وفى حديث أبى ذر : سقطت كأنى خفاء ، والخفاء الكساء .

وغسلت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يا بن أخى ثلاثين من يوم وليلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى ، وما وجدت على كبدى سخفة جوع ، قال : فبينا أهل مكة فى ليلة قمراء أضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتيتا علىّ وهما يدعوان أساف ونائلة . فقلت : أنكحوا أحدهما الآخر ، فما ثناهما ذلك ، فقلت : وهن مثل الخشبة غير أنى لم أركن . قال فانطلقتا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا ، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا : مالكما ؟ فقالتا : الصابىء بين الكعبة وأستارها قالا : ما قال لكما ؟ قالتا : قال لنا كلمة تملأ الفم ، قال : وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى . قال : فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله من أنت ؟ » قال : قلت من غِفار قال فأهوى بيده فوضعها على جبهته، قال: فقلت فى نفسى كره أن انتميت إلى غِفار، قال : فأردت أن آخذ بيده فقذفنى صاحبه وكان أعلم به منى ، قال : متى كنت هٰهنا ؟ قال : قلت : كنت هٰهنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت ما كان لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى ، وما وجدت على كبدى سخفة جوع . قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » قال : فقال أبو بكر ائذن لى يا رسول الله فى طعامه الليلة ، قال : ففعل ، قال : فانطلق النبى ﷺ وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها . فلبثت مالبثت. فقال رسول الله ﷺ : «إنى قد وُجِّهْت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عنى قومك ، لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟» قال فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا ، قال : فقال لى : ما صنعت ؟ قال : قلت : صنعت أنى أسلمت وصدقت ، قال : فما بى رغبة عن دينك فإنى قد أسلمت وصدقت ، ثم أتينا أمنا فقالت مابى رغبة عن دينكما فإنى قد أسلمت وصدقت فتحملنا حتى أتينا قومنا غِفار ، قال : فأعلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن أيماء بن رخصة الغفارى وكان سيدهم يومئذ . وقال بقيتهم : إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا ، قال : فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم ، قال وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله إخواننا نسلم على الذى أسلموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ « غِفار غفر الله لها ، وأَسْلَم سالمها الله » ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه . وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسى فى كتاب البشارات بمبعثه ﷺ .

ذكر إســـــلام ضمـــاد

روى مسلم والبيهقى من حديث داود بن أبى هند عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سفه مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال : أين هذا الرجل ، لعل الله أن يشفيه على يدى ؟ فلقيت محمداً فقلت : إنى أرقى من هذه الرياح ، وإن الله يشفى على يدى من شاء فهلم . فقال محمد : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات » . فقال: والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلم يدك أبايعك على الإسلام ، فبايعه رسول الله ﷺ ، فقال له : وعلى قومك ؟ فقال : وعلى قومى ، فبعث النبى ﷺ جيشا فمروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً فقال رجل منهم أصبت منهم مظهرة فقال ردها عليهم فإنهم قوم ضماد . وفى رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر .

وقد ذكر أبو نعيم فى دلائل النبوة إسلام من أسلم من الأعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسناً رحمه الله وأثابه . وقد سرد ابن إسحاق أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضى الله عنهم، قال: ثم أسلم أبو عبيدة، وأبو سلمة، والأرقم بن أبى الأرقم وعثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر ـ وهى صغيرة ـ وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون ، وخباب بن الأرت ، وعمير بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ومسعود بن القارى ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبى ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلمة [1] بن مخرمة التميمى ، وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته أسماء بنت عميس ، وحاطب ابن الحارث ، وامرأته فكيهة بنت يسار [2] ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحى ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد مناف [3] ، وامرأته رملة بنت

---

(١) فى السيرة لابن هشام : أسماء بنت سلامة .

(٢) كذا فى الأصلين . وفى ابن هشام : حاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المجلل ، وأخوه خطاب ابن الحارث وامرأته فكيهة .

(٣) وفيها : ابن عبد عوف مكان : مناف .

أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم ، والنحام ، واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة بنت خلف بن سعد بن عامر ابن بياضة بن خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة التميمى حليف بنى عدى ، وخالد بن البُكير ، وعامر ابن البكير ، وعاقل بن البكير ، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث، وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله ﷺ عاقلا، وهم حلفاء بنى عدى بن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان . ثم دخل الناس أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن إسحاق : ثم أمر رسول الله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر وأن يصبر على أذى المشركين . قال وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم مايصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جمل فشجه ، فكان أول دم أهريق فى الإسلام . وروى الأموى فى مغازيه من طريق الوقاصى عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

بـــــاب

أمر الله رسوله ﷺ بإبلاغ الرســـالة

إلى الخاص والعام ، وأمره له بالصبر والاحتمال ، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسول الأعظم إليهم ، وذكر ما لقى من الأذية منهم هو وأصحابه رضى الله عنهم .

قال الله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جَناحَكَ لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إنى برىءٌ مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم . وتقلبك فى الساجدين . إنه هو السميع العليم) [1] . وقال تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون) [2] . وقال تعالى : (إن الذى فرض عليك القرآن لرادُّك إلى

---

(١) الآيات : ٢١٤ ـ ٢٢٠ من سورة الشعراء .

(٢) الآية : ٤٤ من سورة الزخرف .

معاد) [١] . أى إن الذى فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهى المعـاد فيسـألـك عن ذلك كما قال تعالى : (**فوربك لنسألنهم أجمعين . عما كانوا يعملون)** [٢] . والآيات والأحاديث فى هذا كثيرة جداً . وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتـابنـا التفسـير ، وبسـطنا من القول فى ذلك عند قوله تعالى فى سورة الشعراء (**وأنذر عشيرتك الأقربين**) . وأوردنا أحاديث جمة فى ذلك ، فمن ذلك :

قال الإمـام أحمد : حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله (**وأنذر عشيرتك الأقربين**) أتى النبى ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجىء إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يابنى كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» فقال أبو لهب - لعنه الله تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله عز وجل (**تبت يدا أبى لهب وتب**) [٣] وأخرجاه من حديث الأعمش به نحوه .

وقال أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة ، قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعمّ وخصّ . فقال : « يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يـامعشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار . فإنى والله لا أملك لكم من الله شيئاً ، إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها » ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب ، وأبى سلمة عن أبى هريرة ، وله طرق أخر عن أبى هريرة فى مسند أحمد وغيره . وقال أحمد أيضاً : حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالـت : لما نزل (وأنذر عشيرتك الأقربين) قام رسول الله ﷺ فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب يا بنى عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلونى من مالى ما شئتم » . ورواه مسلم أيضاً .

---

(١) الآية : ٨٥ من سورة القصص .

(٢) الآية : ٩٢ - ٩٣ من سورة الحجر .

(٣) الآية : ١ من سورة المسـد .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد ابن إسحاق قال : فحدثنى من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمنى اسمه - عن ابن عباس عن على بن أبى طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ (وأنـذر عشـيرتـك الأقـربـين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) قال رسول الله ﷺ : « عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصَمَتّ . فجاءنى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » قال : فدعانى فقال : « يا علىّ إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، فاصنع لنا ياعلىّ شاة على صاع من طعـام ، وأعـدّ لنـا عس لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب » ففعلت ، فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث . فقدمت إليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله ﷺ منها حذية فشقها بأسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال : « كلوا باسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : « اسقهم يا على » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وايم الله إن كان الرجل ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب لعنه الله فقال : لَهَدَّ ما سحركم صاحبكم ، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ . فلما كان من الغـد قال رسـول الله ﷺ : عد لنا مثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشـراب ، فإن هذا الرجل قد بدر إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ، ثم جمعتهم له ، وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، وايم الله إن الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : « اسقهم يا على » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم ، بدره أبو لهب ، لعنه الله ، إلى الكلام فقال : لَهَدَّ ما سحركم صاحبكم ؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ : « يا على عُدَّ لنا مثل الذى كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ، ثم جمعتهم له ، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب . ثم قال رسول الله ﷺ : « يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » هكذا رواه البيهقى من طريق يونس بن بكير عن إسحاق عن شيخ ، أُبْهِمَ

اسمه عن عبد الله بن الحارث به ، وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازى عن سلمة بن الفضل الأبرش عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار أبى مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن على فذكر مثله وزاد بعد قوله : « وإنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا ، قال فأحجم القوم جميعاً ، وقلت ولإنى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا وأخمشهم ساقا ، أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتى فقال : « إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ! تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعى اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون .

ولكن روى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثى عن عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال : قال علىّ : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) : قال لى رسول الله ﷺ : اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام ، وإناء لبنا ، وادع لى بنى هاشم فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل ، فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : وبدرهم رسول الله ﷺ الكلام ، فقال : « أيكم يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى ؟» قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال : وسكتُّ أنا لسن العباس ، ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال أنت ؟ قال : وإنى يومئذ لأسوأهم هيئة ، وإنى لأعمش العينين ، ضخم البطن ؛ خمش الساقين . وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث عباد بن عبد الله الأسدى وربيعة بن ناجذ عن علىّ نحو ما تقدم - أو كالشاهد له - والله أعلم ، ومعنى قوله فى هذا الحديث : من يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى يعنى إذا مت ، وكأنه ﷺ خشى إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركى العرب [1] أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ويقضى عنه ، وقد أمنه الله من ذلك فى قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) [2] الآية . والمقصود

---

(١) فى النسخة المصرية : بإبلاغ مشركى العرب رسالة الله .

(٢) الآية : ٦٧ من سورة المائـدة .

أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك رادٌ ، ولا يصده عن ذلك صاد ، يتبع الناس فى أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفى المواسم ومواقف الحج ، يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ، جميع الخلق فى ذلك عنده شرع سواء . وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداءُ الأقوياء من مشركى قريش بالأذية القولية والفعلية .

وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب – واسمه عبد العزى بن عبد المطلب– وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان ، وخالفه فى ذلك عمه أبو طالب ابن عبد المطلب ، وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعا ، وكان يحنو عليه ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحامى ، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبا طبعياً لا شرعياً . وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركى قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ، ولاجترءوا عليه ، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه ، (**وربك يخلق مايشاء ويختار**) [١] . وقد قسم خلقه أنواعا وأجناسا ، فهذان العمان كافران : أبو طالب وأبو لهب ، ولكن هذا يكون فى القيامة فى ضحضاح من نار ، وذلك فى الدرك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة فى كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ فى المواعظ والخطب . تتضمن أنه (**سيصلى ناراً ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب**) [٢] .

قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه ، قال : أخبر رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بنى الديل ـ وكان جاهليا فأسلم ـ قال : رأيت رسول الله ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابىء كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب ، ثم رواه هو والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد بنحوه .

---

(١) الآية : ٦٨ من سورة القصص .

(٢) آيتا : ٣ ، ٤ من سورة المسد .

وقـال البيهقى أيضاً حدثنا أبو طاهر الفقيه حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان حدثنا أبو الأزهر. حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا محمد بن عمر عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الديلى ، قال : رأيت رسول الله ﷺ بذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لايغرنكم هذا عن دينكم ودين آبـائكم . قلت : من هذا ؟ قيل : هذا أبو لهب ، ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة ، قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسفى عليه التراب ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لايغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى ، كذا قال : أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى .

وأمـا أبـو طالب فكـان فى غاية الشفقـة والحنو الطبيعى كما سيظهر من صنائعه ، وسجاياه ، واعتماده فيما يحامى به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، قال يونس بن بكير : عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة أخبرنى عقيل بن أبى طالب ، قال جاءت قريش إلى أبى طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا فى نادينـا ومسجـدنـا فانهـه عنـا . فقـال : ياعقيل انطلق فأتنى بمحمد ، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس ـ أو قال خنس ـ يقول بيت صغير ، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر ، فلما أتاهم قال : إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فى ناديهم ومسجدهم ، فانتـه عن أذاهم ، فحلّق رسـول الله ﷺ ببصـره إلى السمـاء ، فقـال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة » فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا ، رواه البخارى فى التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير ، ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به ـ وهذا لفظه .

ثم روى البيهقى من طريق يونس عن ابن إسحاق ، حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس أنه حدث ، أن قريشاً حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : يابن أخى إن قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا ، فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أُطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك مايكرهون من قولك . فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومُسْلِمُهُ ، وضعف عن القيام

معه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ماتركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه » ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، فلما ولّى قال له حين رأى مابلغ الأمر برسول الله ﷺ : يابن أخى ، فأقبل عليه ، فقال امض على أمرك وافعل ماأحببت ، فوالله لاأسلمك لشىء أبداً ، قال ابن إسحاق ثم قال أبو طالب فى ذلك :

والله لن يصلوا إليكَ بجمْعِهم * حتى أُوَسَّدَ فى التراب دفينا
فامضىِ لأمرك ماعليك غضاضة * أَبْشِر وقِر بذاك منك عيونا
ودعوتنىِ وعلمتُ أنك ناصحى * فلقد صدقت وكنت قدم أمينا
وعرضتَ دينا قد عرفتُ بأنه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذارى سُبَّةً * لوجدتنى سَمْحا بذاك مبينا

ثم قال البيهقى : وذكر ابن إسحاق لأبى طالب فى ذلك أشعاراً ؛ وفى ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه فى دينه ، وقد كان يعصمه حيث لايكون عمه بما شاء لامعقب لحكمه ، وقال يونس بن بكير : حدثنى محمد بن إسحاق حدثنى رجل من أهل مصر قديماً منذبضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس فى قصة طويلة جرت بين مشركى مكة وبين رسول الله ﷺ ، فلما قام رسول الله قال أبو جهل بن هشام : يامعشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل ، لعنه الله ، أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام ، فكان إذا صلّى صلّى بين الركنيْن الأسود واليمانى ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ يصلى ، وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منبهتاً ممتقعاً لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال من قريش ، فقالوا له : مابك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل والله مارأيت مثل هامته ، ولا قصرته [١] ولا أنيابه لفحل قط فهمَّ أن يأكلنى ، قال ابن إسحاق : فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » .

---

(١) قصرته : أى عنقه وأصل رقبته .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو نضر الفقيه حدثنا عثمان الدارمى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن أبان بن صالح عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت يوما فى المسجد فأقبل أبو جهل ـ لعنه الله ـ فقال : إن لله علىّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبى جهل ، فخرج غضبان حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط ، فقلت هذا يوم شر ، فأتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله ﷺ فقرأ (**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق**) [1] فلما بلغ شأن أبى جهل (**كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى**) فقال إنسان لأبى جهل : يا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سد أفق السماء على ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم عن عكرمة قال : قال ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا » ورواه البخارى عن يحيى عن عبد الرزاق به ، قال داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : مر أبو جهل بالنبى ﷺ وهو يصلى ، فقال : ألم أنهك أن تصلى يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا منى ، فانتهره النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال جبريل : (**فليدع ناديه . سندع الزبانية**) [1] والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب ، رواه أحمد والترمذى وصححه النسائى من طريق داود به ، وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلى لأتينه حتى أطأ عنقه ، قال : فقال ﷺ : « لو فعل لأخذته الزبانية عيانا» ، وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبى إسحاق عن الوليد بن العزار عن ابن عباس ، قال : قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه ، فأنزل الله تعالى (**اقرأ باسم ربك الذى خلق**) حتى بلغ من الآية (**لنسفعا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية**) ، فجاء النبى ﷺ يصلى فقيل : مايمنعك ! قال : قد اسود مابينى وبينه من الكاتب ، قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه .

---

(١) الآيات من سورة العلق .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبى هند عن أبى حازم عن أبى هريرة ، قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا : نعم ! قال : فقال : واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه بالتراب ، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ليطأ على رقبته ، قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ قال : إن بينى وبينه خندقا من نار وهَوْلا وأجنحة ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » قال : وأنزل الله تعالى ـ لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا ـ (**كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى**) إلى آخر السورة وقد رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن أبى حاتم والبيهقى من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى به .

وقال الإمام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ، قال : ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد ، فإنه كان يصلى ورهط من قريش جلوس ، وسلا جزور قريب منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره ، فقال عقبة بن أبى معيط : أنا ، فأخذه فألقاه على ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم عليك بهذا الملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبى معيط ، اللهم عليك بأبىّ بن خلف ـ أو أمية بن خلف ـ » شعبة الشاك ، قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبىّ ـ أو أمية بن خلف ـ فإنه كان رجلا ضخما فتقطع ، وقد رواه البخارى فى مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن إسحاق به ، والصواب أمية بن خلف فإنه الذى قتل يوم بدر ، وأخوه أبىّ إنما قتل يوم أحد كما سيأتى بيانه - والسلا هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة ، وفى بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أى يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله ، وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبتهم ، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه ﷺ دعا على الملأ منهم جملة وعيّن فى دعائه سبعة ، وقع فى أكثر الروايات تسمية ستة منهم وهم : عتبة ، وأخوه شيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبى معيط ، وأمية بن خلف قال ابن إسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته فى صحيح البخارى .

قصـــــــة الإراشــــــى [١]

قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق حدثنا عبد الملك بن أبى سفيان الثقفى قال : قدم رجـل من إراش بإبل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها . فأقبل الإراشى حتى وقف على نادى قريش ، ورسول الله ﷺ جالس فى ناحية المسجد ، فقال : يا معشر قريش مَنْ رجل يعدينى على أبى الحكم بن هشام ، فإنى غريب وابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك إلى رسول الله ﷺ ، يهزءون به [٢] لما يعلمون ما بينه وبين أبى جهل من العداوة ، اذهب إليه فهو يعديك عليه [٣] . فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقام معه فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال : محمد فاخرج ، فخرج إليه وما فى وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال لا تبرح حتى أعطيه الذى له . قال : فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشى : الحق لشأنك . فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً فقد أخذت الذى لى ، وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال : أعط هذا الرجل حقه فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه . فدخل فأخرج إليه حقـه فأعـطاه. ثم لم يلبث أن جاء أبـو جهل فقالوا له : ويلك مالك، فوالله مارأينا مثل ما صنعت ، فقال: ويحكم ،والله ما هو إلا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت رعبا ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فوالله لو أبيت لأكلنى .

فصـــــــل

وقال البخارى حدثنا عياش بن الوليد حدثنا مسلم حدثنى الأوزاعى عن يحيى بن أبى

---

(١) الإراشى نسبة إلى إراش ، موضع حكاه ياقوت فى معجم البلدان .

(٢) هذا نص الحلبية بالزاى المعجمة وفى المصرية : وهم يهرون به بالراء المهملة .

(٣) فى الأصلين : يؤديك عليه .

كثير عن محمد بن إبراهيم التيمى حدثنى عروة بن الزبير ، سألت عمرو بن العاص فقلت : أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ .

قال : بينما النبى ﷺ يصلى في حجر الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : (**أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**) [1] الآية . تابعه ابن إسحاق فقال : أخبرنى يحيى بن عروة عن أبيه قال : قلت لعبد الله بن عمرو ؛ وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال : قيل لعمرو بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبى سلمة حدثنى عمرو بن العاص . قال البيهقى وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة . انفرد به البخارى وقد رواه فى أماكن من صحيحه وصرح فى بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة .

وقد روى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق . حدثنى يحيى بن عروة عن أبيه عروة . قال : قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً فى الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم - أو كما قالوا - قال فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ فمضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها فى وجهه فمضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها . فقال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » [2] فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه ، حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول . فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه . حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذى

---

(١) الآية : ٢٨ من سورة غافر .

(٢) فى الحلبية : بالذبح مهملة وفى ابن هشام : بالذبح .

تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : « نعم أنا الذى أقول ذلك » ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر ينكى دونه ويقول : ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) [1] ثم انصرفوا منه . فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط .

فصـــــــل

فى تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بعمه أبى طالب القائم فى منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يُسْلمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحـــول الله وقوته

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، وأخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت علىّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال » . وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذى حسن صحيح .

قال محمد بن إسحاق : وحدب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لدينه لا يرده عنه شيء ، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أبا طالب قد حدب عليه دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب : عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس ، وأبو البخترى - واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، والعاص بن وائل ابن سعيد بن سهم . قال ابن إسحاق أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك

---

(١) الآية : ٢٨ من سورة غافر .

قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه ؟ فقال لهم أبو طالب قولا رفيقاً ، وردهم رداً جميلا ، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ماهو عليه ، يظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم سرى الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا . وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى . فقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ـ أو كما قالوا ـ ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه .

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة بن الأخنس أنه حُدِّث أن قريشاً حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا بن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا ، للذى قالوا له ، فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق ، قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بدو وأنه خاذله ومُسْلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم ؛ والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته» قال : ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يابن أخى ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه . فقال : اذهب يا بن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشىء أبداً .

قال ابن إسحق . ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد ابن المغيرة فقالوا له ـ فيما بلغنى ـ يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامنا فنقتله فإنما هو رجل برجل ! قال : والله لبئس ما تسوموننى ؟ أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى فتقتلونه ؟ هذاوالله مالا يكون أبداً . قال فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره ،

فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفونى ، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك - أو كما قال - فحقب الأمر وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، ونادى بعضهم بعضا . فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى ويعم من خذله من بنى عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمرٍو والوليدِ ومطعم * ألا ليت حظى من حياطتكم بكْرُ
من الخور حبحابٌ كثيرٌ رغاؤه * يرش على الساقين من بوله قطْرُ
تخلف خلف الورد ليس بلاحقٍ * إذ ما علا الفيفاء قيل له وبْرُ
أرى أخوينْا من أبينا وأمنا * إذا سُئِلا قالا إلى غيرنا الأمْرُ
بلى لهما أمر ولكن تجرجما * كما جرجمت من رأس ذى علق الصخْرُ
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا * هما نبذانا مثل ما نبذ الجمْرُ
هما أغمزا للقوم فى أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهما صفْرُ
هما أشركا فى المجد من لا أباله * من الناس إلا أن يرس له ذكْرُ
وَتيم ومَخْزوم وزُهرة منهمُ * وكانوا لنا مولًى إذا بُغى النصرُ
فوالله لا تنفكُّ منا عداوة * ولا منكم ما دام مِنْ نسلنا شَفْرُ

قال ابن هشام : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما

فصل

فى مبالغتهم فى الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً تَذَامروا بينهم على مَن فى القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومَنَع الله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب . وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى عبد المطلب فدعاهم إلى ماهو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه ،

فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب ، عدو الله فقـال فى ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إذا اجتمعت يومـاً قريشٌ لمفخَر * فعبـدُ منـاف سرُّهـا وصميمُهـا
وإن حُصِّلت أشراف عبد منافهاً * ففى هاشم أشـرافهـا وقـديمُهـا
وإن فخـرَتْ يومـا فإن محمـداً * هو المصـطفى من سِرِّهـا وكـريمها
تداعَـتْ قريش غَثُّهـا وسـمينهـا * علينـا فلم تَظفر وطـاشت حُلومهـا
وكـنـا قديمـاً لا نقـرُّ ظلامـةً * إذ ما ثَنـوْا صَعْـرَ الـرقـابِ نُقيمها
ونَحمى حمـاهـا كل يوم كريهةٍ * ونَضْرب عن أحجارهـا مَن يرومهـا
بنـا انتعش العـود الـزواء وإنمـا * بأكنـافنـا تنـدى وتَنْمى أُرومهـا

فصـــــل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما تعنتوا له فى أسئلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على طلب الهدى والرشاد . فلهذا لم يُجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا ، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم يعمهون ، ولظلوا فى غيهم وضلالهم يتردَّوْن . قال الله تعالى : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنـا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ (١) . وقال تعالى ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً** ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو**

---

(١) الآيات : ١٠٩- ١١١ من سورة الأنعام .
(٢) آيتا : ٩٦ ، ٩٧ من سورة يونس .
(٣) الآية : ٥٩ من سورة الإسراء .

تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا)[1] وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها فى أماكنها فى التفسير ولله الحمد .

وقد روى يونس وزياد عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم ـ وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبى محمد ـ عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال : اجتمع علية من أشراف قريش ـ وعدّد أسماءهم ـ بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه ، وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه ، إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم فى أمره بدء ، وكان حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم . فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، وما بقى من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك . فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد مُلْكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكان يسمون التابع من الجن الرئى ـ فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مابى ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علىّ كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » ـ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك ، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ، ولا أقل مالا ، ولا أشد عيشا منا . فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا

---

(١) الآيات : ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الإسراء .

منهم قصى بن كلاب ، فإنه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فإن فعلت ماسألناك وصدقوك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بهذا بعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بعثنى به ، فقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوا علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك عما تراك تبتغى ، فإنك تقوم فى الأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ، إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم : « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل ؛ فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا : يا محمد أما علم ربك أنـا سنجلس معـك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به فقـد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب - فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله . ثم سألـوك لأنفسهم أمـوراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لاأومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أنى لا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيناً أسفاً

لما فاته مما طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه ، وهذا المجلس الذى اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلس ظلم وعدوان وعناد ، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة . الربانية ، ألا يجابوا إلى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر ابن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا ، فقيل له : إن شئت أن تستأنى بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا، فإن كفروا هلكوا كما هلكت من قبلهم الأمم . قال : « لا ، بل أستأنى بهم » فأنزل الله تعالى : (**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كَذّب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها**) [1] الآية . وهكذا رواه النسائى من حديث جرير . وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة ابن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس . قال : قالت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال : وتفعلوا ؟ قالوا : نعم . قال: فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً . فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل التوبة والرحمة » . وهذان إسنادان جيدان وقد جاء مرسلا عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد .

وروى الإمام أحمد والترمذى من حديث عبد الله بن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن [2] أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « عرض علىّ ربى ، عز وجل ، أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب ، أشبع يوما وأجوع يوماً - أو نحو ذلك- فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » لفظ أحمد . وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وعلى ابن يزيد يضعف الحديث .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى شيخ من أهل مصر - قدم علينا منذ بضع وأربعين

---

(١) الآية : ٥٩ من سورة الإسراء .

(٢) فى الأصلين : القاسم بن أبى أمامة ، وإنما هو القاسم بن عبد الرحمن مولى بنى أمية الدمشقى ولم يرو عن أحد من الصحابة إلا عن أبى أمامة .

سنة - عن عكرمة عن ابن عباس . قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلوهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل مُتَقَوِّل فَرَوْا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الأرض ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هى ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبى فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا فى أمره مابدا لكم . فأقبل النضر وعقبة حتى قدما إلى قريش فقالا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نساله ، فأخبراهم بها ، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبركم غداً بما سألتم عنه » ولم يستثن . فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث له فى ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقال الله تعالى : (**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) [١] . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير مطولا فمن أراده فعليه بكشفه من هناك . ونزل قوله تعالى : (**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً**) [٢] ثم شرع فى تفصيل أمرهم واعترض فى الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقاً لا تعليقاً فى قوله تعالى : (**ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً . إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت**) [٣] ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ، فقال تعالى : (**ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً**) [٤] ثم شرح أمره وحكى خبره .

---

(١) الآية : ٨٥ من سورة الاسراء .
(٢) الآية : ٩ من سورة الكهف .
(٣) آيتا : ٢٣ - ٢٤ من سورة الكهف .
(٤) الآية : ٨٣ من سورة الكهف .

وقال فى سورة الإسراء (**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى**) أى خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره ، قال لها : كونى فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه ، وتصوير حقيقته فى نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته ولهذا قال تعالى : (**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) وقد ثبت فى الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية - فإما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً - وإن كان نزولها متقدما ، ومن قال : إنها نزلت بالمدينة واستثناها من سورة الإسراء ففى قوله نظر ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ولما خشى أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى شعره أنه غير مسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القوم لا وُدّ فيهم * وقد قَطَعوا كلَّ العرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوةِ والأذَى * وقد طاوعوا أمر العدوِّ المزايلِ
وقد حالفوا قوماً علينا أظِنَّة * يعضون غيظاً خلفنا بالأناملِ
صبرتُ لهم نفسى بسمراء سمحة * وأبيض عَضب من تُراثِ المقاولِ
وأحضرتُ عند البيتِ رهطى وإخوتى * وأمسكتُ من أثوابه بالوصائلِ
قياماً معاً مستقبلين رتاجه * لدى حيث يقضى حِلْفَهُ كلُّ نافلِ
وحيث يُنيخ الأشعرون ركابَهم * بمفضى السيول من إساف ونائلِ
مُوَسَّمة الأعضادِ أو قصراتها * مخيسة بين السَّدِيس وبازلِ
ترى الودعَ فيها والرخام وزينةً * بأعناقها معقودة كالعثاكلِ [1]
أعوذ برب الناس من كلِّ طاعنٍ * علينا بسوء أو مُلحّ بباطلِ
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبةٍ * ومن مُلْحِقٍ فى الدين ما لم نحاولِ
وثَوْرٍ ومن أرسى ثبيراً مكانه * وراق ليرقى فى حِراء ونازلِ
وبالبيتِ حق البيت من بطن مكة * وبالله إن الله ليس بغافلِ
وبالحجر المُسْودِّ إذ يمسحونهُ * إذا اكتنفوه بالضحى والأصائلِ
وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبةً * على قدميه حافياً غير ناعلِ

---

(١) فى الأصل : الفناكل . وصححناه من سيرة ابن هشام والعثكول : العذق .

وأشـواطِ بين المـروتيْن إلي الصفـا * ومـا فيهـا من صورةٍ وتمـاثـل
ومـن حجَّ بيتَ الله من كلِ راكـب * ومـن كل ذى نذر ومـن كل راجـل
وبـالمشعـرِ الأقصى إذا عمـدوا له * إلال إلـى مفضى الشـراج القـوابـل
وتـوقـافـهـم فوق الـجبـال عشيةً * يُقـيمـون بالأيدى صدورَ الـرواحـلَ
ولـيلة جمـع والـمنـازل من منى * وهـل فوقـهـا من حرمـة ومـنـازل
وجمـع إذا ما المقـرَبـات أجـزنـه * سراعـا كمـا يخرجن من وقع وابـل
وبـالجمـرةِ الكبـرى إذا صمـدوا لهـا * يؤمُّـون قذفـا رأسـهـا بالـجنـادل
وكـنـدة إذْ هم بالـحصـاب عشيةً * تجـيز بهـم حجـاج بكـر بن وائـل
حليفـان شدا عقـد ما احـتلفـا له * وَرَدّا عليه عاطـفـات الـوسـائـل
وحـطمهم سمـر الـرمـاح وسرحـه * وشبـرقـه وخـد النعـام الجـوافـل
فهـل بعـد هذا من معـاذ لعـائـذ * وهـل من مُعِـيذٍ يتـقـى الله عادل
يُطاع بنـا أمـر الـعـدا ودّ أنـنـا * يسـد بنـا أبـواب ترك وكـابـل
كذبـتـم وبـيـتِ الله نتـركُ مكـة * ونـظعـن إلا أمـركـم فى بلابـل
كذبـتم وبيـتِ الله نبـذى محمـداً * ولـمّـا نطاعـنْ دونـه ونـنـاضـل
ونُـسْـلِمْـه حتـى نصـرعَ حولَـه * ونَـذْهَـلَ عن أبنـائنـا والحـلائـل
وينـهض قومٌ بالـحـديد إلـيكُـم * نهوضَ الـروايا تحت ذات الصلاصل
وحتـى نرى ذا الضغن يركب دِرْعَـهُ * من الـطعن فعل الأنكب المتحـامل
وإنـا لَعَـمْـر الله إن جَدَّ ما أرى * لتـلـتبـسـا أسـيافُـنـا بالأمـاثـل
بكفَّىْ فتىٍ مثـلِ الشهـاب سمَيْدَع * أخـى ثقـةٍ حامـى الحقيقـةِ باسـل
شهـوراً وأيامـاً وحَـوْلاً مُحَـرَّمـا * علينـا وتـأتـى حَجَّـة بعـد قابـل
ومـا ترك قوم ـ لا أبـا لك ـ سيداً * يحـوط الـذمـار غير ذرب مواكـل
وأبيض يُسْتَسْقَى الغمـامُ بوجهـهِ * ثمـالُ اليتـامى عصمـةٌ للأرامـل
يلوذ به الـهـلاك من آل هاشـم * فهـم عنـده فى رحمـةٍ وفـواضـل
لعمـزى لقـد أجـرى أُسَيْد وبكـره * إلـى بغـضـنـا وجـزآنـا لآكـل
وعثـمـان لم يربـع علينـا وقنفـذ * ولـكن أطـاعـا أمـر تلك القبـائـل
أطـاعـا أبيا وابـن عبـد يغـوثـهم * ولـم يَرْقُـبـا فينا مقـالـةَ قائـل
كمـا قد لقينـا من سبيع ونـوفـل * وكـلّ تولـى معـرضـاً لم يجـامـل
فإن يلفـيا أو يمـكـن الله منهمـا * نَكِـلْ لهمـا صاعـا بصاع المكايل

وذاك أبـو عمـرو أبى غير بغضنـا * ليظعنـنـا فى أهـل شاء وجـامـل
يناجى بنـا فى كل ممسى ومصبح * فناج أبـا عمـرو بنـا ثم خاتـل
ويؤلـى لنـا بالله ما إن يغشـنـا * بلى ، قد نراه جهرة غير خائـل
أضـاق عليه بغـضـنـا كل تَلْعَةٍ * من الأرض بين أخـشـب فمجـادل
وسـائـل أبـا الـوليد ماذا حبَـوْتَنا * بسعيك فينـا معـرضـاً كالمخـاتـل
وكـنـت امـرءاً ممـن يُعـاشُ برأيه * ورحـمـتُـهُ فينـا ولسـت بجـاهـل
فعتبـة لا تسمـع بنـا قول كاشح * حسـودٍ كذوبٍ مبغضٍ ذى دغـاول
ومـرّ أبـو سفـيان عنـى معـرضـاً * كمـا مر قيل من عظام الـمـقـاول
يفـر إلـى نجـد وبـرد مياهـه * ويزعـم أنـى لست عنكـم بغـافـل
ويخـبـرنـا فعـل المنـاصـح أنـه * شفـيق ويُخفى عارمـات الـدواخـل
أمـطعم لم أخـذلك فى يوم نجدةٍ * ولا معـظم عنـد الأمـور الجـلائـل
ولا يوم خصـم إذ أتـوك أَلِـدّةً * أولى جدل من الخصـوم المسـاجـل
أمـطعـم إن الـقـوم سامـوك خطةً * وإنـى متـى أوكـل فلسـت بوائـل
جزى الله عنـا عبـدَ شمس ونوفـلا * عقـوبـةَ شرٍّ عاجـلا غيرَ آجـل
بمـيزانِ قسط لا يخـيس شعـيرةً * له شاهـدٌ من نفـسـه غيرُ عائـل
لقـد سَفِهَتْ أحـلامُ قوم تبـدَّلـوا * بنـى خلف قيضـاً بنـا والـغـياطـل
ونـحـن الـصـميمُ من ذؤابـةِ هاشم * وآل قصـى فى الـخـطـوب الأوائـل
وسـهـم ومـخـزوم تمـالـوا وألّـبُـوا * علينـا العـدى من كلِّ طمـلٍ وخـامـل
فعـبـد منـاف أنتم خيرُ قومـكـم * فلا تُشْـركـوا فى أمـركم كلَّ واغـل
لعـمـرى لقـد وهنـتم وعـجـزتم * وجئتم بأمـر مخـطـىء للمفـاصـل
وكـنـتـم حديثَ حطب قِدْرٍ وأنـتم * الآن حطاب أقـدر ومـراجـل
ليَهـنْ بنى عبـدَ منـافٍ عقـوقُـنـا * وخـذلانُنـا وتـركُنـا فى المعـاقـل
فإن نَكُ قومـاً نتئـر ما صنـعـتـم * وتـحـتلبـوهـا لقحـة غير باهـل
[وسـائطُ كانت فى لُؤَىّ بن غالـب * نفـاهـم إلينـا كلُّ صقـرٍ حلاحـل
ورهط نفـيل شرُّ مَنْ وطـىء الحصى * وألأمُ حافٍ من معـد ونـاعـل] (١)
فأبـلغ قصـياً أن سَيُنْـشَـرُ أمـرُنـا * وبَـشِّـرْ قصـياً بعـدنـا بالتَّـخـاذل
ولـو طرقـت ليلا قصـياً عظيمـة * إذا ما لجـأنـا دونهم فى المـداخـل

---

(١) لم يرد هذان البيتان فى الأصل ، وزدناهما من سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

ولـو صدقـوا ضربـا خلال بيوتـهـم * لكُنّـا أسًى عنـد النسـاء المـطافـل
فكـلُّ صديقٍ وابـن أختٍ نعـده * لعـمـرى وجـدنـا غبـه غير طائـل
سوى أنَّ رهـطا من كلاب بن مُرَّةٍ * براءٌ إلـينـا من مَعـقَّـةِ خاذل
[وهـنـا لهـم حتى تبـدد جمعهم * ويحـسـر عنـا كل باغٍ وجـاهـل
وكـان لنـا حوضُ السقـايةِ فيهم * ونحن الكـدى من غالب والكـواهـل
شبـاب من الـمـطيِّبين وهـاشم * كبيض السيوف بين أيدى الصياقـل
فمـا أدركـوا ذحلا ولا سفكوا دماً * ولا حالـفـوا إلا شرارَ الـقـبـائـل
بضـرب ترى الـفـتيانَ فيه كأنـهـم * ضوارى أسـودٍ فوقَ لحـم خرادل
بنـى أمـة محـبـوبـة هـنـدكية * بنـى جمـح عُبَـيْد قيس بن عاقـل
ولـكـنـنـا نسـلٌ كرامٌ لسـادةٍ * بهم نعى الأقـوامَ عند البواطـلِ] (١)
ونعم ابن أخت القـوم غير مُكـذبٍ * زهير حسـامـا مفرداً من حمـائـل
أشمُّ من الـشُّـمِّ البـهـاليلِ ينتمى * إلى حسب فى حَوْمَـةِ المجـدِ فاضـل
لعـمـرى لقـد كلِفْتُ وجـداً بأحمدَ * وإخـوتـه دأب المحبِّ المـواصـل
فَمَـنْ مثلُهُ فى النـاس أى مؤمـلٍ * إذا قاسـه الحكـام عنـد التفاضـل
حليمٌ رشـيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ * يوالـى إلـهـاً ليس عنـه بغـافـل
كريمُ المسـاعى ماجـدٌ وابن ماجدٍ * له إرثُ مجـدٍ ثابـتٍ غيرِ ناصـل
وأيده ربُّ الـعـبـادِ بنـصـره * وأظـهـر دينـا حقـه غير زائـل
فوالله لولا أن أجـىءَ بسـبـةٍ * تُجـرُّ على أشياخنـا فى المحـافـل
لَكُـنّـا تبـعـنـاه على كل حالـةٍ * من الـدهـر جدًّا غير قول التهـازُل
لقـد علمـوا أن ابنـنـا لا مُكـذبٍ * لدينـا ولا يُعْنَـى بقـولِ الأبـاطـل
فأصـبـح فينـا أحـمـد فى أرومـةٍ * يقـصـر عنـهـا سورة الـمـتـطاول
حدبـت بنفسى دونـه وحميتـه * ودافعـت عنـه بالـذرى والكـلاكل

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه ، وهى أفحل

---

(١) هذه الأبيات السبعة لم ترد فى الأصلين ، وزدناها من سيرة ابن هشام .

من المعلقات السبع ، وأبلغ فى تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردها الأموى فى مغازيه مطولة بزيادات أخر والله أعلم [١] .

فصل

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبهم ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم ، فكان بلال مولى أبى بكر لبعض بنى جمح مولداً من مولديهم وهو بلال بن رباح ، واسم أمه حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتعبد اللات والعزى فيقول ـ وهو فى ذلك ـ : أحد أحد ، قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك وهو يقول أحد أحد ، فيقول : أحد أحد والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا .

قلت : قد استشكل بعضهم هذا ، من جهة أن ورقة توفى بعد البعثة فى فترة الوحى وإسلام من أسلم ، إنما كان بعد نزول (يا أيها المدثر) [٢] فكيف يمر ورقة ببلال ، وهو يعذب وفيه نظر . ثم ذكر ابن إسحاق مرور أبى بكر ببلال وهو يُعذَّب ، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب ، وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد

---

(١) فى سيرة ابن هشام زيادة على ما أورده المؤلف من هذه القصيدة واختلاف فى بعض الألفاظ وتقديم وتأخير وزاد ابن هشام هذه الأبيات :

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها * وزينا لمن والاه ربُّ المشاكل
رجال كرام غير ميل نماهم * إلى الخير آباء كرام المحاصل
فإن تك كعب من لؤى صقيبة * فلابد يوما مرة من تزايل

(٢) الآية : ١ من سورة المدثر .

والإماء ، منهم بلال ، وعامر بن فهيرة ، وأم عميس [١] التى أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها ، والنهدية وابنتها اشتراهما من بني عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهى تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر : حل يا أم فلان ، فقالت حـل أنت أفسدتهما فأعتقهما ، قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها ، قالتا: أونفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها قال : ذلك إن شئتما ، واشترى جارية بنى مؤمل ـ حى من بنى عدى ـ كان عمر يضربها على الإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الـزبير عن بعض أهله ، قال : قال أبـو قحافة لابنه أبى بكر : يا بنى إنى أراك تعتق ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك ؟ قال قـال أبو بكر : يا أبت إنى إنما أريد ما أريد قال : فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه (**فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى**) [٢] إلى آخر السورة ، وقد تقدم مارواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود ، قال: أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وعَمَّار ، وأمه سُمَية ، وصُهيَب ، وبلال ، والمقداد ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتـاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله تعالى ، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد ، ورواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا .

قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ـ فيما بلغنى ـ : « صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » .

---

(١) كذا فى الأصلين . والصحيح أن التى أصيب بصرها (زنيرة) وضبطها السهيلى بكسر الزاى وتشديد النون فكأنها سقطت من الناسخ لأن ابن هشام ذكرها بعد أم عميس .

(٢) آيات : ٥ ـ ٧ من سورة الليل .

وقد روى البيهقى عن الحاكم عن إبراهيم بن عصمة العدل حدثنا السرى بن خزيمة حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام بن أبى عبيد الله عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : « أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة » فأما أمه فيقتلوها فتأبى إلا الإسلام ، وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد ، قال : أول شهيد كان فى أول الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة فى قبلها ، وهذا مرسل .

قالِ محمد بن إسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى الرجال من قريش ، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنّبه وخَزّاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفلين رأيك ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به ، لعنه الله وقبحه ، قال ابن إسحاق : حدثنى حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذى به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول : نعم ! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفى مثل هذا أنزل الله تعالى (**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**) [١] الآية ، فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانه والعذاب البليغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته ، وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خبّاب بن الأرَتّ ، قال : كنت رجلا قينا وكان لى على العاص ابن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث ، قال : فإنى إذا مت ثم بعثت جئتنى ولى ثَمّ مال وولد فأعطيك ، فأنزل الله تعالى (**أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً**) إلى قوله (**ويأتينا فرداً**) [٢] أخرجاه فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الأعمش

---

(١) الآية : ١٠٦ من سورة النحل .

(٢) الآيات : ٧٧ ـ ٨٠ من سورة مريم .

به ، وفى لفظ البخارى : كنت قينا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فذكر الحديث .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا بيان وإسماعيل ، قالا : سمعنا قيسا يقول : سمعت خبابا يقول : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : « قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، ولَيُتِمّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل » زاد بيان « والذئب على غنمه» وفى رواية «ولكنكم تستعجلون». انفرد به البخارى دون مسلم ، وقدروى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وابن جعفر حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن سعيد بن وهب عن خباب ، قال : شكونا إلى النبى صلى الله عليه وسلم شدة الرمضاء فما أشكانا - يعنى فى الصلاة - وقال ابن جعفر: فلم يشكنا، وقال أيضاً: حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة عن أبى إسحاق قال : سمعت سعيد بن وهب يقول : سمعت خبابا يقول : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرمضاء فلم يشكنا ، قال شعبة : يعنى فى الظهيرة ، ورواه مسلم والنسائى والبيهقى من حديث أبى إسحاق السبيعى عن سعيد بن وهب عن خباب، قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء - زاد البيهقى فى وجوهنا وأكفنا - فلم يشكنا ، وفى رواية شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فى الرمضاء فلم يشكنا ، ورواه ابن ماجه عن على بن محمد الطنافسى عن وكيع عن الأعمش عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب العبدى عن خباب قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا .

والذى يقع لى - والله أعلم - أن هذا الحديث مختصر من الأول ، وهو أنهم شكوا إليه صلى الله عليه وسلم ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب ، كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم فى الحالة الراهنة ، وأخبرهم عمن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ماهو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ،

ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينشره وينصره فى الأقاليم والآفاق ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون ، ولهذا قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فى وجوهنا وأكفنا فلم يشكنا ، لم يَدْعُ لنا فى الساعة الراهنة ، فمن استدل بهذا على عدم الإبراد أو على وجوب مباشرة المصلى بالكف ، كما هو أحد قولى الشافعى ففيه نظر والله أعلم .

بـــــــاب

مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم فى أنفسهم بالحق وإن أظهرو المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال إسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختيانى عن عكْرمة عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا أنك منكر له . قال : وماذا أقول فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده منى ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : قف عنى حتى أفكر فيه ، فلما فكر . قال : إنّ هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت (**ذرنى ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً . وبنين شهوداً**) [1] الآيات ، هكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعانى بمكة عن إسحاق به .

وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلا . فيه أنه قرأ عليه (**إن الله يأمر**

---

(١) الآيات : ١١ ـ ١٣ من سورة المدثر .

بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) [١] وقال البيهقى : عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير ـ أو عكرمة عن ابن عباس ـ أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر المواسم فقال : إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قول بعضكم بعضا فقيل : يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به ، فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمعَ فقالوا : نقول كاهن ؟ فقال : ما هو بكاهن ، رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكهان . فقالوا : نقول مجنون ؟ فقال : ماهو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . فقالوا : نقول شاعر ؟فقال : ماهو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر . قالوا : فنقول هو ساحر ، قال : ماهو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا بعقده ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لغدق ، وإن فرعه لجنى ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره ، وأنزل الله فى الوليد (**ذرنى ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدوداً . وبنين شهودا**) [٢] والآيات وفى أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عضين (**فوربك لنسألنهم أجمعين. عما كانوا يعلمون**) [٣] .

قلت : وفى ذلك قال الله تعالى إخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم : (**بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**) [٤] فحاروا ماذا يقولون فيه ، فكل شىء يقولونه باطل ، لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى : (**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**) [٥] . وقال الإمام عبد

---

(١) الآية : ٩٠ من سورة النحل .

(٢) الآيات : ١٢ ـ ١٣ من سورة المدثر .

(٣) الآية : ٩٢ ـ ٩٣ من سورة الحجر .

(٤) الآية : ٥ من سورة الأنبياء .

(٥) الآية : ٤٨ من سورة الإسراء .

ابن حميد فى مسنده : حدثنى أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا على بن مسهر عن الأجلح ، وهو ابن عبد الله الكندى ، عن الذيال بن حرملة الأسدى عن جابر بن عبد الله . قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، والله ما رأينا سخلة [1] قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب ، حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحراً ، وأن فى قريش كاهناً . والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وإن كان إنما بك الباه فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فرغت؟» قال : نعم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم (**حمٓ. تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون**) إلى أن بلغ (**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) [2] . فقال عتبة : حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا ! فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ماتركت شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته . قالوا : فهل أجابك قال : نعم ! ثم قال : لا والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدرى ما قال فقال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة .

وقد رواه البيهقى وغيره عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدورى عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الأجلح به . وفيه كلام ، وزاد : وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت ، وعنده أنه لما قال : (**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا

---

(١) كذا فى الأصلين . وفى النهاية السخا : المولود المحبب إلى أبويه .

(٢) الآيات : ١ـ ١٣ من سورة فصلت .

صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، انطلقوا بنا إليه ، فأتوه . فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كان بك حاجة جمعنا من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً وقال : لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا ، ولكنى أتيته ، وقص عليهم القصة ، فأجابنى بشىء والله ماهو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ، قرأ ، بسم الله الرحمن الرحيم (**حمٓ . تنزيل من الرحمن الرحيم**) حتى بلغ (**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) [1] فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل عليكم العذاب .

ثم قال البيهقى : عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق حدثنى يزيد بن أبى زياد مولى بنى هاشم عن محمد بن كعب قال : حُدِّثْتُ أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليما ، قال ذات يوم ـ وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد ـ يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا . قالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر فيما قال له عتبة وفيما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال والملك وغير ذلك . وقال زياد بن إسحاق : فقال عتبة : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقم إليه وكلمه ، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : يا بن أخى إنك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكَفَّرْتَ به من مضى من آبائهم . فاسمع منى حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الوليد أسمع » . قال : يا بن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك

---

(١) الآيات : ١ ـ ١٣ من سورة فصلت .

الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه ـ أو كما قال له ـ حتى إذا فرغ عتبة . قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أفرغت يا أبا الوليد؟ »قال : نعم ! قال : اسمع منى ، قال : أفعل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجدها ثم قال : « سمعت يا أبا الوليد ؟» قال : سمعت . قال : « فأنت وذاك» ثم قام عتبة إلى أصحابة فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى والله أنى قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ماهو بالشعر ولا الكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى . خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا: سحرك الله يا أبا الوليد بلسانه . قال: هذا رأيى لكم فاصنعوا ما بدا لكم . ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانى أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدمى بمكة حدثنا أيوب أحمد بن بشر الطيالسى حدثنا داود بن عمرو الضبى حدثنا المثنى بن زرعة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة (حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم) أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر اليوم ، واعصونى فيما بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت أذناى كلاماً مثله ، وما دريت ما أرد عليه ، وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه

ثم روى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يوسف عن ابن إسحاق حدثنى الزهرى . قال : حُدِّثْتُ أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه ، وكلٌ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا . ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت

الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد أن لانعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال : أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، فقال الأخنس : وأنا والذى حلفت به ثم خرج من عنده أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه . فقام عنه الأخنس بن شريق

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا أحمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة . قال : إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أمشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى جهل : « يا أبا الحكم ، هلم إلى الله ورسوله ، أدعوك إلى الله » . فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ؟ فوالله لو أنى أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقبل علىّ فقال : والله إنى لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن يمنعنى شىء . إن بنى قصى قالوا : فينا الحجابة . فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا السقاية ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة ، فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللواء ، فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا . حتى إذا تحاكّت الركب قالوا : منا نبى ، والله لا أفعل .

وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا محمد بن خالد حدثنا أحمد بن خلف حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق. قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على أبى جهل وأبى سفيان ، وهما جالسان . فقال أبو جهل : هذا نبيكم يا بنى عبد شمس . قال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منا نبى ؟ فالنبى يكون

فيمن أقل منا وأذل . فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع . فأتاهما فقال : « أما أنت يا أبا سفيان ، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل . وأما أنت يا أبا الحكم ، فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيراً» فقال : بئسما تعدني يا بن أخي من نبوتك . هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

وقول أبي جهل ـ لعنه الله ـ كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه : (**وإذا رأَوْكَ إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذى بعث الله رسولا . إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا**) [1] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة : (**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (**ولا تجهر بصلاتك**) أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن : (**ولا تخافت بها**) عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك : (**وابتغ بين ذلك سبيلا**) [2] وهكذا رواه صاحبا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به .

وقال محمد بن إسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن ـ وهو يصلى ـ تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو ، استرق السمع ، دونهم فَرَقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فأنزل الله تعالى : (**ولا تجهر بصلاتك**) فيتفرقوا عنك : (**ولا تخافت بها**) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يرعوى إلى بعض مايسمع ، فينتفع به : (**وابتغ بين ذلك سبيلا**) .

---

(١) آيتا : ٤١ ، ٤٢ من سورة الفرقان .

(٢) آية : ١١٠ من سورة الإسراء .

بـــــاب

هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد . والإهانة البالغة . وكان الله عز وجل قد حجزهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومنعه بعمه أبى طالب ، كما تقدم تفصيله ولله الحمد والمنة . وروى الواقدى أن خروجهم إليها فى رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة ، وهم عثمان بن عفان ، وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزى ، وامرأته ليلى بنت أبى حثمة ، وأبو سبرة بن أبى رهم ، ويقال بل أبو حاطب بن عمرو ، وسهيل بن بيضاء، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين قال ابن جرير : وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلا ، سوى نسائهم وأبنائهم ، وعمار بن ياسر ، نشك فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلا .

وقال محمد بن إسحاق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وماهو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظْلَم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام ، فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . هكذا روى البيهقى من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبرى عن بشر ابن موسى [٢] عن الحسن بن زياد البرجمى حدثنا قتادة . قال : أول من هاجر إلى الله تعالى

---

(١) التصحيح عن ابن هشام والإصابة .

بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه ، سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ـ يعنى أنس بن مالك ـ يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته . قال : « على أى حال رأيتها ؟ » قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة ، وهو يسوقها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن إسحاق : وأبو حذيفة بن عتبة ، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو ـ وولدت له بالحبشة محمد بن حذيفة ـ والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أمية بن المغيرة ـ وولدت له بها زينب ـ وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، وهو من بنى عنز ابن وائل ، وامرأته ليلى بنت أبى حثمة ، وأبو سبرة بن أبى رهم العامرى ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ـ ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد نصر بن مالك ابن حسل بن عامر ـ وهو أول من قدمها فيما قيل ـ وسهيل بن بيضاء ، فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغنى . قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ومعه وامرأته أسماء بنت عميس ، وولدت له بها عبد الله بن جعفر . وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعب ، وفى هذا نظر والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبى طالب إنما كان فى الهجرة الثانية إليها . وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولا ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا ، فلما قدموا مكة ـ وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ـ فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع ومكث آخرون بمكة . وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهى الهجرة الثانية ـ كما سيأتى بيانه .

قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبى طالب فيمن خرج ثانياً . وما ذكره ابن إسحاق من خروجه فى الرعيل الأول أظهر كما سيأتى بيانه والله أعلم ، لكنه كان فى زمرة ثانية

من المهـاجرين أولا ، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشى وغيره ، كما سنـورده مبسوطاً . ثم إن ابن إسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضى الله عنهم . وهم : عمـرو بن سعيد بن العـاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق الكنانى . وأخوه خالد ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعى . وولدت له بها سعيداً ، وأمه التى تزوجها بعد ذلك الزبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال : وعبد الله ابن جحش بن رئاب ، وأخوه عبيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وقيس ابن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة ، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان ، ومعيقيب ابن أبى فاطمة ، وهو من موالى سعيد بن العاص . قال ابن هشام : وهو من دوس . قال أبو موسى [الأشعرى] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة . وسنتكلم معه فى هذا . وعتبة بن غزوان ، ويزيد بن زمعة بن الأسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد ، وسويبط بن سعد بن حريملة ، وجهم بن قيس العبدوى ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمة ، وولداه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الـدار ، وفـراس بن النضـر بن الحارث بن كلدة ، وعامر بن أبى وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهرى ، وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة . وولدت بها عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الأسود ، والحارث بن خالد بن صخر التيمى ، وامرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومى ـ قال : وإنما سمى شماساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان ـ وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومى ، وأخوه عبد الله ، وهشام ابن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة وعيـاش بن أبى ربيعة بن المغيرة ، ومعتب بن عوف بن عامر ـ ويقال له عيهامة ـ وهو من حلفاء بنى مخزوم . قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر ابن حبيب ، وامرأته حسنة ، وابناه منها جابر وجنادة ، وابنهما من غيره ، وهو شرحبيل بن عبـدالله ـ أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذى يقال له شرحبيل بن الحسنة ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، وخنيس بن حذافة بن قيس ابن عدى ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص

ابن وائل بن سعيد ، وقيس بن عدى ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بن عدى ، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد أبناء الحارث ، وسعيد بن قيس بن عدى لأمه وهو سعيد بن عمرو التميمى ، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم ، وحليف لبنى سهم : وهو محمية بن جزء الزبيدى ، ومعمر بن عبد الله العدوى ، وعروة ابن عبد العزى ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مخرمة العامرى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسليط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عمرة بنت السعدى ، وأبو حاطب بن عمرو العامرى ، وحليفهم سعد بن خولة ـ وهو من اليمن ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله ابن الجراح الفهرى، وسهيل ابن بيضاء ـ وهى أمه ، واسمها دعد بنت جحدم ابن أمية ابن ظرب بن الحارث بن فهر ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمرو بن الحارث بن زهير ابن أبى شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير أخوات ، وسعيد بن عبد قيس ابن لقيط ، وأخوه الحارث الفهريون [١] .

قال ابن إسحاق : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها ـ ثلاثة وثمانون رجلا إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه . قلت : وذكر ابن إسحاق أبا موسى الأشعرى فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جداً . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبى إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ، ونحن نحو من ثمانين رجلا فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى فأتوا النجاشى .

وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشى سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له : إن نفراً من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا . قال : فأين هم ؟ قالا : فى أرضك ، فابعث إليهم ، فبعث إليهم

---

(١) وقع اختلاف فى الأصل وبين السيرة لابن هشام فى أسماء المهاجرين وعددهم إذ أن المؤلف أسند النقل عن ابن إسحاق .

فقـال جعفر : أنا خطيبكم اليوم ، فاتبعوه ، فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، قال : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث إلينا رسولا ثم أمرنا أن لانسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو فإنهـم يخالفونك فى عيسى ابن مريم ، قال : فما تقولون فى عيسى ابن مريم وأمه ؟ قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول ، التى لم يمسها بشـر ، ولم يفـرضهـا ولـد ، قال : فرفـع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذى نقول فيه ما سوى هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله . وأنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الرسول الذى بشر به عيسى ابن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه . وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ، ثم تعجل عبد الله ابن مسعود حتى أدرك بدراً وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته إسـناد جيد قوى وسياق حسن . وفيه ما يقتضى أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، وإن لم يكن ذكره مدرجا من بعض الرواة والله أعلم . وقد روى عن أبى إسحاق السبيعى من وجه آخر .

فقال الحافظ أبو نعيم فى الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل . وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد ابن زكـريا حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الختلى حدثنا إسماعيل بن جعفر حدثنا إسرائيل . وحدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن محمد بن شيرويه حدثنا إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى بردة عن أبى موسى . قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشى ، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشى هدية وقدما على النجاشى فأتياه بالهدية فقبلهـا وسجدا له ثم قال عمرو بن العاص : إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم فى أرضك . قال لهم النجاشى : فى أرضى ؟ قالا : نعم ! فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد . أنا خطيبكم اليوم ، فانتهينا إلى النجاشى ، وهو جالس فى مجلسه وعمـرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره . والقسيسون جلوس سماطين . وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك .

فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر :

لا نسجد إلا لله عز وجل . فلما انتهينا إلى النجاشي قال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجد إلا لله . فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث فينا رسولا ، وهو الرسول الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام من بعده اسمه أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر . فأعجب النجاشى قوله ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاصى ، قال : أصلح الله الملك ، إنهم يخالفونك فى عيسى ابن مريم ، فقال النجاشى لجعفر : ما يقول صاحبكم فى ابن مريم ؟ قال يقول فيه قول الله : هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول التى لم يقربها بشر ولم يفرضها ولد . فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول فى ابن مريم ولا وزن هذه . مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذى بشر به عيسى . ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه ، امكثوا فى أرضى ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة . وقال : ردوا على هذين هديتهما .

وكان عمرو بن العاص رجلا قصيراً ، وكان عمارة رجلا جميلا ، وكانا أقبلا فى البحر ، فشربا ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلنى . فقال له عمرو: ألا تستحى ؟ فأخذ عمارة عمراً فرمى به البحر ، فجعل عمرو ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو فى ذلك . فقال عمرو للنجاشى : إنك إذا خرجتَ خَلَفَكَ عمارة فى أهلك ، فدعا النجاشى بعمارة فنفخ فى إحليله فطار مع الوحش . وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى الدلائل من طريق أبى على الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله ابن موسى فذكر بإسناده مثله إلى قوله : فأمر لنا بطعام وكسوة . قال : وهذا إسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة وأنه خرج مع جعفر بن أبى طالب الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى : أنهم بلغهم مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن فخرجوا مهاجرين فى بضع وخمسين رجلا فى سفينة ، فألقتهم إلى النجاشى بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عندهم ، فأمره جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر . قال : وأبو موسى شهد ماجرى بين جعفر وبين النجاشى فأخبر عنه . قال : ولعل الراوى وهم فى قوله : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق والله أعلم .

وهكذا رواه البخارى فى باب هجرة الحبشة . حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة

حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى . قال : بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فأقمنا معه حتى قدمنا فوافينا النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لكم أنتم أهل السفينة هجرتان» وهكذا رواه مسلم عن أبى كريب وأبى عامر عبد الله بن بَرَّاد ، بن يوسف بن أبى بردة ابن أبى موسى كلاهما عن أبى أسامة به ، ورويناه فى مواضع أخر مطولا والله أعلم

وأما قصة جعفر مع النجاشى فإن الحافظ ابن عساكر رواها فى ترجمة جعفر بن أبى طالب من تاريخه من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم . وأم سلمة كما سيأتى . فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبى القاسم السمرقندى عن أبى الحسين بن النقور عن أبى طاهر المخلص عن أبى القاسم البغوى . قال : حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفى عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا أسد بن عمرو البجلى عن مجالد بن سعيد عن الشعبى عن عبد الله بن جعفر عن أبيه . قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة ابن الوليد بهدية من أبى سفيان إلى النجاشى . فقالوا له ـ ونحن عنده ـ قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا ، فادفعهم إلينا ، قال : لا ، حتى أسمع كلامهم . قال : فبعث إلينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال : قلنا: هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسولا فآمنا به وصدقناه . فقال لهم النجاشى : أعبيد هم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ قالوا : لا . قال : فخلوا سبيلهم . قال : فخرجنا من عنده ، فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون فى عيسى غير ما تقول ، قال : إن لم يقولوا فى عيسى مثل قولى لم أدعهم فى أرضى ساعة من نهار . فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى ، قال : ما يقول صاحبكم فى عيسى ابن مريم ؟ قلنا : يقول : هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول، قال: فأرسل فقال: ادعوا لى فلانا القس وفلانا القس ، وفلانا الراهب . فأتاه ناس منهم فقال : ما تقولون فى عيسى ابن مريم فقالوا : أنت أعلمنا، فما تقول ؟ قال النجاشى ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ قال : ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكم أحد ؟ قالوا : نعم ! فنادى مناد مَنْ آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم ثم قال : أيكفيكم ؟ قلنا : لا ، فأضعفها قال : فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وظهر بها قلنا له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر وهاجر إلى المدينة ، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيل إليه ، فردنا . قال : نعم ! فحملنا وزودنا . ثم قال : أخبر صاحبك بما

صنعت إليكم ، وهذا صاحبى معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له : يستغفر لى . قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتنقنى ، ثم قال : « ما أدرى أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر ؟ » ووافق ذلك فتح خيبر ، ثم جلس فقال رسول النجاشى : هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا ؟ فقال نعـم ، فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وقال لى : قل له : يستغفر لى . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات : « اللهم اغفر للنجاشى » فقال المسلمون : آمين . ثم قال جعفر : فقلت للرسول : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال ابن عساكر حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق حدثنى الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام عن أم سلمة رضى الله عنهـا . أنها قالت : لما ضاقت مكة وأوذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله فى منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شىء مما يكره ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن بأرض الحبشة ملكا لا يُظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه » فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلماً . فلما رأت قريش أنّا قد أصبنا داراً وأمنا ، غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشى فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله ابن أبى ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلا إلا هيّأوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا . فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك فى سفهـائنا ، فارقوا أقوامهم فى دينهم ولم يدخلوا فى دينكم . فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل ، فقالوا : نفعل . ثم قدّموا إلى النجاشى هداياه ، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم ـ وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة وديباج ـ فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه وقـد لجأوا إلى بلادك ، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم ، آباؤهم وأعمامهم ، لتردهم

عليهم ، فإنهم أعلا بهم عيناً ، فإنهم لن يدخلوا فى دينك لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم ، فأكلمهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنعم عينا - [وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم . فقال : لا والله ! حتى أسمع كلامهم وأعلم على أى شىء هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له . فقال : أيها الرهط ألا تحدثونى مالكم لا تحيونى كما يحيينى من أتانا من قومكم؟ فأخبرونى ماذا تقولون فى عيسى وما دينكم ؟ أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا . قال : أفيهود أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا : لا ، قال : فما دينكم ؟ قالوا : الإسلام ؟ قال : وما الإسلام ؟ قالوا : نعبد الله لا نشرك به شيئاً . قال : من جاءكم بهذا ؟ قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبى الصادق وكذبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله إن هذا لمن المشكاة التى خرج منها أمر موسى .

قال جعفر : وأما التحية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك فحييناك بالذى يحيى بعضنا بعضا . وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقالها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول . فأخذ عوداً وقال : والله مازاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك . فقال : والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبدا ، وما أطاع الله الناس فىَّ حين رد علىَّ ملكى فأطيع الناس فى دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن إسحاق] [١] .

فأرسل إليهم النجاشى فجمعهم ، ولم يكن شىء أبغض لعمرو بن العاص وعبد الله ابن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم ، فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقالوا : وماذا نقول ؟ نقول : والله ما نعرف ، وما نحن عليه من أمر ديننا وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائن من ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذى

---

(١) مابين المربعين زيادة من النسخة المصرية ولا يوجد فى النسخة الأخرى .

يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه . فقال له النجاشى : ما هذا الدين الذى أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا فى يهودية ، ولا نصرانية .

فقال له جعفر : أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسىء الجوار ، يستحل المحارم بعضنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئاً ولا نحرمه . فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الأرحام ، ونحمى الجوار ، ونصلى لله عز وجل ، ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

وقال زياد عن ابن إسحق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قال - فعدُّو عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ويردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال النجاشى : هل معك شىء مما جاء به ؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله . فقال له جعفر : نعم ، قال : هلم فاتلُ علىّ مما جاء به ، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم . ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التى جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا . فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة ، فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم ، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلٰهه الذى يعبد ، عيسى ابن مريم ، عبد . فقال له عبد الله بن أبى ربيعة : لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لأفعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى قولا عظيما ، فارسل إليهم فسلهم عنه . فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له فى عيسى إن هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله

الذى قاله الله فيه ، والذى أمرنا نبينا أن نقوله فيه ، فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال : ما تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فدلى النجاشى يده إلى الأرض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود . فتناخرت بطارقته . فقال : وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم سيوم فى الأرض ـ السيوم الآمنون فى الأرض ـ من سبّكم غُرم ، من سبكم غرم ، ثلاثا ، ما أحب أن لى دبراً وأنى آذيت رجلا منكم ـ والدبر بلسانهم الذهب ـ وقال زياد عن إسحاق : ما أحب أن دبراً من ذهب . قال ابن هشام ويقال زبراً وهو الجبل بلغتهم . ثم قال النجاشى : فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىّ ملكى ، ولا أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه . ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها . واخرجا من بلادى ، فخرجا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به .

قالت : فأقمنا مع خير جار فى خير دار ، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه ، فوالله ما علمنا حزناً حزنًا قط هو أشد منه ، فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشى فخرج إليه سائراً ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم لبعض : من يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون ؟ وقال الزبير ـ وكان من أحدثهم سناً ـ أنا ، فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ، فجعل يسبح عليها فى النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشى عليه . فجاءنا الزبير فجعل يليح لنا بردائه ويقول : ألا فأبشروا ، فقد أظهر الله النجاشى . قلت : فوالله ما علمنا أننا فرحنا بشىء قط فرحنا بظهور النجاشى ، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا إلى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزهرى : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة . فقال عروة : أتدرى ما قوله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه ؟ فقلت : لا ! ما حدثنى ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة . فقال عروة : فإن عائشة حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ من صلبه اثنا عشر رجلا، ولم يكن لأب النجاشى ولد غير النجاشى ، فأدارت الحبشة رأيها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإن له اثنا عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك ، لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلا لا يكون بينهم اختلاف ، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه ، فدخل النجاشى بعمه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره ، وكان

لبيباً حازماً من الرجال ، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً إلا قتله ، فكلموه فيه فليقتلنه أو ليخرجنه من بلادنا ، فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه ، وإنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا فإما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم . بل أخرجه من بلادكم . فخرجوا به فوقفوه فى السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه فى سفينة بستمائة درهم أو سبعمائة ، فانطلق به فلما كان العشى هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون ليس فى أحد منهم خير فمرج على الحبشة أمرهم ، فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله إن ملككم الذى لا يصلح أمركم غيره للذى بعتم الغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب ، فخرجوا فى طلبه فأدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره وملكوه ، فقال التاجر : ردوا علىّ مالى كما أخذتم منى غلامى ، فقالوا : لا نعطيك فقال : إذاً والله لأكلمنه ، فمشى إليه فكلمه ، فقال أيها الملك ، إنى ابتعت غلاماً فقبض منى الذى باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردوا علىّ مالى ، فكان أول ما خبر به من صلابة حكمه وعدله أن قال : لتردُنَّ عليه ماله ، أو لتجعلن يد غلامه فى يده فليذهبن به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه ماله ، فأعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله منى الرشوة فآخذ الرشوة حين رد علىّ ملكى ، وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه .

وقال موسى بن عقبة : كان أبو النجاشى ملك الحبشة ، فمات والنجاشى غلام صغير فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابنى ، فإن بلغ فله الملك فرغب أخوه فى الملك ، فباع النجاشى من بعض التجار فمات عمه من ليلته وقضى ، فردت الحبشة النجاشى حتى وضعوا التاج على رأسه ، هكذا ذكره مختصراً ، وسياق ابن إسحق أحسن وأبسط فالله أعلم .

والذى وقع فى سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ، والذى ذكره موسى بن عقبة والأموى وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة ابن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة . وهكذا تقدم فى حديث ابن مسعود وأبى موسى الأشعرى .

والمقصود أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة ، وكان عمارة طمع في امرأة عمرو بن العاص ، فألقى عمراً في البحر ليهلكه فسبح حتى رجع إليها . فقال له عمارة : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك . فحقد عمرو عليه فلما لم يُقْضَ لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر به النجاشي فسحر حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش - وقد ذكر الأموى - قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن عمر بن الخطاب ، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلني وإلا مت فلما لم يرسله مات من ساعته فالله أعلم .

وقد قيل إن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين : الأولى مع عمرو ابن العاص وعمارة والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبي ربيعة . نص عليه أبو نعيم في الدلائل والله أعلم . وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر ، قاله الزهري ، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشي رضي الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا، فالله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن إسحاق : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أبياتا يحضه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قومه :

ألا ليت شعري كيف في النَّأي جعفرٌ * وعمرو وأعداءُ العدوِّ الأقاربُ
وما نالت أفعال النجاشي جعفراً * وأصحابَهُ أو عاقَ ذلك شاغبُ
تعلم أبيْت اللعن أنك ماجدٌ * كريمٌ فلا يشقى إليك المجانِبُ
ونعلم بأنّ الله زادك بسطةً * وأسبابَ خيرٍ كلُّها بك لازبُ

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والمشهور أن جعفراً هو المترجم رضي الله عنهم . وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها . قالت : لما مات النجاشي كان يُتحدَّثُ أنه لا يزال يُرَى على قبره نور ، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد ابن إسحاق به ، لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق : حدثني جعفر بن محمد عن أبيه . قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه

فهيأ لهم سفناً . وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظَفِرْتُ فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن وخرج لى الحبشة وصُفُّوا له . فقال : يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ! قال : فكيف أنتم بسيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة . قال : فما بكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيس عبده ورسوله . قال ؟ فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله ، فقال النجاشى - ووضع يده على صدره وعلى قبائه :- وهو يشهد أن عيس ابن مريم لم يزد على هذا ، وإنما يعنى على ما كتب ، فرضوا وانصرفوا . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشى صلى عليه واستغفر له .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات . وقال البخارى فى موت النجاشى ، حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين مات النجاشى - مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة . وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد ، وفى بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفى رواية مصحمة وهو أصحمة بن بحر وكان عبداً صالحاً لبيباً ذكياً ، وكان عادلاً عالماً ، رضى الله عنه وأرضاه . وقال يونس عن ابن إسحاق اسم النجاشى مصحمة ، وفى نسخة صححها البيهقى أصحم ، وهو بالعربية عطية ، قال : وإنما النجاشى اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ، ولعله يريد به قيصر ، فإنه عَلَمٌ لكل مَنْ ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وتُبَّع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، وبطليموس لمن ملك اليونان ، وقيل : الهند ، وخاقان لمن ملك الترك . وقال بعض العلماء : إنما صلى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلى عليه ، فلهذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم . قالوا : فالغائب إن كان قد صُلِّىَ عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ، ولهذا لم يصلِّ النبى صلى الله عليه وسلم فى غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم ، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم

من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم فى غير البلدة التى صلى عليه فيها ، فالله أعلم .

قلت : وشهود أبى هريرة رضى الله عنه الصلاة على النجاشى ، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر[1] التى قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه يوم فتح خيبر ، ولهذا روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والله ما أدرى بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبى طالب » وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشى ، رضى الله عنه ، إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب أبى موسى الأشعرى وقومه من الأشعريين رضى الله عنهم ، ومع جعفر وهدايا النجاشى ابن أخى النجاشى ذو نخترا أو ذو مخمرا ، أرسله ليخدم النبى صلى الله عليه وسلم عوضاً عن عمه رضى الله عنهما وأرضاهما ، وقال السهيلى : توفى النجاشى فى رجب سنة تسع من الهجرة وفى هذا نظر والله أعلم .

وقال البيهقى : أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسى حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء بن مدرك حدثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبى غالب عن أبى أمامة قال : قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابى مُكرِمين وإنى أحب أن أكافيهم » ، ثم قال : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانى أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابى حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبى حدثنا طلحة بن زيد عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى قتادة . قال : قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإنى أحب أن أكافيهم » . تفرد به طلحة بن زيد عن الأوزاعى . وقال البيهقى : حدثنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو . قال : لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس فى بيته فلم يخرج إليهم ، فقالوا : ما شأنه ؟ ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو : إن أصحمة يزعم أن صاحبكم نبى .

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّهم النجاشى بما

---

(١) كذا فى النسخة المصرية . ولعل العبارة (فى السنة التى قدم) .

يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى غاظوا قريشاً فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه . قلت : وثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب ، وقال زياد البكائى : حدثنى مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم . قال : قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة . حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبى حثمة قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر فى بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف علىّ وهو على شركه ، فقالت : وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا ، قالت : فقال : إنه الانطلاق يا أم عبد الله ، قلت : نعم ! والله لنخرجن فى أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجا . قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا ، قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا ، قال : أطمعت فى إسلامه قالت : قلت : نعم ! قال : لا يسلم الذى رأيتِ حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .

قلت : هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين ، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين ، ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق هٰهنا فى قصة إسلام عمر وحده رضى الله عنه ، وسياقها فإنه قال : وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون بإسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من بنى عدى قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه فذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة وأبو

بكر بن أبى قحافة الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج إلى أرض الحبشة . فلقيه نعيم بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريد محمداً هذا الصابى الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ، قال : وأى أهل بيتى ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقريها إياها ، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم - أو فى بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئاً . قال : بلى ، والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد . فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى ، وقال لأخته أعطينى هذه الصحيفة التى كنتم تقرءون آنفاً أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ؟ وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال : لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه ، فقالت : يا أخى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسه إلا المطهرون ، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً . قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .

فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له : والله يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام - أو بعمر بن الخطاب - فالله الله ياعمر ، فقال عند ذلك : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فإذا هو بعمر متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال : يارسول الله هذا عمر بن الخطاب

متوشحاً بالسيف . فقال حمزة فَأْذَنْ له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آئذن له » فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة فقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم ، فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم ، وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتصفون بهما من عدوهم ، قال ابن إسحاق : فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه : عطاء ومجاهد وعمن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول : كنت للإسلام مباعداً ، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه الرجال من قريش بالحزورة ، فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً ، فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمّار لعلّى أجد عنده خمراً فأشرب منها ، فخرجت فجئته فلم أجده ، قال : فقلت : لو أنى جئت الكعبة فطفت سبعا أو سبعين قال : فجئت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليمانى ، قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ، فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروعنه ، فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة ، قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبى وبكيت ودخلنى الإسلام ، فلم أزل فى مكانى قائماً حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين ـ وكان مسكنه فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية ـ قال عمر : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته ، فلما سمع حسى عرفنى فظن أنى إنما أتبعه لأؤذيه ، فنهمنى [1] ثم قال : ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت : جئت لأومن

---

(١) النهم : الزجر والنهيم زجر الأسد . حكاه السهيلى فى الروض الأنف .

بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « قد هداك الله يا عمّر » ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ، قال ابن إسحاق فالله أعلم أى ذلك كان . قلت : وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضى الله عنه وما ورد فى ذلك من الأحاديث والآثار مطولا فى أول سيرته التى أفردتها على حدة ولله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : حدثنى نافع مولى ابن عمر ، عن ابن عمر ، قال : لما أسلم عمر قال : أى قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحى ، فغدا عليه ، قال : عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلام أعقل كُلَّ ما رأيت ـ حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد ، وصرخ بأعلا صوته يا معشر قريش ـ وهم فى أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إن ابن الخطاب قد صبأ ، قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم ، قال : وطلح [1] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا ، قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صبأ عمر ، قال : فمَهْ ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل ، قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه ، قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك . أى بنى العاص بن وائل السهمى ، وهذا إسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر إسلام عمر ، لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكانت أحد فى سنة ثلاث من الهجرة ، وقد كان مميزا يوم أسلم أبوه ، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن إسحاق ، قال : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة ـ أو قريب من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه فى

---

(١) وطلح : أى أعيا وتعب .

المجلس ، فكلموه وسألوه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا ، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال : خيبكم الله من رَكْبٍ ، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحمق منكم - أو كما قال - قالوا لهم : لانجاهلكم ، سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألُوَنَّ أنفسنا خيراً ، فيقال : إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان ، ويقال . والله أعلم ، إن فيهم نزلت هذه الآيات : (**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين**) [1] .

فصـــــل

قال البيهقى فى الدلائل : باب ما جاء فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ، ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله إلى النجاشى الأصحم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى . وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاية الله فإنى أنا رسوله فأسلم تسلم (**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) [2] فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك » .

هكذا ذكره البيهقى بعد قصة هجرة الحبشة وفى ذكره هُهنا نظر ، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشى الذى كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه ، وذلك

---

(١) الآيات : ٥٢ - ٥٥ من سورة القصص .

(٢) الآية ٦٤ من سورة آل عمران .

حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل ، قبيل الفتح ، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي ، قال الزهري : كانت كتب النبي صلى الله عليه وسلم إليهم واحدة ؛ يعني نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف فإن من صدر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة ، فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول ، وقوله فيه : إلى النجاشي الأصم ، لعل الأصم مقحم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم .

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضاً عن الحاكم عن أبي الحسن بن عبد الله الفقيه ـ بمرو ـ حدثنا حماد بن أحمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتابا : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصم ملك الحبشة ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني ، فإني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصم بن أبجر ، فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فإني أشهد أن ما تقول حق .

فصـــــل

فى ذكر مخَالفة قبائل بنى هاشم وبنى عبد المطلب فى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحالفهم فيما بينهم عليهم ، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحصرهم إياهم فى شِعْب أبى طالب مدة طويلة ، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر فى ذلك كلّه من آيات النبوة ودلائل الصدق .

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش فى مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية ، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شِعْبهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله ، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حميّة ، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا ، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بنى هاشم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل .

فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة ولا بيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالا له ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بعض فرشهم فينام عليه .

فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن قصى ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ماتعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه ، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كلّ ما كان فيها من عهد وميثاق ، ويقال : كانت معلقة

فى سقف البيت فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسته ، وبقى ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم ، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذى صنع بصحيفتهم ، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبى طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقب ماكذبنى ، فانطلق يمشى بعصابته من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ ، فتكلم أبو طالب فقال : قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فعلّه أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها ، فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لايشكون أن رسول الله ﷺ مدفوعٌ إليهم فوضعوها بينهم ، وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم .

فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف ، إن ابن أخى أخبرنى - ولم يكذبنى - أن الله برىء من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فأفيقوا ، فوالله لانسلمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا ، وإن كان الذى قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم ، قالوا : قد رضينا بالذى تقول ، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا : والله إن كان هذا قط إلا سحرا من صاحبكم ، فارتكَسوا وعادوا بشرٍّ ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول الله ﷺ والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه .

فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا ، فكيف ترون ؟ فإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم ، طمس ما كان فيها من اسمه ، وما كان فيها من بغى تركه ، أفنحن السحرة أم أنتم ؟

فقال عند ذلك النفر من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم منهم أبو البخترى والمطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو ،وكانت الصحيفة عنده ، وهو من بنى عامر بن لؤى ، فى رجال من أشرافهم ووجوههم : نحن بُرءاءُ مما فى هذه الصحيفة ، فقال أبو جهل ، لعنه الله :

هذا أمر قضى بليل ، وأنشأ أبو طالب يقول الشعر فى شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرءوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشى .

قال البيهقى : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ـ يعنى من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن عقبة رحمه الله ـ وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله ﷺ فى ذلك ، فالله أعلم .

قلت : والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التى قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضا ، فذكرها هٰهنا أنسب والله أعلم .

ثم روى البيهقى من طريق يونس عن محمد بن إسحاق ، قال : لما مضى رسول الله ﷺ على الذى بُعِثَ به ، وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه ، وأَبَوْا أن يسلموه ، وهم من خلافه على مثل ماقومهم عليه ، إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفه من قومه ، فلما فعلت بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد ؛ اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا ، ثم ذكر القصة بطولها فى دخولهم شعب أبى طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع ، حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة ، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرضة فلم تدع فيها اسما هولله إلا أكلته ، وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فأخبر بذلك عمه أبو طالب ، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم .

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه أمنا وقراراً ، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل فاجتمعوا وائتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة

فى جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصابعه ، وقال الواقدى : كان الذى كتب الصحيفة طلحة بن أبى طلحة العبدوى .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق ، وهو الذى شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها : انظروا إلى منصور بن عكرمة ، قال الواقدى : وكانت الصحيفة معلقة فى جوف الكعبة ، قال ابن إسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم . وحدثنى حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقى هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يا ابنة عتبة هل نصرتِ اللات والعزى وفارقتِ من فارقها وظاهر عليها ؟ قالت : نعم ! فجزاك الله يا أبا عتبة ! .

قال ابن إسحاق : وحُدِّثْتُ أنه كان يقول ـ فى بعض ما يقول ـ يعدنى محمد أشياء لا أراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع فى يدى بعد ذلك ؟! ثم ينفخ فى يديه فيقول تَبًّا لكما لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى (**تبت يدا أبى لهب وتب**) [١] ، قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنى على ذاتِ بيننا * لؤيًّا وخُصّا من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً * نبياً كموسى خُطَّ فى أول الكتب
وأن عليه فى العباد محبة * ولا خير ممن خصه الله بالحب [٢]
وأن الذى ألصقتمو من كتابكم * لكم كائن نحسا كراغية السَّقْب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى * ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا * أواصرَنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما * أمرُّ على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وربِّ البيتِ نُسْلِمُ أحمداً * لعزاء من عَضِّ الزمان ولا كرب

---

(١) الآية : ١ من سورة المسد .

(٢) قال السهيلى قوله : ولا خير البيت . هو مشكل جداً . وأشبه مايقال فى البيت أن خير مخفف من خير كهين وميت وقوله ممن « من » متعلقة بمحذوف كأنه قال لاخير أخير ممن خصه الله الخ عن الروض .

ولمّـا تَبِنْ منـا ومـنكم سوالفٌ * وأيد أتـرت بالـقسـاسية الشهب
بمُعْتَـرَكٍ ضيقٍ ترى كسـر القنـا * به والنسور الطخم يعكفن كالشربِ
كأنّ مجـال الخيل فى حجراتـه * ومعمعةَ الأبطالِ معركـةُ الحـربِ
ألـيس أبـونـا هاشـمٌ شَدَّ أزْرَهُ * وأوصى بنيه بالـطعـان وبالضـربِ
ولسنـا نمـلُّ الحربَ حتى تملَّنـا * ولا نشتكى ماقـد ينوب من النُّكَبِ
ولكنّنـا أهـلُ الحفـائظِ والنُّهى * إذا طار أرواح الكُـماة من الـرُّعْبِ

قال ابن إسحاق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا ، ولم يصل إليهم إلا سراً مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل بن هشام ـ فيما يذكرون ـ لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحاً ، يريد به عمته خديجة ابنة خويلد ، وهى عند رسول الله ﷺ فى الشعب فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد ، فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال له أبو البخترى : طعام كان لعمته عنده بعثت به إليه ، أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خَلِّ سبيل الرجل . قال : فأبىَ أبو جهل ، لعنه الله ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخترى لحى بعير فضربه ، فشجه ووطئه وطئاً شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتون بهم .

ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً منادياً بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحداً من الناس ، فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوامن البطش به. يهمزونه ، ويستهزءون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل فى قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته ، منهم من سمى لنا ، ومنهم من نزل القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار . فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه ، وأمية بن خلف ونزول قوله تعالى : (ويلٌ لكلِّ همـزةٍ لُمَـزةٍ) [١] السورة بكمـالها فيه . والعاص بن وائل ونزول قوله تعالى : (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) [٢] فيه ، وقد تقدم شىء من ذلك . وأبا جهل بن هشام وقوله للنبى ﷺ : لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك ، ونزول قول الله

---

(١) الآية : ١ من سورة الهمزة .

(٢) الآية : ٧٧ من سورة مريم .

نيه : (**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْوًا بغير علم**) [١] الآية . والنضر ابن الحارث بن كلدة بن علقمة ـ ومنهم من يقول علقمة بن كلدة ، قاله السهيلى ـ وجلوسه بعد النبى ﷺ فى مجالسه حيث يتلو القرآن ويدعو إلى الله ، فيتلو عليهم النضر شيئاً من أخبار رستم وأسفنديار وما جرى بينهما من الحروب فى زمن الفرس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن منى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما أكتتبها ، فأنزل الله تعالى : (**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا**) [٢] وقوله : (**ويلٌ لكلِّ أفاك أثيم**) [٣] .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ يوماً مع الوليد بن المغيرة فى المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : (**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون . لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون**) [٤] ثم قام رسول الله ﷺ ، وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله ابن الزبعرى : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً أكل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد عيسى . فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول ابن الزبعرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم [٥] ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فى النار ، إنهم إنمايعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » فأنزل الله تعالى : (**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون**) [٦] أى عيسى وعزيرومن عُبِدَ من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى ، ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة

---

(١) الآية : ١٠٨ من سورة الأنعام .
(٢) الآية : ٥ من سورة الفرقان .
(٣) الآية : ٧ من سورة الجاثية .
(٤) الآيات : ٩٨ ـ ١٠٠ من سورة الأنبياء .
(٥) كذا فى الأصل وفى ابن هشام ، لعل الصواب (وخصم) .
(٦) آيتا : ١٠١ ، ١٠٢ من سورة الأنبياء .

وأنها بنات الله (**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون**) [١] والآيات بعدها ، ونزل فى إعجاب المشركين بقول ابن الزبعرى (**ولما ضُرِبَ ابن مريم مثلا إذا قومك منه يَصِدُّون . وقالوا ءالهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون**) [٢] وهذا الجدل الذى سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن (ما) لما لا يعقل . فقوله : (**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**) [٣] إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التى كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم فى هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ، ولا أحداً من الصالحين ، لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى : (**إلا عبد أنعمنا عليه**) أى بنبوتنا (**وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل**) [٤] أى دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بنى آدم من ذكر وأنثى ، كما قال فى الآية الأخرى : (**ولنجعله آية للناس**) [٥] أى أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة (**ورحمة منا**) نرحم بها من نشاء .

وذكر ابن إسحاق : الأخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه : (**ولا تطع كل حلاف مهين**) [٦] الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال : أنزل على محمد وأُتْرَكُ وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو [٧] الثقفى سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين ، ونزل قوله فيه (**وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**) [٨] والتى بعدها ، وذكر أبى بن خلف حين قال لعقبة بن أبى معيط : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً وسمعت منه ، وجهى من وجهك حرام إلا أن تتفل فى وجهه ، ففعل ذلك عدو الله عقبة ، لعنه الله ، فأنزل الله (**ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا**) [٩] والتى بعدها قال : ومشى أبى بن خلف بعظم بال قد أرم ، فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله ﷺ . فقال : نعم ! أنا أقول ذلك ،

---

(١) الآية : ٢٦ من سورة الأنبياء .
(٢) آيتا : ٥٧ ، ٥٨ من سورة الزخرف .
(٣) الآية : ٩٨ من سورة الأنبياء .
(٤) الآية : ٥٩ من سورة الزخرف .
(٥) الآية : ٢١ من سورة مريم .
(٦) الآية : ١٠ من سورة القلم .
(٧) كذا فى ح ، وفى المصرية : عمرو بن عمر ، وفى ابن هشام : عمر بن عمير .
(٨) الآية : ٣١ من سورة الزخرف .
(٩) آيتا : ٢٧ , ٢٨ من سورة الفرقان .

يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار . وأنزل الله تعالى (**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يُحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**)[١] إلى آخرالسورة . قال : واعترض رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة ـ الأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص ابن وائل ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر . فأنزل الله فيهم (**قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون**)[٢] إلى آخرها . ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد ، ثم قال : هلموا فلنتزقم . فأنزل الله تعالى (**إن شجرةالزقوم . طعام الأثيم**)[٣] . قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يكلمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فمر به ابن أم مكتوم ـ عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة ـ الأعمى ، فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقريه القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً ، وتركه فأنزل الله تعالى : (**عبس وتولى . أن جاءه الأعمى**) إلى قوله : (**مرفوعة مطهرة**)[٤] وقد قيل : إن الذى كان يحدّث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف ، فالله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة ، وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكةوكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت فى الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه (**والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم**)[٥] يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد ، فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس ، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله (**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**)[٦] وذكروا قصة الغرانيق ، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة فى الصحيح . قال البخارى : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن

---

(١) آيتا : ٧٨ ، ٧٩ من سورة يس .
(٢) آيتا : ١ ، ٢ من سورة الكافرون .
(٣) آيتا : ٤٣ ، ٤٤ من سورة الدخان .
(٤) الآيات : ١ ـ ١٤ من سورة عبس .
(٥) آيتا : ١ ، ٢ من سورة النجم .
(٦) الآية : ٥٢ من سورة الحج .

عكرمة عن ابن عباس ، قال : سجد النبى ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ، انفرد به البخارى دون مسلم وقال البخارى : حدثنا محمد ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت الأسود عن عبد الله ، قال : قرأ النبى ﷺ والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصاً - أو تراب - فرفعه إلى جبهته وقال : يكفينى هذا ، فرأيته بعدُ قُتِلَ كافراً ، ورواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاوس عن عكرمة ابن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبى وداعة عن أبيه ، قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعت رأسى وأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب . فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه . وقد رواه النسائى عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به . وقد يجمع بين هذا والذى قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذى استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية ، والله أعلم .

والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم ، فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل ، فذكر ابن إسحاق أسماء من رجع منهم : عثمان بن عفان ، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وعتبة بن غزوان ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وسويبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الأسد . وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وشماس بن عثمان ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة - وقد حبسا بمكة حتى مضت بدر وأحد والخندق - وعمار بن ياسر - وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا - ومعتب بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخواه قدامة ، وعبد الله ابنا مظعون ، وخنيس بن حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل - وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق - وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبى حثمة ، وعبد الله بن مخرمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو - وقد حبس حتى يوم بدر ، فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدراً - وأبو سبرة بن أبى رهم ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل ،

والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامرأته سودة بنت زمعة - وقد مات بمكة قبل الهجرة ، وخلف على امرأته رسول الله ﷺ - وسعد بن خولة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبى سرح ، فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلا رضى الله عنهم .

وقال البخارى : وقالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قِبَل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة . فيه عن أبى موسى وأسماء رضى الله عنهما عن النبى ﷺ ، وقد تقدم حديث أبى موسى وهو فى الصحيحين ، وسيأتى حديث أسماء بنت عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ، قال : كنا نسلم على النبى ﷺ وهو يصلى فيرد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى سلمنا عليه فلم يرد علينا ، فقلنا : يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى لم ترد علينا ؟ قال : « إن فى الصلاة شغلا » وقد روى البخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق أخر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به . وهو يقوى تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت فى الصحيحين : كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزل قوله (وقوموا لله قانتين) [(١)] فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام . على أن المراد جنس الصحابة ، فإن زيداً أنصارى مدنى ، وتحريم الكلام فى الصلاة ثبت بمكة ، فتعين الحمل على ما تقدم . وأما ذكره الآية وهى مدنية فمشكل ، ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك ، وإنما كان المحرم له غيرها معها ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان ممن دخل منهم بجوار : عثمان بن مظعون فى جوار الوليد ابن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد فى جوار خاله أبى طالب ، فإن أمه برة بنت عبد المطلب . فأما عثمان بن مظعون . فإن صالح بن إبراهيم بن عوف حدثنى عمن حدثه عن عثمان ، قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء ، وهو يروح ويغدو فى أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غدوى ورواحى فى جوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس وفت

---

(١) الآية : ٢٣٨ من سورة البقرة .

ذمتك وقد رددت إليك جوارك . قال : لِمَ يا بن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جواري علانية كما أجرتك علانية . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جواري قال : صدق ، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار ، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان رضي الله عنه ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد :

* ألا كل شيء ماخلا الله باطل *

فقال عثمان : صدقت . فقال لبيد :

* وكل نعيــم لا محالة زائل *

فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لايزول . فقال لبيد : يامعشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى مابلغ عثمان . فقال : والله يابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد كنت في ذمة منيعة ، قال يقول : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر ياأبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هلم يابن أخي إلى جوارك فَعُدْ ، قال : لا ! .

قال ابن إسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد فحدثني أبو إسحاق بن يسار عن سلمة ابن عبد الله بن أبي سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال من بني مخزوم ، فقالوا له : يا أبا طالب هاقد منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال إنه استجار بي وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي ، فقام أبو لهب ، فقال : يامعشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل ماقام فيه حتى يبلغ ما أراد ، قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة ، وكان لهم وليًّا وناصراً على رسول الله ﷺ فأبقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ :

إن امـرءاً أبـو عتيبـة عمُّـهُ * لفى روضـة ما أن يسام المظالما
أقـول له وأين منـه نصيحتي * أبـا معتـب[1] ثبت سوادك قائمـا
ولا تقبلن الـدهـر ماعشت خُطَّةً * تُسَبُّ بهـا إمّـا هبطتَ المواسما
وول سبيلَ العَجـز غيرَك منهم * فإنك لم تُخْلَقْ على العَجْز لازما
وحاربْ فإن الحرب نصف ولن ترى * أخا الحرب يعطى الخسف حتى يُسالما
وكيف ولم يجنـوا عليك عظيمـة * ولم يخـذلـوك غانمـا أو مغـارما
جزى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفلا * وتيمـا ومخـزومـا عقوقا ومأثما
بتفـريقـهـم من بعـد وُدٍّ وألفـة * جمـاعتَنا كيما ينالـوا المحـارما
كذبتم وبيتِ الله نبزى[2] محمداً * ولمَّـا تروا يوما لدى الشِّعْبِ قائما

قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه .

ذكر عزم الصدّيق على الهجرة إلى أرض الحبشـة

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه مارأى ، استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فأذن له ، فخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوما - أو يومين - لقيه ابن الدغنة أخو بنى الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قال الواقدى : اسمه الحارث بن يزيد أحد بنى بكر من عبد مناة بن كنانة ، وقال السهيلى : اسمه مالك ، فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا علىّ ، قال : ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم ، ارجع فإنك فى جوارى ، فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش إنى قد أجرت ابن أبى قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير ، قال : فكفوا عنه ، قالت : وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح فكان يصلى فيه ، وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى ، قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء

---

(١) فى الأصل : (أبو عتبة) .

(٢) قال ابن هشام : نبزى : نسلب .

يعجبون لما يرون من هيئته ، قال فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة ، فقالوا : يابن الدغنة إنك لم تُجرْ هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجاء به محمد يرق ، وكانت له هيئة ، ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فأته فمره بأن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء ، قالت : فمشى ابن الدغنة إليه فقال : ياأبا بكر إنى لم أجرك لتؤذى قومك ، وقد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذَّوْا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أوأرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال فاردد على جوارى ، قال : قد رددته عليك ، قال فقام ابن الدغنة فقال يامعشر قريش إن ابن أبى قحافة قد رد علىّ جوارى فشأنكم بصاحبكم .

وقد روى الإمام البخارى هذا الحديث منفرداً به وفيه زيادة حسنة ، فقال حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن هشام : فأخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت : لم أعقل أبوَىَّ قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى ، فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخْرَج ولا يخرج مثله ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لايخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره ويصل فيها وليقرأ ماشاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فقال ابن الدغنة ذلك لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فكان [١] نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكَّاءً لايملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن فى

---

(١) فى النسخة المصرية : فيقف نساء المشركين .

الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا فانهه ، فإن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربه فى داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن فسله أن يرد عليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان ، قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمت الذى قد عاقدت عليه قريشٍ [1] فإما أن تقتصر علي ذلك وإما أن ترد إلىّ ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخْفِرْتُ فى رجل عقدتُ له ، فقال أبو بكر : فإنى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل ثم ذكرت تمام الحديث فى هجرة أبى بكر رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتى مبسوطا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال : لقيه ـ يعنى أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة ـ سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابا ، فمر بأبى بكر الوليد بن المغيرة ـ أو العاص بن وائل ـ فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى مايصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك ، وهو يقول : أى رب ما أحلمك ، أى رب ما أحلمك ، أى رب ما أحلمك .

فصـــــل

كل هذه القصص ذكرها ابن إسحاق معترضا بها بين تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم فى الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على ابن إسحاق .

ذكر نقض الصحيفـــــة

قال ابن إسحاق : هذا وبنو هاشم ، وبنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها ، ثم إنه قام فى نقض الصحيفة نفر من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك

---

(١) فى المصرية : قد عاقدتك عليه .

ابن حسل بن عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان ابن أخى نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه ، وكان هشام لبنى هاشم واصلا ، وكان ذا شرف فى قومه فكان ـ فيما بلغنى ـ يأتى بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب ليلا قد أوقره طعاما ، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبيه فدخل الشعب عليهم ثم يأتى به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك ، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يازهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً ، قال : ويحك ياهشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها ، قال : قد وجدت رجلا ، قال : من هو؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغنا ثالثا ، فذهب إلى المطعم بن عدى فقال له : يامطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا ، قال : ويحك ، فماذا أصنع ، إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت لك ثانيا ، قال : من ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال : ابغنا رابعا ، فذهب إلى أبى البخترى بن هشام فقال نحو ما قال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال : نعم ! قال : من ؟ قال : زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأنا معك قال : ابغنا خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى القوم ، فاتعدوا حطم الحجون ليلا بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم ، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس ، فقال : ياأهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لايبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لاأقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، قال أبو جهل ـ وكان فى ناحية المسجد ـ والله لاتشق ، قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حين كتبت ، قال أبو البخترى : صدق زمعة ، لانرضى ماكتب فيها ولا نقرّ به ، قال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى بليل تُشُووِر

فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد ، وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب : « ياعم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان » . فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : « نعم » ! قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى قد أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخى . فقال القوم : قد رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا ، فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ ، فزادهم ذلك شراً ، فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ماصنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مُزِّقت وبطل مافيها قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا فى نقض الصحيفة يمدحهم :

ألا هل أتى بحريّنا [1] صنع ربنا * على نَأْيِهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مُزِّقَتْ * وأنْ كل مالم يرضَهُ الله مُفْسَدُ
تراوحها إفك وسحر مجمّعٌ * ولم يلف سحراً آخر الدهر يصعدُ
تداعى لها من ليس فيها بقرقرٍ * فطائرها فى رأسها يَتَرَدَّدُ
وكانت كفاء وقعة بأثيمةٍ * ليقطع منها ساعد ومقلدُ
ويظعن أهل المكَّتَيْن فيهربوا * فرائصُهم من خشيةِ الشرِّ تُرْعَدُ
ويترك حراث يقلب أمره * أيتهم فيها عند ذاك وينجدُ
وتصعد بين الأخشبين كتيبةٌ * لها حدج سهم وقوس ومرهدُ
فمن ينْشَ من حضّار مكة عِزَّةٌ * فعزتنا فى بطن مكة أتْلَدُ
نشأنا بها والناس فيها قلائل * فلم ننفك نزداد خيراً ونُحْمَدُ
ونطعِمُ حتى يترك الناس فضلهم * إذا جعلت أيدى المفيضين ترعدُ
جزى الله رهطا بالحجون تجمعوا * على ملإٍ يهدى لحزم ويُرْشَدُ
قعوداً لذى حطم الحجون كأنهم * مقاولةٌ بل هم أعز وأمجدُ

---

(١) قال السهيلى فى الروض : بحرينا يعنى الذين بأرض الحبشة نسبهم إلى ذلك لركوبهم البحر .

أعــان عليهـا كل صقـر كأنـهُ * إذا مامشى فى فرف الـدرع أحـردُ
جرىءُ على جُلِّ الـخـطوب كأنـهُ * شهـابٌ بكـفـىْ قابسٍ يتـوقـدُ
من الأكـرمـين من لُؤى بن غالـبٍ * إذا سيم خسْـفـا وجهـه يَتَـربَّـدُ
طويلُ الـنِّجـادِ خارجٌ نصف ساقـهِ * على وجهـه يسقى الغمام ويَسْعَـدُ
عظيمُ الـرمـاد سيدٌ وابـن سيدٍ * يحض على مقرى الضيوف ويَحْشُدُ
ويبـنى لأبـنـاء العـشيرة صالـحـاً * إذا نحن طفنـا فى البـلاد ويَمْهـدُ
أَلَظَّ بهـذا الـصـلح كلُّ مبـرإ * عظيم الـلواء أمـره ثَمّ يُحْـمَـدُ
قَضَـوْا ماقضـوْا فى ليلهم ثم أصبحـوا * على مَهَـلٍ وسـائـرُ النـاس رُقَّـدُ
هم رجعـوا سهـل بن بيضاء راضيا * وسُـرَّ أبـو بكـر بهـا ومُـحَـمَّـدُ
متى شرك الأقـوام فى حل أمـرنـا * وكُـنَّـا قديمـاً قبـلهـا نتـودَّدُ
وكـنَّـا قديمـاً لانُـقِـرَّ ظُلامَـةً * ونـدرك ماشئـنـا ولا نتـشـددُ
فيالِ قصـى هل لكـم فى نفـوسكم * وهـل لكـمُ فيمـا يجـىء بهِ غَدُ
فإنـى وإياكـم كمـا قال قائـل * لديك الـبـيان لو تكلمتَ أسـودُ

[[1] قال السهيلى : أسود : اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول : لديك البيان لو تكلمت أسود ، أى يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عمن قتله] .

ثم ذكر ابن إسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدى ، وهشام بن عمرو لقيامهما فى نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة . وقد ذكر الأموى هٰهنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن إسحاق . وقال الواقدى : سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالا : فى السنة العاشرة ـ يعنى من البعثة ـ قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفى هذه السنة بعد خروجهم توفى أبو طالب عم رسول الله ﷺ ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

---

(١) ما بين المربعين زيادة من النسخة المصرية .

فصـــــل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله ﷺ ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغى والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول ، والله غالب على أمره . فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسى مرسلة ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى دوس ، وكان قد قدم مكة ، فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ ، ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ، قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعت أن لاأسمع منه شيئاً ولا أكلمه ، حتى حشوت أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفا [(١)] ، فَرَقا من أن يبلغنى شىء من قوله وأنا لاأريد أن أسمعه . قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة . قال : فقمت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسْمِعَنى بعض قوله . قال : فسمعت كلاماً حسناً . قال : فقلت فى نفسى : واثكل أمى والله إنى لرجل لبيب شاعر مايخفى علىّ الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقول ، فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته . قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فدخلت عليه ، فقلت : يامحمد ، إن قومك قالوا لى كذا وكذا ـ للذى قالوا ـ قال : فوالله مابرحوا بى يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسْمِعَنى قولك ، فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض علىّ أمرك . قال : فعرض علىّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يانبى الله ، إنى امرؤ مطاع فى قومى ، وإنى راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه . قال : فقال : « اللهم اجعل له آية » قال : فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر ، وقع بين عينى نور مثل المصباح . قال : فقلت : اللهم فى غير وجهى فإنى أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم قال : فتحول فوقع فى رأس سوطى . قال : فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور فى رأس سوطى كالقنديل المعلق وأنا أهبط عليهم من الثنية حتى

---

(١) الكرسف : هو القطن .

جئتهم فأصبحت فيهم ، فلما نزلتُ أتانى أبى ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فقلت : إليك عنى ياأبتِ فلستُ منك ولستَ منى ، قال : ولم يابنى ؟ قال : قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ ، قال : أي بنى ، فدينك دينى ، فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم ائتنى حتى أعلمك مما علمت . قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم . ثم أتتنى صاحبتى فقلت : إليك عنى فلستُ منكِ ولستِ منى ، قالت : ولم ؟ بأبى أنت وأمى . قال : قلت : فرّق بينى وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد ﷺ ، قالت : فدينى دينك . قال : فقلت : فاذهبى إلى حمى ذى الشرى فتطهرى منه ، وكان ذو الشرى صنماً لدوس ، وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل . قالت : بأبى أنت وأمى أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئاً ؟ قلت : لا ، أنا ضامن لذلك . قال : فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا علىّ ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة ، فقلت : يارسول الله إنه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : « اللهم آهدِ دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » . قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر وأُحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معى من قومى ورسول الله ﷺ بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين ـ أو ثمانين بيتاً ـ من دوس ، فلحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين ، ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة ، فقلت : يارسول الله ابعثنى إلى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . قال ابن إسحاق : فخرج إليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يإذا الكفين لستُ من عبادِكا * ميلادُنا أقدم من ميلادِكا

* إنى حشوت النار فى فؤادِكا *

قال : ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ ، فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إنى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى ، رأيت أن رأسى حلق وأنه خرج من فمى طائر ، وأنه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها ، وأرى ابنى يطلبنى طلباً حثيثاً ثم رأيته حبس عنى ؟ قالوا : خيراً . قال : أما أنا والله فقد أولتها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أما حلق رأسى فوضعه ، وأما الطائر الذى خرج منه فروحى ، وأما

المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تحفر لى فأغيب فيها ، وأما طلب ابنى إياى ثم حبسه عنى فإنى أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابنى . فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ، ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله . هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا إسناد . ولخبره شاهد فى الحديث الصحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال : إن دوسا قد استعصت . قال : « اللهم اهد دوسا وَأْتِ بهم » رواه البخارى عن أبى نعيم عن سفيان الثورى . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قدم الطفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه فقالوا : يارسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها . قال أبو هريرة : فرفع رسول الله ﷺ يديه ، فقلت : هلكت دوس . فقال : « اللهم اهد دوسا وَأْتِ بهم » إسناد جيدا ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر ، أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله هل لك فى حصن حصين ومنعة ؟ - قال حصن كان لدوس فى الجاهلية - فأبى ذلك رسول الله ﷺ للذى ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص فقطع بها براجمه فشخبت يداه فما رقأ الدم حتى مات ، فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه فى هيئة حسنة . ورآه مغطيا يديه ، فقال له : ماصنع ربك بك ؟ فقال غفر لى بهجرتى إلى نبيه ﷺ ، قال : فما لى أراك مغطيا يديك ؟ قال : قيل لى : لن يصلح منك ما أفسدت ، قال فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « اللهم وليديه فاغفر » رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم كلاهما عن سليمان ابن حرب به .

فإن قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ماثبت فى الصحيحين من طريق الحسن عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل : عبدى بادرنى بنفسه فحرمت عليه الجنة » ، فالجواب من وجوه .

الأول : أنه قد يكون ذاك مشركا وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سببا مستقلا فى دخوله النار ، وإن كان شركه مستقلا ، إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته .

الثانى : قد يكون كان عالما بالتحريم وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام .

الثالث : قد يكون ذاك فعله مستحلا له وهذا لم يكن مستحلا بل مخطئا .

الرابع : قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك .

الخامس : قد يكُون هذا كان قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكُون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه ﷺ ، ولكن بقى الشين فى يده فقط وحسنت هيئة سائره فغطى الشين منه ، فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له : مالك ؟ قال : قيل لى : لن يصلح منك ما أفسدت ، فلما قصها الطفيل على رسول الله ﷺ دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أى فأصلح منها ما كان فاسداً ، والمحقق أن الله استجاب لرسول الله ﷺ فى صاحب الطفيل بن عمرو .

قصة أعشى بن قيس

قال ابن هشام : حدثنى خلادة بن قرة بن خالد السدوسى وغيره من مشايخ بكر بن وائل عن أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام ، فقال يمدح النبى ﷺ :

ألم تغتمضْ عيناك ليلة أَرْمَدا * وبِتَّ كما بات السليمُ مُسَهَّدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما * تناسيت قبل اليوم خلة مَهددا
ولكنْ أرى الدهرَ الذى هو خائنٌ * إذا أصلحتْ كَفَّاى عاد فأفسدا
كُهولا وشبّانا فقدت وثروةً * فلله هذا الدهر كيف تردّدا
ومازلت أبغى المال مذ أنا يافعٌ * وليداً وكهلا حين شبتُ وأَمْرَدا
وأبتذل العيس المراقيل تعتلى * مسافة ما بين النجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلى أين يممتْ * فإن لها فى أهل يثرب موعدا
فإن تسألى عنى فياربَّ سائلٍ * حَفِيٌّ عن الأعشى به حيث أصعدا

أجـدت برجليهـا النِّجـادَ وراجعتْ * يداهـا خنـافـا لينًـا غير أحـردا
وفـيهـا إذا ما هَجَّـرت عجـرفـيةٌ * إذا خلت حزبـاء الـظهيرة أصيدا
وآلـيت لا آوى لهـا من كلالـةٍ * ولا من حفًى حتى تلاقى محمـدا
متى ما تنـاخى عنـد باب ابن هاشم * تراحـى وتـلقـى من فواضـله ندى
نبـى يرى مالا ترون وذكـرهُ * أغـار لعمـرى فى البـلاد وأنجـدا
له صدقـات ما تُغَـبُّ ونـائـل * فليس عطاء الـيوم مانـعـه غدا
أجـدك لم تسـمـع وصـاة محمـد * نبى الإلـه حيث أوصى وأشهـدا
إذا أنـت لم ترحـل بزادٍ من الـتقى * ولاقيت بعـد المـوتِ من قد تزودا
ندمـتَ على أن لا تكُـونَ كمـثـله * فتـرصَـد للأمـر الـذى كان أرصـدا
فإياك والـمـيتـاتِ لا تقـربَـنَّـهـا * ولا تأخـذن سهمـا حديدا لتقصـدا
وذا الـنُّصُب المنصـوب لا تنسكَنَّـهُ * ولا تعـبـد الأوثـانَ واللهَ فاعـبـدا
ولا تقـربـنَّ جارة[1] كان سرهـا * عليك حرامـا فانكـحـن أو تأبـدا
وذا الـرحـم القـربى فلا تقـطعنَّـهُ * لعـاقـبـةٍ ولا الأسيرَ الـمقيَّدا
وسـبـحْ على حين الـعشيةِ والضحى * ولا تحـمـدِ الشيطان واللهَ فاحمـدا
ولا تسـخـرنْ من بائسٍ ذى ضَرارةٍ * ولا تحسبنَّ المـال للمـرءِ مخلدا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة ـ أو قريب منها ـ اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم ، فقال له : ياأبا بصير ، إنه يحرم الزنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب ، فقال : ياأبا بصير ، إنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن نفسى منها العلالات ، ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد إلى النبى ﷺ ، هكذا أورد ابن هشام هذه القصة هٰهنا وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله ، فإن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بنى النضير كما سيأتى بيانه فالظاهر أن عزم الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة وفى شعره مايدل على ذلك وهو قوله :

ألا أيهـذا الـسـائـلى أين يممت * فإن لهـا فى أهـل يثـرب موعـدا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى مابعد الهجرة ولا يوردها

---

(١) فى المصرية وابن هشام (حرة)

هاهنا والله أعلم ، قال السهيلى ، وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا فى المدينة بعد أُحد ، وقد قال : وقيل : إن القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام فى دار عتبة بن ربيعة ، وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل فى بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ قال وقوله : ثم آته فأسلم ـ لايخرجه عن كفره بلا خلاف والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق هاهنا قصة الأراشى وكيف استعدى إلى رسول الله ﷺ من أبى جهل فى ثمن الجمل الذى ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه فى الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك فى ابتداء الوحى وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصة مصارعة ركانة
وكيف أراه الشجرة التى دعاها ﷺ فأقبلت

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى : إسحاق بن يسار قال وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف أشد قريشاً ، فخلا يوما برسول الله ﷺ فى بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ﷺ : ياركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ، قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك ، فقال له رسول الله : « أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق » قال : « فقم حتى أصارعك » ، قال : فقام ركانة إليه فصارعه ، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لايملك من نفسه شيئا ، ثم قال : عُدْ يامحمد ، فعاد فصرعه ، فقال : يامحمد ، والله إن هذا للعجب ، أتصرعنى ؟ قال : « وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى » قال : وماهو؟ قال : « أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى » قال : فادعها ، فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله ﷺ ، فقال لها : ارجعى إلى مكانك فرجعت إلى مكانها ، قال : فذهب ركانة إلى قومه فقال : يابنى عبد مناف ، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض ، فوالله مارأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع . هكذا روى ابن إسحاق هذ القصة مرسلة بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذى من حديث أبى الحسن العسقلانى عن أبى جعفر بن محمد ابن ركانة عن أبيه . أن ركانة صارع النبى ﷺ فصرعه النبى ﷺ ، ثم قال الترمذى غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعى بإسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن

يزيد بن ركانة صارع النبى ﷺ فصرعه النبى ﷺ ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من الغنم ، فلما كان فى الثالثة قال : يامحمد ، ماوضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض إلىّ منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقام عنه رسول الله ﷺ ، ورد عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت فسيأتى فى كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة فى مرات متعددة إن شاء الله وبه الثقة . وقد تقدم عن أبى الأشدين [١] أنه صارع النبى ﷺ فصرعه رسول الله ﷺ ، ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشى ولله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ إذا جلس فى المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة ، ويسار ، مولى صفوان بن أمية ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين . هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق ؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ماسبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا ، فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم** ﴾ [٢] .
قال : وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام [٣] نصرانى يقال له : جبر ، عبد لبنى الحضرمى ، وكانوا يقولون : والله ما يُعلّم محمداً كثيراً مما يأتى به إلا جبر ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ **إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** ﴾ [٤] ، ثم ذكر نزول سورة الكوثر فى العاص بن وائل

---

(١) اسمه كلدة بن أسيد الجمحى : عن السهيلى فى الروض الأنف .
(٢) الآيات : ٥٢ ـ ٥٤ من سورة الأنعام .
(٣) فى الأصلين : بيعة وفى ابن هشام والروض : مبيعة (وزان مفعلة) وقوله : عبد لبنى الحضرمى الذى فى ابن هشام عبد لابن الحضرمى،راجع سيرة ابن هشام .
(٤) الآية : ١٠٣ من سورة النحل .

حين قال عن رسول الله ﷺ إنه أبتر أى لاعقب له ، فإذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : (**إن شانئك هو الأبتر**) [١] ، أى المقطوع الذى بعده ، ولو خلف ألوفا من النسل والذرية ، وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب ، وقد تكلمنا على هذه السورة فى التفسير ولله الحمد . وقد روى عن أبى جعفر الباقر : أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبى ﷺ ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة . ثم ذكر نزول قوله تعالى : (**وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر**) [٢] وذلك بسبب قول أبى بن خلف وزمعة بن الأسود والعاص ابن وائل والنضر بن الحارث ؛ لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله ﷺ ، فيما بلغنا ، بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبى جهل بن هشام فهمزوه واستهزءوا به ، فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من أمرهم : (**ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون**) [٣] .

قلت : وقال الله تعالى : (**ولقد كُذِّبتْ رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين**) [٤]، وقال تعالى : (**إنا كفيناك المستهزئين**) [٥] . قال سفيان بن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : المستهزءون الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهرى ، والأسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل [٦] ، والعاص بن وائل السهمى . فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فأراه الوليد فأشار جبريل إلى أنمله وقال كفيته ، ثم أراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى عنقه وقال كفيته ، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال كفيته ، ثم أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال كفيته ، ومر به العاص ابن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال كفيته .

---

(١) الآية : ٣ من سورة الكوثر .
(٢) الآية : ٨ من سورة الأنعام .
(٣) الآية : ١٠ من سورة الأنعام .
(٤) الآية : ٣٤ من سورة الأنعام .
(٥) الآية : ٩٥ من سورة الحجر .
(٦) كذا فى الأصلين ، وسيأتى أنه ابن الطلاطلة وابن الطلاطل وهكذا فى ابن هشام والسهيلى

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فأصاب أنمله فقطعها ، وأما الأسود ابن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها ، وأما الأسود بن المطلب فعمى . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يابنى ألا تدفعون عنى قد قتلت فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . وجعل يقول : ألا تمنعون عنى قد هلكت ، هاهو ذا الطعن بالشوك فى عينى . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها . وقال غيره فى هذا الحديث : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ـ يعنى شوكة ـ فدخلت فى أخمص قدمه شوكة فقتلته ، رواه البيهقى بنحو من هذا السياق .

وقل ابن إسحاق : وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم : الأسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال : « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » . والأسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلاطلة ، وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون**) [1] . وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حبنا ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلا له من خزاعة فتعلق سهم بإزاره فخدشه خدشا يسيراً ، فانتقض به بعد ذلك فمات ، ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته ، ومر به الحارث بن الطلاطل فأشار إلى رأسه فامتحض قيحاً فقتله .

ثم ذكر ابن إسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد ، فقال لهم : أى بنى أوصيكم بثلاث ، دمى فى خزاعة فلا تطلوه والله إنى لأعلم أنهم منه براء ، ولكنى أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم ، وربای فى ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى عند أبى أزيهر الدوسى فلا يفوتنكم به ، وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عقرها منه ـ وهو صداقها ـ فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل

---

(١) الآيات : ٩٤ ـ ٩٦ من سورة الحجر .

الوليد ، وقالوا إنما قتله سهم صاحبكم ، فأبت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر ، ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن إسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبى أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله ، وكان شريفاً فى قومه ، وكانت ابنته تحت أبى سفيان ـ وذلك بعد بدر ـ فعمد يزيد ابن أبى سفيان فجمع الناس لبنى مخزوم وكان أبوه غائباً ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ماصنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً فى رجل من دوس ؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحض أبا سفيان فى دم أبى أزيهر ، فقال : بئس ماظن حسان أن يقتل بعضنا بعضاً ، وقد ذهب أشرافنا يوم بدر ، ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأله فى ربا أبيه من أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : فذكر لى بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات نزلن فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين) [١] وما بعدهـــا .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى أزيهر ثأر نعلمه حتى حجز الإسلام بين الناس ، إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الأسلمى خرج فى نفر من قريش إلى أرض دوس فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبى أزيهر فقامت دونه أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم ، قال السهيلى : يقال : إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهى ترى أن ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لست بأخيه إلا فى الإسلام ، وقد عرفت منتك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : انج يا بن الخطاب لاأقتلك ، فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام رضى الله عنهما .

---

(١) الآية : ٢٧٨ من سورة البقرة .

فصـــــل

وذكر البيهقى هاهنا دعاء النبى ﷺ على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف ، وأورد ما أخرجاه فى الصحيحين من طريق الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود ، قال : خمس مضين ؛ اللزام [١] والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر ، وفى رواية عن ابن مسعود ، قال : إن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطأوا عن الإسلام ، قال : « اللهم أعنِّى عليهم بسبع كسبع يوسف » قال : فأصابتهم سنة حتى حصت كل شىء ، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى إن أحدهم كان يرى مابينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ، ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية (**إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون**) [٢] قال : فعادوا فكفروا فأُخِّرُوا إلى يوم القيامة ـ أو قال فأخروا إلى يوم بدر ـ قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لايكشف عنهم (**يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون**) [٣] قال : يوم بدر .

وفى رواية عنه ، قال : لما رأى رسول الله ﷺ من الناس إدباراً ، قال : « اللهم سبع كسبع يوسف » فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام ، فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يامحمد ، إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم ، فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث ، فأطبقت عليهم سبعاً فشكا الناس كثرة المطر ، فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فانجذب السحاب عن رأسه فسقى الناس حولهم ، قال لقد مضت آية الدخان ـ وهو الجوع الذى أصابهم ـ وذلك قوله : (**إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون**) [٤] وآية الروم ، والبطشة الكبرى ، وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر ، قال البيهقى : يريد ـ والله أعلم ـ البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام كلها حصلت ببدر .

قال : وقد أشار البخارى إلى هذه الرواية ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن

---

(١) اللزام : هو يوم بدر .

(٢) الآية : ١٥ من سورة الدخان .

(٣) الآية : ١٦ من سورة الدخان .

(٤) الآية : ١٥ من سورة الدخان .

أيوب عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن ، فأنزل الله تعالى (**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**) [1] قال : فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم ، ثم قال الحافظ البيهقى : وقد روى فى قصة أبى سفيان مادل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين والله أعلم .

فصـــــــل

ثم أورد البيهقى قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى : (**الٓمٓ . غُلِبت الروم . فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**) [2] . ثم روى من طريق سفيان الثورى عن حبيب بن أبى عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبى بكر فذكره أبو بكر للنبى ﷺ فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلا ، إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، فذكر ذلك أبو بكر للنبى ﷺ فقال : « ألا جعلته أداة » ، قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك .

وقد أوردنا طرق هذا الحديث فى التفسير وذكرنا أن المباحث ـ أى المراهن ـ لأبى بكر أمية بن خلف وأن الرهن كان على خمس قلايص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفى الرهن ، وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ـ أو كان يوم الحديبية ـ فالله أعلم .

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابى أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابى يحدث عن أبيه ، قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق ، كل ذلك فى خمس عشرة سنة .

---

(١) الآية : ٧٦ من سورة المؤمنون .

(٢) الآيات : ١ ـ ٥ من سورة الروم .

فصـــــــل

فى الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هناك إلى السموات وما رأى هناك من الآيات

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء فى أوائل البعثة ، وأما ابن إسحاق فذكرها فى هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين ، وروى البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن الأزهرى أنه قال : أسرى برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة ، قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة ، ثم روى الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى ، أنه قال : فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً ، فعلى قول السدى يكون الإسراء فى شهر ذى القعدة ، وعلى قول الزهرى وعروة يكون فى ربيع الأول ، وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عثمان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس ، قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول ، وفيه بعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى فى سيرته وقد أورد حديثاً لايصح سنده كما ذكرنا فى فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم ، ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم ، وينشد بعضهم فى ذلك :

ليلة الجمعة عرج بالنبى * ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه ركاكة وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به ، وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فى ذلك مستقصاة عند قوله تعالى : (**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**) [1] فلتكتب من هناك على ماهى عليه من الأسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق ، رحمه الله ، فإنه قال بعد ذكر ماتقدم من الفصول : ثم أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ـ وهو بيت

---

(١) الآية ١ من سورة الإسراء .

المقدس من إيلياء ـ وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها ، قال : وكان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه ﷺ عن ابن مسعود وأبى سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنهم والحسن بن أبى الحسن وابن شهاب الزهرى وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع فى هذا الحديث ، كل يحدث عنه بعض ماذكر لى من أمره ، وكان فى مسراه ﷺ وما ذكر لى منه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ماعاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها مايريد .

وكان عبد الله بن مسعود ، فيما بلغنى ، يقول : أُتى رسول الله ﷺ بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرها فى موضع منتهى طرفها فحمل عليها ، ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء قد جمعوا له فصلى بهم ، ثم أتى بثلاثة آنية من لبن وخمر وماء ، فذكر أنه شرب إناء اللبن ، فقال لى جبريل : هديت وهديت أمتك ، وذكر ابن إسحاق فى سياق الحسن البصرى مرسلا أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبه البراق وهو دابة أبيض بين البغل والحمار وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره فى منتهى طرفه ، ثم حملنى عليه ثم خرج معى لايفوتنى ولا أفوته .

قلت : وفى الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما أراد ركوب البراق شمس به ، فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال : ألا تستحى يابراق مما تصنع ؟ فوالله ماركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه ، قال : فاستحى حتى ارفض عرقا ثم قَرَّ حتى ركبته ، قال الحسن فى حديثه : فمضى رسول الله ﷺ ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء فأمَّهم رسول الله ﷺ فصلى بهم ، ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر ، وقول جبريل له : هديت وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر ، قال : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة فأصبح يخبر قريشاً بذلك فذكر أنه كذبه أكثر الناس وارتدت طائفة بعد إسلامها ، وبادر الصديق إلى التصديق وقال : إنى لأصدقه فى خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقه فى بيت المقدس ، وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله ﷺ قال : فيومئذ سمى أبو بكر الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله فى ذلك **(وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس)** [١] الآية ، وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هانىء ، أنها قالت : ما أسرى برسول الله ﷺ إلا من بيتى نام عندى تلك الليلة بعد ماصلى العشاء الآخرة ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما كان الصبح وصلينا معه ، قال : « يا أم هانىء صليت معكم العشاء الآخرة فى هذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فقلت : يانبى الله لاتحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك ، قال : « والله لأحدثنهموه » فأخبرهم فكذبوه ، فقال وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة فندّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت مافيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء ، قال فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذى وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بكير عن أسباط عن إسماعيل السدى أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم ، قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون ، رواه البيهقى .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى من لا أتهم عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر ، فأصعدنى فيه صاحبى حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له : باب الحفظة ، عليه بريد من الملائكة يقال له : إسماعيل ، تحت يده اثنا عشر ألف ملك ، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك ، قال : يقول رسول الله ﷺ إذا حدث بهذا الحديث : **(وما يعلم جنود ربك إلا هو)** [١] . ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جداً وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله فى التفسير ، وتكلمنا عليه فإنه من غرائب الأحاديث وفى إسناده ضعف ، وكذا فى سياق حديث أم هانىء .

---

(١) الآية : ٦٠ من سورة الإسراء .

(١) الآية : ٣١ من سورة المدثر .

فإن الثابت فى الصحيحين من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس أن الإسراء كان من المسجد من عند الحجر وفى سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله : وذلك قبل أن يوحى إليه ، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه ، فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شىء ، ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل فى ذلك ، وذلك قبل أن يوحى إليه ، بل جاءه بعد ما أوحى إليه ، فكان الإسراء قطعاً بعد الإيحاء إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين ، كما زعمه آخرون وهو الأظهر ، وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلا ثانياً ـ أو ثالثاً ـ على قول أنه مطلوب إلى الملأ الأعلى والحضرة الإلهية ، ثم ركب البراق رفعة له وتعظيما وتكريما ، فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التى كانت تَرْبِطُ بها الأنبياء ، ثم دخل بيت المقدس فصلى فى قبلته تحية المسجد . وأنكر حذيفة رضى الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب ، والنص المثبت مقدم على النافى ثم اختلفوا فى اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم ، كان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات ، وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم .

وقيل : إن صلاته بالأنبياء كانت فى السماء ، وهكذا تخيره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس ، كما تقدم ، أو فى السماء ، كما ثبت فى الحديث الصحيح ؟ والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة ، فصعد من سماء إلى سماء فى المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء ، وذكر أعيان من رآه من المسلمين كآدم فى سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى فى الثانية (١) وإدريس فى الرابعة ، وموسى فى السادسة ـ على الصحيح ـ وإبراهيم فى السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذى يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافا ، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صرف الأقلام ، ورفعت لرسول الله ﷺ سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها كقلال هجر ، وغشيها عند ذلك أمور عظيمة وألوان متعددة باهرة ، وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة ،

---

(١) كذا فى الأصول ولم يذكر الثالثة ولا الخامسة ، وفى ابن هشام : أنه رأى فى الثالثة يوسف الصديق وفى الخامسة هارون راجع السيرة النبوية لابن هشام .

وفراش من ذهب ، وغشيها من نور الرب جل جلاله ، ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح مابين كل جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذى يقول الله تعالى : (**ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة مايغشى . مازاغ البصر وما طغى**) [١] أى ما زاغ يميناً ولا شمالا ولا ارتفع عن المكان الذى حد له النظر إليه ، وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكـريم ، وهذه الرؤية الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها ، كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبـو ذر وعائشة ، رضى الله عنهم أجمعين ، والأولى هى قوله تعالى : (**علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى**) [٢] وكان ذلك بالأبطح ، تدلى جبريل على رسول الله ﷺ سادًا عظم خلقه مابين السماء والأرض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى ، هذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم .

فأما قول شريك عن أنس فى حديث الإسراء : ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فقد يكون من فهم الراوى فأقحمه فى الحديث والله أعلم ، وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شىء آخر غير مادلت عليه الآية الكريمة والله أعلم .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربـه ، عز وجل ، حتى وضعها الرب ، جل جلاله ، وله الحمد والمنة إلى خمس ، وقال : هى خمس وهى خمسون ، الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتئذ ، وأئمة السنة كالمطبقين على هذا ، واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم : رآه بفؤاده مرتين ، قاله ابن عباس وطائفة ، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، وممن أطلق الـرؤية : أبـو هريرة وأحمـد بن حنبل رضى الله عنهما ، وصرح بعضهم الرؤية بالعينين واختاره ابن جرير وبالغ فيه ، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين ، وممن نص على الرؤية بعينى رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعرى فيما نقله السهيلى عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه .

---

(١) الآيات : ١٣ ـ ١٧ من سورة النجم .

(٢) الآيات : ٥ ـ ١٠ من سورة النجم .

وقالت طائفة : لم يقع ذلك لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم ، قلت : يارسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نور أنّى أراه » وفى رواية « رأيت نورا » ، قالوا: ولم يمكنٍ رؤية الباقى بالعين الفانية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى فى بعض الكتب الإلهية : ياموسى إنه لايرانى حى إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده ، والخلاف فى هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم .

ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ، والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيما عند رجوعه من الحضرة الإلهية ، كما هى عادة الوافدين لايجتمعون بأحد قبل الذى طلبوا إليه ، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل ـ عندما يتقدم ذاك للسلام عليه ـ هذا فلان فسلم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى التعرف بهم مرة ثانية ، ومما يدل على ذلك أنه قال : فلما حانت الصلاة أممتهم ، ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر ، فتقدمهم إماما بهم عن أمر جبريل ، فيما يرويه عن ربه عز وجل ، فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدم فى الإمامة على رب المنزل ، حيث كان بيت المقدس محلتهم ودار إقامتهم ، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار .

وقد عاين ﷺ فى تلك الليلة من الآيات والأمور التى لو رآها ـ أو بعضها ـ غيره لأصبح مندهشاً أو طائش العقل ، ولكنه ﷺ أصبح واجماً ـ أى ساكناً ـ يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه ، فتلطف بإخبارهم أولا بأنه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة ، وذلك أن أبا جهل ـ لعنه الله ـ رأى رسول الله ﷺ فى المسجد الحرام وهو جالس واجم ، فقال له : هل من خبر؟ فقال : نعم ! فقال : وما هو؟ فقال : إنى أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس ، قال : إلى بيت المقدس ؟ قال : نعم ! قال : أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم ، أتخبرهم بما أخبرتنى به ؟ قال : نعم ! فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم ، فقال أبو جهل : هيا معشر قريش ، وقد اجتمعوا من أنديتهم فقال : أخبر قومك بما أخبرتنى به ، فقص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه ، فمن بين مصفق ، وبين مصفر ، تكذيباً له واستبعاداً لخبره ، وطار الخبر بمكة ، وجاء الناس إلى أبى بكر رضى الله عنه فأخبروه أن محمداً ﷺ يقول : كذا وكذا ، فقال : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : والله إنه ليقوله ، فقال : إن كان قاله فلقد صدق ، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحوله مشركو قريش فسأله عن ذلك فأخبره فاستعلمه عن صفات بيت

المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به ، وفى الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، قال : فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس علىّ بعض الشىء فجلّى الله لى بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم ، فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابن إسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم ، وما كان من شربه ماءهم ، فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة ، فآمن من آمن على يقين من ربه ، وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ [1] أى اختباراً لهم وامتحانا قال ابن عباس : هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ، وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك السياقات من ركوبه وصعوده فى المعراج وغير ذلك ، ولهذا قال : فقال تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه** ﴾ [2] والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة ، فدل على أنه بالروح والجسد ، والعبد عبارة عنهما ، وأيضاً فلو كان مناما لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له ، إذ ليس فى ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسرى به يقظة لا مناما .

وقوله ﷺ فى حديث شريك عن أنس : « ثم استيقظت فإذا أنا فى الحجر » معدود فى غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتى فى حديث عائشة رضى الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ الطائف فكذبوه ، قال : فرجعت مهموما فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، وفى حديث أبى أُسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحنكه فوضعه على فخذ رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرفع أبو أُسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبى فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر ، وهذا الحمل أحسن من التغليط والله أعلم ، وقد حكى ابن إسحاق فقال : حدثنى بعض آل أبى بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : مافقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه ، قال : وحدثنى يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الإسـراء .
(٢) الآية : ١ من سورة الإسراء .

قال ابن إسحاق : فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت فى ذلك (**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**)[١] وكما قال إبراهيم عليه السلام : (**يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك**)[٢] وفى الحديث : « **تنام عيناى وقلبى يقظان** » .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان ، قد جاءه وعاين فيه ماعاين من أمر الله تعالى على أى حالة كان نائماً أو يقظانا كل ذلك حق وصدق .

قلت : وقد توقف ابن إسحاق فى ذلك وجوّز كلا من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذى لايشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظان لامحالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضى الله عنها أن جسده ﷺ ما فُقِد ، وإنما كان الإسراء بروحه أن يكون مناما كما فهمه ابن إسحاق ، بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقة ، وهو يقظان لا نائم ، وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السمٰوات وعاين ماعاين حقيقة ، ويقظة لا مناما ، لعل هذا مراد عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك ، لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم .

تنبيـــه : ونحن لاننكر وقوع منام قبل الإسراء ، طِبْقَ ماوقع بعد ذلك ، فإنه ﷺ كان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك فى حديث بدء الوحى أنه رأى مثل ماوقع له يقظة مناما ، قبله ، ليكون ذلك من باب الإرهاص والتوطئة والتثبت والإيناس والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء فى أن الإسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة أو كلٌّ فى ليلة على حدة ؟ فمنهم من يزعم أن الإسراء فى اليقظة ، والمعراج فى المنام ، وقد حكى المهلب بن أبى صفرة فى شرحه البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الإسراء مرتين ، مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظة ، وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى الفقيه ، قال السهيلى : وهذا القول يجمع الأحاديث ، فإن فى حديث شريك عن أنس « وذلـك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه » وقال فى آخره : « ثم استيقظت فإذا أنا فى الحجر » وهذا منام ، ودل غيره على اليقظة ، ومنهم من يدعى تعدد الإسراء فى اليقظة أيضاً حتى قال بعضهم : إنها أربع إسراءات ، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة ، وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، رحمه الله ،

---

(١) الآية : ٦٠ من سورة الإسراء .

(٢) الآية : ١٠٢ من سورة الصافات .

أن يوفق بين اختلاف ماوقع في روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث إسراءات ، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضاً لحديث حذيفة ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

فنقول : إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث فى ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ، ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصياً فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى : (**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا**)[1] وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر فى ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحصر العقلى والوقوع كذلك فى الخارج إلا بدليل والله أعلم ، والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخارى رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبى طالب فوافق ابن إسحاق فى ذكره المعراج فى أواخر الأمر ، وخالفه فى ذكره بعد موت أبى طالب ، وابن إسحاق أخر ذكر موت أبى طالب على الإسراء ، فالله أعلم أى ذلك كان .

والمقصود أن البخارى فرق بين الإسراء وبين المعراج فبوّب لكل منهما باباً على حدة فقال : باب حديث الإسراء وقول الله سبحانه وتعالى : (**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا**) حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبتنى قريش كنت فى الحجر فجلّى الله لى بيت المقدس فطفقت أحدثهم عن آياته وأنا أنظر إليه » ، وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه .

ثم قال البخارى باب حديث المعراج : حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبى ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ، قال : « بينما أنا فى الحطيم ـ وربما قال فى الحجر ـ مضطجعاً إذ أتانى آت » فقال : وسمعته يقول : « فشق ما بين هذه إلى هذه » فقلت للجارود وهو إلى جنبى مايعنى به ؟ قال : من نقرة نحره إلى شعرته ، وسمعته يقول : من قصه إلى شعرته ، « فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون

---

(١) الآية : ١ من سورة الإسراء .

البغل وفوق الحمار أبيض » فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : أنس ، نعم ! « يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه فانطلق بى جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، وقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ! قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى إلى السماء الثانية فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه قال : نعم ! قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا خالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت عليهما فَرَدَّا ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل : قال : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ! قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قال : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ! قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء ، فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ! قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء ، فلما خلصت إذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ! قيل : مرحباً ، فنعم المجىء جاء ، فلما خلصت إذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى ، ثم صعد بى إلى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ! قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء ، فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم

عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت : ماهـذا ياجبرائيل ؟ قال : أمـا البـاطنان : فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران : فالنيل والفرات ، ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، قال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتـك ، ثم فرض علىّ الصلوات خمسـون صلاة كل يوم ، فرجعت فمـررت على موسى ، فقـال بم أُمِرْتَ ؟ قال : أمـرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتـك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى ، والله ، قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقـال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتـك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشـد المعـالجـة فارجـع إلى ربـك فسله التخفيف لأمتـك ، قال : سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم . قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى » .

وهكـذا روى البخارى هذا الحديث هُهنا وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة . ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبى بن كعب . ومن حديث أنس عن أبى ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبى ﷺ . وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه فى التفسير ، ولم يقع فى هذا السياق ذكر بيت المقدس ، وكأن بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ماهو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده .

ومن جعل كل رواية إسراء على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعد جدا . وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفى كل منها يعرّفه بهم ، وفى كلها يفرض عليه الصلوات فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك ؟ هذا فى غاية البعد والاستحالة والله أعلم .
ثم قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فى

قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) [١] . قال : هى رؤيا عين أُرِيَها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس ، والشجرة الملعونة فى القرآن قال : هى شجرة الزقوم .

فصـــــــل

ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها ، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل فى ذلك اليوم إلى الغد ، والمسلمون يأتمون بالنبى ﷺ وهو يقتدى بجبرائيل كما جاء فى الحديث عن ابن عباس وجابر : « أمَّنى جبرائيل عند البيت مرتين » . فبين له الوقتين الأول والآخر ، فهما وما بينهما الوقت الموسع ، ولم يذكر توسعة فى وقت المغرب . وقد ثبت ذلك فى حديث أبى موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو وكلها فى صحيح مسلم . وموضع بسط ذلك فى كتابنا الأحكام ولله الحمد .

فأما ماثبت فى صحيح البخارى عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول مافرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر . وكذا رواه الأوزاعى عن الزهرى ، ورواه الشعبى عن مسروق عنها ، وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة فى السفر ، وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) [٢] . قال البيهقى : وقد ذهب الحسن البصرى إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً ، كما ذكره مرسلا من صلاته ﷺ صبيحة الإسراء الظهر أربعاً ، والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً يجهر فى الأوليين ، والعشاء أربعاً يجهر فى الأولين . والصبح ركعتين يجهر فيهما .

قلت : فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ماهى عليه ، ورخص فى السفر أن يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديما وعلى هذا لايبقى إشكال بالكلية والله أعلم .

---

(١) الآية : ٦٠ من سورة الإسراء .

(٢) الآية : ١٠١ من سورة النساء .

فصـــــل

انشـــقاق القمر فى زمان النبى ﷺ

وجعل الله له آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة ، قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز : (**اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر**)[(١)] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك فى زمنه عليه الصلاة والسلام ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها . ونحن نذكر من ذلك ماتيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان . وقد تقصينا ذلك فى كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة ، ونحن نشير هٰهنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته . وذلك مروى عن أنس ابن مالك ، وجبير بن مطعم ، وحذيفة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

أما أنس ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبى ﷺ آية ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال (**اقتربت الساعة وانشق القمر**)[(٢)]. ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وهذا من مرسلات الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن الجم الغفير من الصحابة ، أو عن النبى ﷺ ، أو عن الجميع وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان . زاد البخارى وسعيد بن أبى عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثتهم عن قتادة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما ، لفظ البخارى .

وأما جبير بن مطعم ، فقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا سحرنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرنا فإنه لايستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به أحمد . وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن

---

(١) الآيات : ١ ـ ٣ من سورة القمر .

(٢) الآية : ١ من سورة القمر .

حصين به . وقد رواه البيهقى من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين ابن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا فى الإسناد .

وأما حذيفة بن اليمان ، فروى أبو نعيم فى الدلائل من طريق عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (**اقتربت الساعة وانشق القمر**) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق . فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبى إلى الجمعة فحمد الله وقال مثله ، وزاد : ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة ، فلما كنا فى الطريق قلت لأبى : مايعنى بقوله :ـ غداً السباق ؟ قال : من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس ، فقال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك ابن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس . قال : إن القمر انشق فى زمان النبى ﷺ . ورواه البخارى أيضاً ومسلم من حديث بكر ـ وهو ابن نصر ـ عن جعفر قوله : (**اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**) . قال : قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه . وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه وهو من مرسلاته . وقال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان ابن أحمد حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغنى بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله : (**اقتربت الساعة وانشق القمر**) . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم ، فقالوا للنبى ﷺ : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين : نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان ، فقال لهم النبى ﷺ : « **إن فعلت تؤمنوا ؟** » قالوا : نعم ! وكانت ليلة بدر ـ فسأل الله عز وجل أن يعطيه ماسألوا ، فأمسى القمر قد سلب نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان ، ورسول الله ﷺ ينادى : ياأبا سلمة ابن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا ، ثم قال أبو نعيم : وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسن بن العباس الرازى عن الهيثم بن العمان حدثنا إسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، قال : انتهى أهل مكة إلى رسول الله ﷺ فقالوا : هل

من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال : يا محمد ، قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فَسَيَرَوْا آية إن انتفعوا بها ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبرائيل ، فخرجوا ليلة الشق ، ليلة أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين : نصفا على الصفا ونصفا على المروة ، فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ، ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا ، فقالوا : يامحمد ما هذا إلا سحر واهب ، فأنزل الله : (**اقتربت الساعة وانشق القمر**) .

ثم روى الضحاك عن ابن عباس ، قال : جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن بها ، فسأل ربه فأراهم القمر قد انشق بجزئين ؛ أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر مابين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب ، فقالوا : هذا سحر مفترى ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو الرزاز حدثنا محمد بن يحيى القطعى حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : سحر القمر ، فنزلت : (**اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**) . وهذا إسناد جيد ، وفيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق فى ليلة كسوفه ولهذا خفى أمره على كثير من أهل الأرض ، ومع هذا فقد شوهد ذلك فى كثير من بقاع الأرض ، ويقال : إنه أرخ ذلك فى بعض بلاد الهند ، وبنى بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر .

وأما ابن عمر ، فقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى قالا : حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدورى حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد به ، قال مسلم : كرواية مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود ، فقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا ، وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ـ وهو ابن عيينة ـ به ، ومن حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبى معمر عن عبد الله بن سمرة عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى ، فقال النبى ﷺ : « اشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل ، لفظ البخارى ، ثم قال البخارى وقال أبو الضحاك

عن مسروق عن عبد الله : بمكة ، وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله رضى الله عنه .

وقد أسند أبو داود الطيالسى حديث أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فقالت قريش : هذا سحر ابن أبى كبشة ، فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفّار ؟ فإن محمداً لايستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال : فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا العباس بن محمد الدورى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين ، فقال كفار قريش لأهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبى كبشة ، انظروا السفار ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به ، قال : فسئل السفار ، قال ـ وقدموا من كل وجهة ـ فقالوا : رأينا ، وهكذا رواه أبو نعيم من حديث جابر عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل حدثنا إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين فرجتى القمر ، وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سماك به ، وقال الحافظ أبو نعيم : حدثنا أبو بكر الطلحى حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعى حدثنا يحيى الحمانى حدثنا يزيد عن عطاء عن سماك عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ، قال : كنا مع النبى ﷺ بمنى وانشق القمر حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل ، فقال النبى ﷺ : « اشهدوا ، اشهدوا » ، وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسى حدثنا آدم بن أبى إياس حدثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعد عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود ، قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذى بمنى ونحن بمكة .

وحدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين ، ثم روى من حديث على بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن عمير عن منصور ابن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود ، قال : رأيت القمر ، واللهِ ، منشقا باثنتين بينهما حراء ، وروى أبو نعيم من طريق السدى الصغير عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : انشق القمر فلقتين ، فلقة ذهبت ، وفلقة بقيت ، قال ابن

مسعود : لقد رأيت جبل حراء بين فلقتى القمر ، فذهب فلقة ، فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا : هذا سحر مصنوع سيذهب ، وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين ، فقال النبى ﷺ لأبى بكر : « فاشهد يا أبا بكر » وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق .

فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها ، وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل فى كم النبى ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفترى ليس بصحيح ، والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبى ﷺ انشق عن إشارته فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه ، كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك ، وما وقع فى رواية أنس فى مسند أحمد : فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين ، والله أعلم .

فصـــــــل

فى وفـــاة أبى طالب عم رسول الله ﷺ

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ ورضى الله عنها ، وقيل بل هى توفيت قبله والمشهور الأول ، وهذان المشفقان ؛ هذا فى الظاهر وهذه فى الباطن ، هذا كافر ، وهذه مؤمنة صديقة رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء [1] يسكن إليها ، وبهلك عمه أبى طالب وكان له عضداً وحرزاً فى أمره ، ومنعة وناصراً على قومه ، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين ، فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا ، فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكى ، ورسول الله ﷺ يقول : « لاتبكى يا بنية فإن الله مانعٌ أباك » ويقول بين ذلك : « ما نالت منى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الأذى فى برمته ﷺ إذا نصبت له ،

---

(١) فى ابن هشام : على الإسلام يشكو إليها راجع له السيرة النبوية .

قال : فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثنى عمربن عبد الله عن عروة يخرج بذلك الشىء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : يابنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه فى الطريق .

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبوطالب وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد فى القبائل كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا ، قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبى طالب وكلموه ـ وهم أشراف قومه : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من أشرافهم ـ فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ماترى ، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه فخذ لنا منه وخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه ، فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ياعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » ، فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ، قال : « تقولون : لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه » ، فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا : يامحمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟! إن أمرك لعجب ، قال : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا ، قال : فقال أبو طالب : والله يابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا ، قال : فطمع رسول الله ﷺ فيه فجعل يقول له : « أى عم فأنت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » فلما رأى حرص رسول الله ﷺ ، قال : يابن أخى والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لاأقولها إلا لأسرك بها ، قال : فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال : يابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها ، قال فقال رسول الله ﷺ : « لم أسمع » قال : وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط : (صٓ والقرآن ذى الذكر . بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) [1] الآيات . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

---

(١) آيتا : ١ ـ ٢ من سورة صٓ .

وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العباس هذا الحديث ، يابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ـ يعني لا إله إلا الله ـ والجواب عن هذا من وجوه ، أحدها أن في السند مبهما لايعرف حاله ، وهو قوله عن بعض أهله ، وهذا إبهام في الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد ، وقد روى الإمام أحمد والنسائي وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة عن الأعمش ، حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس ، ورواه الثوري أيضاً عن الأعمش عن يحيى بن عمارة الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس ، ورواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير أيضاً ، ولفظ الحديث من سياق البيهقي فيما رواه من طريق الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ وعند رأس أبي طالب ، مجلس رجل ، فقام أبو جهل يمنعه ذاك ، وشكوه إلى أبي طالب ، فقال : يابن أخي ما تريد من قومك ؟ فقال : « ياعم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها الجزية العجم ، كلمة واحدة » ، قال : ماهي ؟ قال : « لا إله إلا الله » قال : فقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، إن هذا لشيء عجاب ! قال : ونزل فيهم (صٓ والقرآن ذي الذكر) الآيات إلى قوله : (إلا اختلاق) [1] ثم قد عارضه ـ أعني سياق ابن إسحاق ـ ماهو أصح منه ، وهو ما رواه البخاري قائلا : حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه رضي الله عنه ، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل ، فقال : « أي عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاجّ لك بها عند الله » ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب ، فقال النبي ﷺ « لأستغفر لك ما لم أُنْهَ عنك » فنزلت (**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**) [2] ونزلت (**إنك لاتهدي من أحببت**) [3] .

ورواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق ، وأخرجاه أيضاً من

---

(١) الآيات : ١ ـ ٧ من سورة صٓ .

(٢) الآية : ١١٣ من سورة التوبة .

(٣) الآية : ٥٦ من سورة القصص .

حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه وقال فيه : فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال : على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال النبى ﷺ : « أما لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك » فأنزل الله - يعنى بعد ذلك - (ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) ونزل فى أبى طالب (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى من حديث يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة ، قال : لما حضرت وفاة أبى طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال : « يا عمّاه قل : لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن تعيرنى قريش يقولون : ماحمله عليه إلا فزع الموت لأقررت بها عينك ، ولا أقولها إلا لأقر بها عينك ، فأنزل الله عز وجل (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبى وقتادة : إنها نزلت فى أبى طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول : لا إله إلا الله ، فأبى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الأشياخ ، وكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب ، ويؤكد هذا كله ما قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثنى عبد الله بن الحارث قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبى ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « هو فى ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل » ورواه مسلم فى صحيحه من طرق عن عبد الملك بن عمير به ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث ، حدثنى ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد أنه سمع النبى ﷺ ذكر عنده عمه فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه » لفظ البخارى . وفى رواية « تغلى منه أم دماغه » .

وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى عثمان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه » وفى مغازى يونس بن بكير « يغلى منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلى ، وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا عمرو - هو ابن إسماعيل بن مجالد - حدثنا أبى عن مجالد عن الشعبى عن جابر . قال : سئل رسول الله ﷺ - أو قيل له - هل نفعتَ أبا طالب ؟ قال : « أخرجته من النار إلى

ضحضاح منها » تفرد به البزار . قال السهيلى : وإنما لم يقبل النبى ﷺ شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان إذ ذاك كافرا غير مقبول الشهادة .

قلت : وعندى أن الخبر بذلك ماصح لضعف سنده ، كما تقدم ، ومما يدل على ذلك أنه سأل النبى ﷺ بعد ذلك عن أبى طالب فذكر له ما تقدم ، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لاينفع نفساً إيمانها ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت علياً يقول : لما توفى أبى أتيت رسول الله ﷺ فقلت : إن عمك قد توفى . فقال : « اذهب فَوَارِه » فقلت : إنه مات مشركا ، فقال : « اذهب فواره ولا تحدثن شيئاً حتى تأتى » ففعلت فأتيته ، فأمرنى أن أغتسل ، ورواه النسائى عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة . ورواه أبو داود والنسائى من حديث سفيان عن أبى إسحاق عن ناجية عن على : لما مات أبو طالب قلت : يارسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه ؟ قال : « اذهب فوارِ أباك ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينى » فأتيته فأمرنى فاغتسلت ، ثم دعا لى بدعوات مايسرنى أن لى بهن ما على الأرض من شىء ، وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالينى ، حدثنا أبو أحمد بن عدى حدثنا محمد بن هارون ابن حميد حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة حدثنا الفضل عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس : أن النبى ﷺ عاد من جنازة أبى طالب فقال : « وصلتك رحم ، وجزيت خيراً ياعم » ، قال : وروى عن أبى اليمان الهوزنى عن النبى ﷺ مرسلا وزاد : ولم يقم على قبره . قال : وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمى تكلموا فيه .

قلت : وقد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السينانى ومحمد بن سلام البيكندى ، ومع هذا قال ابن عدى : ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة ، وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء ، وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة فى أشعاره التى أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطّلبية التى لاتدانى ولا تسامى ، ولا يمكّن عربياً مقاربتها ولا معارضتها ، وهو فى ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه .

وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك فى شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى ، وشاهد ذلك قوله تعالى : (**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**) [١] وقال تعالى فى قوم فرعون : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم**) [٢] وقال موسى لفرعون : (**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يافرعون مثبوراً**) [٣] وقول بعض السلف فى قوله تعالى : (**وهم ينهون عنه وينأون عنه**) [٤] أنها نزلت فى أبى طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله ﷺ وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى والدين الحق ، فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب بن أبى ثابت ، وعطاء ابن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر والله أعلم .

والأظهر ، والله أعلم ، الرواية الأخرى عن ابن عباس ، وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به ، وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد ـ وهو اختيار ابن جرير ـ وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به ، ولهذا قال : (**ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين . وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون**) [٥] وهذا اللفظ وهو قوله : (هم) يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون فى سياق الكلام ، وقوله : (**وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون**) يدل على تمام الذم ، وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة ، بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال ، ولكن مع هذا لم يقدّر الله له الإيمان لما له تعالى فى ذلك من الحكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الإيمان بها والتسلم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبى طالب وترحمنا عليه .

---

(١) الآية : ٢٠ من سورة الأنعام .

(٢) الآية : ١٤ من سورة النمل .

(٣) الآية : ١٠٢ من سورة الإسراء .

(٤) الآية : ٢٦ من سورة الأنعام .

(٥) آيتا : ٢٥ ـ ٢٦ من سورة الأنعام .

فصــــــل

فى موت خديجــة بنت خويلــــد

وذكـر شيء من فضائلها ومناقبها رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها ، وقد فُعِل ذلك لامحالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب .

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب ، قال : قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة ، ثم روى من وجه آخر عن الزهرى أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقبل أن تفرض الصلاة ، وقال محمد بن إسحاق : ماتت خديجة وأبو طالب فى عام واحد ، وقال البيهقى : بلغنى أن خديجة توفيت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام ، ذكره عبد الله بن منده فى كتاب المعرفة ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ ، قال البيهقى : وزعم الواقدى أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، وكان الأنسب بنا أن نذكر وفاة أبى طالب وخديجة قبل الإسراء كما ذكره البيهقى وغير واحد ، ولكن أخرنا ذلك عن الإسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك ، فإن الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة ، قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ـ أو طعام أو شراب ـ فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به ، وقال البخارى : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن إسماعيل ، قال : قلت لعبد الله بن أبى أوفى : بشر النبى ﷺ خديجة ؟ قال : نعم ! ببيت من قصب لاصخب فيه ولا نصب ، ورواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به .

قال السهيلى : وإنما بشرها ببيت فى الجنة من قصب ـ يعنى قصب اللؤلؤ ـ لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان ، لاصخب فيه ولا نصب لأنها لم ترفع صوتها على النبى ﷺ ولم تتعبه يوما من الدهر فلم تصخب عليه يوما ولا آذته أبداً ، وأخرجاه فى

الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ماغرت على امرأة للنبى ﷺ ماغرت على خديجة ، وهلكت قبل أن يتزوجنى ، لما كانت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن ، لفظ البخارى ، وفى لفظ عن عائشة ماغرت على امـرأة ماغرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها ، وتزوجنى بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه ـ أو جبرائيل ـ أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، وفى لفظ له قالت : ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ماغرت على خديجة ـ وما رأيتها ـ ولكن كان يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد » ثم قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن خليل أخبرنا على بن مسهر عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد ، أخت خديجة ، على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال : « اللهم هالة » ، فغرت ، فقلت : ماتذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين ، هلكت فى الدهر ، أبدلك الله خيراً منها ، وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن على بن مسهر به .

وهذا ظاهر فى التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلا وإما عشرة ، إذ لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخارى رحمه الله ، ولكن قال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الملك ـ هو ابن عمير ـ عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذكر رسول الله ﷺ يوما خديجة فأطنب فى الثناء عليها ، فأدركنى مايدرك النساء من الغيرة ، فقلت : لقد أعقبك يارسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين ، قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغير عند شىء قط إلا عند نزول الوحى أو عند المخيلة حتى يعلم رحمة أو عذاباً ، وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك ابن عمير به ، وزاد بعد قوله حمراء الشدقين : هلكت فى الدهر الأول ، قال : قالت : فتمعر وجهه تمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحى أو عند المخيلة حتى ينظر الله رحمة أو عذاباً ، تفرد به أحمد ، وهذا إسناد جيدا .

وقال الإمام أحمد : أيضا ، عن ابن إسحاق أخبرنا مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة ، قالت : كان النبى ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء ، قالت : فغرت يوماً فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها ، قال : « ما أبدلنى الله خيراً منها ، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وصدقتنى إذ كذبننى ،

وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء » تفرد به أحمد أيضاً ، وإسناده لابأس به ، ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم ، ولعل هذا أعنى قوله : ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء ، كان قبل أن يولد إبراهيم ابن النبى ﷺ من مارية ، وقبل مقدمها بالكلية وهذا متعين ، فإن جميع أولاد النبى ﷺ ، كما تقدم وكما سيأتى ، من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية المصرية رضى الله عنها ، وقد استدل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها ، وتكلم آخرون فى إسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عِشْرَة ، وهو محتمل أو ظاهر ، وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها : قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكى نفسها وتفضلها على خديجة ، فإن هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال : (**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**) [١] وقال تعالى : (**ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء**) [٢] الآية ، وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديما وحديثا ، وبجانبها طرق يقتصر عليها أهل التشيع وغيرهم ، لايعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها ، وكون ولد النبى ﷺ جميعهم - إلا إبراهيم - منها ، وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراما لها ، وتقدير إسلامها ، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق فى أول البعثة ، وبذلت نفسها ومالها لرسول الله ﷺ .

وأما أهل السنة فمنهم من يغلو ، أيضاً ، ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ماهو معروف ، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة ، فإنه لم يكن فى الأمم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول ﷺ يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ، ونزلت براءتها من فوقع سبع سموات ، وروت بعده عنه ﷺ علما جما كثيراً طيبا مباركا فيه ، حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » ، والحق أن كلا منهما لها من الفضائل مالو نظر الناظر فيه لبهره وحيره ، والأحسن التوقف فى ذلك إلى الله عز وجل ، ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه فى هذا الباب فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ، ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول الله أعلم .

---

(١) الآية : ٣٢ من سورة النجم .

(٢) الآية : ٤٩ من سورة النساء .

وقد روى الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن حعفر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » أى خير زمانهما ، وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن إياس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواه ابن مردويه فى تفسيره ، وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده ، قالوا : والقدر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة ، أن كلا منهن كفلت نبيا مرسلا وأحسنت الصحبة فى كفالتها وصدقته ، فآسية ربت موسى وأحسنت إليه وصدقته حين بعث ، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل ، وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله ﷺ بها وبذلت فى ذلك أموالها ، كما تقدم ، وصدقته حين نزل عليه الوحى من الله عز وجل وقوله ﷺ « وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت فى الصحيحين من طريق شعبة أيضاً عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمدانى عن أبى موسى الأشعرى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعا وهو أفخر طعام العرب ، كما قال بعض الشعراء :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

ويحمل قوله « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظا فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ، ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل التسوية بينهن ، فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج ، والله أعلم .

فصل

فى تزويجه ﷺ بعد خديجة رضى الله عنها بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زمعة رضى الله عنهما

والصحيح أن عائشة تزوجها أولا ، كما سيأتى ، قال البخارى فى باب تزويج عائشة حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبى ﷺ

قال لها : « أريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سرقة من حرير ، ويقول : هذه امرأتك ، فأكشف عنها فإذا هى أنت ، فأقول : إن كان هذا من عند الله يمضه » قال البخارى باب نكاح الأبكار : وقال ابن أبى مليكة قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبى ﷺ بكراً غيرك ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنى أخى عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، قالت : قلت يارسول الله . أرأيت لو نزلت ، واديا وفيه شجرة قد أُكِل منها ، ووجدتَ شجرة لم يؤكل منها ، فى أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال : « فى التى لم يرتع منها » تعنى أن النبى ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها ، انفرد به البخارى، ثم قال: حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « أُريتُكِ فى المنام فيجيىء بك الملك فى سرقة من حرير فقال لى : هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هى ، فقلت : إن يكن هذا من عند الله يمضه »[1] وفى رواية « أريتك فى المنام ثلاث ليال » وعند الترمذى أن جبريل جاءه بصورتها فى خرقة من حرير خضراء فقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة .

وقال البخارى تزويج الصغار من الكبار ، حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن يزيد عن عراك عن عروة أن رسول الله ﷺ خطب عائشة إلى أبى بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك ، فقال : « أنت أخى فى دين الله وكتابه ، وهى لى حلال » هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل ، وهو عند البخارى والمحققين متصل لأنه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها ، وهذا من أفراد البخارى رحمه الله ، وقال يونس بن بكير عن هشام ابن عروة عن أبيه ، قال : تزويج رسول الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبنى بها وهى ابنة تسع ، ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانى عشرة سنة ، وهذا غريب ، وقد روى البخارى عن عبيد بن إسماعيل عن أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبى ﷺ بثلاث سنين ، فلبث سنتين ـ أوقريبا من ذلك ـ ونكح عائشة وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين ، وهذا الذى قاله عروة مرسل فى ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه فى حكم المتصل فى نفس الأمر ، وقوله : تزوجها وهى ابنة ست سنين وبنى بها وهى ابنة تسع مالا خلاف فيه بين الناس ـ وقد ثبت فى الصحاح وغيرها .

---

(١) كذا فى الأصول . ونص البخارى يخالف هذه الرواية .

وكان بناؤه بها ﷺ فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر ، فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال : حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجنى رسول الله متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع ـ أو ست ـ سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءنى نسوة وأنا ألعب فى أرجوحة وأنا مجممة ، فهيأننى وصنعننى ثم أتين بى إلى رسول الله ﷺ ، وأنا ابنة تسع سنين ، فقوله فى هذا الحديث متوفى خديجة يقتضى أنه على أثر ذلك قريبا ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفى ماذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم .

وقال البخارى حدثنا فروة بن أبى المغراء حدثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، قالت : تزوجنى النبى ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعرى وقد وفت لى جميمة فأتتنى أمى أم رومان ، وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحب لى فصرخت بى ، فأتيتها ، ما أدرى ما تريد منى ، فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار وإنى لأنهج حتى سكن بعض نفسى ثم أخذت شيئاً من ماء فمست به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى الدار ، قالت : فإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتنى إليهن فأصلحن من شأنى ، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ ضحى ، فأسلمننى إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين ، وقال الإمام أحمد فى مسند عائشة أم المؤمنين : حدثنا محمد ابن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة ويحيى ، قالا : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم ، امرأة عثمان بن مظعون ، فقالت : يارسول الله ألا تزوج ؟ قال : من ؟ قالت : إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيبا ، قال : فمن البكر ؟ قالت : بنت أحب خلق الله إليك، عائشة ابنة أبى بكر ، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك ، قال فاذهبى فاذكريهما علىّ ، فدخلت بيت أبى بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت: وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قالت : انظرى أبا بكر حتى يأتى ، فجاء أبو بكر فقلت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قال : وماذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قال : وهل تصلح له ؟ إنما هى ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، قال : « ارجعى إليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام ، وابنتك تصلح لى » فرجعت فذكرت ذلك له ، قال : انتظرى ، وخرج ، قالت أم رومان إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، ووالله ماوعد

أبو بكر وعدا قط فأخلفه ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبى ، فقالت : يابن أبى قحافة لعلك مصبىء صاحبنا ، تدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك ؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدى : أقول هذه تقول ؟ قال : إنها تقول ذلك ، فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان فى نفسه من عدته التى وعده ، فرجع فقال لخولة : ادعى لى رسول الله ﷺ ، فدعته فزوجها إياه ، وعائشة يومئذ بنت ست سنين .

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت : ما أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطبك إليه ، قالت : وددت ، ادخلى إلى أبى فاذكرى ذلك له ـ وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج ـ فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ قالت : خولة بنت حكيم ، قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة ، فقال : كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبتك ؟ قالت : تحب ذلك ، قال : ادعيها إلىّ ، فدعتها ، قال : أى بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم ، أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت : نعم ، قال : ادعيه لى ، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه ، فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجاء يحثى على رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : لعمرك إنى لسفيه يوم أحثى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة .

قالت عائشة : فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السنح ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من من الأنصار ونساء ، فجاءتنى أمى وأنا لفى أرجوحة بين عذقين يرجح بى ، فأنزلتنى من الأرجوحة ولى جميمة ففرقتها ومسحت وجهى بشىء من ماء ، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب وإنى لأنهج حتى سكن من نفسى ، ثم دخلت بى فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستنى فى حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك ، فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بى رسول الله ﷺ فى بيتنا ما نحرتْ علىّ جزور ، ولا ذبحت على شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقى من طريق أحمد بن عبد الجبار حدثنا عبد الله بن إدريس الأزدى عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن

حاطب ، قال : قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يارسول الله ألا تزوج ؟ قال : ومن ؟ قالت : إن شئت بكراً وإن شت ثيباً ، قال : من البكر ومن الثيب ؟ قالت : أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك ، قال : فاذكريهما عليّ وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم ، وهذا يقتضى أن عقده على عائشة كان متقدما على تزويجه بسودة بنت زمعة ،ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة فى السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما كبرت سودة وَهَبَتْ يومَها لى ، فكان رسول الله ﷺ يقسم لى بيومها مع نسائه ، قالت : وكانت أول امرأة تزوجها بعدى ، وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنى شهر حدثنى عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها: سودة، وكانت مصبية كان لها خمس صبية ـ أو ست ـ من بعلها الذى مات فقال رسول الله ﷺ : « ما يمنعك منى ؟ » قالت : والله يانبى الله ما يمنعنى منك أن لاتكون أحب البرية إلىّ ، ولكنى أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية ، قال : فهل منعك منى غير ذلك ؟ قالت : لا والله ، قال لها رسول الله ﷺ : يرحمك الله ، إن خير نساء ركبن أعجاز الإبل ، صالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده .

قلت : وكان زوجها قبله ﷺ السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة ، كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه ، هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل ، ورواه يونس عن الزهرى ، واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة وحكاه عن قتادة وأبى عبيد ، قال : ورواه عقيل عن الزهرى .

فصــــل

قد تقدم ذكر موت أبى طالب ، عم رسول الله ﷺ ، وأنه كان ناصراً له وقائما فى صفه ومدافعاً عنه بكل مايقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال ، فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه ، كما قد رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم حدثنا محمد بن إسحاق الصنعانى حدثنا يوسف بن

بهلول حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن إسحاق عمن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر ، قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه ترابا ، فرجع إلى بيته ، فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكى ، فجعل يقول : « أى بنية لاتبكى فإن الله مانعُ أباك » ويقول ما بين ذلك : « ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ، ثم شرعوا » ، قد رواه زياد البكائى عن محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلا ، والله أعلم .

وروى البيهقى أيضاً عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « مازالت قريش كاعين [1] حتى مات أبو طالب » ثم رواه عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدورى عن يحيى بن معين ، حدثنا عقبة المجدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « مازالت قريش كاعّـة حتى توفى أبو طالب » وقد روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزى بسنده عن ثعلبة بن صقير وحكيم بن حزام ، أنهما قالا : لما توفى أبو طالب وخديجة ـ وكان بينهما خمسة أيام ـ اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان ولزم بيته وأقلَّ الخروج ، ونالت منه قريش مالم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يامحمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيا فاصنعه ، لا واللات لايوصل إليك حتى أموت ، وسب ابن الغيطلة رسول الله ﷺ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فولى يصيح يامعشر قريش صبأ أبو عتبة ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب فقال : مافارقت دين عبد المطلب ، ولكنى أمنع ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريد ، فقالوا : لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم ، فمكث رسول الله ﷺ كذلك أياما يأتى ويذهب لايعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب ، إذ جاء عقبة بن أبى معيط وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له : أأخبرك ابن أخيك أين مدْخَلُ أبيك ؟ فقال له أبو لهب : يامحمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه ، فخرج إليهما ، فقال : قد سألته فقال : مع قومه ، فقالا : يزعم أنه فى النار ، فقال : يامحمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : ومن مات على مامات عليه عبد المطلب دخل النار ، فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ والله لابرحت لك إلا عدوا أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار ، واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

---

(١) الكاعة : جمع كاع وهو الجبان ، كع الرجل يكع كما جبن عنه .

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ فى بيته أبو لهب ، والحكم ابن أبى العاص بن أمية ، وعقبة بن أبى معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الهذلى وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص ، وكان أحدهم ـ فيما ذكر لى ـ يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول : يابنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه فى الطريق .

قلت : وعندى أن غالب ماروى مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلى كما رواه ابن مسعود ، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول الله ﷺ دعا على سبعة منهم كما تقدم ، وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له ﷺ خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلا : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ وكذلك عزم أبى جهل ـ لعنه الله ـ على أن يطأ على عنقه وهو يصلى فحيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبى طالب ، والله أعلم ، فذكرها ههنا أنسب وأشبه .

فصل
فى ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى وإلى نصرة دينه فردوا عليه ذلك ولم يقبلوا فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن نالته منه فى حياة عمه أبى طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله تعالى ، فخرج إليهم وحده ، فحدثنى يزيد بن أبى زياد عن محمد بن كعب القرظى ، قال : انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح فيما ذكر لى ـ فجلس إليهم فدعاهم

إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك ، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم ـ إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا علىّ ، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم [١] ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلة [٢] من عنب فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان مايلقى من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول الله ﷺ ـ فيما ذكر لى ـ المرأة التى من بنى جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك ؟ فلما اطمأن قال ـ فيما ذكر .

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وهوانى على الناس ، ياأرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل علىّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له : عدّاس [وقالا له] : خذ قطفاً من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ، ففعل عداس ، ثم ذهب حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ ثم قال له : كُلْ ، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال : « باسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عداس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله ﷺ : ومن أهل أى بلاد أنت ياعداس وما دينك ؟ قال : نصرانى ، وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس ابن متى فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ : ذلك أخى ، كان نبياً وأنا نبى ، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه ،

---

(١) قال ابن هشام : فيذئرهم يعنى يحرش بينهم .

(٢) فى النهاية : الحبلة : الأصل أو القضيب من شجر الأعناب .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه . أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاء عداس قالا له : ويلك ياعداس ، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى : ماف الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبىّ ، قالا له : ويحك ياعداس ، لايصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق إلا أنه لم يذكر الدعاء وزاد : وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه ، فلما مر جعلوا لايرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموه ، فخلص منهم وهما يسيلان الدماء ، فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب ، وفى ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله ، ثم ذكر قصة عداس النصرانى كنحو ما تقدم ، وقد روى الإمام أحمد عن أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى جبل العدوانى عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ فى مشرق ثقيف وهو قائم على قوس ـ أو عصى ـ حين أتاهم يبتغى عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿ والسماء والطارق ﴾ حتى ختمها ، قال فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها فى الإسلام ، قال : فدعتنى ثقيف فقالوا : ما سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه .

وثبت فى الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب (٢) أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أُحد ؟ قال : « ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، ثم نادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال : يامحمد قد بعثنى الله ، إن الله قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى ماشئت ، إن شئت تطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله ﷺ : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً » .

---

(١) الآية : ١ من سورة الطارق .

(٢) وفى السهيلى : عبد الله بن يوسف وهو خطأ ، راجع الروض .

فصــــــــل

وقد ذكر محمد بن إسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله ﷺ وذلك مرجعه من الطائف ، حين بات بنخلة وصلى بأصحابه الصبح ، فاستمع الجن الذين صرفوا إليه قراءته هنالك ، قال ابن إسحاق وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ﴾ [١] .

قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصى فى التفسير ، وتقدم قطعة من ذلك ، والله أعلم ، ثم دخل رسول الله ﷺ مكة مرجعه من الطائف فى جوار المطعم بن عدى وازداد قومه عليه حنقاً وغيظاً وجرأة وتكذيباً وعناداً ، والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الأموى فى مغازيه أن رسول الله ﷺ بعث أريقط إلى الأخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة ، فقال : إن حليف قريش لايجير على صميمها ، ثم بعثه إلى سهيل ابن عمرو ليجيره فقال : إن بنى عامر بن لؤى لاتجير على بنى كعب بن لؤى فبعثه إلى المطعم بن عدى ليجيره فقال : نعم ! قل له فليأت ، فذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلدى السيوف ، جميعاً ، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله ﷺ : طف ، واحتبوا بحمائل سيوفهم فى المطاف ، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم ، فقال : أمجير أو تابع ؟ قال : لا ، بل مجير ، قال : إذاً لاتخفر ، فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه ، وذهب أبو سفيان إلى مجلسه ، قال : فمكث أياما ثم أذن له فى الهجرة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة توفى مطعم بن عدى بعده بيسير ، فقال حسان بن ثابت : والله لأرثينه فقال فيما قال [٢] :

فلو كان مجدٌ مخلدَ اليوم واحدا * من الناس نحى مجده اليوم مطعما
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا * عبادك ما لبى مُحِلّ وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقى بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره * وذمته يوما إذا ما تجشما
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم * على مثله فيهم أعز وأكرما
إباءً إذا يأبى وألين شيمةً * وأنوم عن جار إذا الليل أظلما

---

(١) الآية : ٢٩ من سورة الأحقاف .
(٢) لم نجد هذه الأبيات فى السيرة

قلت : ولهذا قال النبى ﷺ يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حياً ثم سألنى فى هؤلاء النتنى لوهبتهم له » .

فصـــــل
فى عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب فى مواسم الحج أن يؤوه وينصروه ويمنعوه ممن كذبه وخالفه فلم يجبه أحـد بما ذخره الله تعالى للأنصـار من الكرامة العظيمة رضى الله عنهـــم

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى المواسم ـ إذا كانت ـ على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من أصحابنا ، من لاأتهم ، عن زيد بن أسلم عن ربيعة ابن عباد الدؤلى ـ ومن حدثه أبو الزناد عنه ـ وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبى ، قال : إنى لغلام شاب مع أبى بمنى ، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يابنى فلان إنى رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به » ، قال وخلفه رجل أحول وضىء له غديرتان عليه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه ، قال ، ذلك الرجل : يابنى فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال : فقلت لأبى : ياأبت من هذا الرجل الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن إبراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه أخبرنى رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بنى الدئل ـ وكان جاهلياً

فأسلم ـ قال : رأيت رسول الله ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابىء كاذب ـ يتبعه حيث ذهب ـ فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب ، ورواه البيهقى من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدؤلى : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا أبو لهب . وكذا رواه أبو نعيم فى الدلائل من طريق ابن أبى ذئب وسعيد بن سلمة بن أبى الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه ، ثم رواه البيهقى من طريق شعبة عن الأشعث ابن سليم عن رجل من كنانة . قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسفى عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لايغرنكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال فى هذا السياق : أبو جهل ، وقد يكون وهما ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا ، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبان على إذائه ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى أنه ﷺ أتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له : مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه . قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن حصين أنه أتى كلبا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول : « يابنى عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم » فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم . وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم . وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له : بحيرة بن فراس [1] : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » . قال : فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه . فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى

---

(١) كذا فى الأصل . السيرة والروض : بيحرة بن فراس العامرى .

شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لايقدر أن يوافى معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا . قال فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يابنى عامر هل لها من تلاف ؟ هل لذناباها من مطلب ؟ والذى نفس فلان بيده ما تقوَّلها إسماعيلى قط ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان رسول الله ﷺ فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول : « لا أكره أحداً منكم على شىء ، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أُريد أن تحرزونى فيما يراد لى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء » . فلم يقبله أحد منهم . وما يأت أحد من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟! وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموى كليهما عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن العباس . قال : قال لى رسول الله ﷺ : « لا أرى عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجى إلى السوق غداً حتى نقر فى منازل قبائل الناس » وكانت مجمع العرب ، قال : فقلت : هذه كندة ، ولفها وهى أفضل من يحج البيت من اليمن ، وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك ؟ قال : فبدأ بكندة فأتاهم ، فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من أهل اليمن . قال : من أى اليمن ؟ قالوا : من كندة . قال : من أى كندة ؟ قالوا : من بنى عمرو بن معاوية ، قال : فهل لكم إلى خير ؟ قالوا : وما هو؟ قال : « تشهدون ألا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » . قال عبد الله ابن الأجلح : وحدثنى أبى عن أشياخ قومه أن كندة قالت له إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به . وقال الكلبى : فقالوا : أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا وننابذ العرب . إلحق بقومك فلا حاجة لنا بك . فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من بكر بن وائل . فقال : من أى بكر بن وائل ؟ قالوا : من بنى قيس بن ثعلبة . قال : كيف العدد ؟ قالوا : كثير مثل الثرى . قال : فكيف المنعة ؟ قالوا : لا منعة ،

جاورنا فارس فنحن لانمتنع منهم ولا نجير عليهم . قال « فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين » قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا رسـول الله . ثم انطلق فلما ولّى عنهم قال الكلبى : وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس : لا تقبلوا قوله ، ثم مر أبو لهب فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم ، هذا فى الذروة منا ، أى شأنه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا : زعم أنه رسول الله ، قال : ألا لاترفعوا برأسه قولا ، فإنه مجنون يهذى من أم رأسه . قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ماذكر .

قال الكلبى : فأخبرنى عبد الرحمن العامرى عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ ، فقال : ممن القوم ؟ قلنا : من بنى عامر بن صعصعة . قال : من أى بنى عامر بن صعصعة ؟ قالوا : بنو كعب بن ربيعة . قال : كيف المنعة ؟ قلنـا : لايرام ماقبلنا ، ولايصطلى بنارنا . قال : فقال لهم : « إنى رسول الله وآتيكم لتمنعونى حتى أبلغ رسالة ربى ولا أكره أحداً منكم على شىء » قالوا : ومن أى قريش أنت ؟ قال : من بنى عبد المطلب ، قالوا : فأين أنت من عبد مناف ؟ قال : هم أول من كذبنى وطردنى . قالوا : ولكنا لانطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك ، قال : فنزل إليهم والقوم يتسوقون ، إذ أتاهم بحيرة بن فراس القشيرى فقال : من هذا الرجل أراه عندكم أنكره ؟ قالوا : محمد بن عبد الله القرشى ، قال : فما لكم وله ؟ قالوا : زعم لنا أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال : ماذا رددتم عليه ؟ قالـوا : بالترحيب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مانمنع به أنفسنـا . قال بحيرة : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشىء أشد من شىء ترجعون به ، بدأتم لتنابذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به ، لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، أتعمدون إلى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأى رأيتم . ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومى لضربت عنقك . فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها ، فغمز الخبيث بحيرة شاكلتها فقمّصت برسول الله ﷺ فألقته . وعند بنى عامر يومئذ ضباعة بنت عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتى أسلمن مع رسول الله بمكة جاءت زائرة إلى بنى عمها ، فقالت : يا آل عامر ـ ولا عامر لى ـ أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لايمنعه أحد منكم ؟ فقام ثلاثة من بنى عمها إلى بحيرة واثنين أعاناه ، فأخذ كل رجل منهم رجلا

فجلد به الأرض ، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطما ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » قال : فأسلم الثلاثة الذين نصروه وقتلوا شهداء وهم : غطيف وغطفان ابنا سهل ، وعروة ـ أو عذرة ـ بن عبد الله بن سلمة رضى الله عنهم . وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه عن أبيه به . وهلك الآخرون وهم : بحيرة بن فراس ، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بنى عقيل لعنهم الله لعنا كثيراً ، وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه فى قصة عامر ابن صعصعة وقبيح ردهم عليه ، وأغرب من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقى ـ والسياق لأبى نعيم رحمهم الله ـ من حديث أبان بن عبد الله البجلى عن أبان ابن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس حدثنى على بن أبى طالب ، قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدما فى كل خير ، وكان رجلا نَسّابة فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة ، قال : وأى ربيعة أنتم ، أمن هامها أم من لهازمها ؟ قالوا : بل من هامها العظمى ، قال أبو بكر : فمن أى هامتها العظمى ، فقالوا : ذهل الأكبر ، قال لهم أبو بكر : منكم عوف الذى كان يقال : لاحر بوادى عوف ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال لهم أبو بكر رضى الله عنه : فلستم بذهل الأكبر ، بل أنتم ذهل الأصغر ، قال : فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلى ـ حين بقل وجهه ـ فأخذ بزمام ناقة أبى بكر وهو يقول :

إن على سائلنا أن نسأله ❊ والعبء لا نعرفه أو نحمله

ياهذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً ، ونحن نريد أن نسألك ، فمن أنت ؟ قال : رجل من قريش ، فقال الغلام : بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها ، فمن أنت من قريش ؟ فقال له : رجل من بنى تيم بن مرة ، فقال له الغلام : أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة ، أفمنكم قصى بن كلاب الذى قتل بمكة المتغلبين

عليها وأجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجمعاً ، وفيه يقول الشاعر :

أليس أبـوكم كان يدعى مجمعـاً * به جمـع الله القبـائـل من فهـر

فقال أبو بكر : لا ، قال : فمنكم عبد مناف الذى انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر : لا ، قال : فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذى هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عمـرو العـلا هشم الثـريد لقـومـه * ورجـال مكـة مسنتـون عجـاف
سنـوا إلـيه الـرحلتين كليْهمـا * عنـد الـشتـاء ورحـلة الأصياف
كانـت قريش بيضـة فتـفـلّقتْ * فالـمـحُ خالـصـةُ لعبـد منـاف
الـرايشـين ولـيس يعـرف رايشٌ * والـقـائـلين هَلُمّ للأضـياف
والضـاربين الكبش يبرق بيضه [١] * والـمـانـعـين البـيضَ بالأسـياف
لله دَرُّك لـو نزلـتَ بدارهـم * منـعـوك من أزل [٢] ومـن أقـرافْ

فقال أبو بكر : لا ، قال : فمنكم عبد المطلب شيبة الحمد ، وصاحب عير مكة ، ومطعم طير السماء والوحوش والسباع فى الفلا ، الذى كأن وجهه قمر يتلألأ فى الليلة الظلماء ؟ قال : لا ، قال أفمن أهـل الإفـاضة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل السقـاية أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهـل الرفـادة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن المفيضين أنت ؟ قال : لا ، ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف درأ الـسـيل درء يدفعـه * يهـيضـه حينـا وحـينـا يرفـعـه

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب ، قال : فأقبل إلينا رسول الله ﷺ يبتسم ، قال على : فقلت له : يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابى على باقعة ، فقال : أجل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول ، قال : ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار ، وإذا

---

(١) أى ما كان خلال صوفه الأبيض سواد .

(٢) الأزل : الضيق والشدة ، والأقراف التهم .

مشايخ لهم أقدار وهيئات فتقدم أبو بكر فسلم ـ قال على : وكان أبو بكر مقدما فى كل خير ـ فقال لهم أبو بكر : ممن القوم ؟ قالوا : من بنى شيبان بن ثعلبة ، فالتفتَ إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبى أنت وأمى ، ليس بعد هؤلاء من عز فى قومهم ، وفى رواية ، ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم ، وهؤلاء غرر فى قومهم ، وهؤلاء غرر الناس ، وكان فى القوم مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان أقرب القوم إلى أبى بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره ، فكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيد على ألف ، ولن تغلب ألف من قلة ، فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ولكل قوم جد ، فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يديلنا مرة ويديل علينا مرة ، لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : إن كان بلغكم أنه رسول الله فهاهو هذا ، فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال : إلام تدعو ياأخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه فقال ﷺ : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤوونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » ، قال له : وإلامَ تدعو أيضا ياأخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ (**قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا**) إلى قوله تعالى : (**ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) [1] فقال له مفروق : وإلامَ تدعو أيضاً ياأخا قريش ؟ فوالله ماهذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله ﷺ (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**) [2] فقال له مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال : وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا ، فقال له هانىء : قد سمعت مقالتك ياأخا قريش وصدقت قولك ، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا

---

(١) الآيات : ١٥١ ـ ١٥٣ من سورة الأنعام .

(٢) الآية : ٩٠ من سورة النحل .

إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر فى أمرك ، وننظر فى عاقبة ماتدعو إليه زلة فى الرأى ، وطيشة فى العقل ، وقلة نظر فى العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش ، وأعجبنى ماتكلمت به ، والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة ، وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إليه وإنا إنما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة ، والآخر السماوة ، فقال له رسول الله ﷺ : وما هذان الصريان ؟ فقال له : أما أحدهما : فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر : فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لانحدث حدثا ، ولا نؤوى محدثا ، ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك ، فأما ماكان ممايلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ، فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعلنا [1] فقال رسول الله ﷺ : « ما أسأتم الرد إذا أفصحتم بالصدق ، إنه لايقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟ » فقال له النعمان بن شريك : اللهم وإن ذلك لك ياأخا قريش ! فتلا رسول الله ﷺ (**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً**) [2] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضا على يدى أبى بكر وعلى ، ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال : « يا علىّ أية [3] أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية ـ ما أشرفها ! ـ بها يتحاجزون فى الحياة الدنيا » . قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبى ﷺ . قال علىّ : وكانوا صدقاء صبراء ، فسر رسول الله ﷺ من معرفة أبى بكر رضى الله عنه بأنسابهم . قال : فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم : « احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبى نصروا » . قال : وكانت الوقعة بقراقر إلى جنب ذى قار وفيها يقول الأعشى :

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى السهيلى اختلاف

(٢) آيتا : ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٣) كذا فى السهيلى وفى الأصل : أبت أخلاق فى الجاهلية

فدًى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى * وراكبها عند اللقاء وقَلَّتِ
هُمو ضربوا بالحنو حنو قراقر * مقدمة الهامرز حتى تولَّتِ
فالله عَيْنا مَنْ رأى من فوارس [١] * كذهل بن شيبانَ بها حين وَلَّتِ
فثاروا وثرنا والمودة بيننا * وكانت علينا غمرةٌ فَتَجلَّتِ

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب . وقد ورد هذا من طريق أخرى ، وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ ، فنصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك فى الإسلام .

وقال الواقدى : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسى عن أبيه عن جده ، قال : جاءنا رسول الله ﷺ فى منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التى تلى مسجد الخيف ، وهو على راحلته مردفاً خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا ، فوالله ما استجبنا له ولا خَيْرَ لنا . قال : وقد كنا سمعنا به وبدعائه فى المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسى . فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأى . فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فقال القوم : دعنا منك لاتعرضنا لما لاقبل لنا به . وطمع رسول الله ﷺ فى ميسرة فكلمه ، فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ، ولكن قومى يخالفوننى ، وإنما الرجل بقومه ، فإذا لم يعضدوه فالعدى [٢] أبعد ، فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادرين إلى أهليهم . فقال لهم ميسرة : ميلوا نأتى فدك فإن بها يهوداً نسائلهم عن هذا الرجل ، فمالوا إلى يهود فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه ، ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ النبى الأمى العربى يركب الحمار ، ويجتزى بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجعد ولا بالسبط ، فى عينيه حمرة ، مشرق اللون ، فإن كان هو الذى دعاكم فأجيبوه وادخلوا فى دينه ، فإنا نحسده ولا نتبعه ، وإنا [منه] فى مواطن بلاء عظيم ، ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه . فقال ميسرة : ياقوم ، ألا [إن] هذا الأمر بَيِّن ؟ فقال القوم : نرجع إلى الموسم ونلقاه ، فرجعوا إلى بلادهم ، وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً ، وحج

---

(١) هذا البيت والذى بعده لم نجدهما فى ديوانه وكان فى الأصل هكذا :
فيه عينا من رأى من فوارس * كذهل بن شيبان حتى ولت
(٢) العدى بالكسر : الغرباء والأجانب والأعداء .

حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه ، فقال : يارسول الله ، والله مازلت حريصاً على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله إلا ماترى من تأخر إسلامى ، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معى ، فأين مدخلهم يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كل من مات على غير دين الإسلام فهو فى النار » فقال : الحمد لله الذى أنقذنى . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبى بكر مكان .

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدى ، فقص [خبر] القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه ﷺ نفسه على بنى عامر ، وغسان ، وبنى فزارة ، وبنى مرة ، وبنى حذيفة ، وبنى سليم ، وبنى عبس ، وبنى نضر بن هوازن ، وبنى ثعلبة بن عكابة ، وكندة ، وكلب ، وبنى الحارث بن كعب ، وبنى عذرة ، وقيس بن الحطيم وغيرهم ، وسياق أخبارها مطولة ، وقد ذكرنا من ذلك طرفاً صالحاً ولله الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر أخبرنا إسرائيل عن عثمان - يعنى ابن المغيرة - عن سالم بن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله ، قال : كان النبى ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : « هل من رجل يحملنى إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى عز وجل ؟ » فأتاه رجل من همدان ، فقال : « ممن أنت ؟ » قال الرجل : من همدان . قال : « فهل عند قومك من منعة ؟ » قال : نعم . ثم إن الرجل خشى أن يخفره قومه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : « آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل » قال : نعم . فانطلق وجاء وفد الأنصار فى رجب . وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن إسرائيل به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

فصل

فى قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول ﷺ بيعة بعد بيعة ، ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول ﷺ إلى المدينة فنزل بين أظهرهم ، كما سيأتى بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة

حديث سويد بن صامت الأنصارى

وهو سويد بن الصامت [1] بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى الروض الأنف : سويد بن الصامت بن حوط .

ابن الأوس وأمه ليلى بنت عمرو النجارية ، أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ .

قال محمد بن إسحاق بن يسار : وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، ولايسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ماعنده . قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم سويد بن الصامت ، أخو بنى عمرو بن عوف ، مكة حاجًا ـ أو معتمراً ـ وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقاً ولو ترى * مقالَتَهُ بالغيب ساءك ما يفرى
مقالَتُهُ كالشَّهْدِ ماكان شاهداً * وبالغَيْب مأثورٌ على ثُغْرَة النَّحْر
يسرك باديهِ وتحت أديمه * تميمةُ غَشٍّ تبترى عقب الظهرِ
تَبينُ لك العينانِ ماهو كاتمٌ * من الغِلِّ والبغضاء بالنظر الشزرِ
فَرِشْنى بخير طالما قد بَرَيْتَنى * وخيرُ الموالى من يريشُ ولَا يَبْرى

قال : فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله والإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى . فقال له رسول الله ﷺ : وما الذى معك ؟ قال : مجلة لقمان ـ يعنى حكمة لقمان ـ فقال رسول الله ﷺ : اعرضها علىّ ، فعرضها عليه ، فقال : « إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ؛ قرآن أنزل الله علىّ هو هدى ونور » ، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه وقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج . فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قُتِل وهو مسلم . وكان قتله قبل بعاث . وقد رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق بأخصر من هذا .

إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد بن معاذ عن محمود بن لبيد ، قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم ، فقال : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟

قال : قالوا : وماذاك ؟ قال : أنا رسول الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل علىَّ الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس بن معاذ ـ وكان غلاماً حدثاً ـ : ياقوم هذا والله خير مما جئتم له ، فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج . قال : ثم لم يلبث إياس ابن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرنى من حضرنى من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع .

قلت : كان يوم بعاث ـ وبعاث موضع بالمدينة ـ كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل . وقد روى البخارى فى صحيحه عن عبيد بن إسماعيل عن أبى أمامة عن هشام عن أبيه عن عائشة ، قالت : كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ، قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم (١) ، وقتل سراتهم .

بـــــاب
بدء إســـــلام الأنصار رضى الله عنهـــم

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله ﷺ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كل موسم ، فبينا هو عند العقبة لقى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم : « من أنتم ؟ » قالوا : نفر من الخزرج . قال : « أمن موالى يهود ؟ » قالوا : نعم . قال : « أفلا تجلسون أكلمكم ؟ » قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا : إن نبيًّا مبعوث الآن

---

(١) الملا : أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم

قد أظل زمانه نتبعه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرَمَ . فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله . قال بعضهم لبعض : ياقوم ، تعلمون والله إنه النبى الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقُنَّكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذكر لى ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . قال أبو نعيم : وقد قيل : إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج ، ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل : إن أول من أسلم رافع بن مالك ، ومعاذ بن عفراء ، والله أعلم . وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ـ وهو ابن عفراء ـ النجاريان ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرقى . وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد ابن ساردة [١] بن تزيد بن جشم بن الخزرج السلمى ، ثم من بنى سواد ، وعقبة بن عامر ابن نابى بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمى أيضاً ، ثم من بنى حرام . وجابر ابن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أيضاً ، ثم من بنى عبيد رضى الله عنهم . وهكذا روى عن الشعبى والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه الصلاة والسلام بهم كانوا ثمانية ، وهم : معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان ـ وهو ابن عبد قيس ـ وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة . فأسلموا وواعدوه إلى قابل ، فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلا يفقهنا . فبعث إليهم مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن

---

(١) فى الأصل : ساوة بن يزيد وهو خطأ .

زرارة ، وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا وهم : أبو أمامة أسعد ابن زرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع ابن مالك المتقدم أيضاً ، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقى ، قال ابن هشام : وهو أنصارى مهاجرى ، وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم البلوى ، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلانى ، وعقبة بن عامر بن نابى المتقدم ، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم ، فهؤلاء عشرة من الخزرج ، ومن الأوس اثنان وهما : عويم بن ساعدة ، وأبو الهيثم مالك ابن التيهان ، قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كميّت وميْت .

قال السهيلى : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، قال : وقيل : إنه أراشى ، وقيل : بلوى ، وهذا لم ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام ، قال : والهيثم : فرخ العقاب ، وضرب من النبات .

والمقصود أن هؤلاء الاثنى عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسول الله ﷺ ، فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء ، وهى العقبة الأولى ، وروى أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله تعالى فى سورة إبراهيم : (**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا**) [1] إلى آخرها ، وقال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى عن عبادة ـ وهو ابن الصامت ـ قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفترض الحرب ، على أن لانشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ،

---

(١) الآية : ٣٥ من سورة إبراهيم .

ولا نعصيه فى معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر ، وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب به نحوه .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله أبى إدريس الخولانى أن عبادة بن الصامت حدثه ، قال : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى على أن لانشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهرى به نحوه ، وقوله : على بيعة النساء ـ يعنى على وفق مانزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ـ وكان هذا مما نزل على وفق مابايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب فى غير ماموطن كما بيناه فى سيرته وفى التفسير ، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير مَتْلُوٍّ فهو أظهر والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين ، وقد روى البيهقى عن ابن إسحاق قال : فحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم ، وهو الذى ذكره موسى بن عقبة كما تقدم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هى الأولى .

قال البيهقى : وسياق ابن إسحاق أتم ، وقال ابن إسحاق : فكان عبد الله بن أبى بكر يقول : لاأدرى ما العقبة الأولى . ثم يقول ابن إسحاق : بلى ، لعمرى قد كانت عقبة وعقبة . قالوا كلهم : فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرىء ، قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض ، رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبى حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامة أسعد بن زرارة . قال : فمكث حيناً على ذلك لايسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت فى نفسى : والله إن هذا بى لعجز ، ألا أسأله ؟ فقلت : يا أبة مالك إذا سمعت الأذان

للجمعة صليت على أبى أمامة ؟ فقال : أى بنى ، كان أول من جمع بنا بالمدينة فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى بقيع يقال له : بقيع الخضمات [١] قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا . وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله . وقد روى الدارقطنى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة ، وفى إسناده غرابة والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظفر على بئر يقال له : بئر مرق ، فجلسا فى الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير ، يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانههما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما ، قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه وقد جاءك فأصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلمه ، قال : فوقف عليهما متشتما ، فقال : ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام : أتيتنا فى دارنا بهذا الوعيد [٢] الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه .

قال ابن إسحاق : فقال له مصعب : أوتجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفَّ عنك ماتكره ؟ قال : أنصفت ، قال : ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهله ، ثم قال : ماأحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ،

---

(١) كذا بالأصل ، وفى ابن هشام : نقيع بالنون ، وأورده السهيلى بالباء والنون وذكر فيه روايات مختلفة

(٢) كذا بالأصل ولم أقف عليها .

ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا . قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله مارأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدِّثْتُ أن بنى حارثة خرجوا إلى سعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك ، قال : فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً ، تخوفا للذى ذكر له من بنى حارثة ، وأخذ الحربة فى يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً .

ثم خرج إليهما سعد ، فلما رآهما مطمئنيْن عرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة ، والله لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، أتغشانا فى دارنا بما نكره ؟ قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لايتخلف عنك منهم اثنان ، قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ماتكره ؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن . وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف ، قال : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ، قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة ، قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صيفى . وقال الزبير بن بكار :

اسمه الحارث ، وقيل : عبيد الله ، واسم أبيه الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد ابن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس ، وكذا نسبه الكلبى أيضاً ، وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعاراً بائية حسنة تقرب من أشعار أمية بن أبى الصلت الثقفى .

قال ابن إسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ فى العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود . فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسلت : أخو بنى واقف ، قال السهيلى : هو أبو قيس صرمة بن أبى أنس ، واسم أبى قيس قيس بن صرمة بن مالك عدى بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار ، قال : وهو الذى أنزل فيه وفى عمر : (**أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**) [1] الآية ، قال ابن إسحاق : وكان يحب قريشاً ، وكان لهم صهراً ، كانت تحته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى ، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته ، قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشاً فيها عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ :

أيا راكبــا إمّــا عَرَضْتَ فَبلّغَنْ * مغـلغـةً عنـى لؤى بن غالـبِ
رسـولُ امرىءٍ قد راعه ذات بينكم * على النّـأىِ محزون بذلـك ناصبِ
وقـد كان عنـدى للهمومِ مُعرسٌ * ولـم أقضِ منهـا حاجتى ومـآربى
نبـيتـكـم شرجـين كلّ قبـيلةٍ * لهـا أرمـلٌ من بين مذكٍ وحاطب [2]
أُعـيذُكم بالله من شرّ صُنْعِكُمْ * وشـرٍّ تبـاغيكـم ودَسّ العقـاربِ
وإظهـارِ أخـلاقٍ ونجـوى سقيمـةٍ * كوخـز الأشافى وقعهـا حق صائبِ
فَذَكّـرْهُـمْ بالله أولَ وهـلـةٍ * وإحـلالَ إحرام الـظبـاءِ الشـوازبِ
وقـل لهـم والله يحـكـم حكمـةُ * ذروا الحـرب تذهبْ عنكم فى المراحبِ

---

(١) الآية : ١٨٧ من سورة البقرة .

(٢) قال السهيلى : نبيتكم شرجين أى فريقين مختلفين ، و[فيه] نبئتكم [بالهمز] وقال : إنه لفظ مشكل .

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هى الغول للأقصين أو للأقارب
تُقَطِّعُ أرحاما وتُهْلِكُ أمةً * وتبرى السديف من سنام وغارب
وتُسْتَبْدَلُوا بالأتحمية بعدها * شليلا وأصداء ثياب السمحارب
وبالمسكِ والكافور غُبْراً سوابغاً * كأن قتيريْها عيونُ الجنادب
فإياكم والحرب لا تَعْلَقَنَّكُمْ * وحَوْضاً وخيمَ الماءِ مُرَّ المشارب
تَزينُ للأقوام ثم يرونها * بعاقبةٍ إذا بُيِّنَتْ أمَّ صاحب
تحرق لا تشوى ضعيفاً وتنتحى * ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحسٍ * فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب
وكم ذا أصابت من شريفٍ مُسَوَّدٍ * طويلِ العماد ضيفُهُ غيرُ خائب
عظيمِ رمادِ النار يُحْمَدُ أمرُهُ * وذى شيمةٍ مَحْضٍ كريم المضارب
وماءٍ هُريق فى الضلال كأنما * أذاعت به ريح الصَّبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالمٍ * بأيامها والعلمِ علم التجارب
فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا * حسابَكم والله خيرُ محاسب
ولِيُّ امرىء فاختار ديناً فلا يكن * عليكم رقيبٌ غيرُ ربِّ الثواقب
أقيموا لنا دينا حنيفا فانتموا * لنا غايةً قد يُهْتَدى بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نورٌ وعصمةٌ * تُؤَمّون والأحلامُ غيرُ عوازب
وأنتم إذا ما حصّل الناس جوهرٌ * لكم سرة البطحاءِ شُمُّ الأرانب
تصونون أنسابا [1] كراما عتيقةً * مُهذَّبةَ الأنساب غيرَ أشائب
يرى طالبُ الحاجاتِ نحو بيوتكم * عصائبَ هَلْكَى تهتدى بعصائب
لقد علم الأقوامُ أن سراتَكم * عَلَى كل حال خيرُ أهلِ الجباجب [2]
وأفضله رأيا وأعلاه سُنَّةً * وأَقْوَلُهُ للحق وسطَ المواكب
فقوموا فصلوا ربكم وتمسّحوا * بأركان هذا البيتِ بين الأخاشب
فعندكم منه بلاءٌ ومصْدَقٌ * غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تمشى ورجله * على القاذفات فى رءوسِ المناقب
فلما أتاكم نصرُ ذى العرش ردّهم * جنودُ المليكِ بين سافٍ وحاصب
فَوَلَّوْا سِراعا هاربين ولم يَؤُبْ * إلى أهله ملحبشِ غير عصائب

---

(١) وفى ابن هشام : تصونون أجسادا كراما عتيقة .
(٢) قال السهيلى الجباجب منازل منى .

فإن تهلكوا نَهْلَكْ وتَهلكْ مواسمٌ * يُعاشُ بها قولُ امرىءٍ غيرِ كاذبِ

وحرب داحس التى ذكرها أبو قيس فى شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة ، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره : أن فرساً يقال لها : داحس كانت لقيس ابن زهير بن جذيمة بن رواحة الغطفانى ، أجراها مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية الغطفانى أيضاً يقال لها : الغبراء ، فجاءت داحس سابقاً ، فأمر حذيفة من ضرب وجهها ، فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ، ثم إن أبا جنيدب العبسى لقى عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكا فقتله ، فشبت الحرب بين بنى عبس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعات آخرون ، وقالوا فى ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .

قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء ، والأول أصح ، قال : وأما حرب حاطب فيعنى حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديا جاراً للخزرج ، فخرج إليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر ابن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو الذى يقال له : ابن فسحم ، فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج ، فاقتتلوا قتالا شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الأوسى [1] قتله المجذر بن زياد حليف بنى عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً .

والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب ابن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام ، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أى محلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلمون ومسلمات غير دار بنى واقف قبيلة أبى قيس ، ثبطهم عن الإسلام ، وهو القائل أيضاً :

أربَّ الناسِ أشياءُ أَلَمَّتْ * يُلَفُّ الصعبُ منها بالذلولِ
أربَّ الناسِ إمَّا أن ضللنا * فَيَسِّرْنا لمعروفِ السبيلِ
فلولا ربنا كنا يهوداً * وما دينُ اليهودِ بذى شكولِ
ولولا ربنا كنا نصارى * مع الرهبان فى جبلِ الجليلِ

---

(١) وفى السيرة لابن هشام : سويد بن الصامت .

ولـكـنـا خلقـنـا إذ خلقـنـا * حنـيفـاً ديـنـنـا عن كل جيلِ
نسـوق الهَـدْىَ ترسف مُذْعِنـاتٍ * مُكَشَّـفَـةَ الـمنـاكبِ فى الجلولِ

وحاصل ما يقول أنه حائر فيما وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ ، فتوقف الواقفى فى ذلك مع علمه ومعرفته ، وكان الذى ثبطه عن الإسلام أولا عبد الله ابن أبىّ ابن سلول بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذى بشر يهود فمنعه عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج ، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم ، وكذا الواقدى ، قال : كان عزم على الإسلام أول ما دعاه رسول الله ﷺ ، فلامه عبد الله بن أبى ، فحلف لايسلم إلى حول فمات فى ذى القعدة ، وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير فى كتابه : أُسْد الغابة ؛ أنه لما حضره الموت دعاه النبى ﷺ إلى الإسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله ، وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من الأنصار ، فقال : « يا خال قل : لا إله إلا الله » فقال : أخال أم عم ؟ قال : بل خال ، قال : فخير لى أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ! تفرد به أحمد رحمه الله ، وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفى أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم ، فسألت رسول الله ﷺ فى ذلك فأنزل الله : **(ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء)** [1] الآية .

وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيى الأموى فى مغازيه : كان أبو قيس هذا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهمّ بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً ، لايدخل عليه فيه حائض ولا جنب ، وقال : أعبد إله إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله ﷺ فأسلم فحسن إسلامه ، وكان شيخاً كبيراً وكان قوّالا بالحق معظّما لله فى جاهليته ، يقول فى ذلك أشعاراً حسانا وهو الذى يقول :

يقـول أبـو قيس وأصبـح غادياً * ألا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا
فأوصيكـم بالله والـبـرّ والـتّـقى * وأعـراضـكـم والـبـر بالله أوّلُ
وإن قومكم سادوا فلا تَحْسُـدُنَّهُمْ * وإن كنتم أهـل الـرئـاسةِ فاعـدِلـوا
وإن نزلتْ إحدى الدواهى بقومكمْ * فأنـفـسَـكـم دونَ الـعـشيرةِ فاجعلوا

---

(١) الآية : ٢٢ من سورة النساء .

وإن ناب غُرْمٌ فادحٌ فارفقوهم * وما حَمَّلوكم فى المُلِمَّاتِ فاحملوا
وإن أنتم أمعزتم فتعففوا * وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضاً :

سبحوا اللهَ شرقَ كلِّ صباحٍ * طلعتْ شمسُهُ وكل هلالِ
عالمَ السرِّ والبيانِ جميعاً * ليس ما قال ربُّنا بضلالِ
وله الطيرُ تستزيد وتأوى * فى وُكورٍ من آمناتِ الجبالِ
وله الوحش بالفَلاةِ تراها * في حقاف وفى ظلال الرمالِ
وله هُوِّدت يهودُ ودانتْ * كلَّ دينٍ مخافةً من عُضالِ
وله شَمَّس النصارى وقاموا * كل عيدٍ لربهم واحتفالِ
وله الراهب الحبيس تراه * رهن بؤس وكان أنعم بالِ
يابنىَّ الأرحامَ لاتقطعوها * وصلُوها قصيرةً من طوالِ
واتقوا الله فى ضعاف اليتامى * ربما يُسْتَحَلُّ غيرُ الحلالِ
واعلموا أن لليتيم ولياً * عالما يهتدى بغير سؤالِ
ثم مال اليتيم لا تأكلوه * إن مال اليتيم يرعاه والى
يابنى التخوم لا تجزلوها * إن خزل التخوم ذو عقالِ
يابنىَّ الأيام لاتأمنوها * واحذروا مكرها ومرَّ الليالى
واعلموا أن أمرها لنفادِ * الخلق ما كان من جديد وبالى
وأجمعوا أمركم على البر والتقـ * ـوى وترك الخنا وأخذ الحلالِ

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم :

ثوى فى قريش بضع عشرةَ حَجَّةً * يذكِّر لو يلقى صديقا مواتيا

وسيأتى ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أواسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه وإعزاز الإسلام

وأهله ، فحدثنى معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حدثه أن أباه كعباً حدثه ـ وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها ـ قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء : ياهؤلاء ، إنى قد رأيت رأيا والله ما أدرى أتوافقوننى عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لاأدع هذه البنية منى بظهر ـ يعنى الكعبة ـ وأن أصلى إليها ، قال : فقلنا : والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه ، فقال : إنى لمصلٍّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنا لانفعل ، قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة ، فقال لى : يابن أخى انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سفرى هذا ، فإنه قد وقع فى نفسى منه شىء ، لما رأيت من خلافكم إياى فيه ، قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ ـ وكنا لانعرفه ولم نره قبل ذلك ـ فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ ، قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ، فقال : هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم ! وقد كنا نعرف العباس كان لايزال يقدم علينا تاجراً ، قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ، قال : فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله ﷺ للعباس : « هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ » قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك ، قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ : آلشاعر؟ قال : نعم ! فقال له البراء بن معرور : يانبى الله ، إنى خرجت فى سفرى هذا قد هدانى الله تعالى للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر ، فصليت إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ، فماذا ترى ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام ، قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ فيها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر ، سيد من سادتنا ، أخذناه ، وكنا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : ياأبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى

الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة ، قال : فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا .

وقد روى البخارى حدثنى إبراهيم حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم ، قال عطاء قال جابر : أنا وأبى وخالى من أصحاب العقبة ، قال عبد الله بن محمد : قال ابن عيينة : أحدهم البراء بن معرور ، حدثنا على بن المدينى حدثنا سفيان قال : كان عمرو يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بى خالاى العقبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن أبى الزبير عن جابر ، قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم ، عكاظ ومجنة ، وفى المواسم يقول : « من يؤوينى ؟ من ينصرنى ؟ حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال فيه - فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون : احذر غلام قريش لايفتنك ، ويمضى بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً فقلنا : حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا : يارسول الله علامَ نبايعك ؟ قال : « تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لاتخافوا فى الله لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى ، إذا قدمت عليكم ، مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة » فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - وفى رواية البيهقى - وهو أصغر السبعين - إلا أنا ، فقال : رويداً ياأهل يثرب ، فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ ، وأن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله ، قالوا : أمط عنا ياأسعد ، فوالله لاندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً ، قال : فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة ، وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبيهقى من طريق داود بن عبد الرحمن العطار - زاد البيهقى عن الحاكم - بسنده إلى

يحيى بن سليم كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبى إدريس به نحوه ، وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه ، وقال البزار : وروى غير واحد عن ابن خثيم ، ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن موسى ابن عبد الله عن أبى الزبير عن جابر ، قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ : « أخذت وأعطيت » وقال البزار : حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان ـ هو الثورى ـ عن جابر ـ يعنى الجعفى ـ عن داود ـ وهو ابن أبى هند ـ عن الشعبى عن جابر ـ يعنى ابن عبد الله ـ قال : قال رسول الله ﷺ للنقباء من الأنصار : « تؤوونى وتمنعونى ؟ » قالوا : نعم ، قالوا : فما لنا ؟ قال : « الجنة » ثم قال : لانعلمه يروى إلا بهذا الإسناد عن جابر ، ثم قال ابن إسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك ، قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار وأسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابى إحدى نساء بنى سلمة وهى أم منيع .

وقد صرح ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم ، وما ورد فى بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين ، والعرب كثيراً ماتحذف الكسر ، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة ، قال : منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم ، قال : وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله ، قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ، ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يامعشر الخزرج ـ قال : وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج ، خزرجها وأوسها ـ إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزة من قومه ، ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عزة ومنعة من قومه وبلده ، قال : فقلنا له : قد سمعنا ماقلت ، فتكلم يارسول الله

فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، قال : فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ، قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » قال : فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم ! فوالذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، ورثناها كابراً عن كابر ، قال : فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله ﷺ ، أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالا ، وإنا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » قال كعب : وقد قال رسول الله ﷺ : « أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم » فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال ابن إسحاق : وهم : أبو أسامة بن زرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس [بن عمرو بن امرىء القيس] [1] بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج ، فهؤلاء تسعة من الخزرج ، ومن الأوس ثلاثة وهم : أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس ،

---

(١) ما بين المربعين زيادة من ابن هشام ، وفى الإصابة عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس .

ورفاعة بن عبد المنذر بن زنير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة هذا ، وهو كذلك رواية يونس عن بن إسحاق ، واختاره السهيلى وابن الأثير فى أسْد الغابة ، ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبى زيد الأنصارى فيما ذكره من شعر كعب بن مالك فى ذكر النقباء الاثنى عشر هذه الليلة ـ ليلة العقبة الثانية ـ حين قال :

أبلغ أبيًّا أنه قال رأيه * وحان غداة الشعب والحين واقعُ
أبى الله ما مَنَّتْكَ نفسُك إنه * بمرصاد أمر الناس راءٍ وسامعُ
وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا * بأحمدَ نورٌ من هُدَى الله ساطعُ
فلا ترغبن فى حشدِ أمرٍ تريدُه * وألِّبْ وجَمِّعْ كلَّ ما أنت جامعُ
ودونك فاعلم أن نقضَ عهودِنا * أباهُ عليك الرهطُ حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما * وأسعدُ يأباه عليك ورافعُ
وسعد أباه الساعدى ومنذرٌ * لأنفُك إن حاولت ذلك جادعُ
وما ابن ربيع إن تناولت عهده * بمسلمه لايطمعنّ ثَمّ طامعُ
وأيضاً فلا يعطيكه ابن رواحة * وإخفاره من دونه السُّمُّ ناقعُ
وفاء به والقوقلى بن صامت * بمندوحةٍ عما تحاول يافعُ
أبو هيثم أيضاً وفيٌّ بمثلها * وفاءً بما أعطى من العهد خانعُ
وما ابن حضير إن أردت بمطمع * فهل أنت عن أحموقة الغىّ نازعُ
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه * ضروح لما حاولت ملأمر مانعُ
أولاكَ نجومٌ لا يَغُبُّكَ منهم * عليك بنحس فى دجى الليل طالعُ

قال ابن هشام : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية فى هذه الليلة ، وروى يعقوب ابن سفيان عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك ، قال : كان الأنصار ليلة العقبة سبعين رجلا ، وكان نقباؤهم اثنى عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وحدثنى شيخ من الأنصار أن جبرائيل ، عليه السلام ، كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة ، وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة ، رواه البيهقى .

وقال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ قال للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى » قالوا : نعم ! وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى ، أخو بنى سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ! قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله ، إن فعلتم ، خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بمادعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو ، والله ، خير الدنيا والآخرة ، قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : « الجنة » قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه ، قال عاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عبادة ذلك ليشد العقد فى أعناقهم ، وزعم عبد الله بن أبى بكر أنه قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى ابن سلول ، سيد الخزرج ، ليكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع القوم ، وقال ابن الأثير فى أسْدِ الغابة : وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كعب بن مالك ، وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك فى حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك ، قال : ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أكثر فى الناس منها .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال : انطلق رسول الله ﷺ مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا ، وإن يعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم ـ وهو أبو أمامة :ـ سل يامحمد لربك ماشئت ، ثم سل لنفسك

بعد ذلك ماشئت ، ثم أخبرنا مالنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك ، قال : أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسى وأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم » قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « لكم الجنة » قالوا : فلك ذلك ، ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبى عن أبى مسعود الأنصارى فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم ، وقال أحمد عن يحيى عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال : فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش أخبرنا محمد ابن إبراهيم بن الفضل الفحام أخبرنا محمد بن يحيى الذهلى أخبرنا عمرو بن عثمان الرقى حدثنا زهير حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه ، قال : قدمت روايا خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن نقول فى الله لاتأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن نمنع رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة ، فهذه بيعة رسول الله ﷺ التى بايعناه عليها ، وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه .

وقد روى يونس عن ابن إسحاق حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت . قال : بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم .

قال ابن إسحاق فى حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : ياأهل الجباجب - والجباجب المنازل - هل لكم فى مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : « هذا أزب العقبة ، هذا ابن أزْيب » . قال ابن هشام : ويقال ابن أزَيِّب . أتسمع أى عدو الله ؟ أما والله لأتفرغن لك . ثم قال رسول الله ﷺ : « ارفضوا إلى رحالكم » . قال : فقال العباس بن عبادة بن نضلة : يارسول الله ، والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم » . قال : فرجعنا إلى

مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا فى منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله مامن حى من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . قال : فانبعث مَنْ هناك من مشركى قومنا يحلفون ما كان من هذا شىء وما علمناه . قال : وصدقوا ، لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان له جديدان . قال : فقلت له كلمة ـ كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ـ يا أبا جابر ، أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلىّ . قال : والله لتنتعلنهما . قال : يقول أبو جابر : مَهْ ، أحفظت والله الفتى ، فاردد إليه نعليه . قال : قلت : والله لاأردهما . فَأْلٌ والله صالح ، لئن صدق الفأل لأسلبنه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنهم أتوا عبد الله بن أُبَى ابن سلول فقالوا مثل ماذكر كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفرقوا [1] على مثل هذا وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه . قال : ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان ، فخرجوا فى طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والمنذر بن عمرو ، أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته ـ وكان ذا شعر كثير ـ قال سعد : فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع علىّ نفر من قريش فيهم رجل وضىء أبيض شعشاع حلو من الرجال ، فقلت فى نفسى : إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا . فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة ، فقلت فى نفسى : لا والله ماعندهم بعد هذا من خير ، فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى لى رجل ممن معهم . قال : ويحك ، أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولاعهد ؟ قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أُجِير لجبير بن مطعم تُجّاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى . وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، فقال : ويحك ، فاهتف باسم الرجلين واذكر مابينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن ليضرب بالأبطح ليهتف بكما ، قالا : ومن هو؟ قال : سعد بن عبادة . قالا :

---

(١) كذا فى الأصول . وفى ابن هشام ليتفوتوا على وقوله فتنطس . قال السهيلى : التنطس تدقيق النظر .

صدق والله ، إن كان لنجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لَكَم سعداً سهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكـان الذى أوى له أبو البخترى بن هشام . وروى البيهقى بسنده عن عيسى بن أبى عيسى بن جبير قال : سمعت قريش قائلا على أبى قبيس :

فإن يسلم السعـدان يصبح محمدٌ * بمكـةَ لايخشَى خلافَ المخـالفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السعدان ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلا يقول :

أياسعد سعدَ الأوس كُنْ أنت ناصراً * وياسعـدُ سعـدَ الخزرجين الغطارفِ
أجيبـا إلى داعى الهـدى وتمنيـا * على الله فى الـفـردوس مُنْيَةَ عارفِ
فإن ثوابَ اللهِ للطالـبِ الـهُـدَى * جنـانٌ من الفردوسِ ذاتُ رفارفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المـدينة أظهروا الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم : عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بنى سلمة وأشرافهم ، وكان قد اتخذ صنما من خشب فى داره يقال له : مناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، يتخذه إلهاً يعظمه ويظهره ، فلما أسلم فتيان بنى سلمة ؛ ابنه معاذ ، ومعاذ ابن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة ، وفيها عذر الناس منكساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا إلى إلهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطهره ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه . فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا مثل ذلك ، فيغدوا فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطيبه ويطهره ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهره وطيبه . ثم جاء بسيه فعلقه عليه ، ثم قال له : إنى والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، هذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عدوا

عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس ، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده فى تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه ، فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك ، وما أبصر من أمره ، ويشكر الله الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنتَ إلـهـاً لم تكـن * أنت وكلبٌ وسط بئـر فى قَرَن
أفٍّ لملقـاك إلـهـاً مستـدن * الآن فتشنـاكَ عن سوء الغبن
الحمد لله العلىِّ ذى المِنَن * الواهب الرزاقِ ديّانِ الدين
هو الذى أنقذنى من قَبْلِ أنَ * أكونَ فى ظلمةَ قبرٍ مُرْتهن

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية وجملتهم على ماذكره ابن إسحاق ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان

فمن الأوس أحد عشر رجلا : أسيد بن حضير ، أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان ، بدرىّ أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، بدرى ، وظهير بن رافع ، وأبو بردة ابن دينار ، بدرى ، ونهير بن الهيثم بن نابى بن مجدعة بن حارثة ، وسعد بن خيثمة أحد النقباء ، بدرى وقتل بها شهيداً ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زنير ، نقيب بدرى ، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك ، بدرى وقتل يوم أحد شهيداً ، أميراً على الرماة ، ومعن بن عدى بن الجد بن عجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوى ، حليف للأوس شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعويم بن ساعدة ، شهد بدراً وما بعدها . ومن الخزرج اثنان وستون رجلا : أبو أيوب خالد بن زيد ، وشهد بدراً وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ، ومعاذ بن الحارث ، وأخواه عوف ومعوذ ، وهم بنو عفراء ، بدريون ، وعمارة بن حزم ، شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة ، وأسعد بن زرارة أبو أمامة ، أحد النقباء مات قبل بدر ، وسهل بن عتيك ، بدرى ، وأوس بن ثابت ابن المنذر ، بدرى وأبو طلحة زيد بن سهل ، بدرى ، وقيس بن أبى صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ، كان أميراً على الساقة يوم بدر وعمرو

ابن غزية ، وسعد بن الربيع ، أحد النقباء ، شهد بدراً وقتل يوم أحد ، وخارجة بن زيد ، شهد بدراً وقتل يوم أحد وعبد الله بن رواحة ، أحد النقباء شهد بدراً وأحداً والخندق ، وقتل يوم مؤتة أميراً ، وبشير بن سعد بدرى ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أرى النداء وهو بدرى ، وخلاد بن سويد ، بدرى أحدى خندقى وقتل يوم بنى قريظة شهيداً ، طرحت عليه رحى فشدخته ، فيقال : إن رسول الله ﷺ قال : « إنه له لأجر شهيدين » وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى ، قال ابن إسحاق : وهو أحدث من شهد العقبة سنا ولم يشهد بدراً ، وزياد بن لبيد ، بدرى ، وفروة بن عمرو بن ودقة ، وخالد ابن قيس بن مالك ، بدرى ، ورافع بن مالك ، أحد النقباء ، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، وهو الذى يقال له : مهاجرى أنصارى ، لأنه أقام عند رسول الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها وهو بدرى قتل يوم أحد ، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق ، بدرى ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر ، بدرى أيضاً ، والبراء بن معرور ، أحد النقباء وأول من بايع ، فيما تزعم بنو سلمة ، وقد مات قبل مقدم النبى ﷺ المدينة ، وأوصى له بثلث ماله فرده رسول الله ﷺ على ورثته وابنه بشر بن البراء ، وقد شهد بدراً وأحداً والخندق ومات بخيبر شهيداً من أكله مع رسول الله ﷺ من تلك الشاة المسمومة ، رضى الله عنه ، وسنان بن صيفى بن صخر ، بدرى ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، بدري ، قتل يوم الخندق ، ومعقل بن المنذر بن سرح ، بدرى ، وأخوه يزيد بن المنذر ، بدرى ، ومسعود بن زيد بن سبيع ، والضحاك بن حارثة ابن زيد بن ثعلبة ، بدرى ، ويزيد بن خذام بن سبيع ، وجبار بن صخر [بن أمية] بن خنساء بن سنان بن عبيد ، بدرى ، والطفيل بن مالك بن خنساء ، بدرى ، وكعب بن مالك ، وسليم بن عامر بن حديدة ، بدرى ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، بدرى وأخوه أبو المنذر يزيد ، بدرى أيضاً ، وأبو اليسر كعب بن عمرو ، بدرى ، وصيفى بن سواد ابن عباد ، وثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابى ، بدرى واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو ابن غنمة بن عدى ، وعبس بن عامر بن عدى ، بدرى ، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى ، وعبد الله بن أنيس ، حليف لهم من قضاعة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، أحد النقباء ، بدرى واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، بدرى ، وثابت بن الجذع ، بدرى وقتل شهيداً بالطائف ، وعمير بن الحارث ابن ثعلبة ، بدرى ، وخديج بن سلامة ، حليف لهم من بلى ، ومعاذ بن جبل ، شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عمواس فى خلافة عمر بن الخطاب ، وعبادة بن الصامت ، أحد النقباء ، شهد بدراً وما بعدها ، والعباس بن عبادة بن نضلة ، وقد أقام

بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له : مهاجرى أنصارى أيضاً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم ، حليف لهم من بلى ، وعمرو بن الحارث بن لبدة ، ورفاعة بن عمرو بن زيد ، بدرى ، وعقبة بن وهب بن كلدة ، حليف لهم ، بدرى ، وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها ، فهو ممن يقال له : مهاجرى أنصارى أيضاً ، وسعد بن عبادة بن دليم ، أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو ، نقيب بدرى أحدى وقتل يوم بئر معونة أميراً ، وهو الذى يقال له : أعنق ليموت ، وأما المرأتان : فأم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم ابن مازن بن النجار المازنية النجارية قال ابن إسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها خبيب وعبد الله ، وابنها خبيب هذا هو الذى قتله مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لاأسمع ، فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يديه لايزيده على ذلك ، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة ، رضى الله عنها ، والأخرى أم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى ابن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة رضى الله عنها .

بـــــــاب

بدء الهجـــرة من مكة إلى المدينـــــة

قال الزهرى : عن عروة عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ ـ وهو يومئذ بمكة ـ للمسلمين : « قد أُريتُ دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين ، رواه البخارى ، وقال أبو موسى عن النبى ﷺ : « رأيت فى المنام أنى أهاجر مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب » وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع أخر بطوله ، ورواه مسلم كلاهما عن أبى كريب ، زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبى أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى عن النبى ﷺ الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس القاسم ابن القاسم السيارى بمرو حدثنا إبراهيم بن هلال حدثنا على بن الحسن بن شقيق حدثنا

عيسى بن عبيد الكندى عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبى ﷺ ، قال : « إن الله أوحى إلىّ : أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهى دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليهـــا .

هذا حديث غريب جداً وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمر بن جرير عن جرير ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أوحى إلىّ : أى هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل ، تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات إلا أنه قال : روى عن أبى زرعة حديثاً منكراً فى الهجرة والله أعلم .

قال ابن إسحاق : لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله : ﴿ **أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ [1] الآية ، فلما أذن الله فى الحرب وتابعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصـرة له ، ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهـاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إن الله قد جعل لكم إخوانا وداراً تأمنون بها » فخرجوا إليها أرسالا ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم : أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخوانا فعزم إليهـــا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة عن جدته أم سلمـة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رَحَّل لى بعيره ثم حملنى عليه ، وجعل معى ابنى ، سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره ،

---

(١) آيتا : ٣٩ ، ٤٠ من سورة الحج .

فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة ، وقالوا : والله لانترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ، قالت فَفُرِّقَ بينى وبين ابنى وبين زوجى ، قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي ـ سنة أو قريبا منها ـ حتى مر بى رجل من بني عمى ، أحد بني المغيرة ، فرأى مابى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تحرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك ، إن شئت ، قالت : فرد بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى ، قالت : فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، قالت : وما معى أحد من خلق الله ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار ، فقال : إلى أين يابنت أبى أمية ؟ قلت : أريد زوجى بالمدينة ، قال : أوما معك أحد ؟ قلت : مامعى أحد إلا الله وبنى هذا ، فقال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير فانطلق معى يهوى بى ، فوالله ، ماصحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى وقال : اركبى ، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطمه فقادنى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك فى هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلا ـ فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته : الحارث وكلاب ومسافع ، وعمه ، عثمان بن أبى طلحة ، ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بنى شيبة مفاتيح الكعبة ، أقرها عليهم فى الإسلام كما كانت فى الجاهلية ، ونزل فى ذلك قوله تعالى **﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾** [1] الآية .

---

(١) الآية : ٥٨ من سورة النساء .

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدى ، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة العدوية ، ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد أبى أحمد ، اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل : ثمامة ، قال السهيلى : والأول أصح ، وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فغلقت دار بنى جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل ابن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يبابا ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال :

وكـلُّ دارٍ وإن طالـتْ سلامـتُهـا * يومـاً سَتُـدْرِكُهـا النَّكبـاءُ والحـوبُ

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبى داود الإيادى فى قصيدة له ، قال السهيلى : واسم أبى داود حنظلة بن شرقى . وقيل : حارثة . ثم قال عتبة : أصبحت دار بنى جحش خلاء من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكى عليه من فل ابن فل [1] ثم قال - يعنى للعباس - هذا من عمل ابن أخيك هذا ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع ما بيننا .

قال ابن إسحاق : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر ، ثم قدم المهاجرون أرسالا . قال : وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرةً ، رجالهم ونساؤهم ، وهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع وعقبة ابنا وهب ، وأربد بن جميرة [2] ، ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نضلة ، وزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو ، وربيعة بن أكثم ، والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة ابنة رقيش ، وسخبرة بنت تميم . قال أبو أحمد بن جحش فى هجرتهم إلى المدينة :

---

(١) قال ابن هشام : الفل الواحد ، واستشهد ببيت لبيد بن ربيعة :

كل بنى حرة مصيرهم * فل وإن أكثرت من العدد

(٢) قال ابن هشام : ويقال ابن حميرة .

ولــمــا رأتـنـى أمُّ أحـمــدَ غاديا * بذمــة من أخــشى بغيبٍ وأرهــبُ
تقـول فإمـا كنتَ لابـد فاعـلا * فيمّم بنـا البلدان ولتنـأ يثـربُ
فقلت لهـا : مايثرب بمظنة [1] * ومـا يشـأ الـرحمن فالعبد يركبُ
إلى الله وجهى والرسول ومن يقمْ * إلـى الله يومـاً وجـهـه لا يُخَيَّبُ
فكم قد تركنا من حميمٍ مُناصِحٍ * ونـاصحـةٍ تبكى بدمـع وتنـدبُ
ترى أن وتـراً نأينـا عن بلادنـا * ونـحـن نرى أنّ الـرغـائـبَ نَطْلُبُ
دعـوت بنى غنم لحقن دمـائهم * ولـلحق لمَّـا لاح للنـاس ملحبُ
أجـابـوا بحمد الله لما دعـاهم * إلى الحق داعٍ والنجاحَ فأوعبـوا
وكنا وأصحابـاً لنا فارقوا الهدى * أعــانـوا علينـا بالسلاح وأجلبوا
كفـوجيْن إمّـا منهمـا فمُـوفّق * على الحق مَهْـدِىّ وفـوج مُعَـذَّبُ
طغـوا وتـمـنوا كذبـة وأزلّـهـم * عن الحق إبليس فخـابـوا وخيِّبـوا
ورعنـا إلـى قول النبى محمدٍ * فطاب وُلاةُ الـحـق منا وطيبـوا
نمـتُّ بأرحـام إلـيهـم قريبـةٍ * ولا قُرْبَ بالأرحـامِ إذ لا تُقـربُ
فأىّ ابـن أختٍ بعـدنـا يأمَنَنّكم * وأيّةُ صهـر بعـد صهـرى يُرقـبُ
ستـعـلـم يومـاً أيّنـا إذ تزايلوا * وزيل أمـر النـاس للحق أصـوبُ

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبى ربيعة حتى قدما المدينة ، فحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه ، قال : اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاص ؛ التناضب من إضاة بنى غفار فوق سرف ، وقلنا : أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه ، قال : فأصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وفتن فافتتن ، فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام إلى عياش - وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما - حتى قدما المدينة ورسول الله ﷺ بمكة ، فكلماه وقالا له : إن أمك قد نذرت أن لايمس رأسها مشط حتى تراك ، ولاتستظل من شمس حتى تراك ، فرق لها . فقلت له : إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال : فقال : أبرّ قسم أمى ولى هنالك مال فآخذه . قال : قلت : والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما . قال : فأبى علىّ

---

(١) فى ابن هشام : فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا .

إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت : أما إذا فعلت مافعلت فخذ ناقتى هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليها . فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : ياأخى ، والله لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووْا بالأرض عَدَوَا عليه فأوثقاه رباطا ، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن . قال عمر : فكنا نقول : لايقبل الله ممن افتتن توبة . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وأنزل الله : ﴿ **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ (١) قال عمر : وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام : فلما أتتنى جعلت أقرأها بذى طوى ، أصعد بها وأصوب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فألقى الله فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ، ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه ، فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة . وذكر ابن هشام أن الذى قدم بهشام بن العاص ، وعياش بن أبى ربيعة إلى المدينة ، الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بهما يحملهما على بعيره وهو ماش معهما . فعثر فدميت أصبعه فقال :

هل أنت إلا أصبع دمِيت * وفى سبيل الله ما لَقِيت

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء ، قال : أول من قدم علينا : مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عمار وبلال . وحدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت البراء بن عازب ، قال : أول من قدم علينا : مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، وكانا يُقرئان الناس ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين نفراً من أصحاب النبى ﷺ ، ثم قدم النبى ﷺ ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن : قدم رسول الله ﷺ ، فما قدم حتى قرأت ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ (٢) فى سور من المفصل . ورواه مسلم فى صحيحه من حديث إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب بنحوه ، وفيه التصريح بأن سعد بن

---

(١) الآيات : ٥٣ ـ ٥٥ من سورة الزمر .
(٢) الآية : ١ من سورة الأعلى .

أبى وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهرى أنه إنما هاجر بعد رسول الله ﷺ ، والصواب ما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمى ، زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله التميمى ، حليف لهم ، وخولى بن أبى خولى ومالك بن أبى خولى ، حليفان لهم من بنى عجل ، وبنو البكير : إياس وخالد وعاقل وعامر وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر فى بنى عمرو بن عوف بقباء .

قال ابن إسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم ، فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف أخى بلحارث بن الخزرج بالسنح ، ويقال : بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة .

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبى عثمان النهدى أنه قال : بلغنى أن صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لايكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم ! قال : فإنى قد جعلت لكم مالى . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب » وقد قال البيهقى : حدثنا الحافظ أبو عبد الله ـ إملاء ـ أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أخبرنا عبدان الأهوازى حدثنا زيد بن الجريش حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا حصين بن حذيفة بن صيفى بن صهيب حدثنى أبى وعمومتى عن سعيد بن المسيب عن صهيب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرتين ، فإما أن تكون هجَر أو تكون يثرب » . قال : وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدنى فتيان من قريش ، فجعلت ليلتى تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكياً ـ فناموا : فخرجت ولحقنى منهم ناس بعد ماسرت يريدون ليردونى ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواقى من ذهب وتخلون سبيلى وتوفون لى ، ففعلوا فتبعتهم إلى مكة ، فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب فإن بها أواقى ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين . وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت : يارسول الله ماسبقنى إليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغنويان ، حليفا حمزة ، وأنسة ، وأبو كبشة ، موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقيل : على سعد بن خيثمة ، وقيل : بل نزل على أسعد بن زرارة ، والله علم .

قال : ونـزل عبيدة بن الحـارث ، وأخواه الطفيل ، وحصين ، ومسطح بن أثاثة ، وسويبط بن سعد بن حريملة ، أخو بنى عبد الدار ، وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصى ، وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة ، أخى بلعجلان بقباء [١] . ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع . ونزل الزبير ابن العوام وأبو سبرة بن أبى رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بنى جحجبى . ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ . ونزل أبو حذيفة ابن عتبة وسالم مولاه على سلمة . قال ابن إسحاق : وقال الأموى : على خبيب بن إساف أخى بنى حارثة . ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش فى بنى عبد الأشهل . ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار . قال ابن إسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً ، والله أعلم أى ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى أحمد بن أبى بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب ابن عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال : قدمنا من مكة فنزلنا العصبة ؛ عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم ، مولى أبى حذيفة ؛ فكان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً .

فصـــــل
فى سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمـة

قال الله تعالى : ﴿ وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا ﴾ [٢] أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء وأن يجعل له مما هو فيه فرجا قريباً ومخرجا عاجلا ، فأذن له تعالى فى الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

---

(١) كذا بالأصلين . وابن هشام : على عبد الله أخى بلحارث بن الخزرج فى دار بلحارث بن الخزرج .
(٢) الآية : ٨٠ من سورة الإسراء .

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة عن جرير عن قابوس بن أبى ظبيان [١] عن أبيه عن ابن عباس : كان رسول الله ﷺ بمكة ، فأمر بالهجرة وأنزل عليه : ﴿ **وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً** ﴾ وقال قتادة : ﴿ **أدخلنى مدخل صدق** ﴾ المدينة ﴿ **وأخرجنى مخرج صدق** ﴾ الهجرة من مكة ﴿ **واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً** ﴾ كتاب الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أو فتن ، وعلى بن أبى طالب وأبو بكر ابن أبى قحافة رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فيقول له : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يكونه ، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم وعرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار الندوة ، وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لاتقضى أمراً إلا فيها ، يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله ﷺ حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس ، وغيره ممن لاأتهم عن عبد الله بن عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا فى دار النَدْوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله ﷺ ، غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس ، لعنه الله ، فى صورة شيخ جليل عليه بتلة [٢] فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لايعدمكم منه رأيا ونصحاً ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش : عتبة وشيبة وأبو سفيان وطعيمة بن عدى وجبير ابن مطعم بن عدى والحارث بن عامر بن نوفل والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام

---

(١) كذا فى المصرية وفى الحلبية : قابوس بن أبى طمهان .

(٢) كذا فى سيرة ابن هشام ، وفى ح : عيبة (ولعلها عليه) تب له ، وفى المصرية عليه ثب له وكل ذلك تصحيف .

وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف ، ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش ، فقال بعضهم لبعض :

إن هذا الرجل قد كان من أمره ماقد رأيتم ، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا ، قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم ـ قيل : إنه أبو البختري بن هشام ـ احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ماهذا لكم برأى ، فتشاوروا ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله مانبالى أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ماهذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأيا غير هذا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً . فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم ، قال : يقول الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى ولا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له : لاتَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب : « نم على فراشى وتسجّ ببردى هذا الحضرمى الأخضر ، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم » . وكان رسول الله ﷺ ينام فى برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التى ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدى بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم فى بعض فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن أبى زياد عن محمد بن كعب القرظى . قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال ـ وهم على بابه ـ إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها . قال : فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات ﴿ **يسٓ . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون** ﴾ [(١)] ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون هنا ؟ قالوا : محمدا ، فقال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ! أفما ترون مابكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما ، عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علىّ عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى كان حدثنا .

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل الله فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ [(٢)] وقوله : ﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين** ﴾ [(٣)] قال ابن إسحاق : فأذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة .

---

(١) الآيات : ١ ـ ٩ من سورة يسٓ .

(٢) الآية : ٣٠ من سورة الأنفال .

(٣) آيتا : ٣٠ ، ٣١ من سورة الطور .

بـــــاب
هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكـــة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وذلك أول التاريخ الإسلامى كما اتفق عليه الصحابة فى الدولة العمرية كما بيناه فى سيرة عمر رضى الله عنه وعنهم أجمعين . قال البخارى : حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال : بعث النبى ﷺ لأربعين سنة ، فمكث فيها ثلاث عشرة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقد كانت هجرته ﷺ فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته ﷺ وذلك فى يوم الاثنين ، كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ونبىء يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين .

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فقال له : لاتعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا ؛ قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعنى نفسه ، فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما إعدادا لذلك ، قال الواقدى : اشتراهما بثمانمائة درهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى مَن لاأتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لايخطىء رسول الله ﷺ أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه رسوله ﷺ فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة فى ساعة كان لايأتى فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله ﷺ فى هذه الساعة إلا لأمر حدث ! قالت : فلما تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند رسول الله ﷺ [1] أحد إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله ﷺ : « أخرج عنى من عندك » قال : يارسول الله إنما هما ابنتاى ، وماذاك فداك أبى وأمى ؟ قال : « إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة » قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يارسول الله ؟ قال : « الصحبة » قالت : فوالله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر

---

(١) كذا بالاصلين والذى فى ابن هشام : وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى .

يومئذ يبكى ، ثم قال : يانبى الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقد [1] قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن أريقط ، رجلا من بنى الدئل بن بكر ، وكانت أمه من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركا ، يدلهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم ـ فيما بلغنى ـ بخروج رسول الله ﷺ أحد ، حين خرج إلا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر ، أما علىّ فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ، قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبى قحافة فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته .

وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق ، قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئاً ، اللهم أعنّى على هول الدنيا وبوائق الدهر ، ومصائب الليالى والأيام ، اللهم اصحبنى فى سفرى ، واخلفنى فى أهلى ، وبارك لى فيما رزقتنى ولك فذلِّلنى ، وعلى صالح خُلُقى فقوِّمنى ، وإليك رب فحببنى ، وإلى الناس فلا تكلنى ، رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السمٰوات والأرض ، وكشفت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تحل على غضبك ، أو تنزل بى سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك ، وتحول عافيتك وجميع سخطك ، لك العتبى عندى خير ما استطعت ، لاحول ولا قوة إلا بك » .

قال ابن إسحاق : ثم عمدا إلى غار بثور ـ جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه ، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار ، فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة يرعى فى رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى

---

(١) كذا فى المصرية وفى ح : عبد الله ابن أرقأ وصحته : عبد الله بن أريقط .

مكـة أتبـع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه ، وسيأتى فى سياق البخارى مايشهد لهذا ، وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله ﷺ سبق الصديق فى الذهاب إلى غار ثور ، وأمر عليا أن يدله على مسيره ليلحقه ، فلحقه فى أثناء الطريق ، وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

قال ابن إسحاق : وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تأتيهما من الطعام إذا أمست بمـا يصلحهما ، قالت أسماء : ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : لاأدرى والله أين أبى ، قالت : فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثا ـ فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم ـ أو ستة آلاف درهم ـ فانطلق بها معه ، قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة ـ وقد ذهب بصره ـ فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت : قلت : كلا ياأبة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت : وأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة فى البيت التى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبة ضع يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده عليه فقال : لابأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

وقال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى ، قال : انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ فلمس الغـار لينـظر أفيه سبع أو حية يقى رسول الله ﷺ بنفسه ، وهذا فيه انقطاع من طرفيه ، وقد قال أبو القاسم البغوى : حدثنا داود بن عمرو الضبى حدثنا نافع بن عمر الجمحى عن ابن أبى مليكة : أن النبى ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبى ﷺ مرة ، وخلفه مرة ، فسأله النبى ﷺ عن ذلك فقال : إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدى فأحسه وأقصه فإن كانت فيه دابة أصابتنى قبلك . قال نافع : فبلغنى أنه كان فى الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شىء يؤذى رسول الله ﷺ ، وهذا مرسل .
وقد ذكرنا له شواهد أخر فى سيرة الصديق رضى الله عنه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق أنبأنا موسى ابن الحسن حدثنا عباد حدثنا عفان بن مسلم حدثنا السرى بن يحيى حدثنا محمد بن سيرين ، قال : ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبى بكر . فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبى بكر خير من آل عمر ، لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال : « يا أبا بكر ، مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى ؟ » فقال : يارسول الله ، أذكر الطلب فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك . فقال : « يا أبا بكر ، لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دونى ؟ » قال : نعم ، والذى بعثك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يارسول الله حتى أستبرىء لك الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الجحرة فقال : مكانك يارسول الله حتى أستبرىء . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يارسول الله ، فنزل . ثم قال عمر : والذى نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر .

وقد رواه البيهقى من وجه آخر عن عمر ، وفيه : أن أبا بكر جعل يمشى بين يدى رسول الله ﷺ تارة ، وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه : أنه لما حفيت رجلا رسول الله ﷺ حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجحرة كلها وبقى منها جحر واحد ، فألقمه كعبه ، فجعلت الأفاعى تنهشه ودموعه تسيل ، فقال له رسول الله ﷺ : « لاتحزن إن الله معنا » وفى هذا السياق غرابة ونكارة . وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا عباس الدورى حدثنا أسود بن عامر شاذان حدثنا إسرائيل عن الأسود عن جندب بن عبد الله ، قال : كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ فى الغار ، فأصاب يده حجر فقال :

إن أنت إلا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرنى عثمان الجزرى أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك** ﴾ [1] قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبى ﷺ . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه .

---

(١) الآية : ٣٠ من سورة الأنفال .

فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلـك ، فبات عليٌّ على فراش النبى ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبى ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبونه النبى ﷺ . فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا عليًّا رد الله عليهم مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لاأدرى ، فاقتفوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغـار ، فرأوا على بابـه نسـج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال . وهذا إسناد حسن وهو من أجود ما روى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ .

[وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن سعيد القاضى فى مسند أبى بكر : حدثنا بشار الخفاف حدثنا جعفر وسليمان (١) حدثنا أبو عمران الجونى حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصـرى ، قال : انـطلق النبى ﷺ وأبـو بكر إلى الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبى ﷺ ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل أحد ، وكـان النبى ﷺ قائماً يصلى وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبى ﷺ : هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسى أئل (٢) ، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبى ﷺ : « يا أبا بكر لاتخف إن الله معنا » وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن بحاله من الشاهد ، وفيه زيادة صلاة النبى ﷺ فى الغار . وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا أحزنه أمر صلى . وروى هذا الرجل ـ أعنى أبا بكر أحمد بن على القاضى ـ عن عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى بن مطر عن أبيه عن أبى هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يابنى ، إذا حدث فى الناس حدث فأت الغار الذى اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه فإنه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا] (٣) .

وقد نظم بعضهم هذا فى شعره حيث يقول :

نسـج داود ماحـمى صاحب الغا ❋ ر وكـان الـفـخـار للعـنـكـبـوت

وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضاً ، وقد نظم ذلك الصرصرى فى شعره حيث يقول :

فغـمّـى عليه العنكبـوت بنسجـهِ ❋ وظـل على البـاب الحمام يبيضُ

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله جعفر بن سليمان الضبعى

(٢) ألّ المريض والحزين : أنّ وحنّ ورفع صوته

(٣) ما بين المربعين زيادة فى النسخة الحلبية .

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا عمرو بن على حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسى - ويلقب بعوين - حدثنى أبو مصعب المكى ، قال : أدركت زيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة ، وأنس بن مالك ، يذكرون أن النبى ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة ، فخرجت فى وجه النبى ﷺ تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله ﷺ ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان حتى وقعتا بين العنكبوت والشجرة ، وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قدر مائتى ذراع قال الدليل - وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى - هذا الحجر ثم لاأدرى أين وضع رجله ؟ فقال الفتيان : أنت لم تخطىء منذ الليلة ، حتى إذا أصبحوا قال : انظروا فى الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبى ﷺ قدر خمسين ذراعا ، فإذا الحمامتان ترجع [1] ، فقالوا : ماردك أن تنظر فى الغار ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمعها النبى ﷺ فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما فسمت عليهما - أي برّك عليهما - وأحدرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى .
وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو- وهو الملقب بعوين - بإسناده مثله ، وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين وفى هذا الحديث أن القافى الذى اقتفى لهم الأثر سراقة بن مالك المدلجى . وقد روى الواقدى عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه أن الذى اقتفى لهم الأثر كرز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الأثر ، والله أعلم . وقد قال الله تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمةُ الله هى العليا والله عزيز حكيم** ﴾ [2] يقول تعالى مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول : ﴿ **إلا تنصروه** ﴾ أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره ﴿ **إذ أخرجه الذين كفروا** ﴾ من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبى بكر ليس غيره ، ولهذا قال : ﴿ **ثانى اثنين إذ هما فى الغار** ﴾ أى وقد لجآ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة

---

(١) يظهر أن هنا نقص .
(٢) الآية : ٤٠ من سورة التوبة .

أيام ليسكن الطلب عنهما ، وذلك لأن المشركين حين فقدوهما ، كما تقدم ، ذهبوا فى طلبهما كل مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردهما ـ أو أحدهما ـ مائة من الإبل ، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم ، وكان الذى يقتص الأثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم ، كما تقدم ، فصعدوا الجبل الذى هما فيه وجعلوا يمرون على باب الغار ، فتحاذى أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما ، حفظاً من الله لهما ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا همام أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه ، قال : قلت للنبى ﷺ ونحن فى الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث همام به . وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبى ﷺ : « لو جاءونا من ههنا لذهبنا من هنا » فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ، وسفينة مشدودة إلى جانبه . وهذا ليس بمنكر من حديث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الفضل بن سهل حدثنا خلف بن تميم حدثنا موسى بن مطير القرشى عن أبيه عن أبى هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يابنى إن حدث فى الناس حدث فأت الغار الذى رأيتنى اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكُن فيه ، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية . ثم قال البزار : لا نعلم من يرويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك ، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه . وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن الصديق قال فى دخولهما الغار ، وسيرهما بعد ذلك ، وما كان من قصة سراقة كما سيأتى شعراً ، فمنه قوله :

قال النبى ـ ولم أجزع ـ يوقرنى * ونحن فى سدف من ظلمة الغار
لاتخش شيئاً فإن الله ثالثنا * وقد توكل لى منه بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطولة جداً ، وذكر معها قصيدة أخرى ، والله أعلم . وقد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير ، قال : فمكث رسول الله ﷺ بعد الحج ـ يعنى الذى بايع فيه الأنصار ـ بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، ثم إن مشركى قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، أو يحبسوه ، أو يخرجوه ، فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه ﴿ وإذ

يمكر بك الذين كفروا ﴾ (١) الآية . فأمر عليًّا فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما أصبحوا ذهبوا فى طلبهما فى كل وجه يطلبونهما . وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه ، وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلا . وقد تقدم عن الحسن البصرى فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضاً .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل ، قال ابن شهاب : فأخبرنى عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ برك الغماد (٢) لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد القارة ، فذكرت ما كان من رده لأبى بكر إلى مكة وجواره له ، كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر : فإنى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . قالت : والنبى ﷺ يومئذ بمكة . فقال النبى ﷺ للمسلمين : « إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع بعض من هاجر قبل الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسول الله ﷺ : « على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال : نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط ـ (٣) أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر ، قال ابن شهاب ، قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوما ، جلوس فى بيت أبى بكر فى حر الظهيرة ، فقال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعاً ، فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل ، فقال النبى ﷺ : « أخرج من عندك » فقال أبو بكر ، إنما هم أهلك ، بأبى أنت يارسول الله ، قال : فإنه قد أذن لى فى الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبى أنت وأمى ، قال النبى ﷺ : « نعم » ! قال أبو بكر : فخذ أنت يارسول الله إحدى راحلتى هاتين . فقال

---

(١) الآية : ٣٠ من سورة الأنفال .

(٢) برك الغماد ، بفتح الباء وكسرها وضم الغين وكسرها ، موضع باليمن .

(٣) كذا بالأصلين . والذى فى النهاية : السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح ، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها .

رسول الله ﷺ : بالثمن . قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سميت ذات النطاقين . قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، لايسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة [1] من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل ـ وهو لبن منحتهما ورضيفهما ـ حتى [ينعق بها] [2] عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث . واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بنى الدئل وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خريتا ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفا فى آل العاص بن وائل السهمى ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثورٍ بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل . قال ابن شهاب : فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن أخى سراقة أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال : ياسراقة إنى رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ ، وأخذت رمحى فخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسى فركبتها فدفعتها ففرت بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى فخررت عنها فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى وعصيت الأزلام ، فجعل فرسى يقرب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لايلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها فأهويت ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة

---

(١) أى غنم فيها لبن :

(٢) الذى فى الأصلين : حتى يتبعونهما

إذا لأثـر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره ؛ فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار مايريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يرزآنى ولم يسألانى إلا أن قالا : أخفِ عنا . فسألته أن يكتب لى كتاب أمن ، فأمر عامر ابن فهيرة فكتب لى رقعة من أدم . ثم مضى رسول الله ﷺ .

وقد روى محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذى يكره لايضره ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذى يكره لايضره ، حتى ناداهم بالأمان ، وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمارة ما بينه وبين رسول الله ﷺ ، قال : فكتب لى كتابا فى عظم ـ أو رقعة أو خرقة ـ وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف ، فقال له : « يوم وفاء وبر ، أدنه » فدنوت منه وأسلمت . قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث ابن مالك بن جعشم [١] وهذا الذى قاله جيد .

ولما رجع سراقة جعل لايلقى أحدا من الطلب إلا رده وقال : كفيتم هذا الوجه ، فلما ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبى ﷺ وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . فخاف رؤساء قريش معرتـه ، وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم ، وكان سراقة أمير بنى مدلج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ إليهم :

بنى مدلـج إنى أخاف سفيهكم * سراقـةَ مستـغـوٍ لنصـر محمـد
عليكـم به ألا يفـرق جمعـكـم * فيصبـح شتـى بعـد عِزٍّ وسُؤْدُد

قال : فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل فى قوله هذا :

أبـا حكـم والله لو كنـت شاهـداً * لأمـر جوادى إذ تسـوخ قوائمُـه
عجبتَ ولم تشكـك بأن محمـداً * رسـول [٢] وبـرهـان فمن ذا يقـاومُـه
عليك فكـف القـوم عنـه فإننى * أخـالُ لنـا يومـا ستبـدو معالمـه

---

(١) كذا فى الأصل وفى سيرة ابن هشام . وفى الخلاصة عبد الرحمن بن مالك بن جعشم .

(٢) فى المصرية : نبى وبرهان فمن ذا يكاتمه .

بأمرٍ تودُّ النصرَ فيه فإنهم * وإن جميع الناس طراً مسالمه

[(1) وذكر هذا الشعر الأموى فى مغازيه بسنده عن أبى إسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد فى شعر أبى جهل أبياتا تتضمن كفرا بليغا] .

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين ، كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسى الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك ، فلبث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل ، غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » ، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ، فقالا : بل نهبه لك يارسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً ، فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه ، وهو يقول حين ينقل اللبن :

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

---

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

ويقـــول :

لاهُـمّ إن الأجر أجـر الآخـره * فارحـم الأنـصـار والمهـاجـره [1]

فتمثـل بشعـر رجـل من المسلمين لم يسم لى ، قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات ، هذا لفظ البخارى وقد تفرد بروايته دون مسلم وله شواهد من وجوه أخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية ، ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتبا أولا فأولا . .

قال الإمام أحمد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العنقزى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب ، قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب : مر البراء فليحمله إلى منزلى ، فقال : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فأدلجنا فأحثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت بصرى هل أرى ظلا نأوى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها ، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة وقلت : اضطجع يارسول الله فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هَل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعى غنم ، فقلت : لمن أنت ياغلام ؟ فقال لرجل من قريش ـ فسماه فعرفته ـ فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم ! قلت : هل أنت حالب لى ؟ قال : نعم ! فأمـرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعى إداوة على فمها خرقة فحلب لى كثبة [2] من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يارسول الله ، فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال : « لاتحزن إن الله معنا » حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح ـ أو رمحين أو قال : رمحين أو ثلاثة ـ قلت : يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ وبكيت ، قال لِمَ تبكى ؟ قلت : أما والله ما على نفسى أبكى ، ولكن أبكى عليك ، فدعا عليه رسول

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ابن هشام : أن المسلمين كانوا يقولون :

لاعيش إلا عيش الآخره * اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

وأن رسول الله ﷺ يقول :

لاعيش إلا عيش الآخره * اللهم فارحم المهاجرين والأنصار . . بغير من الوزن

(٢) الكثبة من اللبن القليل منه .

الله ﷺ فقال : « اللهم اكفناه بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد ووثب عنها وقال : يامحمد قد علمتُ أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لأعمين على من ورائى من الطلب ، وهذه كنانتى فخذ منها سهما فإنك ستمر بإبلى وغنمى بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لى فيها » ودعا له رسول الله ﷺ فأُطلِق ورجع إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا فى الطرق وعلى الأناجير [1] واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون : الله أكبر ، جاء رسول الله ﷺ ، جاء محمد ، قال : وتنازع القوم أيهم ينزل عليه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك » ، فلما أصبح غدا حيث أمره .

قال البراء : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ، أخو بنى عبد الدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بنى فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً ، فقلنا : ما فعل رسول الله ؟ قال : هو على أثرى ، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبـو بكر معه ، قال البراء : ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل ، أخرجاه فى الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء : أول من قدم علينا الخ ، فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به .

وقال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعـل لها عصاماً فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاماً ثم علقتها به ، فكان يقال لها ذات النطاقين لذلك .

قال ابن إسحاق : فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبى وأمى ، فقال رسول الله ﷺ : « إنى لا أركب بعيراً ليس لى » قال : فهى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى ، قال : « لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ » قال : كذا وكذا ، قال : « أخذتها بذلك » قال : هى لك يارسول الله .

وروى الواقدى بأسانيده أنه ﷺ أخذ القصواء ، قال : وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة

---

(١) فى النهاية : تلقته الناس على الأناجير ، يعنى السطوح .

درهم ، وروى ابن عساكر من طريق أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : وهى الجدعاء وهكذا حكى السهيلى عن ابن إسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما فى الطريق ، فحدثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم ، قالت : فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائهِ * رفيقَيْن حلاَّ خيمتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبر ثم ترَوَّحا * فأفلح من أمسى رفيقَ محمدِ
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقد [1] كذا يقول ابن إسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الدئلى ، وكان إذ ذاك مشركا .

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار [2] ثم أجاز بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا ، ثم أجاز بهما مدلجة لقف ، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذى العضوين ، ثم بطن ذى كشر ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الأجرد ، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن ، ثم على العبابيد ، ثم أجاز بهما القاحة [3] ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض

---

(١) كذا فى الأصلين : وفى ابن هشام عن ابن إسحاق فى جميع المواضع : عبد الله بن أرقط . واستدرك على ابن إسحاق بقوله : ويقال : عبد الله بن أريقط .

(٢) فى الأصلين الحرار . وهى جمع الحرة . والذى فى ابن هشام : الخرار بالخاء المعجمة وتشديد الراء موضع بالحجاز .

(٣) فى أصل ابن إسحاق : الفاجة بفاء وجيم .

ظهرهم ، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له : أوس بن حجر على جمل يقال له : ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له : مسعود بن هنيدة ، ثم خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ـ ويقال : ثنية الغائر فيما قال ابن هشام ـ حتى هبط بهما بطن ريم ، ثم قدم بهما قباء [1]] على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدى نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه فى بعضها والله أعلم .

قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن إسحاق عن السراج حدثنا محمد بن عبادة بن موسى العجلى حدثنى أخى موسى بن عبادة حدثنى عبد الله بن سيار حدثنى إياس بن مالك بن الأوس الأسلمى عن أبيه ، قال : لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مروا بإبل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله ﷺ : « لمن هذه الإبل ؟ » فقالوا : لرجل من أسلم ، فالتفت إلى أبى بكر فقال : « سلمت إن شاء الله ، فقال : ما اسمك ؟ » قال مسعود ، فالتفت إلى أبى بكر فقال : « سعدت إن شاء الله » ، قال فأتاه أبى فحمله على جمل يقال له : ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ، والظاهر أن بين خروجه ﷺ من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما ، لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهى أبعد من الطريق الجادة واجتاز فى مروره على أم معبد بنت كعب من بنى كعب بن خزاعة ، قال ابن هشام : وقال يونس عن ابن إسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم ، وقال الأموى : هى عاتكة بنت تبيع حليف بنى منقذ بن ربيعة بن أصرم بن صنبيس [2] بن حرام ابن خيسة بن كعب بن عمرو ، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبى معبد ،

---

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة المصرية .

(٢) كذا فى الأصلين فى المكانين وفى الإصابة خبيس مصغراً ذكر ذلك فى ترجمة أختها حبيش الأشعرى والذى فى السهيلى : عاتكة بنت خلد إحدى بنى كعب من خزاعة وهى أخت حبيش بن خلد . وخلد الأشعر أبوهما هو ابن حنيف بن منقذ

واسمه أكثم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم بن صنبيس ، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا .

وهـذه قصـة أم معبد الخزاعية ، قال يونس عن ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم فأرادوا القِرى ، فقالت : والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب فى العس حتى أرغى وقال : « اشربى يا أم معبد » فقالت : اشرب فأنت أحق به ، فرده عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروح ، وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه ، فقالوا : أرأيت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها ، فقالت : ما أدرى ما تقولون ، قدمنا فتى حالب الحائل ، قالت قريش : فذاك الذى نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله حدثنا أبى عن أبيه عن جابر ، قال : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار ، إذا فى الغار جحر فألقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شىء ، فأقاما فى الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد ، فأرسلت إليه أم معبد إنى أرى وجوها حسانا ، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى ، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة ، فقال رسول الله ﷺ : « اردد الشفرة وهات لنا فرقا » يعنى القدح ، فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد ، قال : هاتِ لنا فرقا ، فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فحلب فملأ القدح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد . ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدث عنه إلا يعقوب بن محمد وإن كان معروفاً فى النسب .

وروى الحـافظ من حديث يحيى بن زكـريا بن أبى زائـدة ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهانى سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بكر الصديق ، قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فانتهينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت منتحيا فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد فعليكما بعظيم الحى إن أردتم

القِرى . قال : فلم يجبها ج وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها بأعنز يسوقها ، فقالت : يا بنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما : تقول لكما أمى : اذبحا وأطعمانا ، فلما جاء قال له النبى ﷺ : « انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح » قال : إنها قد عزبت وليس بها لبن . قال : انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبى ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال : انطلق به إلى أمك ، فشربت حتى رويت ، ثم جاء به ، فقال : انطلق بهذه وجئنى بأخرى ، ففعل بها كذلك ، ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ، ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبى ﷺ ، فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك ، وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فمر أبو بكر فرأى ابنها فعرفه فقال : يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك ، فقامت إليه فقالت : ياعبد الله ، من الرجل الذى كان معك ؟ قال : أوما تدرين من هو ؟ قالت :لا ، قال : هو نبى الله قالت : فأدخلنى عليه ، قال : فأدخلها ، فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاها ـ زاد ابن عبدان فى روايته :ـ فانطلقت معى ، وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط ومتاع الأعراب . فكساها وأعطاها . قال : ولا أعلمه إلا قال : وأسلمت . إسناد حسن .

وقال البيهقى : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هى ، والله أعلم .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا الحسن بن مكرم حدثنى أبو أحمد بشر بن محمد السكرى حدثنا عبد الملك بن وهب المذحجى حدثنا أبجر بن الصباح عن أبى معبد الخزاعى أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى ، فمروا بخيمتى أم معبد الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى ، فسألوها : هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك ، وقالت : لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القِرى ، وإذا القوم مرملون مسنتون . فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة فى كسر خيمتها فقال : « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ » فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : « فهل بها من لبن ؟» قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : « تأذنين لى أن أحلبها ؟ » قالت : إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بإناء لها يربض الرهط ، فتفاجت واجترت فحلب فيه ثجا حتى ملأه وأرسله إليها فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل ، حتى إذا رووا شرب آخرهم وقال : « ساقى القوم

آخرهم » ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا . قال : فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزلى لا نقى بهن مخهن قليل ، فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة فى البيت والشاة عازب ؟ فقالت : لا والله ، إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . فقال : صفيه لى ، فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب . فقالت .

رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، حسن الخلق ، مليح الوجه ، لم تعبه نجلة ، ولم تزر به صلعة ، قسيم وسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، أحول ، أكحل ، أزجّ ، أقرن ، فى عنقه سطع ، وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ، ربعة ، لا تشنأه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قددا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود لا معتد فقال ـ يعنى بعلها ـ هذا والله صاحب قريش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .
قال : وأصبح صوت بمكّة عال بين السماء والأرض يسمعونه ، ولا يرون من يقول وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتىْ أم معبدِ
هما نزلا بالبر وارتحلا به * فأفلح من أمسى رفيقَ محمدِ
فيا لقصى ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجازى وسُؤْددِ
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاة حائل فتحلبتْ * له بصريح ضرة الشاة مزبدِ
فغادره رهنا لديها لحالب * يدر لها فى مصدر ثم موردِ

قال : وأصبح الناس ـ يعنى بمكّة ـ وقد فقدوا نبيهم ، فأخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ قال : وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقد سر من يسرى إليهم ويغتدى
ترحّل عن قوم فزالت عقولهم * وحلّ على قوم بنور مجدّدِ
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشدِ

وهـل يستوى ضلّال قوم تسفّهوا * عمًى وهـداة يهتـدون بمهتـدِ
نبى يرى مالا يرى النـاس حولـه * ويتـلو كتـابَ الله فى كل مشهـدِ
وإن قال في يوم مقـالـة غائـب * فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغدِ
ليهـن أبـا بكـر سعـادةُ جدِّهِ * بصحبتـه من يسعـد الله يسعـد
ويهـن بنى كعب مكـانُ فتـاتهم * ومقعـدُهـا للمسلمين بمرصـدِ

قال ـ يعنى عبد الملك بن وهب ـ: فبلغنى أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبى ﷺ . وهكذا روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجى فذكر مثله سواء وزاد فى آخره قال عبد الملك : بلغنى أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ ، ثم رواه أبو نعيم من طرق عن بكر بن محرز الكلبى الخزاعى عن أبيه محرز ابن مهدى عن حرام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثى ، فمروا بخيمة أم معبد ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سواء . قال : وحدثنا ـ فيما أظن ـ محمد بن أحمد بن على بن مخلد حدثنا محمد بن يونس بن موسى ـ يعنى الكديمى ـ حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب حدثنا محمد ابن سليمان بن سليط الأنصارى حدثنى أبى عن أبيه سليط البدرى ، قال : لما خرج رسول الله ﷺ فى الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق ، مرَّ بأم معبد الخزاعية وهى لا تعرفه فقال لها : « يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ » قالت : لا ، والله إن الغنم لعازبة . قال : « فما الشاة ؟» قالت : خلفها الجهد عن الغنم . ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم .

ثم قال البيهقى : يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة ، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ـ إملاء ـ حدثنا أبو بكر أحمد ابن إسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن غالب حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الله بن إياد بن لقيط حدثنـا إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان ، قال : لما انطلق النبى ﷺ وأبو بكر مستخفين ، مروا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن ، فقال : ما عندى شاة تحلب ، غير أن هُهنا عناقا حملت أول الشتاء ، وقد أخـدجـت وما بقى لها من لبن ، فقال : ادع بهـا ، فدعـا بها ، فاعتقلها النبى ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبـا بكْـر ، ثم حلب فسقى الـراعى ، ثم حلب فشـرب . فقال

الـراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال : أو تراك تكتم علىّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم ! قال : فإنى محمد رسول الله . فقال : أنت الذى تزعم قريش أنه صابىء ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال : فإنى أشهد أنك نبى ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى وأنا متبعك . قال : إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ، فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا . ورواه أبو الموصلى عن جعفر بن حميد الكوفى عن عبد الله بن إياد بن لقيط .

وقد ذكر أبو نعيم هٰهنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن عبد الله بن مسعود قال : كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط ، فأتى رسول الله ﷺ وأبو بكر ـ وقـد فرا من المشركين فقال « ياغلام هل عندك لبن تسقينا » فقلت إنى مؤتمن ولست بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت : نعم ! فأتيتهما بهـا فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع ، وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقيانى ، ثم قال للضرع : أقلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت : علمنى من هذا القول الطيب ـ يعنى القرآن ـ فقال رسول الله ﷺ : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد . فقوله فى هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك فى بعض الأحوال قبل الهجرة . فإن ابن مسعود ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ورجع كما تقدم ، وقصته هذه ثابتة فى الصحاح وغيرها والله أعلم .

وقـال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن مصعبُ بن عبد الله ـ هو الزبيرى ـ حدثنى أبى عن فائد مولى عبادل ، قال : خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد ـ وسعد الذى دل رسول الله ﷺ على طريق ركـوبة ـ فقال إبراهيم : [أخبرنى] ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثنى أبى أن رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر ـ وكانت لأبى بكر عندنا بنت مسترضعة ـ وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار فى الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من ركوبة وبه لصان من أسلم يقـال لهمـا : المهانان ، فإن شئت أخذنا عليهما ، فقال النبى ﷺ : « خذ بنا عليهما» قال سعد : فخرجنا حتى إذ أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليمانى . فدعـاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما ، فقالا : نحن المهانان . فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدما عليه المدينة ،

فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف ، فقال رسول الله ﷺ : « أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ » فقال سعد بن خيثمة : إنه أصاب قبلي يا رسول الله ، أفلا أخبره ذلك ؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبى بكر فقال : « يا أبا بكر هذا المنزل ، رأيتنى أنزل إلى حياض كحياض بنى مدلج » انفرد به أحمد .

فصـــــــل
فى دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة وأين استقر منزله بها وما يتعلق به

قد تقدم فيما رواه البخارى عن الزهرى عن عروة أن النبى ﷺ دخل المدينة عند الظهيرة .

قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت فى الصحيحين من حديث إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب عن أبى بكر فى حديث الهجرة ، قال : فقدمنا ليلا ، فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان فى حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء ، وذلك ليلا ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا ، فإن العشى من الزوال ، وإما أن يكون المرادبذلك لما رحل من قباء ، كما سيأتى ، فسار فما انتهى إلى بنى النجار إلا عشاء، كما سيأتى بيانه ، والله أعلم .

وذكر البخارى عن الزهرى عن عروة أنه نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء وأقام فيهم بضع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء فى تلك الأيام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته فى مكان مسجده ، وكان مربداً لغلامين يتيمين ، وهما سهل وسهيل ، فابتاعه منهما واتخذه مسجداً ، وذلك فى دار بنى النجار رضى الله عنهم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثنى رجال من قومى من أصحاب النبى ﷺ قالوا : لما بلغنا مخرج النبى ﷺ من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهرحرتنا ننتظر النبى ﷺ ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد

ظلا دخلنا ـ وذلك فى أيام حارة ـ حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذ لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته ، يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء ، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو فى ظل نخلة ومعه أبو بكر فى مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك . وركبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر ؟ حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . وقد تقدم مثل ذلك فى سياق البخارى ، وكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك ، قال : إنى لأسعى فى الغلمان يقولون : جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون : جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، قال : حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر ، فكمنا فى بعض خرب المدينة ، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار ، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار ، حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمنين مطاعين ، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن : أيهم هو ، أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيها به ، قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض ، فلم أر يومين شبيها بهما ، ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعانى عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس بنحوه ـ أو مثله .

وفى الصحيحين من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء عن أبى بكر فى حديث الهجرة ، قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله ، فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر ، وقال البيهقى : أخبرنا أبو عمرو الأديب أخبرنا أبو بكر الإسماعيلى سمعت أبا خليفة يقول سمعت : ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

قال محمد بن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون يعنى حين نزل ـ بقباء على كلثوم بن الهدم ، أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول

الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزبا لا أهل له ، وكان يقال لبيته : بيت العزاب والله أعلم ، ونزل أبو بكر رضى الله عنه على خبيب بن إساف أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسنح ، وقيل : على خارجة ابن زيد بن أبى زهير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وأقام على بن أبى طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده ، ثم لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم ابن الهدم ، فكان على بن أبى طالب إنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين ، يقول كانت بقباء امرأة لازوج لها مسلمة ، فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه ، فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله ، من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ماهو ؟ وأنت امرأة مسلمة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف ، وقد عرف أنى امرأة لا أحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبى بهذا ، فكان علىّ رضى الله عنه يأثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ، وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه ﷺ أقام فيهم ثمانى عشرة ليلة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنه ﷺ أقام فيهم بضع عشرة ليلة ، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه قال : أقام رسول الله ﷺ فينا - يعنى فى بنى عمرو بن عوف بقباء - اثنتين وعشرين ليلة ، وقال الواقدى : ويقال : أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى - وادى رانوناء - فكان أول جمعة صلاها بالمدينة ، فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة فى رجال من بنى سالم فقالوا : يارسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة ، قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » لناقته ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازت دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة فقالوا : يارسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال :

« خلوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا : يارسول الله هلم إلينا فى العدد والمنعة ، قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدى بن النجار ـ وهم أخواله ـ دنيا أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسير بن خارجة فى رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا : يارسول الله هلم إلى أخوالك ، إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ اليوم ، وكان يومئذ مربداً لغلامين يتيمين من بنى مالك بن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا فى حجر معاذ بن عفراء .

قلت : وقد تقدم فى رواية البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنهما كانا فى حجر أسعد بن زرارة والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ مر فى طريقه بعبد الله بن أبى ابن سلول وهو فى بيت ، فوقف رسول الله ﷺ ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ـ وهو يومئذ سيد الخزرج فى أنفسهم ـ فقال عبد الله : انظر الذين دعوك فانزل عليهم ، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لنفر من الأنصار ، فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه : لقد مَنَّ الله علينا بك يارسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله ﷺ من بنى عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لايزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيما له ، وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ : « دعوها فإنها مأمورة فإنما أنزل حيث أنزلنى الله » فلما انتهت إلى دار أبى أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبى أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن إسحاق : لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لايثنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى

مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله ﷺ ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يارسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو ، وهما يتيمان لى وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجداً ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى ، ونزل رسول الله ﷺ فى دار أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار وستأتى قصة بناء المسجد قريباً إن شاء الله .

وقال البيهقى فى الدلائل : وقال أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسن على بن عمرو الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدورى حدثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل ابن أبى الورد حدثنا إبراهيم بن صرمة حدثنا يحيى بن سعيد عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس ، قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلينا يارسول الله ، فقال : « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبى أيوب فخرجت جوارٍ من بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نحن جوارٍ من بنى النجار * ياحبَّذا محمدٌ من جارِ

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقالوا : « أتحبوننى ؟ » فقالوا : أى والله يارسول الله فقال : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجه الحاكم فى مستدركه كما يروى ، ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن ابن سليمان النحاس المقرىء ببغداد حدثنا عمر بن الحسن الحلبى حدثنا أبو خيثمة المصيصى حدثنا عيسى بن يونس عن عوف الأعرابى عن ثمامة عن أنس قال : مر النبى ﷺ بحى من بنى النجار ، وإذا جوار يضربن بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار

فقال رسول الله ﷺ : « يعلم الله أن قلبى يحبكم » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به ، وفى صحيح البخارى عن معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : رأى النبى ﷺ النساء والصبيان مقبلين ـ حسبت أنه قال من عرس ـ فقام النبى ﷺ ممثلا فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلىّ » قالها ثلاث مرات .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنى أبى حدثنى عبد العزيز

ابن صهيب حدثنا أنس بن مالك ، قال : أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يُعرَف ، ورسول الله ﷺ شاب لايعرف ، قال : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل ، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير ، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يانبى الله هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت رسول الله ﷺ فقال : « اللهم اصرعه » فصرعته فرسه ثم قامت تحمحم ، ثم قال : مرنى يانبى الله بما شئت ، فقال : « قف مكانك ولا تتركن أحداً يلحق بنا » ، قال : فكان أول النهار جاهداً على رسول الله ﷺ ، وكان آخر النهار مسلحة له ، قال : فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا فسلموا عليهما وقالوا : اركبا آمنين مطاعين ، فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح ، وقيل فى المدينة : جاء نبى الله ﷺ ، فاستشرفوا نبى الله ينظرون إليه ويقولون : جاء نبى الله ، قال : فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبى أيوب ، قال : فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لأهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع الذى يخترف فيها فجاء وهى معه ، وسمع من نبى الله ﷺ ورجع إلى أهله ، وقال نبى الله : أى بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب : أنا يانبى الله ، هذه دارى وهذا بابى ، قال : فانطلق فهيىء لنا مقيلا ، فذهب فهيأ ثم جاء فقال : يارسول الله قد هيأت مقيلا ، قوما على بركة الله فقيلا ، فلما جاء نبى الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبى الله حقا ، وأنك جئت بحق ، ولقد علمت يهود أنى سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسلهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « يامعشر اليهود ، ويلكم ، اتقوا الله ، فو الله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جئت بحق ، أسلموا » فقالوا : ما نعلمه ، ثلاثاً . وكذا رواه البخارى منفرداً به عن محمد غير منسوب عن عبد الصمد بـه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى رهم السماعى حدثنى أبو أيوب ، قال : لما نزل علىّ رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفل ، وأنا وأم أيوب فى العلو ، فقلت له : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، إنى أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى ، فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل ، فقال : « يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون فى سفل البيت » فكان رسول الله ﷺ فى سفله وكنا فوقه فى المسكن ، فلقد انكَسر جب لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول

الله ﷺ منه شيء فيؤذيه . قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه ، فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا - أو ثوماً - فرده رسول الله ﷺ ، فلم أر ليده فيه أثراً . قال : فجئته فزعاً فقلت : يارسول الله ، بأبي وأمي ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ؟ فقال : « إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلوه » قال : فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد . وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب عن أبي الحسن - أو أبي الخير - مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم عن أبي أيوب فذكره . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا عمرو الحيري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا ثابت بن يزيد ، حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح ، مولى أبي أيوب ، عن أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل في السفل وأبو أيوب في العلو ، فانتبه أبو أيوب فقال : نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ فتنحوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي ﷺ - يعني في ذلك - فقال ﷺ : « السفل أرفق بنا » فقال : لاأعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحول رسول الله ﷺ في العلو ، وأبو أيوب في السفل ، فكان يصنع لرسول الله ﷺ ، فصنع له طعاماً فيه ثوم ، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ . فقيل له : لم يأكل ، ففزع وصعد إليه فقال : أحرام ؟ فقال النبي ﷺ : « لا ، ولكني أكرهه » قال : فإني أكره ما تكره - أو ما كرهت - قال : وكان النبي ﷺ يأتيه الملك . رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به .

وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ، قال : جيء رسول الله ﷺ ببـدر ، وفي رواية بقـدر ، فيه خضـروات من بقـول . قال : فسأل فأُخبر بما فيها ، فلما رآها كره أكلها . قال : « كُلْ فإني أناجي من لا تناجي » وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده .

وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أُهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنـا جئت بهـا ، قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن ، فقلت : أرسلت بهذه القصعة أمي : فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد ابن عبادة ثريد وعراق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة

والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه فى دار أبى أيوب سبعة أشهر . قال : وبعث رسول الله ﷺ ـ وهو نازل فى دار أبى أيوب ـ مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ، ابنتى رسول الله ﷺ ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمكه أبى العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة ، وخرج معهم عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر ، وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله ﷺ .

وقال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا خلف بن عمرو العكبرى حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عطاف بن خالد حدثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن على ودار الحسن بن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يارسول الله المنزل ، فانبعثت به راحلته فقال : « دعوها فإنها مأمورة » ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت ، وثَمَّ عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه ، فآوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال : يارسول الله ، إن منزلى أقرب المنازل إليك فانقل رحلك إلىَّ ؟ قال : نعم ! فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال : يارسول الله أين تحل ؟ قال : « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله ﷺ فى العريش اثنتى عشرة ليلة حتى بنى المسجد ، وهذه منقبة عظيمة لأبى أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه حيث نزل فى داره رسول الله ﷺ .

وقد روينا من طريق يزيد بن أبى حبيب عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ـ وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله ﷺ فى داره ، وملّكه كل ما أغلق عليها بابها ، ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دار أبى أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وأصلح ما وهَى من بنيانها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة وكذلك نزوله ﷺ فى دار بنى النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة ، وقد كان فى المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا ، كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا فى محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله ﷺ دار بنى مالك بن النجار .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة ، سمعت قتادة عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث ابن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير » فقال سعد بن عبادة : ما أرى النبي ﷺ إلا قد فَضَّلَ علينا ، فقيل : قد فضلكم على كثير . هذا لفظ البخاري ، وكذلك رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وأبي سلمة عن أبي أُسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عبادة بن سهل عن أبي حميد عن النبي ﷺ بمثله سواء . زاد في حديث أبي حميد ، فقال أبو أسيد لسعد بن عبادة : ألم تر أن النبي ﷺ خَيَّرَ الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعد النبي ﷺ فقال : يارسول الله خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة ، وهم الأنصار ، الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم** ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ (٢) وقال رسول الله ﷺ : « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم ، الأنصار شعار والناس دثار » وقال : « الأنصار كرشي وعيبتي » وقال : « أنا سلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم » .

وقال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة حدثني عدي بن ثابت ، قال : سمعت البراء بن عازب يقول : سمعت رسول الله ﷺ - أو قال : قال رسول الله ﷺ - : « الأنصار لايحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به . وقال البخاري أيضاً : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » ورواه البخاري أيضاً عن أبي الوليد والطيالسي ومسلم من حديث خالد ابن الحارث وعبد الرحمن بن مهدي أربعتهم عن شعبة به . والآيات والأحاديث في

---

(١) الآية : ١٠٠ من سورة التوبة .

(٢) الآية : ٩ من سورة الحشر .

فضائل الأنصار كثيرة جداً ، وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس ، المتقدم ذكره أحد شعراء الأنصار ، فى قدوم رسول الله ﷺ إليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولأصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صرمة بن أبى أنس ، أيضاً ، يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خصهم به من رسوله ﷺ :

ثوى فى قريشٍ بضعَ عشرةَ حجةً * يذكّر لو يلقى صديقاً مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسهُ * فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا واطمأنت به النوى * وأصبح مسروراً بطيبةَ راضيا
وألفى صديقاً واطمأنت به النوى * وكان له عوناً من الله باديا
يقصُّ لنا ما قال نوح لقومه * وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبح لايخشى من الناس واحداً * قريباً ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من جُلِّ مالنا * وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم * جميعاً ولو كان الحبيب المواسيا
ونعلم أن الله لاشىء غيرهُ * وأن كتاب الله أصبح هاديا
أقول إذا صليت فى كل بيعةٍ * حنانيك لاتظهر علينا الأعاديا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخيفةً * تباركت اسم الله أنت المواليا
فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة * وإنك لاتبقى لنفسك باقيا
فوالله مايدرى الفتى كيف سعيه * إذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تحفل النخل المعيمة ربها * إذا أصبحت ريًّا وأصبح ناويا

ذكرها ابن إسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الحميدى وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عجوز من الأنصار قالت : رأيت عبد الله بن عباس يختلف إلى صرمة بن قيس يروى هذه الأبيات . رواه البيهقى .

فصل

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته ﷺ إليها وصارت كهفا لأولياء الله وعباده الصالحين ومعقلا وحصنا منيعاً للمسلمين ، ودار هدى للعالمين ، والأحاديث فى فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردها فيه إن شاء الله ، وقد ثبت فى الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ « إن الإيمان ليأرز

إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن شبابة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبى ﷺ نحوه ، وفى الصحيحين أيضاً من حديث مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون : يثرب ، وهى المدينة ، تنقى الناس كما ينقى الكير خبث الحديد » وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة .

وقد قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالا : حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو موسى الأنصارى ، حدثنا سعيد بن سعيد حدثنى أخى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم إنك أخرجتنى من أحب البلاد إلىّ فأسكنى أحب البلاد إليك » فأسكنه الله المدينة ، وهذا حديث غريب جداً ، والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة ، إلا المكان الذى ضم جسد رسول الله ﷺ ، وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها هُهنا ومحلها ذكرناها فى كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى ، وأشهر دليل لهم فى ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن الحمراء أخبره أنه سمع النبى ﷺ وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة يقول : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلىّ ، ولولا أنى أُخرجت منك ما خرجت » وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح بن كَيسان عن الزهرى به ، وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهرى به ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وقد رواه يونس عن الزهرى به ، ورواه محمد بن عمرو عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، وحديث الزهرى عندى أصح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، قال : وقف رسول الله ﷺ على الحزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » وكذا رواه النسائى من حديث معمر به ، قال الحافظ البيهقى وهذا وهم من معمر ، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة ، وقال أحمد أيضاً : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن محمد ابن مسلم بن شهاب الزهرى عن أبى سلمة عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال ، وهو فى سوق الحزورة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أنى أُخرجت منك

ما خرجت » ورواه الطبرانى عن أحمد بن خليد الحلبى عن الحميدى عن الدراوردى عن ابن أخى الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدى بن الحمراء به ، فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم والله أعلم .

وقائع السـنة الأولى من الهجرة

ذكر ما وقع فى السـنة الأولى

من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة

اتفق الصحابة رضى الله عنهم فى سنة ست عشرة ـ وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة ـ فى الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه رفع إليك صك ـ أى حجة ـ لرجل على آخر وفيه : أنه يحل عليه فى شعبان ، فقال عمر : أى شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التى نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم فى وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك ، فقال قائل : أرِّخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد ، وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم ، وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلبس المقدونى فكره ذلك ، وقال آخرون : أرخوا بمولد رسول الله ﷺ ، وقال آخرون بل بمبعثه ، وقال آخرون : بل بهجرته ، وقال آخرون : بل بوفاته ﷺ ، فمال عمر رضى الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره ، واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخارى فى صحيحه : التاريخ ومتى أرخو التاريخ ، حدثنا عبد الله بن مسلم حدثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد ، قال : ما عدوا من مبعث النبى ﷺ ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى الزناد عن أبيه ، قال : استشار عمر فى التاريخ فأجمعوا على الهجرة وقال أبو داود الطيالسى عن قرة بن خالد السدوسى عن محمد ابن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمر فقال : أرخوا ، فقال : ما أرخوا ؟ فقال : شىء تفعله الأعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا . فقال عمر : حسن فأرخوا ، فقالوا : من أى السنين نبدأ ؟ فقالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا : وأى الشهور نبدأ ؟ قالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم .

وقال ابن جرير : حدثنا قتيبة حدثنا نوح بن قيس الطائى عن عثمان بن محصن أن ابن عباس كان يقول فى قوله تعالى : (والفجر . وليال عشر) [1] هو المحرم ، فجر السنة ، وروى عن عبيد بن عمير ، قال : إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى فيه البيت ، ويؤرخ به الناس ، ويضرب فيه الورق . وقال أحمد : حدثنا روح بن عبادة حدثنا زكريا ابن إسحاق عن عمرو بن دينار قال : إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وأن رسول الله ﷺ قدم المدينة فى ربيع الأول وأن الناس أرخوا لأول السنة .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهرى وعن محمد بن صالح عن الشعبى أنهما قالا : أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم ، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤى ، ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة ـ أو ثمانى عشرة ـ وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيده وطرقه فى السيرة العمرية ولله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السهيلى وغيره عن الإمام مالك أنه قال : أول السنة الإسلامية ربيع الأول لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله ﷺ .

وقد استدل السهيلى على ذلك فى موضع آخر ، بقوله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) [2] أى من أول يوم حلول النبى ﷺ المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنى التاريخ عام الهجرة ولا شك أن هذا الذى قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم ، فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة ، وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام والله أعلم .

فنقول وبالله المستعان : استهلت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة ، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية ، كما قدمنا ، فى أوسط أيام التشريق ، وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الأنصار وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة ، فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم

---

(١) آيتا : ١ ، ٢ من سورة الفجر .

(٢) الآية : ١٠٨ من سورة التوبة .

يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ ، وحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه في الطريق ، كما قدمنا ، ثم خرجا على الوجه الذى تقدم بسطه ، وتأخر على ابن أبى طالب بعد النبى ﷺ بأمره ليؤدى ما كان عنده ﷺ من الودائع ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين من الزوال وقد اشتد الضحاء.

قال الواقدى وغيره : ذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، وحكاه ابن إسحاق إلا أنه لم يعرج عليه ، ورجح أنه لثنتى عشرة ليلة خلت منه ، وهذا هو المشهور الذى عليه الجمهور ، وقد كانت مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة فى أصح الأقوال ، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبى حمزة الضبى عن ابن عباس ، قال : بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهكذا روى ابن جرير عن محمد ابن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة ، وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة ابن أبى أنس بن قيس :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكّر لو يلقى صديقاً مواتيا

وقال الواقدى عن إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكّر لو يلقى صديقا مواتيا

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدى خمس عشرة حجة ، وهو قول غريب جدا ، وأغرب منه ما قال ابن جرير : حدثت عن روح بن عبادة حدثنا سعيد عن قتادة قال : نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانى سنين بمكة ، وعشراً بالمدينة ، وكان الحسن يقول : عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة ، وهذا القول الآخر الذى ذهب إليه الحسن البصرى من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبى ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشراً ، وقد قدمنا عن الشعبى أنه قال : قرن إسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يلقى إليه الكلمة والشىء وفى رواية يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل ، وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبى هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال : إنه ﷺ أقام بمكة عشراً . وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذى ذكره الشعبى والله أعلم .

فصـــــــل

ولما حل الركاب النبوى بالمدينة ، وكان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف ، وهى قباء كما تقدم فأقام بها ـ أكثر ماقيل ـ ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثمانى عشرة ليلة ، وقيل بضع عشرة ليلة ، وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليـال ، والأشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه ﷺ أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسس فى هذه المدة المختلف فى مقـدارها ـ على ما ذكرناه ـ مسجد قباء ، وقد ادعى السهيلى أن رسول الله ﷺ أسسه فى أول يوم قدم إلى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى :(لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) ورد قول من أعربها من تأسيس أول يوم ، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجـال يحبـون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) كمـا تكلمنا على تقرير ذلك فى التفسير ، وذكـرنا الحديث الذى فى صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه ، وذكرنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد ، حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو إدريس حدثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله ﷺ أتاهم فى مسجد قباء فقال : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم ، فما هذا الطهور الذى تطهرون به ؟» قالوا : والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا ، وأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه وله شواهد أخر ، وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس ، وقد روى أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبى ميمونة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، قال : نزلت هذه الآية فى أهل قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) ، قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية ، ثم قال الترمذى غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم ، وممن قال : بأنه المسجد الذى أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير ، ورواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبى والحسن البصرى وقتادة وسعيد ابن جبير وعطية العوفى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، وقد كان النبى ﷺ يزوره فيما بعد ويصلى فيه ، وكان يأتى قباء كل سبت تارة راكباً وتارة ماشيا وفى الحديث : « صلاة فى مسجد قباء كعمرة » وقد ورد فى حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذى أشار

للنبى ﷺ إلى موضع قبلة مسجد قباء ، فكان هذا المسجد أول مسجد بنى فى الإسلام بالمدينة ، بل أول مسجد لعموم الناس فى هذه الملة ، واحترزنا بهذا عن المسجد الذى بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي ، لأن ذاك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم ، وقد تقدم إسلام سلمان فى البشارات ، أن سلمان الفارسى لما سمع بقدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه ، وهو بقباء ، قال : هذا صدقة ، فكف رسول الله ﷺ فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا ، تقدم الحديث بطوله .

فصـــــل

فى إســـلام عبد الله بن سلام رضى الله عنـه

قال الإمـام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس ، فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء سمعته يقول : « أَفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة » ورواه الترمذى وابن ماجه عن عوف الأعرابى عن زرارة بن أبى أوفى به عنه ، وقال الترمذى صحيح ، ومقتضى هذا السياق يقتضى أنـه سمع بالنبى ﷺ ورآه أول قدومه حين أناخ بقباء فى بنى عمرو بن عوف ، وتقدم فى رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبى أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بنى النجار كما تقدم ؛ فلعله رآه أول ما رآه بقباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بنى النجار والله أعلم .

وفى سياق البخارى من طريق عبد العزيز عن أنس ، قال : فلما جاء النبى ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسلهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىّ ما ليس فىّ ، فأرسل نبى الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه ، فقال لهم : « يا معشر اليهود ، ويلكم ، اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فأسلموا » قالوا : ما نعلمه ، قالوا ذلك للنبى ﷺ قالها ثلاث مرار ، قال : « فأى رجل فيكم عبد اللـه بن

سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاش لله ، ما كان ليسلم ، قال : « يا بن سلام اخرج عليهم » فخرج ، فقال : يا معشر يهود ، اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق ، فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله ﷺ ، هذا لفظه ، وفى رواية فلما خرج عليهم وشهد شهادة الحق قالوا : شرنا وابن شرنا ، وتنقّصوه ، قال يا رسول الله هذا الذى كنت أخاف .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن إسحاق الصنعانى حدثنا عبد الله بن أبى بكر حدثنا حميد عن أنس ، قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبى ﷺ - وهو فى أرض له - فأتى النبى ﷺ : فقال : إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ؛ ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرنى بهن جبريل آنفا » قال : جبريل ؟ قال : « نعم ! » قال : عدو اليهود من الملائكة ، ثم قرأ (**قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله**) [1] قال : « أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى ، فجاءت اليهود ، فقال : « أى رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، قال : « أرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، قالوا : شرنا وابن شرنا ، وانتقصوه ، قال هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله [2] ، ورواه البخارى عن عبد بن منير [3] عن عبد الله بن أبى بكر ، به ، ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به .

قال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل

---

(١) الآية : ٩٧ من سورة البقرة .

(٢) الحديث خرجه البخارى قبيل باب إتيان اليهود النبى ﷺ حين قدم المدينة وفيه اختلاف فى السياق عن هنا .

(٣) كذا فى الأصلين عبد بن منير ولعله تصحيف عبد بن حميد .

من آل عبد الله بن سلام ، قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم - وكان حبراً عالما - قال : لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته وزمانه الذى كنا نتوكف له [١] ، فكنت بقباء مسراً بذلك صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما قدم نزل بقباء فى بنى عوف ، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرتُ ، فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت ، قال : قلت لها : أى عمة ، والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به ، قال : فقالت له : يا بن أخى أهو الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : قلت لها : نعم ! قالت : فذاك إذاً ، قال : فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهـل بيتى فأمرتهم فأسلموا ، وكتمت إسلامى من اليهود وقلت : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهْت ، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك فتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إن يعلموا بذلك بهتونى وعابونى ، وذكر نحو ما تقدم ، قال فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمتى خالدة بنت الحارث .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر حدثنى محدث عن صفية بنت حيى قالت : لم يكن أحد من ولد أبى وعمى أحب إليهما منى ، لم ألقهما فى ولد لهما قط أهش إليهما إلا أخذانى دونه ، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء - قرية بنى عمرو بن عوف - غدا إليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس ، فجاءانا فاترَيْن كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما نظر إلىّ واحد منهما ، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال : تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله ! قال : فماذا فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه ، فانطلق أخوه حيى بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بنى النضير - فجلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه ، ثم رجع

---

(١) توكف الخبر إذا انتظره .

إلى قومه ـ وكان فيهم مطاعا ـ فقال : أتيت من عند رجل ، والله لا أزال له عدواً أبداً، فقال له أخوه أبو ياسر : يا بن أم أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك ، قال : لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيى بن أخطب [1] فلا أدرى ما آل إليه أمره ، وأما حيى ابن أخطب والد صفية بنت حيى فشرب عداوة النبى ﷺ وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله ، حتى قتل صبراً بين يدى رسول الله ﷺ يوم قتل مقاتلة بنى قريظة كما سيأتى إن شاء الله .

فصـــــــل

ولما ارتحل ﷺ من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو فى دار بنى سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك ، فى واد يقال له : وادى رانوناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقاً ، لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه .

ذكر خطبـــة رسول الله ﷺ يومئذ

قال ابن جرير : حدثنى يونس بن عبـد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحى أنه بلغه عن خطبة النبى ﷺ فى أول جمعة صلاها بالمدينة فى بنى سالم بن عمـرو بن عوف رضى الله عنهم : « الحمـد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأستهـديه ، وأومن به ولا أكفـره ، وأعادى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهمـا فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على

---

(١) كذا فى الأصلين فى كتب السيرة أنهم كانوا ثلاثة حيى بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب والثالث هو جدى ابن أخطب .

الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى ، وإنه تقوى لمن عملَ به على وجل ومخافة ، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية ، لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ، والذى صدق قوله ، وأنجز وعده ، لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى : ﴿ ما يُبدَّل القول لدىّ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ [١] واتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله ، فى السر والعلانية فإنه ﴿ من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويُعظِم له أجراً ﴾ [٢] ، ﴿ ومن يتق الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ [٣] وإن تقوى الله توقى مقته ، وتوقى عقوبته ، وتوقى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله ، قد علّمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحى من حى عن بينة ، ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت ، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » هكذا أوردها ابن جرير وفى السند إرسال .

وقال البيهقى : باب ـ أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة ـ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والأخنس بن شريق عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمنّ والله ليصعقنّ أحدكم ثم ليدعنّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولنّ له ربه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ـ ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر قدامه

---

(١) الآية : ٢٩ من سورة ق .

(٢) الآية : ٥ من سورة الطلاق .

(٣) الآية : ٧١ من سورة الأحزاب .

فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله (١) ورحمة الله وبركاته » .

ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال : « إن الحمد لله أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] فإنه من (٢) يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الأعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته ، وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وهذه الطريق أيضاً مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها ، وإن اختلفت الألفاظ .

فصل
فى بناء مسجده الشريف فى مدة مقامه ﷺ بدار أبى أيوب رضى الله عنه

وقد اختلف فى مدة مقامه بها ، فقال الواقدى : سبعة أشهر ، وقال غيره : أقل من شهر والله أعلم ، قال البخارى : حدثنا إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد قال : سمعت أبى يحدث فقال : حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبعى حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم : بنو عمرو ابن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملإ بنى النجار فجاءوا متقلدى

---

(١) وفى سيرة ابن هشام : والسلام عليكم وعلى رسول الله .

(٢) كذا فى المصرية ، وفى الحلبية فإنه من كل مختار الله . وفى ابن هشام : فإنه من كل ما يخلق الله يختار .

سيوفهم ، قال : وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب ، قال : فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ، ويصلي في مرابض الغنم ، قال : ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملإ بني النجار فجاءوا فقال : « يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا » فقالوا : لا ، والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل ، قال : فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع ، قال : فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضاديته حجارة ، قال : فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله ﷺ معهم يقول[1] : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فانصر الأنصار والمهاجرة » وقد رواه البخاري في مواضع أخر ، ومسلم من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد ، وقد تقدم في صحيح البخاري عن الزهري عن عروة أن المسجد الذي كان مربداً - وهو بيدر التمر - ليتيمين كانا في حجر أسعد بن زرارة وهما : سهل وسهيل ، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً ، قال : وجعل رسول الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب :

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول :

لَاهُمَّ إن الأجر أجر الآخره * فارحم الأنصار والمهاجره

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلا له في بياضة ، قال : وقيل : ابتاعه منهما رسول الله ﷺ .

قلت : وذكر محمد بن إسحاق أن المربد كان لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما : سهل وسهيل ابنا عمرو ، فالله أعلم .

وروى البيهقي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسن بن حماد الضبي حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن ، قال : لما بنى رسول الله ، ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره ، فقال : « ابنوه عريشاً كعريش موسى » فقلت للحسن : ما عريش موسى ؟ قال : إذا رفع يديه بلغ العريش - يعني السقف - وهذا مرسل ، وروى من حديث حماد بن سلمة عن أبي سنان

---

(١) وفي البخاري ورسول الله ﷺ معهم يقولون .

عن يعلى بن شداد بن أوس عن عبادة أن الأنصار جمعوا مالا فأتوا به النبى ﷺ فقالوا : يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد ؟ فقال : « ما بى رغبة عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى » وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال أبو داود محمد بن حاتم : حدثنا عبد الله بن موسى عن سنان عن فراس عن عطية العوفى عن ابن عمر أن مسجد النبى ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل ، ثم إنها تخربت فى خلافة أبى بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم إنها تخربت فى خلافة عثمان فبناها بالآجر فما زالت ثابتة حتى الآن ، وهذا غريب ، وقد قال أبو داود أيضاً : حدثنا مجاهد بن موسى حدثنى يعقوب ابن إبراهيم حدثنى أبى عن أبى صالح حدثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه فى عهد النبى ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا ، وغيره عثمان رضى الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة [1] وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج [2] وهكذا رواه البخارى عن على بن المدينى عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه متأولا قوله ﷺ : « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعد ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد فتدخل الزيادة فى حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال إليه ، وقد زيد فى زمان الوليد بن عبد الملك ، بانى جامع دمشق ، زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه ، كما سيأتى بيانه فى وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله ﷺ على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

---

(١) القصة هى الجص

(٢) فى المصرية : بالسلاح وفى الحلبية بالساح تصحيف والساج ألواح من الشجر

لئن قعدنا والنبى يعمل * لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخره * اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

فيقول رسول الله ﷺ : « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » .

قال : فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال : يا رسول الله قتلونى يحملون علىّ ما لا يحملون ، قالت أم سلمة : فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده ـ وكان رجلا جعدا ـ وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما يقتلك الفئة الباغية » وهذا منقطع من هذا الوجه ، بل هو معضل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة ، وقد وصله مسلم فى صحيحه من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن ـ يعنى ابنى أبى الحسن البصرى ـ عن أمهما خيرة ، مولاة أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « تقتل عمار الفئة الباغية » ورواه من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا بن سمية تقتلك الفئة الباغية » .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت : لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب النبى ﷺ يحمل كل واحد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين : لبنة عنه ولبنة عن النبى ﷺ ، فمسح ظهره ، وقال « ابنَ سمية ، للناس أجر ولك أجران ، وآخر زادك شربة من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية » وهذا إسناد على شرط الصحيحين ، وقد أورد البيهقى وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبى سعيد الخدرى ، قال : كنا نحمل فى بناء المسجد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فرآه النبى ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار ، تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن ، لكن روى هذا الحديث الإمام البخارى عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء ، وعن إبراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفى عن خالد الحذاء به ، إلا أنه لم يذكر قوله : تقتلك الفئة الباغية .

قال البيهقى : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبى نصرة عن أبى سعيد [قال : أخبرنى من هو خير منى أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بؤس ابن سمية تقتله فئة باغية » وقد رواه مسلم أيضاً من

حديث شعبة عن أبى مسلم عن أبى نضرة عن أبى سعيد][1] قال : حدثنى من هو خير منى ـ أبو قتادة ـ أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر : « بؤسا لك يا بن سمية تقتلك الفئة الباغية » وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا وهيب عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة ، وعمار ـ ناقه من وجع كان به ـ فجعل يحمل لبنتين لبنتين ، قال أبو سعيد : فحدثنى بعض أصحابى أن رسول الله ﷺ كان ينفض التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابنَ سمية تقتلك الفئة الباغية » قال البيهقى : فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه ، قال : ويشبه أن يكون قوله الخندق وهمًا ، أو أنه قال له ذلك فى بناء المسجد وفى حفر الخندق ، والله أعلم .

قلت : حمل اللبن فى حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم ، وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام فى وقعة صفين وعمار مع على وأهل العراق كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه ، وقد كان علىّ أحق بالأمر من معاوية ، ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم ، كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم ، لأنهم وإن كانوا بغاة فى نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال ، وليس كل مجتهد مصيبا ، بل المصيب له أجران والمخطىء له أجر ، ومن زاد فى هذا الحديث بعد « تقتلك الفئة الباغية » ـ لا أنالها الله شفاعتى يوم القيامة ـ فقد افترى فى هذه الزيادة على رسول الله ﷺ ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل ، والله أعلم ، وأما قوله : « يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة ، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعا على كل قطر إمام برأسه ، وهذا يؤدى إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة ، فهو لازم مذهبهم وناشىء عن مسلكهم ، وإن كانوا لا يقصدونه ، والله أعلم ، وسيأتى تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه ، والمقصود هٰهنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوى على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء حدثنا أبو بكر ابن إسحاق أخبرنا عبيد بن شريك حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا

---

(١) ما بين المربعين عن الحلبية فقط وليس فى النسخة الأخرى .

حشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان عن سفينة ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه ، فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء ولاة الأمر بعدى » ، ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن حشرج عن سعيد عن سفينة ، قال : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع حجراً ، ثم قال : « ليضع أبو بكر حجراً ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبى بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء الخلفاء من بعدى » وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً ، والمعروف ما رواه الإمام أحمد عن أبى النضر عن حشرج بن نباتة العبسى [1] وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحماد بن سلمة ، كلاهما عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال : سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاما ، ثم يكون من بعد ذلك الملك » ثم قال سفينة : أمسك ؛ خلافة أبى بكر سنتان ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة ، وخلافة علىّ ست سنين ، هذا لفظ أحمد ، ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق عن سعيد بن جمهان ، وقال الترمذى حسن لا نعرفه إلا من حديثه ، ولفظه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن فى مسجد النبى ﷺ أول ما بنى منبر يخطب الناس عليه ، بل كان النبى ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى فلما اتخذ له ﷺ المنبر ، كما سيأتى بيانه فى موضعه ، وعدل إليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذع خار وحن حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول ﷺ عنده ، فرجع إليه النبى ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذى يُسكت كما سيأتى تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدى وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضى الله عنهم ، وما أحسن ما قال الحسن البصرى بعد ما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك : يا معشر المسلمين ، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه ، أوليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه ؟ !

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبى يحيى حدثنى أبى قال : سمعت

---

(١) كذا بالأصل ، وهو حشرج بن نباتة الأشجعى

أبا سعيد الخدرى قال : اختلف رجلان : رجل من بنى خدرة ورجل من بنى عمرو بن عوف فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال الخدرى : هو مسجد رسول الله ﷺ ، وقال العمرى : هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله ﷺ ، وقال : « فى ذلك خير كثير » يعنى مسجد قباء ، ورواه الترمذى عن قتيبة عن حاتم بن إسماعيل عن أنيس بن أبى يحيى الأسلمى به وقال حسن صحيح ، وروى الإمام أحمد عن إسحاق بن عيسى عن الليث بن سعد والترمذى والنسائى ، جميعاً ، عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبى أنس عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه ، قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى ، وذكر نحو ما تقدم ، وفى صحيح مسلم من حديث حميد الخراط عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبى سعيد : كيف سمعت أباك فى المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال : قال أبى : أتيت رسول الله ﷺ فسألته عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : « هو مسجدكم هذا » وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التميمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله ﷺ ، وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه فقال : « هو مسجدى هذا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال : « المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول ﷺ ، وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير ، وقال آخرون : لا منافاة بين نزول الآية فى مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الأحاديث ، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة من ذلك ، لأن هذا أحد المساجد الثلاثة التى تشد الرحال إليها كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها .

وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وفى مسند أحمد بإسناد حسن زيادة حسنة وهى

قولـه : « فإن ذلك أفضل » وفى الصحيحين من حديث يحيى القطان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياضِ الجنة ، ومنبرى على حوضى » والأحاديث فى فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها فى كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناه إبراهيم ، وهذا بناه محمد ﷺ ، ومعلوم أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام ، وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لأنه فى بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وحرمه إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين ، فاجتمع فيه من الصفات ما ليس فى غيره ، وبسط هذه المسألة موضع آخر ، وبالله المستعان .

فصـــــل

وبنى لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حُجَراً لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفَناء ، قال الحسن بن أبى الحسن البصرى ـ وكان غلاما مع أمه خيرة مولاة أم سلمة ـ لقد كنت أنال أطول سقف فى حُجَر النبى ﷺ بيدى .

قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصرى شكلا ضخما طوالا ، رحمه الله .

وقال السهيلى فى الروض : كانت مساكنه ﷺ مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة [1] وسقوفها كلها من جريد ، وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم ، وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر ، قال : وفى تاريخ البخارى أن بابه ﷺ كان يقرع بالأظافير ، فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلق ، قال : وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله ﷺ إلى المسجد ، قال الواقدى وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدؤلى إلى مكة بعث معه رسول الله ﷺ وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع ، موليا رسول الله ﷺ ، ليأتوا بأهاليهم من مكة وبعثا معهم بحملين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاءوا ببنتى النبى ﷺ : فاطمة وأم كلثوم ،

---

(١) مرضومة : أي مصفوفة بعضها فوق بعض ،

وزوجتيه : سودة وعائشة ، وأمها أم رومان وأهل النبى ﷺ وآل أبى بكر صحبة عبد الله ابن أبى بكر ، وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل فى أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول : واعروساه ، وابنتاه ، قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول : أرسلى خطامه فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسلمنا الله عز وجل ، فتقدموا فنزلوا بالسنح ، ثم دخل رسول الله ﷺ بعائشة فى شوال بعد ثمانية أشهر ، كما سيأتى ، وقدمت معهم أسماء بنت أبى بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل متم بعبد الله بن الزبير ، كما سيأتى بيانه فى موضعه من آخر هذه السنة .

فصل
فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة رضى الله عنهم أجمعين وقد سلم الرسول ﷺ منها بحول الله وقوته ودعا ربه فأزاحها الله عن مدينته

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف حدثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلت عليهما فقلت : يا أبة كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلةً * بوادٍ وحولى إذخر وجليلُ [١]
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يَبْدُوَنْ لى شامة وطفيلُ

قالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجحفة » ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن هشام مختصراً ، وفى رواية البخارى له عن أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول :

---

(١) الجليل : الثمام إذا عظم ، وهو نبت ضعيف .

اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها وصححها لنا وانقل حُمَّاها إلى الجحفة » قالت : وقدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله ، وكان بطحان يجرى نجلا [1] ـ يعنى ماء آجنا ـ

وقال زياد : عن محمد بن إسحاق حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة ابن الزبير عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، وصرف الله ذلك عن نبيه ، قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبى بكر فى بيت واحد فأصابتهم الحمى فدخلت عليهم أدعوهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبى بكر فقلت : كيف تجدك يا أبة ؟ فقال :

كل امرىء مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

قالت : فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول ، قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجدك يا عامر ؟ قال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرىء مجاهد بطوقه * كالثور يحمى جلده بروقه

قالت : فقلت : والله ما يدرى ما يقول ، قالت : وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بفخ وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم وقلت : إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة ، كما حببت إلينا مكة أو أشد ، وبارك لنا فى مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مهيعة » ومهيعة هى الجحفة ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس حدثنا ليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى بكر بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله

---

(١) نجلا ، وهو أيضا الماء القليل .

ﷺ المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنت عائشة رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذن لها ، فقالت لأبي بكر : كيف تجدك ؟ فقال :

كل امرىء مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وسألت عامراً فقال :

إني وجدت الموت قبل ذوقه * إن الجبان حتفه من فوقه

وسألت بلالا فقال :

يا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بفخ وحولي إذخر وجليل

فأتت رسول الله ﷺ - فأخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها ، وانقل وباءها إلى مهيعة » وهي الجحفة فيما زعموا وكذا رواه النسائي عن قتيبة عن الليث به ، ورواه الإمام أحمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله ، وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله ، وواديها بطحان نجل ، قال هشام : وكان وباؤها معروفا في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وبيئا فأشرف عليها الإنسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي ، وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عبرت من خيفة الردى * نهيق الحمار إنني لجزوع

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة - وهي الجحفة ، فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة - وهي الجحفة - » ، هذا لفظ البخاري ولم يخرجه مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة ، وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله : وانقل حماها إلى الجحفة ، قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى ، ورواه البيهقي في دلائل النبوة ، وقال يونس عن ابن إسحاق : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة ، فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ ، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة

رابعة ـ يعنى مكة ـ عام عمرة القضاء ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قد وهنهم حمى يثرب ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة فإما أن يكون تأخر دعاؤه ﷺ بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو إنه رفع وبقى آثار منه قليل ، أو إنهم بقوا فى خمار وما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم .

وقال زياد عن ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ ، حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود ، قال : فخرج رسول الله ﷺ وهو يصلون كذلك فقال لهم : « اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل .

فصـــــل

فى عقده ﷺ الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذى أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التى أمرهم بها وقررهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بختنصر حين دوخ بلاد المقدس فيما ذكر الطبرى ، ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر مذر نزل الأوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل فى العلم المأثور عن الأنبياء ، لكن مَنَّ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام وخذل أولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عاصم الأحول عن أنس ابن مالك ، قال : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس ابن مالك ، وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبخارى ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم

ابن سليمان الأحول عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري ، وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب عن حجاج ـ هو ابن أرطاة ـ قال : وحدثنا سريج حدثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن النبي ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار أن يعقل معاقلهم ، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين ، قال أحمد : وحدثنا سريج حدثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن قاسم عن ابن عباس مثله ، تفرد به الإمام أحمد .

وفي صحيح مسلم عن جابر ، كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقولة وقال محمد ابن إسحاق : كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار : بني ساعدة ، وبني جشم ، وبني النجار ، وبني عمرو ابن عوف ، وبني النبيت ، إلى أن قال : وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا [1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل ، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض ، دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا مُتناصَر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدةٌ فلا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلى على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يبيء [2] بعضهم بعضا بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اغتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن

---

(١) المفرح : المثقل بالدين الكثير العيال ، قاله ابن هشام في السيرة .

(٢) يبيء من البواء أي المساواة .

أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ ، وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ [١] إلا نفسه وأهل بيته ، وإن ليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى الأوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، ولا ينحجر [٢] على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه إلا من ظلم ، وإن الله على أبَرِّ هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرام حرفها [٣] لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه على المؤمنين إلا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى » كذا أورده ابن إسحاق بنحوه ، وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتاب الغريب وغيره بما يطول .

---

(١) لا يوتغ ، أى لا يوبق

(٢) فى النهاية : لما تحجر جرحه للبرء انفجر . أى اجتمع والتأم . وفى السيرة لابن هشام : ينحجز بالزاى .

(٣) كذا بالمصرية ، وفى الحلبية : خوفها . وفى ابن هشام جوفها ، وفى النهاية : الجرف موضع قريب من المدينة .

فصـــــل
فى مؤاخـــاة النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليرتفق المهـــاجرى بالأنصارى

كما قال تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [(١)] وقال تعالى : ﴿ والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شىء شهيداً ﴾ [(٢)] .

قال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد حدثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ ولكل جعلنا موالى ﴾ قال : ورثة ﴿ والذين عقدت أيمانكم ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرى الأنصارى دون ذوى رحمه للأخوة التى آخى النبى ﷺ بينهم ، فلما نزلت ﴿ ولكل جعلنا موالى ﴾ نسخت ثم قال : ﴿ والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له ، وقال الإمام أحمد : قرىء على سفيان سمعت عاصما عن أنس قال : حالف النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دارنا ، قال سفيان : كأنه يقول آخى .

وقال محمد بن إسحاق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - : « تآخوا فى الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : « هذا أخى » فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى ابن أبى طالب أخوين وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين ، قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة ، قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد

---

(١) الآية : ٩ من سورة الحشر .

(٢) الآية : ٣٣ من سورة النساء .

الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين ، ويقال : بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس ابن ثابت بن المنذر النجارى أخوين ، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين وسعيد ابن زيد وأبى بن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين ، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسى ، حليف عبد الأشهل أخوين : ويقال : بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند [1] من وجهين ، قال : وأبو ذر برير بن جنادة [2] والمنذر بن عمرو المعتق ليموت أخوين ، وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ثم أحد الفزع [3] أخوين ، قال : فهؤلاء ممن سمى لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضى الله عنهم .

قلت : وفى بعض ما ذكره نظر ، أما مؤاخاة النبى ﷺ وعلى فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ، ومستنده فى ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبى ﷺ لأحد منهم ، ولا مهاجرى لمهاجرى آخر ، كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة ، اللهم إلا أن يكون النبى ﷺ لم يجعل مصلحة علىّ إلى غيره ، فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله ﷺ من صغره فى حياة أبيه أبى طالب ، كما تقدم عن مجاهد وغيره ، وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار والله أعلم .

وهكـذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر ، كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فإن جعفر بن أبى طالب إنما قدم فى فتح خيبر فى أول سنة سبع ، كما سيأتى بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه ﷺ إلى المدينة ، اللهم إلا أن يقال : إنه أرصد لأخوته إذا قدم حين يقدم ، وقوله : وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين مخالف لما رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن

---

(١) فى الحلبية : وهذا النسب .

(٢) وقال ابن هشام : يقال : أبو ذر جندب بن جنادة ، وفى الإصابة . قال : جندب بن جنادة ، وقيل : برير بالتصغير راجع الإصابة لابن حجر .

(٣) قال السهيلى : الفزع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس ، وبالسكون ابن عبد الله بن ربيعة راجع له الروض الأنف .

مالك أن رسول الله ﷺ آخى بين أبى عبيدة بن الجراح وبين أبى طلحة ، وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ، وهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبى عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم .

وقال البخارى : باب كيف آخى النبى ﷺ بين أصحابه ، وقال عبد الرحمن بن عوف : آخى النبى ﷺ بينى وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة ، وقال أبو جحيفة : آخى النبى ﷺ بين سلمان الفارسى وأبى الدرداء رضى الله عنهما ، حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن حميد عن أنس قال : قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلنى على السوق ، فربح شيئاً من أقط وسمن ، فرآه النبى ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة ، فقال النبى ﷺ : « مهيم يا عبد الرحمن ؟ » قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار ، قال : «فما سقت فيها ؟ » قال : وزن نواة من ذهب ، قال النبى ﷺ : « أَوْلِمْ ولو بشاة » تفرد به من هذا الوجه ، وقد رواه أيضاً فى مواضع أخر ومسلم من طرق عن حميد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وحميد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى ، فقال له سعد : أى أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها ، فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق ، فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشىء من أقط وسمن ، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران [1] فقال رسول الله ﷺ : « مهيم ؟ » فقال : يا رسول الله تزوجت امرأة ، قال : « ما أصدقتها ؟ » قال : وزن نواة من ذهب ، قال : « أولم ولو بشاة » ، قال عبد الرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهبا وفضة ، وتعليق البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن ابن عوف غريب فإنه لا يعرف مسنداً [2] إلا عن أنس ، اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس ، قال : قال المهاجرون : يا

---

(١) لعله ودك زعفران .

(٢) فى هامش الحلبية ما يأتى : قوله مسنداً هذا غريب ، بل رواه البخارى موصولا فى أول كتاب البيوع راجع هدى السارى .

رسـول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ، ولا أحسن بذلا من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : « لا ! ما أثنيتم عليهم ودعـوتم الله لهم » هذا حديث ثلاثى الإسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت فى الصحيح ، وقـال البخارى : أخبرنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قال : لا ، قالوا : أفتكفوننا المؤونة ونشرككم فى الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا ، تفرد به ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رسول الله ﷺ للأنصار : « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخـرجـوا إليكم » فقـالوا : أموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول الله ﷺ : « أوغير ذلك ؟ » قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » ، قالوا : نعم !

وقد ذكرنا ما ورد من الأحاديث والآثار فى فضائل الأنصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ﴾ [1] الآية .

فصـــــل

فى موت أبى أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة على قومه بنى النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية فى قول ، وكان شابا ، وهو أول من جمع بالمدينة فى نقيع الخضمات فى هزم النبيت كما تقدم .

قال محمد بن إسحاق : وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخـذته الذبحة ـ أو الشهقة ـ وقال ابن جرير فى التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا يزيد بن زريع عن معمر عن الزهرى عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد ابن زرارة فى الشوكة ، رجاله ثقات .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى

---

(١) الآية : ٩ من سورة الحشر .

ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بئس الميت أبو أمامة ، ليهود ومنافقى العرب ، يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئاً » وهذا يقتضى أنه أول من مات بعد مقدم النبى ﷺ ، وقد زعم أبو الحسن بن الأثير فى الغابة أنه مات فى شوال بعد مقدم النبى ﷺ بسبعة أشهر فالله أعلم ، وذكر محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بنى النجار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لها نقيباً بعد أبى أمامة أسعد بن زرارة فقال : « أنتم أخوالى وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض ، فكان من فضل بنى النجار الذى يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم ، قال ابن الأثير : وهذا يرد قول أبى نعيم وابن منده فى قولهما أن أسعد بن زرارة كان نقيباً على بنى ساعدة ، إنما كان على بنى النجار ، وصدق ابن الأثير فيما قال ، وقد قال أبو جعفر ابن جرير فى التاريخ : كان أول من توفى بعد مقدمه ﷺ المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات ، ثم توفى بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته فى سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبحة أو الشهقة .

قلت : وكلثوم بن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى وهو من بنى عمرو ابن عوف ، وكان شيخا كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء نزل فى منزل هذا فى الليل ، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه فى منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بنى النجار كما تقدم ، قال ابن الأثير : وقد قيل : إنه أول مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله ﷺ ، ثم بعده أسعد بن زرارة ، ذكره الطبرى .

فصل
فى ميلاد عبد الله بن الزبير فى شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد فى الإسلام من المهاجرين ، كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضى الله عنهما ، وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسود ، ورواه الواقدى عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حثمة عن أبيه عن جده ، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر

شهراً من الهجرة ، والصحيح ما قدمنا ، فقال البخارى : حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت : فخرجتُ وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه ، فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرَّك عليه ، فكان أول مولود ولد فى الإسلام ، تابعه خالد بن مخلد عن على بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبى ﷺ وهى حبلى ، حدثنا قتيبة عن أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أول مولود ولد فى الإسلام عبد الله بن الزبير ، أتوا به النبى ﷺ فأخذ النبى ﷺ تمرة فلاكها ثم أدخلها فى فيه ، فأول ما دخل بطنه ريق النبى ﷺ ، فهذا حجة على الواقدى وغيره ، لأنه ذكر أن النبى ﷺ بعث مع عبد الله بن أريقط ، لما رجع إلى مكة ، زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبى بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبى ﷺ وأسماء حامل متم ، أى مقرب قد دنا وضعها لولدها ، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحا بمولده ، لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذب الله اليهود فيما زعموا .

فصـــــــل

وبنى رسول الله ﷺ بعائشة فى شوال من هذه السنة

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال ، وبنى بى فى شوال ، فأى نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده منى ؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها فى شوال ، ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن سفيان الثورى به ، وقال الترمذى : حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثورى فعلى هذا يكون دخوله بها ﷺ بعد الهجرة بسبعة أشهر ـ أو ثمانية أشهر ـ وقد حكى القولين ابن جرير ، وقد تقدم فى تزويجه ﷺ بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعدما قدموا المدينة وأن دخوله بها كان بالسنح نهاراً ، وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفى دخوله ﷺ بها فى شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشىء لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس فى ذلك الوقت : تزوجنى فى شوال ، وبنى بى فى شوال ـ أى دخل بى ـ فى شوال ، فأى نسائه

كان أحظى عنده منى ؟ فدل هذا على أنها فهمت منه ﷺ أنها أحب نسائه إليه ، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت فى صحيح البخارى عن عمرو بن العاصَ : قلت : يا رسول الله ، أى الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : ومن الرجال ؟ قال : « أبوها » .

فصـــــل

قال ابن جرير : وفى هذه السنة - يعنى السنة الأولى من الهجرة - زيد فى صلاة الحضر فيما قيل : ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبى ﷺ المدينة بشهر فى ربيع الآخر لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت ، وقال : وزعم الواقدى أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى من طريق معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر ، وروى من طريق الشعبى عن مسروق عنها ، وقد حكى البيهقى عن الحسن البصرى أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعا ، والله أعلم ، وقد تكلمنا على ذلك فى تفسير سورة النساء عند قوله تعالى : ﴿ **وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ [1] الآية .

فصـــــل
فى الأذان ومشروعيته عند مقدم النبى ﷺ إلى المدينة النبوية

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار استحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان ، وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بوقا كبوق يهود الذى يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به

---

(١) الآية : ١٠١ من سورة النساء .

للمسلمين للصلاة ، فبينا هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه طاف بى هذه الليلة طائف ، مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة ، قال : ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو؟ قال : تقول : الله كبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة حى على الصلاة ، حى على الفلاح حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتا منك » فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب ، وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه وهو يقول : يا نبى الله ، والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسول الله ﷺ : فلله الحمد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث عن محمد ابن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه ، وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به ، وصححه الترمذى وابن خزيمة وغيرهما ، وعند أبى داود أنه علمه الإقامة ، قال ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبى عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحرانى عن ابن إسحاق ، كما تقدم ، ثم قال : قال أبو عبيد : وأخبرنى أبو بكر الحكمى أن عبد الله بن زيد الأنصارى قال فى ذلك :

الحمد لله ذى الجلال وذى الـ * إكرام حمداً على الأذان كبيرا
إذ أتانى به البشير من الـلـ * ـه فأكرم به لدى بشيرا
فى ليال والى بهن ثلاث * كلما جاء زادنى توقيرا

قلت : وهذا الشعر غريب ، وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله ﷺ ، فالله أعلم ، ورواه الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق قال : وذكر الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به ، نحو رواية ابن إسحاق عن محمد ابن إبراهيم التيمى ، ولم يذكر الشعر .

وقـال ابن ماجه : حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطى حدثنا أبى عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ استشار الناس لما يهمهم من الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى . فأرى النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له : عبد الله بن زيد ، وعمر بن الخطاب ، فطرق الأنصارى رسول الله ﷺ ليلا فأمر رسول الله ﷺ بلالا فأذن به . قال الزهرى : وزاد بلال فى نداء صلاة الغداة : الصلاة خير من النوم مرتين ، فأقرها رسول الله ﷺ ، فقال عمر : يا رسول الله رأيت مثل الذى رأى ، ولكنه سبقنى ، وسيأتى تحرير هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

فأما الحديث الذى أورده السهيلى بسنده من طريق البزار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد حدثنا أبى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب فذكر حديث الإسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأمَّ بأهل السماء وفيهم آدم ونوح ، ثم قال السهيلى : وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لمـا يعضـده ويشاكله من حديث الإسراء . فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلى أنه صحيح بل هو منكر ، تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب إليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين ، ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة ، والله أعلم [١] .

قال ابن هشـام : وذكر ابن جريج ، قال : قال لى عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : ائتمر النبى ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للنـاقوس إذ رأى عمر فى المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة ، فذهب عمر إلى النبى ﷺ ليخبره بما رأى ، وقد جاء النبى ﷺ الوحى بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك : « قد سبقك بذلك الوحى » وهذا يدل على أنه قد جاء الوحى بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، كما صرح به بعضهم ، والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة

---

(١) هذا الحديث مقدم فى النسخة المصرية ومؤخر فى الأخرى .

من بنى النجار قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة ، فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ثم قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن ، قالت : والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة ـ يعنى هذه الكلمات ـ ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به .

فصــــــل
فى سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

قال ابن جرير : وزعم الواقدى أن رسول الله ﷺ عقد فى هذه السنة فى شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ، لحمزة بن عبد المطلب لواء أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترض لعِيرات قريش ، وأن حمزة لقى أبا جهل فى ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدى بن عمرو ، ولم يكن بينهم قتال ، قال : وكان الذى يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوى .

فصــــــل
فى سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابن جرير : وزعم الواقدى ، أيضاً ، أن النبى ﷺ عقد فى هذه السنة ، على رأس ثمانية أشهر ، فى شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ ، وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة ، فبلغ ثنية المرة ، وهى بناحية الجحفة ، فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له : أحياء ، وكان بينهم الرمى دون المسايفة . قال الواقدى : وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وهو المثبت عندنا ، وقيل : كان عليهم مكرز بن حفص .

فصــــــل

قال الواقدى : وفيها ـ يعنى فى السنة الأولى فى ذى القعدة ـ عقد رسول الله ﷺ لسعد ابن أبى وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن الأسود ، فحدثنى أبو بكر بن

إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد عن أبيه ، قال : خرجت فى عشرين رجلا على أقدامنا ، أو قال : أحد وعشرين رجلا ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلىّ أن لا أجاوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتنى قبل ذلك بيوم . قال الواقدى : كانت العير ستين ، وكان من مع سعد كلهم مَن المهاجرين . قال أبو جعفر بن جرير : وعند ابن إسحاق أن هذه السرايا الثلاث التى ذكرها الواقدى كلها فى السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر لمن تأمله ، كما سنورده فى أول كتاب المغازى فى أول السنة الثانية من الهجرة ، وذلك تلو ما نحن فيه إن شاء الله ، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا فى السنة الأولى ، وسنزيدها بسطا وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى . والواقدى عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محرر ، غالباً ، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار ، وهو صدوق فى نفسه مكثار ، كما بسطنا القول فى عدالته وجرحه فى كتابنا الموسوم بالتكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، ولله الحمد والمنة .

فصـــل

وممن ولد فى هذه السنة المباركة ـ وهى الأولى من الهجرة ـ عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد فى الإسلام بعد الهجرة ، كما رواه البخارى عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتى الصديق رضى الله عنهما ، ومن الناس من يقول : ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ، ومن الناس من يقول : إنهما ولدا فى السنة الثانية من الهجرة ، والظاهر الأول كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة ، وسنشير فى آخر السنة الثانية إلى القول الثانى ، إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل : إن المختار بن أبى عبيد ، وزياد بن سمية ولدا فى هذه السنة الأولى [1] ، فالله أعلم ، وممن توفى فى هذه السنة الأولى من الصحابة ، كلثوم ابن الهدم الأوسى الذى نزل رسول الله ﷺ فى مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى

---

(١) وفى الأصلين : فى هذه السنة الثانية

دار بنى النجار كما تقدم ، وبعده ـ فيها ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة ، نقيب بنى النجار ، توفى ورسول الله ﷺ يبنى المسجد ، كما تقدم ، رضى الله عنهما وأرضاهما .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة يعنى الأولى من الهجرة ـ مات أبو أحيحة بماله بالطائف ، ومات الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمى فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل .

بســـم الله الرحمـن الرحيـــم

ذكر ما وقع فى السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازى والسرايا ، ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التى كانت فى رمضان منها ، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل ، والهدى والغى ، وهذا أوان ذكر المغازى والبعوث ، فنقول وبالله المستعان

كتـــاب المغــــازى

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب السيرة بعد ذكر أخبار اليهود ونصبهم العداوة للإسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات ؛ فمنهم : حيى بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر ، وجدى ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وسلام بن أبى الحقيق ، وهـو أبو رافع الأعور ، تاجر أهل الحجاز ، وهو الذى قتله الصحابة بأرض خيبر ، كما سيأتى ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب ابن الأشرف ، وهو من طىء ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير وقد قتله الصحابة قبل أبى رافع ، كما سيأتى ، وحليفاه : الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس ، لعنهم الله ، فهؤلاء من بنى النضير ، ومن بنى ثعلبة بن الفطيون : عبد الله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز ـ بعدُ ـ أعلم بالتوراة منه .

قلت : وقد قيل : إنه أسلم ، وابن صلوبا ، ومخيريق ، وقد أسلما يوم أُحد ، كما سيأتى ، وكـان حبـر قومه ، ومن بنى قينقاع : زيد بن اللصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمـود بن شيخـان [١] ، وعـزيز بن أبى عزيز [٢] ، وعبد الله بن ضيف ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ، وشاش بن عدى ، وشاش بن قيس ، وزيد بن الحارث ونعمان بن عمير [٣] ، وسكين بن أبى سكين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبى أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك ابن صيف [٤] ، وكعب بن راشد ، وعازر ورافع بن أبى رافع ، وخالد وأزار بن أبى أزار .

---

(١) كذا فى الأصول شيخان : وفى ابن هشام : محمود بن سبحان .

(٢) كذا فى النسخة الحلبية وابن هشام والسهيلى ، وفى المصرية : عزير بن أبى عزير بالراء .

(٣) كذا فى المصرية وفى الحلبية : عمر ، وفى ابن هشام عمرو .

(٤) وقال ابن هشام : يقال : ابن الضيف بالمعجمة راجع سيرة ابن هشام .

قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبى آزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريملة ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

قلت : وقد تقدم إسلامه رضى الله عنه ، قال ابن إسحاق : وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، قال ابن إسحاق : ومن بنى قريظة : الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شموال [1] وكعب بن أسد ، وهو صاحب عقدهم الذى نقضوه عام الأحزاب ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينة ، والنحام بن زيد ، وكردم بن كعب [2] ووهب بن زيد ونافع بن أبى نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن زميلة ، وجبل بن أبى قشير ، ووهب بن يهوذا ، قال : ومن بنى زريق : لبيد بن أعصم ، وهو الذى سحر رسول الله ﷺ ، ومن يهود بنى حارثة : كنانة بن صوريا ، ومن يهود بنى عمرو بن عوف : قردم ابن عمرو ، ومن يهود بنى النجار : سلسلة بن برهام .

قال ابن إسحاق : فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنت والعناد والكفر ، قال : وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق ، ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام وإسلام عمته خالدة ، كما قدمناه ، وذكر إسلام مخيريق يوم أحد ، كما سيأتى ، وأنه قال لقومه ـ وكان يوم السبت ـ يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراءه من قومه ، إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله ـ وكان كثير الأموال ـ ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، قال : فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغنى : « مخيريق خير يهود » .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق من مال إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج فمن الأوس : زوى [3] بن الحارث ، وجلاس بن الصامت الأنصارى وفيه نزل

---

(١) فى الحلبية : شمويل ، وفى ابن هشام سموال بالسين .

(٢) وفى ابن هشام : قردم بالقاف .

(٣) وفى ابن هشام : زرى بالراء بدل الواو .

﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾ [(١)] وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر ، فنماها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ ، فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك ، قال : وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير ، قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المجذر بن زياد البلوى وقيس بن زيد ، أحد بنى ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر قد قتل أباه سويد بن الصامت فى بعض حروب الجاهلية فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد ، كذا قال ابن هشام ، وقد ذكر ابن إسحاق أن الذى قتل سويد ابن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء ، قتله فى غير حرب قبل يوم بعاث ، رماه بسهم فقتله،وأنكرابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد قال: لأن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد . قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ ، أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ـ فيما بلغنى عن ابن عباس ـ **﴿ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾** [(٢)] إلى آخر القصة ، قال : وبجاد بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيما أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذى قال : إنما محمد أُذُن ، من حدثه بشىء صدقه ، فأنزل الله فيه **﴿ ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ﴾** [(٣)] الآية ، قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتب هو الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هٰهنا ، فنزل فيه الآية ، وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه **﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾** [(٤)] .

---

(١) الآية : ٧٤ من سورة التوبة .

(٢) الآية : ٨٦ من سورة آل عمران .

(٣) الآية : ٦١ من سورة التوبة .

(٤) الآية : ١٢ من سورة الأحزاب .

قال ابن إسحاق : والحارث بن حاطب ، قال ابن هشام : ومعتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم ، قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحـاق : وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وبحزج ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن حرام [١] وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطاف ، وابناه يزيد [٢] ومجمع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع أكثر القرآن وكان يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار ، كما سيأتى بيانه بعد غزوة تبوك وكان فى أيام عمر ، سأل أهل قباء عمر أن يصلى بهم مجمع فقال : لا والله ، أوليس إمـام المنافقين فى مسجد الضرار ؟ فحلف بالله ما علمت بشىء من أمرهم ، فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم ، قال : ووديعة بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب ، فنزل فيه ذلك ، قال : وخذام بن خالد وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ، قال ابن هشام مستدركا على ابن إسحاق فى منافقى بنى النبيت من الأوس وبشر ورافع ابنا زيد ، قال ابن إسحاق : ومربع بن قيظى ـ وكان أعمى ـ وهو الذى قال لرسول الله ﷺ حين أجاز فى حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر فى حائطى ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لرميتك بها ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ : « دعوه فهذا الأعمى القلب أعمى البصر » وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلى بالقوس فشجه ، قال : وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة ، فقال الله : ﴿ وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ [٣] قال : وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيمـا قد عسا [٤] فى جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له : يزيد بن حاطب ، أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر ، فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقـولـون : أبشـر بالجنة يا بن حاطب ، قال : فنجم نفاق أبيه فجعل يقول :

---

(١) كذا فى الحلبية ، والمصرية : عمر بن حزام ، وابن هشام : عمرو بن خذام .

(٢) وفى ابن هشام : زيد راجع السيرة .

(٣) الآية : ١٣ من سورة الأحزاب .

(٤) عسا أى كبر وأسن .

أجل ، جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه ، قال : وبشير بن أبيرق أبو طعمة ، سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه ﴿ **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم** ﴾ [(١)] الآيات ، قال : وقزمان ، حليف لبنى ظفر الذى قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه ، وقال : والله ما قاتلت إلا حمية على قومى ثم مات ، لعنه الله ، قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود ، فهؤلاء كلهم من الأوس .

قال ابن إسحاق : ومن الخزرج : رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل ، والجد بن قيس وهو الذى قال : ائذن لى ولا تفتنى ، وعبد الله بن أبى ابن سلول ، وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يملّكوه عليهم فى الجاهلية ، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغاظه ذلك جداً ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ـ وفيه وفى وديعة ـ رجل من بنى عوف ـ ومالك ابن أبى قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى : ﴿ **لئن أخرجوا لا يخرجون معهم** ﴾ [(٢)] الآيات ، حين مالوا فى الباطن إلى بنى النضير .

فصـــــل

ثم ذكر ابن إسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا فى الباطن فأتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرهم : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، فقال رسول الله ﷺ : « والله لا أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجوة بزمامها » فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك ، قال : ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حريملة ، وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات ـ فيما بلغنا ـ : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال : « إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار » فلما قدموا المدينة

---

(١) الآية : ١٠٧ من سورة النساء .

(٢) الآية : ١٢ من سورة الحشر .

وجدوا رفاعة قد مات فى ذلك اليوم ، وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا ، فهؤلاء ممن أسلم من منافقى اليهود .

قال : فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزءون بدينهم ، فاجتمع فى المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا ، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بنى النجار - وكان صاحب آلهتهم فى الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول - لعنه الله - أتخرجنى يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع ابن وديعة النجارى فلببه بردائه ، ثم نتره نتراً شديداً (١) ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقا خبيثاً ، وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعاً فلدمه بهما لدمة (٢) فى صدره خر منها وهو يقول : خدشتنى يا عمارة ، فقال عمارة : أبعدك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك ، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ ، وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك بن النجار وكان بدريا - إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا - وليس فى المنافقين شاب سواه - فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه ، وقام رجل من بنى خدرة (٣) إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو - وكان ذا جمة - فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهل لذلك أى عدو الله لما أنزل فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجس ، وقام رجل من بنى عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه إخراجا عنيفاً وأقف (٤) منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره ، ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد رحمه الله .

---

(١) النتر : جذب فيه قوة

(٢) أى ضربه ودفعه .

(٣) كذا فى الأصلين ، وفى ابن هشام : من بلخدرة .

(٤) أى ألقى طرف ثوبه علىَ أنفه وقال أف

ذكر أول المغازى وهى غزوة الأبواء ويقال لها : غزوة ودّان وأول البعوث

وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث ، كما سيأتى فى المغازى . قال البخارى : كتاب المغازى . قال ابن إسحاق : أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم بواط ، ثم العشيرة ، ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال : تسع عشرة ، شهد منها سبع عشرة أولهن العسيرة - أو العشيرة - ، وسيأتى الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله وبه الثقة ، وفى صحيح البخارى عن بريدة قال : غزا رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ، ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ، وفى رواية له عنه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل فى ثمان منهن . وقال الحسين بن واقد : عن أبى بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة وقاتل فى ثمان ؛ يوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، ومكة ، وحنين . وبعث أربعاً وعشرين سرية .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن عثمان الدمشقى التنوخى حدثنا الهيثم بن حميد أخبرنى النعمان عن مكحول أن رسول الله ﷺ غزا ثمانى عشرة غزوة ، قاتل فى ثمان غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف [1] ، قوله بئر معونة بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد ، كما سيأتى .

قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله ﷺ ثمانى عشرة غزوة ، وسمعته مرة أخرى يقول أربعاً وعشرين . فلا أدرى أكان ذلك وهما أو شيئا سمعه بعد ذلك . وقد روى الطبرانى عن الدبرى [2] عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال : غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة . وقال عبد الرحمن بن حميد فى مسنده : حدثنا سعيد بن سلام حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر . قال : غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة . وقد روى الحاكم عن طريق هشام عن قتادة أن مغازى رسول الله ﷺ وسراياه كانت

---

(١) الغزوات المذكورة هكذا تسع لا ثمانى .

(٢) فى الأصلين الدرى والديرى وإنما هو إسحاق بن إبراهيم الدبرى

ثلاثا وأربعين ، ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت فى الإكليل على الترتيب بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المائة . قال وأخبرنى الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ فى كتاب أبى عبد الله محمد بن نصر : السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين ، وهذا الذى ذكره الحاكم غريب جداً ، وحمله كلام قتادة على ما قَال فيه نظر ، وقد روى الإمام أحمد عن أزهر بن القاسم الراسبى عن هشام الدستوائى عن قتادة أن مغازى رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون ، أربع وعشرون بعثا ، وتسع عشرة غزوة . خرج فى ثمان منها بنفسه ، بدر ، وأحد ، والأحزاب والمريسيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف .

وقال موسى بن عقبة الزهرى : هذه مغازى رسول الله ﷺ التى قاتل فيها ، يوم بدر فى رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق ـ وهو يوم الأحزاب وبنى قريظة ـ فى شوال سنة أربع ، ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف فى شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتى عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الأبواء .

وقال حنبل بن هلال : عن إسحاق بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقى عن مطرف ابن مازن اليمانى عن معمر عن الزهرى قال : أول آية نزلت فى القتال ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** ﴾ [1] الآية ، بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال : ثم غزا بنى النضير ، ثم غزا أحداً فى شوال ـ يعنى من سنة ثلاث ـ ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين فى رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها فكانت أول غزوة غزا رسول الله ﷺ الأبواء . ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بنى سليم ، ثم غزوة الأبواء [2] ثم غزوة بدر الأولى ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث ، هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جداً ، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتبا .

---

(١) الآية : ٣٩ من سورة الحج .

(٢) كذا بالأصلين مكررا غزوة الأبواء والذى فى ابن هشام : الأبواء ، بواط ، العشيرة

وهـذا الفن مما ينبغى الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدى عن عبد الله بن عمر بن على عن أبيه سمعت على بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازى النبى ﷺ كما نعلم السورة من القرآن . قال الواقدى : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمى الزهرى يقول : فى علم المغازى علم الآخرة والدنيا ، وقال محمد بن إسحاق فى المغازى بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رءوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين وجمعهم فى أسفل سافلين ، ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحـربـه وقـام فيمـا أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين ، قال : وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة ، فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهـر ربيع الآخـر وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرم ، ثم خرج رسول الله ﷺ غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عبادة . قال ابن إسحاق : حتى بلغ ودان ، وهى غزوة الأبواء ، قال ابن جرير : ويقال لها : غزوة ودان أيضا ، يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذى وادعه منهم مخشى بن عمرو الضمرى وكان سيدهم فى زمانه ذلك . ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول . قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها ﷺ قال الواقدى : وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض . قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى فى ستين ـ أو ثمانين ـ راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمِى به فى سبيل الإسلام ثم انصرف القـوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى ، حليف بن زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازنى ، حليف بن نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار . قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبى جهل ، وروى ابن هشام عن أبى عمرو بن العلاء [1] عن أبى عمرو المدنى أنه قال : كان عليهم مكرز بن حفص .

(١) فى السيرة لابن هشام : حدثنى ابن أبى عمرو بن العلاء .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدى قولان : الأول أنه مكرز ، والثانى : أنه أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجح أنه أبو سفيان فالله أعلم . ثم ذكر ابن إسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبى بكر الصديق فى هذه السرية التى أولها :

أمن طيفِ سلمى بالبطاح الدمائث * أرقت وأمر فى العشيرة حادث
ترى من لؤى فرقةً لا يصدُّها * عن الكفر تذكيرٌ ولا بعثُ باعثِ
رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذَّبوا * عليه وقالوا لستَ فينا بماكثِ
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا * وهروا هرير المحجرات اللواهثِ

القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزبعرى فى مناقضتها التى أولها :

أمن رسم دارٍ أقفرت بالعثاعثِ * بكيت بعين دمعها غير لابثِ
ومن عجب الأيام - والدهر كله * له عجب - من سابقات وحادثِ
لجيش أتانا ذى عرام يقوده * عبيدةُ يدعى فى الهياج ابن حارثِ
لنترك أصناما بمكة عكفا * مواريث موروث كريم لوارثِ

وذكر تمام القصيدة ، وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الإمام عبد الملك بن هشام وكان إماما فى اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين قال ابن إسحاق وقال سعد بن أبى وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أتى رسول الله أنى * حَمَيْتُ صحابتى بصدورِ نَبْلى
أذود بها أوائلَهم ذِياداً * بكل حزونة وبكل سهلِ
فما يعتد رامٍ فى عدوٍّ * بسهمٍ يا رسول الله قَبْلى
وذلك أن دينك دين صدق * وذو حقٍّ أتيت به وفضلِ [1]
يُنجَّى المؤمنون به ويخزى * به الكفار عند مقام مهلِ [2]
فمهلا قد غويت فلا تعبنى * غويّ الحى ويحك يا بن جهلِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد ، قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة - فيما بلغنا - أول راية عقدها رسول الله ﷺ فى الإسلام لأحد من المسلمين ، وقد خالفه الزهرى وموسى بن عقبة والواقدى فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبيدة

---

(١) الذى فى ابن إسحاق : وعدل .

(٢) وفى ابن هشام بدل مهل سهل ،

ابن الحارث والله أعلم وسيأتى فى حديث سعد بن أبى وقاص أن أول أمراء السرايا عبد الله بن جحش الأسدى .

قال ابن إسحاق : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة . وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهرى .

فصـــــــل

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ فى مقامه ذلك ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى ، وكان موادعا للفريقين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق : وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا ، فشبه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهرى أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل ﷺ من الأبواء بعث عبيدة ابن الحارث فى ستين من المهاجرين وذكر نحو ما تقدم ، وقد تقدم عن الواقدى أنه قال : كانت سرية حمزة فى رمضان من السنة الأولى ، بعدها سرية عبيدة فى شوال منها والله أعلم ، وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضى الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت فى الإسلام ، لكن قال ابن إسحاق : فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقا ، والله أعلم أى ذلك كان ، فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول ، والقصيدة هى قوله :

ألا يا لقـومى للتحلم والجهـل * وللنقص من رأى الرجـال وللعقلِ
ولـلراكـبينـا بالـمـظالم لم نطأ * لهم حرمـاتٍ من سوام ولا أهـلِ
كأنـا بتلنـاهم ولا بتـل [1] عنـدنـا * لهم غير أمـر بالعفـاف وبـالعـدلِ

---

(١) كذا فى المصرية ، ومعنى البتل القطع ، وفى الحلبية وابن هشام : : نبلناهم بالنون ومعناها رميناهم بالنبل .

وأمـر بإسـلام فلا يقـبـلونـه * وينـزل منهم مثـل منزلـة الهـزلِ
فمـا برحـوا حتى انتـدبت لغـارة * لهم حيث حلوا أبتغي راحـة الفضلِ
بأمـر رسـول الله أول خافـقٍ * عليه لواء لم يكـن لاح من قبـلِ
لواء لديه النصـر من ذى كرامـة * إلـه عزيز فعـله أفـضـل الفعـلِ
عشـية ساروا حاشـدين وكـلنـا * مراجله من غيظِ أصحـابـه تغلى
فلمـا تراءينـا أنـاخـوا فعقّلوا * مطايا وعقّلنـا مدى غرض النبـلِ
وقلنـا لهم حبـل الإلـه نصيرُنـا * ومـا لكم إلا الضـلالـة من حبـلِ
فثـار أبـو جهـل هنـالك باغيا * فخـاب ورد الله كيد أبـى جهـلِ
ومـا نحـن إلا فى ثلاثين راكبـا * وهم مائتـان بعـد واحـدة فضـلِ
فيال لؤى لا تطيعـوا غواتـكـم * وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهلِ
فإنـى أخـاف أن يُصَبَّ عليكـم * عذابٌ فتـدعـوا بالنـدامـة والثكلِ

قال : فأجابه أبو جهل بن هشام ، لعنه الله ، فقال :

عبجت لأسبـاب الحفيظة والجهـلِ * وللشـاغبين بالخـلاف وبـالبطـلِ
ولـلتـاركين ما وجـدنـا جدودنـا * عليه ذوى الأحساب والسؤدد الجزلِ

ثم ذكر تمامها ، قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضى الله عنه ، ولأبى جهل ، لعنه الله .

غـزوة بـواط مـن ناحيـة رضـوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الأول - يعنى من السنة الثانية - يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون ، وقال الواقدى : استخلف عليها سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ فى مائتى راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبى وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

غـــزوة العشـــيرة

ثم غزا قريشا ، يعنى بتلك الغزوة التى يقال لها : غزوة العشيرة وبالمهملة ، والعشير وبالمهملة ، والعشيراء وبالمهملة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، قال الواقدى : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب ، قال : وخرج ﷺ يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخيار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها : ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده ، فصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فرسوم أثافى البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له : المشيرب ثم ارتحل فترك الخلائق (١) بيسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صب للشاد (٢) حتى هبط يليل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليال من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله حدثنا وهب حدثنا شعبة عن أبى إسحاق ، قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل له : كم غزا رسول الله ﷺ من غزوة ؟ قال : تسع عشرة ، قلت : كم غزوت أنت معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، قلت : فأيهن كان أول ؟ قال : العشير ـ أو العسير ـ فذكرت لقتادة فقال : العشير ، وهذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين مع حذف التاء ، وبهما مع المد ، اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبى ﷺ زيد بن أرقم العشيرة وحينئذ لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث ، والله أعلم .

---

(١) الخلائق بالخاء المعجمة : البئر التى لا ماء فيها . وقال السهيلى : بالخاء المهملة آبار معلومة ورجح الرواية الأولى راجع الروض .

(٢) صب للشاد كذا فى المصرية وابن هشام . وقال الخشنى : صب للساد « بالسين المهملة » ثم قال : وصوابه لليسار وصحفه فى الحلبية فقال : صب المسار .

قال محمد بن إسحاق :ـ ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعلى ما قال ، فحدثنى يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظى حدثنى أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمار ابن ياسر ، قال : كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة من بطن ينبع فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً فصالح بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة فوادعهم ، فقال لى علىّ بن أبى طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن نأتى بهؤلاء النفر ـ من بنى مدلج يعملون فى عين لهم ـ ننظر كيف يعملون ؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا إلى صورة من النخل فى دقعاء من الأرض فنمنا فيه ، فوالله ما أهبنا إلا ورسول الله ﷺ يحركنا بقدمه ، فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلى : « مالك يا أبا تراب ؟ » لما عليه من التراب ، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال : « ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ، فقال : « أحيمر ثمود الذى عقر الناقة ، والذى يضربك يا عليّ على هذه ـ ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه ـ حتى تبل منها هذه ـ ووضع يده على لحيته ـ » ، وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر فى تسمية على أبا تراب كما فى صحيح البخارى أن عليا خرج مغاضبا فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فقالت : خرج مغاضبا ، فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب » .

غـــزوة بـــدر الأولـــى

قال ابن إسحاق : ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له : سفوان من ناحية بدر ، وهى غزوة بدر الأولى ، وفاته فلم يدركه ، وقال الواقدى : وكان لواؤه مع على بن أبى طالب ، قال ابن هشام والواقدى : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : فرجع رسول الله ﷺ فأقام جمادى ورجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدى ذلـك سعـداً فى ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ، قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجـع ولم يلق كيداً ، هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً ، وقد تقدم ذكر الواقدى لهذه

البعوث الثلاثة ، أعنى بعث حمزة فى رمضان ، وبعث عبيدة فى شوال ، وبعث سعد فى ذى القعدة كلها فى السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنى عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثنى يحيى بن سعيد ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد : وحدثنى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى حدثنا أبى حدثنا المجالد عن زياد بن علاقة عن سعد بن أبى وقاص ، لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى نأتيك وقومنا ، فأوثق لهم فأسلموا ، قال : فبعثنا رسول الله ﷺ فى رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً ، فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا ، لم تقاتلون فى الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض : ما ترون ؟ فقال بعضنا : نأتى نبى الله فنخبره ، وقال قوم : لا ، بل نقيم هٰهنا ، وقلت فى أناس معى : لا ، بل نأتى عير قريش فنقطعها ، وكان الفىء إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له ، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبى ﷺ فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه ، فقال : « أذهبتم من عندى جمعيا ورجعتم متفرقين ، إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم ، أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدى فكان أول أمير فى الإسلام .

وقد رواه البيهقى فى الدلائل من حديث يحيى بن أبى زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون فى الشهر الحرام ؟ فقالوا : نقاتل فى الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام ، ثم رواه من حديث أبى أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن أبى وقاص فذكر نحوه فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم ، وهذا الحديث يقتضى أن أول السرايا عبد الله بن جحش الأسدى وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدى حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم .

باب سرية عبد الله بن جحش التى كانت سببا لغزوة بدر العظمى وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدى فى رجب مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وهم : أبو حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن بن حرثان ، حليف بنى أسد بن خزيمة ، وعتبة بن غزوان ، حليف بنى نوفل ، وسعد بن أبى وقاص الزهرى ، وعامر بن ربيعة الوائلى ، حليف بنى عدى ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة ابن يربوع التميمى حليف بنى عدى أيضاً ، وخالد بن البكير ، أحد بنى سعد بن ليث حليف بنى عدى أيضاً ، وسهل بن بيضاء الفهرى ، فهؤلاء سبعة [1] ثامنهم أميرهم عبد الله بن جحش رضى الله عنه ، وقال يونس عن ابن إسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً ، فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه : إذا نظرت فى كتابى فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ، فلما نظر فى الكتاب قال : سمعا وطاعة ، وأخبر أصحابه بما فى الكتاب ، وقال : قد نهانى أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ ، فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد ، وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له : بحران ، أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة ، فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى ، قال ابن هشام : واسم الحضرمى عبد الله بن عباد أحد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ، مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا

---

(١) يلاحظ أن المذكورين ثمانية

منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخُلنَّ الحرم فليمتنعن به منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ .

وقد ذكر بعض آل عبد الله ابن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس فعزله ، وقسم الباقى بين أصحابه ، وذلك قبل أن ينزل الخمس ، قال : ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش ، كما قاله ابن إسحاق ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان ، وقالت يهود تفائل بذلك على رسول الله ﷺ : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمى حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ (1) أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿ **والفتنة أكبر من القتل** ﴾ أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾

---

(١) الآية : ٢١٧ من سورة البقرة .

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت قريش فى فداء عثمان والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا » - يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان - فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم ، فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله ﷺ ، فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

قال ابن إسحاق : فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** ﴾ [١] فوصفهم [٢] الله من ذلك على أعظم الرجاء ، قال ابن إسحاق : والحديث فى ذلك عن الزهرى ويزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى وكذا روى شعيب عن الزهرى عن عروة نحواً من هذا وفيه ؛ وكان ابن الحضرمى أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين ، وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبى وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير فى الإسلام ، وقد ذكرنا فى التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مسندة ، فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه ، حدثنى الحضرمى عن أبى السواد عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، أو عبيدة بن الحارث ، لما ذهب بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا ، قال : « لا تكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله ، فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلان وبقى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمى فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من

---

(١) الآية : ٢١٨ من سورة البقرة .

(٢) كذا بالأصلين ، وفى ابن هشام : فوضعهم الله من ذلك

جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم فى الشهر الحرام ، فأنزل الله : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ [1] الآية .

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر ، عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعى ، حليف لعمر ابن الخطاب وكتب لابن جحش كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل ، فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه أن سِرْ حتى تنزل بطن نخلة ، فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ، فإننى موصٍ وماضٍ لأمر رسول الله ﷺ ، فسار وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة ، فذكر قتل واقد لعمرو ابن الحضرمى ورجعوا بالغنيمة والأسيرين فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون ، وقال المشركون : إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا فى رجب ، وقال المسلمون : إنما قتلناه فى جمادى ، قال السدى : وكان قتلهم له فى أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى الأولى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤى تلك الليلة فالله أعلم ، وهكذا روى العوفى عن ابن عباس أن ذلك كان فى آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا ، وكذا تقدم فى حديث جندب الذى رواه ابن أبى حاتم ، وقد تقدم فى سياق ابن إسحاق أن ذلك كان فى آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك فى الحرم فيتعذر عليهم ذلك ، فأقدموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهرى عن عروة رواه البيهقى ، فالله أعلم أى ذلك كان ، قال الزهرى عن عروة فبلغنا أن رسول الله ﷺ عقل ابن الحضرمى وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة ، رواه البيهقى .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق فى غزوة عبد الله بن جحش جوابا للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام ، قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جحش :

---

(١) الآية : ٢١٧ من سورة البقرة .

تَعُدّون قتلاً فى الحرام عظيمةً * وأعظمُ منه لو يرى الرشدَ راشدُ
صُدودُكم عمّا يقول محمدٌ * وكفرٌ به والله راءٍ وشاهدُ
وإخراجُكم من مسجدِ اللهِ أهلَه * لئلا يَرى لله فى البيتِ ساجدُ
فإنّا وإن عَيّرْتُمونا بقتلهِ * وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسدُ
سقينا من ابن الحضرمى رماحَنا * بنخلة لمّا أوقد الحربَ واقدُ
دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غلٌّ من القيد عاندُ

فصل

فى تحويل القبلة فى سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم : كان ذلك فى رجب من سنة ثنتين ، وبه قال قتادة وزيد بن أسلم ، وهو رواية عن محمد بن إسحاق ، وقد روى أحمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب ، كما سيأتى والله أعلم ، وقيل : فى شعبان منها ، قال ابن إسحاق : بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال : صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدى فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ، قال الجمهور الأعظم : إنما صرفت فى النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة ، ثم حكى عن محمد بن سعد الواقدى أنها حُوِّلَت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفى هذا التحديد نظر والله أعلم ، وقد تكلمنا على ذلك مستقصى فى التفسير عند قوله تعالى : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** ﴾ [1] ، وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك ، لأنه أول نسخ وقع فى الإسلام ، هذا وقد أحال الله قبل ذلك فى سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسأها** [2] **نأتِ بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير** ﴾ [3] وقد قال البخارى : حدثنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبى إسحاق عن البراء أن

---

(١) الآية : ١٤٤ من سورة البقرة .

(٢) كذا فى الأصلين : ننسأها وهى قراءة أبى عمرو . وقراءة حفص عن عاصم نُنسِها .

(٣) الآية : ١٠٦ من سورة البقرة .

النبى ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾ (١) رواه مسلم من وجه آخر .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء ، قال : كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ (٢) ، قال : فوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، فأنزل الله : ﴿ **قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ (٣) وحاصل الأمر أن رسول الله ﷺ كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وهذا يقتضى أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم .

وكان ﷺ يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلا ذلك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ الآية ، فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك ، كما رواه النسائى عن أبى سعيد بن المعلى ، وأن ذلك كان وقت الظهر ، وقال بعض الناس : نزل تحويلها بين الصلاتين ، قاله مجاهد وغيره ، ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها ﷺ إلى الكعبة بالمدينة

---

(١) الآية : ١٤٣ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ١٤٤ من سورة البقرة .

(٣) الآية : ١٤٢ من سورة البقرة .

العصر ، والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثانى كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر ، قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ، وفى صحيح مسلم عن ابن مالك نحو ذلك .

والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء ، قالوا : ما ولاهم الله عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد ﷺ فى كتبهم من أن المدينة مهاجره وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال تعالى : ﴿ **وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم** ﴾ (١) الآية ، وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعتهم ، فقال : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ (٢) أى هو المالك المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه الذى يفعل ما يشاء فى خلقه ويحكم ما يريد فى شرعه ، وهو الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم ، وله فى ذلك الحكمة التى يجب لها الرضا والتسليم ، ثم قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾ أى خياراً ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ أى وكما اخترنا لكم أفضل الجهات فى صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التى كان يصلى بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالد والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم ، كما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى سعيد مرفوعا من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الأولى والأحرى ، ثم قال تعالى مبينا حكمته فى حلول نقمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة ، فقال : ﴿ **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول** ﴾ قال ابن عباس : إلا لنرى من يتبع الرسول ﴿ **ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة** ﴾ أى : وإن كانت هذه الكائنة

---

(١) الآية : ١٤٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ١٤٢ من سورة البقرة .

العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر ﴿ إلا على الذين هدى الله ﴾ أى فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويؤمنون ويعملون لأنهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم وقوله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أى بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ (١) والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط فى التفسير وسنزيد ذلك بيانا فى كتابنا الأحكام الكبير ، وقد روى الإمام أحمد حدثنا على ابن عاصم حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الأشعث عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ - يعنى فى أهل الكتاب - : « إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين » .

فصـــــل
فى فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان ، وقد قيل : إنه فرض فى شعبان منها ، ثم حكى أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم عنه فقالوا : هذا يوم نجى الله فيه موسى ، فقال : « نحن أحق بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه ، وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن ابن عباس وقد قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾ (٢) الآيات وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية فى ذلك والأحكام المستفادة منه ولله الحمد .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودى حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل ، قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل

---

(١) الآية : ١٤٣ من سورة البقرة .
(٢) الآيات : ١٨٣ - ١٨٥ من سورة البقرة .

الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة . فقال : وأما أحوال الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ، ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ إلى قوله ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الآخرى ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾ إلى قوله ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام ، فهذان حولان ، قال : وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إن رجلا من الأنصار يقال له : صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائما ، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً فقال : « مالى أراك قد جهدت جهداً شديداً » فأخبره ، قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله ﴿ أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم ﴾ إلى قوله : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾[1] ، ورواه أبو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه من حديث المسعودى نحوه وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر ، وللبخارى عن ابن عمر وابن مسعود مثله ، ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير وبالله المستعان .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إن رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم ـ أو يومين ـ وأمرهم بذلك ، قال : وفيها صلى النبى ﷺ صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاها وخرجوا بين يديه بالحربة ، وكانت للزبير وهبها له النجاشى ، فكانت تحمل بين يدى رسول الله ﷺ فى الأعياد .

قلت : وفى هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سيأتى تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) الآية : ١٨٧ من سورة البقرة .

بســـــم الله الرحمن الرحيـــم
غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ (٢) وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنوردها هنا فى كل موضع ما يناسبه .

قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبى سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا ـ أو أربعون ـ منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص ، قال موسى ابن عقبة عن الزهرى : كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمى بشهرين ، قال : وكان فى العير ألف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فلهذا تخلف عن بدر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس ، كلٌ قد حدثنى بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس(٣) من لقى من الركبان تخوفا على أموال (٤) الناس ، حتى أصاب خبراً

---

(١) الآية : ١٢٣ من سورة آل عمران .

(٢) الآيات : ٥ ـ ٨ من سورة الأنفال .

(٣) فى الأصلين : يتجسس بالجيم ، وفى ابن هشام يتحسس بالحاء المهملة وشرحهما السهيلى فقال : يتسمع .

(٤) كذا فى الحلبية وفى المصرية على أمر الناس .

من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم علىّ ما أحدثك ، قال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ، ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخد صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة ، قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها لا تذكيرها لأحد ، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة - وكان له صديقا - فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش ، قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهل : يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأت عاتكة ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم !! قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثلاث ، فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقا ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب ، قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبير شىء إلا أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً ، قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشىء مما سمعت ؟ قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان منى إليه من كبير ، وايم الله لأتعرضن له فإذا عاد لأكفيكنه ، قال :

فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه ، قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، قال : قلت فى نفسى ماله ، لعنه الله ، أكل هذا فَرَقاً منّى أن أشاتمه ؟ ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر ، فتجهز الناس سراعا ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك .

وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن إسحاق ، قال : فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والذلول .

قال ابن إسحاق : فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب بعث مكانه العاصى ابن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها ، قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن أبى نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا على استجمر فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ، قال : ثم تجهز وخرج مع الناس ، هكذا قال ابن إسحاق فى هذه القصة .

وقد رواها البخارى على نحو آخر فقال : حدثنى أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى إسحاق حدثنى عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لأمية : انظر لى ساعة خلوة لعلى أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل ، فقال : يا صفوان من هذا معك ؟ قال : هذا سعد ، قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله لولا

أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما ، فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة ، فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى ، قال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنهم قاتلوك » قال : بمكة ؟ قال : لا أدرى ؟ ففزع لذلك أمية فزعا شديداً ، فلما رجع إلى أهله قال : يا أم صفوان ألم ترىْ ما قال لى سعد ؟ قالت وما قال لك ؛ قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلىّ ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدرى فقال أمية : والله لا أخرج من مكة ، فلما كان يوم بدر ، استنفر أبو جهل الناس فقال : أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذا غلبتنى فوالله لأشترينّ أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزينى ، فقالت له : يا أبا صفوان ، أو قد نسيت ما قال لك أخوك اليثربى ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا ، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر .

وقد رواه البخارى فى موضع آخر عن محمد بن إسحاق عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق به نحوه ، تفرد به البخارى ، وقد رواه الإمام أحمد عن خلف ابن الوليد وعن أبى سعيد كلاهما عن إسرائيل ، وفى رواية إسرائيل قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يكذب .

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبنى بكر فى ابن لحفص بن الأخيف من بنى عامر ابن لؤى ، قتله رجل من بنى بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامراً وخاض بسيفه فى بطنه ، ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة فخافوهم بسبب ذلك الذى وقع بينهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدّى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعا ، **قلت** : وهذا معنى قوله تعالى : **﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء**

الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ [1] غرهم ، لعنه الله ، حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحد منهم ، فأسلمهم لمصارعهم ، فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر وعاين جبريل **﴿ نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله ﴾** وهذا كقوله تعالى : **﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين ﴾** [2] وقد قال الله تعالى : **﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾** [3] فإبليس ، لعنه الله ، لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهباً ، فكان أول من هرب يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم ، كما غرهم ووعدهم ومناهم **﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾** [4] .

وقال يونس عن ابن إسحاق : خرجت قريش على الصعب والذلول فى تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين ، وذكر المطعمين لقريش يوما يوما ، وذكر الأموى أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل ، نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوما فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة ابن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشراً ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشراً ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البخترى عشراً ، ثم أكلوا من أزوادهم ، قال الأموى : حدثنا أبى حدثنا أبو بكر الهذلى قال : كان مع المشركين ستون فرساً وستمائة درع ، وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستون درعا .

هذا ما كان من أمر هؤلاء فى نفيرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر ، وأما رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على

---

(١) آيتا : ٤٧ ، ٤٨ من سورة الأنفال .
(٢) الآية : ١٦ من سورة الحشر .
(٣) الآية : ٨١ من سورة الإسراء .
(٤) الآية : ١٢٠ من سورة النساء .

المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض ، وبين يدى رسول الله ﷺ رايتان سوداوان إحداهما : مع على بن أبى طالب يقال لها : العقاب ، والأخرى : مع بعض الأنصار ، قال ابن هشام : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ ، وقال الأموى : كانت مع الحباب بن المنذر . قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أبى صعصعة أخا بنى مازن بن النجار ، وقال الأموى : وكان معهم فرسان ، على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الأخرى الزبير بن العوام [ومن الميمنة سعد بن خيثمة ومن الميسرة المقداد بن الأسود][1] وقد روى الإمام أحمد من حديث أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علىّ قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروى البيهقى من طريق ابن وهب عن أبى صخر عن أبى معاوية البلخى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن عليا قال له : ما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود ـ يعنى يوم بدر ـ وقال الأموى : حدثنا أبى حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن التيمى قال : كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فارسان : الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن الأسود على الميسرة .

قال ابن إسحاق : وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها ، فكان رسول الله ﷺ وعلى ومرثد بن أبى مرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة ، موليا رسول الله ﷺ ، يعتقبون بعيراً ، كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلى زميلىْ رسول الله ﷺ ، قال : فكانت عقبة رسول الله ﷺ فقالا : نحن نمشى عنك ، فقال : « ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » وقد رواه النسائى عن الفلاس عن ابن مهدى عن حماد بن سلمة به .

قلت : ولعل هذا كان قبل أن يرد أبا لبابة من الروحاء ، ثم كان زميلاه على ومرثد بدل أبى لبابة والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق

---

(١) قوله ومن سعد إلى الأسود ، كذا فى الأصلين ولم نقف على صحتها فيما بأيدينا من كتب السير ولعله « ويتعقبانهما مرة سعد بن خيثمة ومرة المقداد بن الأسود » والله أعلم .

الإبل يوم بدر ، وهذا على شرط الصحيحين ، وإنما رواه النسائى عن أبى الأشعث عن خالد بن الحارث عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة به ، قال شيخنا الحافظ المزى فى الأطراف وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة ، وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارة عن أبى هريرة فالله أعلم ، وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب ، قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك غير أنى تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، تفرد به .

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق ثم على ذى الحليفة ثم على أولات الجيش ثم مر على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات اليمامة ثم على السيالة ثم على فج الروحاء . ثم على شنوكة ، وهى الطريق المعتدلة ، حتى إذا كان بعرق الظبية لقى رجلا من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلم على رسول الله ﷺ ، قال : أوفيكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : نعم ، فسلم عليه ، ثم قال : لئن كنت رسول الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه ، قال له سلمة بن سلامة بن وقش : لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل علىّ فأنا أخبرك عن ذلك ، نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة ، فقال رسول الله ﷺ : مه ، أفحشت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله ﷺ سجسج ، وهى بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا ، فسلك فى ناحية منها حتى إذا جزع [1] واديا يقال له : رحقان بين النازية مضيق الصفراء ثم على المضيق انصب منه ، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى ، حليف بنى ساعدة ، وعدى بن أبى الزغباء ، حليف بنى النجار ، إلى بدر يتجسسان ، الأخبار عن أبى سفيان صخر بن حرب وعيره ، وقال موسى بن عقبة : بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها ، فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء ، وهى قرية بين جبلين ، سأل عن جبليها ما اسماهما ؟ فقالوا : يقال

---

(١) جزعه أى قطعه ولا يكون إلا عرضا .

لأحدهما : مسلح وللآخر : مخرئ ، وسأل عن أهلهما ، فقيل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من غفار ، فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما فتركهما والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد يقال له : ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له ، ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا عليّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا برءاء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : « أجل » قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبُرٌ فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، قال : فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ثم قال : « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم » هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله ، وله شواهد من وجوه كثيرة .

فمن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال : سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عدل به ، أتى النبى ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبى ﷺ أشرق وجهه وسره ، انفرد به البخارى دون مسلم فرواه فى مواضع من صحيحه من حديث مخارق به ورواه النسائى من حديثه ، وعنده : وجاء المقداد بن الأسود يوم بدر على فرس

فذكره ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبيدة ـ هو ابن حميد ـ عن حميد الطويل عن أنس قال : استشار النبى ﷺ مخرجه إلى بدر فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار : إياكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار ، فقال بعض الأنصار : يا رسول الله إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إن هٰهنا قاعدون ، ولكن والذى بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك ، وهذا إسناد ثلاثى صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عبادة : إيانا يريد رسول الله ﷺ ، والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، قال : فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج ، فأخذوه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبى سفيان وأصحابه فيقول : مالى علم بأبى سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة ابن ربيعة وأمية بن خلف ، فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه قال : نعم ! أناأخبركم هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه قال : مالى بأبى سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف فقال : والذى نفسى بيده إنكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم ، قال : وقال رسول الله ﷺ : هذا مصرع فلان ، يضع يده على الأرض هٰهنا وهٰهنا ، فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ ، ورواه مسلم عن أبى بكر عن عفان به نحوه .

وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره وابن مردويه ـ واللفظ له ـ من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أسلم عن أبى عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إنى أخبرت عن عير أبى سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها ؟ » فقلنا : نعم ! فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا : « ما ترون فى القوم ، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ » فقلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ولكنا أردنا العير ، ثم قال : « ما ترون فى قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك ، فقام المقداد بن عمرو فقال : إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إن هٰهنا قاعدون ، قال : فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا مثل ما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم ، فأنزل

الله عز وجل على رسوله : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ [1] وذكر تمام الحديث .

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى عن أبيه عن جده ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا ، قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبى بكر ، ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله إيانا تريد ، فوالذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتُها قط ولا لى بها علم ، ولئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذى أحدث الله إليك فامض فَصِلْ حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعادِ من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت ، فنزل القرآن على قول سعد : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ الآيات ، وذكره الأموى فى مغازيه وزاد بعد قوله : وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت ؛ وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك ، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك .

قال ابن إسحاق : ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها : الأصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له : الدية [2] وترك الحنان بيمين ، وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه ، قال ابن هشام : هو أبو بكر ، قال ابن إسحاق ـ كما حدثنى محمد بن يحيى بن حبان ـ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال : أوَذاك بذاك ؟ قال : نعم ! قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى

---

(١) الآية : ٥ من سورة الأنفال .

(٢) كذا فى الأصلين وابن هشام . وفى معجم البلدان وفى تاريخ ابن جرير فى هذا الخبر : الدبة بالباء الموحدة .

به رسول الله ﷺ ، وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به قريش ، فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نحن من ماء » ثم انصرف عنه ، قال : يقول الشيخ : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سفيان الضمرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له ، كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم ، غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلى ، فقالوا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه وسلم ، وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قريش ، قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، والكثيب العقنقل ، فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ، قالا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعاً ويوما عشراً ، فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . قال : فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت عليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن إسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذا شناً لهما يستقيان فيه ، ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء فسمع عدى وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتى العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك ، قال مجدى : صدقت ، ثم خلص بينهما ، وسمع ذلك عدى وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم

العير حذرا حتى ورد الماء ، فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ، فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه عيره عن الطريق فساحَلَ بها وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم ابن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه ، فبلغت أبا جهل ، لعنه الله ، فقال : هذا أيضاً نبى آخر من بنى المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا .

وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ـ وكان حليفا لبنى زهرة ـ وهم بالجحفة : يا بنى زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بى جبنها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضيعة لاما يقول هذا ، قال : فرجعوا فلم يشهدها زهرى واحد ، أطاعوه ، وكان فيهم مطاعا ، ولم يكن بقى بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بنى عدى لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد ، قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبى طالب ـ وكان فى القوم ـ وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بنى هاشم ـ وإن خرجتم معنا ـ أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، وقال فى ذلك :

لا هَمَّ إما يغزونَّ طالب * فى عصبة محالف محارب
فى مقنب من هذه المقانب * فليكن المسلوبُ غيرَ السالبِ
وليكن المغلوبُ غيرَ الغالبِ

قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل وبطن الوادى ، وهو يليل ، بين بدر والعقنقل الكثيب الذى خلفه قريش ، والقليب ببدر فى العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة .

قلت : وفى هذا قال تعالى : ﴿ **إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم** ﴾ أى من ناحية الساحل ﴿ **ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا** ﴾ [1] الآيات ، وبعث الله السماء وكان الوادى دهسا فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت وفى هذا قوله تعالى : ﴿ **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام** ﴾ [2] فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطنا ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيت الباطن والظاهر ، وأنزل النصر عليهم من فوقهم فى قوله : ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق** ﴾ أى على الرءوس ﴿ **واضربوا منهم كل بنان** ﴾ أى لئلا يستمسك منهم السلاح ﴿ **ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب . ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار** ﴾ [3] .

قال ابن جرير : حدثنى هارون بن إسحاق حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا إسرائيل حدثنا أبو إسحاق عن حارثة عن على بن أبى طالب ، قال : أصابنا من الليل طش من المطر - يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ - يعنى قائماً يصلى - وحرض على القتال ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب عن على ، قال : ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم ، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح ، وسيأتى

---

(١) الآية : ٤٢ من سورة الأنفال .

(٢) الآية : ١١ من سورة الأنفال .

(٣) الآية : ١٣ ، ١٤ من سورة الأنفال .

هذا الحديث مطولا ، ورواه النسائى عن بندار عن غندر عن شعبة ، وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار وتلبدت به الأرض وطابت به أنفسهم وثبت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة فى السابع عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلى إلى جذع شجرة هناك ، ويكثر فى سجوده أن يقول : « يا حى يا قيوم » يكرر ذلك ويلظ به ﷺ .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به ، قال ابن إسحاق : فحدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح ، قال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل منزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » قال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد أشرت بالرأى » ، قال الأموى : حدثنا أبى قال : وزعم الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقناص [1] وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال : يا محمد ، إن الله يقرأ عليك السلام ، فقال رسول الله ﷺ : « هو السلام ومنه السلام وإليه السلام » فقال الملك : إن الله يقول لك إن الأمر هو الذى أمرك به الحباب بن المنذر ، فقال رسول الله ﷺ : يا جبريل هل تعرف هذا ؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف ، وإنه لصادق وما هو بشيطان ، فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت ، وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية ، وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ نزل ملك من السماء وجبريل عند النبى ﷺ فقال الملك : يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن الرأى ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل فقال : ليس كل الملائكة أعرفهم وإنه ملك وليس بشيطان ، وذكر الأموى أنهم نزلوا على القليب الذى يلى المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملأوا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث سعد بن معاذ ، قال : يا

---

(١) الأقناص : كذا فى الأصول ولم نعثر على هذا النص فى غيرها .

نبى الله ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ، ثم بنى لرسول الله ﷺ عريش كان فيه .

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل ، وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى ، قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم [1] الغداة » ، وقد قال رسول الله ﷺ ـ وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم وهو على جمل له أحمر : « إن يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر » إن يطيعوه يرشدوا قال : وقد كان خفاف بن إيماء بن رحضة أو أبوه إيماء بن رحضة الغفارى ، بعث إلى قريش ابنا له بجزائر أهداها لهم ، وقال : « إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا » قال : فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذى عليك ، فلعمرى إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة ، قال : فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجانى يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كما سيأتى بيان ذلك فى فصل نعقده بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

ففى صحيح البخارى عن البراء ، قال : كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلثمائة وبضع عشرة على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، وما جاوزه معه إلا مؤمن ، وللبخارى أيضاً عنه ، قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين ، والأنصار نيفا وأربعين ومائتين ، وروى الإمام أحمد عن نصر بن رئاب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة

---

(١) أحنهم : أى أهلكهم من الحين ، وهو الهلاك .

عشر ، وكان المهاجرون ستة وسبعين ، وكانت هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة ، وقال الله تعالى : ﴿ **إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم** ﴾ (١) الآية ، وكان ذلك فى منامه تلك الليلة ، وقيل : إنه نام فى العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ ، وقد أراه الله إياهم فى منامه قليلا ، ذكره الأموى وهو غريب جداً ، وقال تعالى : ﴿ **وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا** ﴾ (٢) ، فعندما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما فى أعين الآخرين ليجترىء هؤلاء على هؤلاء ، وهؤلاء على هؤلاء ، لما له فى ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارض لقوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء** ﴾ (٣) فإن المعنى فى ذلك على أصح القولين : أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلىْ عدد الكافرة على الصحيح أيضاً ، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة أوقع الله الوهن والرعب فى قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولا بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلا ، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم فى أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا ، ولهذا قال : ﴿ **والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ ، قال إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيد وعبد الله : لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى إنى لأقول لرجل إلى جنبى : أتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مائة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا : أحرز لنا القوم أصحاب محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا ، أو ينقصون ، ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد ؟ قال : فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ،

---

(١) الآية : ٤٣ من سورة الأنفال .

(٢) الآية : ٤٤ من سورة الأنفال .

(٣) الآية : ١٣ من سورة آل عمران .

فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فَروْا رأيكم ، فلما سمع حكيم ابن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى ، قال : قد فعلت أنت علىّ بذلك ، إنما هو حليفى فعلىّ عقله وما أُصيبَ من ماله ، فأتِ ابن الحنظلية ـ يعنى أبا جهل ـ فإنى لا أخشى أن يسجر [1] أمر الناس غيره ، ثم قام عتبة خطيبا فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ـ أو ابن خاله ـ أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون : قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا فهو يهنئها [2] فقلت له : يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه ، قال : فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة ، فلما بلغ عتبة قول أبى جهل انتفخ والله سحره قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره ، أنا أم هو؟ ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه ، فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له .

وقد روى ابن جرير من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعى عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن ، قال : آئذن له ، فلما دخل قال : مرحبا أبا خالد ، ادن ، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال : حدثنا حديث بدر ، فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من

---

(١) فى ابن هشام يشجر .

(٢) أى يصلحهـا .

مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة ، التى قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد هل لك فى أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمى وهو حليفك ، فتحمل بديته ويرجع الناس ، فقال أنت علىّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظلية ـ يعنى أبا جهل ـ فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته ، فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرمى واقف على رأسه وهو يقول : فسخت عقدى من عبد شمس ، وعقدى اليوم إلى بنى مخزوم ، فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولا غيرك ؟ قلت : لا ! ولم أكن لأكون رسولا لغيره ، قال حكيم : فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتنى من الخبر شىء وعتبة متكىء على إيماء بن رحضة الغفارى ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر ، فطلع أبو جهل الشرّ فى وجهه ، فقال لعتبة : انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم ، فسلّ أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال إيماء بن رحضة : بئس الفأل هذا ، فعند ذلك قامت الحرب ، وقد صف رسول الله ﷺ أصحابه وعبأهم أحسن تعبية ، فروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : صفنا رسول الله ﷺ يوم بدر ليلا ، وروى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول : صفنا رسول الله ﷺ يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف ، فنظر إليهم النبى ﷺ فقال : « معى معى » تفرد به أحمد وهذا إسناد حسن .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدّل صفوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية ، حليف بنى عدى بن النجار وهو مستنتل من الصف ، فطعن فى بطنه بالقدح وقال « استوِ يا سواد » فقال : يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى ، فكشفَ رسول الله ﷺ عن بطنه فقال : استقد ، قال فاعتنقه فقبّل بطنه ، فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقاله ، قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث ـ وهو ابن عفراء ـ قال : يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده فى العدو حاسرا » فنزع درعا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، قال ابن إسحاق : ثم عدّل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، وقال ابن إسحاق

وغيره : وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفا على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ ، خوفا عليه من أن يدهمه العدو من المشركين ، والجنائب النجائب مهيأة لرسول الله ﷺ إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذ .

وقد روى البزار فى مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علىّ أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : أما إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس ، قال : ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش ، فهذا يحاده ، وهذا يتلتله ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، ثم رفع علىّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله ، أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال علىّ : فوالله ، لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه ، ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه ، فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول ﷺ فى العريش كما كان معه فى الغار ، رضى الله عنه وأرضاه ، ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به : « اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها فى الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم نصرك » ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكر رضى الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوى عليه رداءه ويقول مشفقا عليه من كثرة الابتهال : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعد .

هكذا حكى السهيلى عن قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال : بعض مناشدتك ربك ، من باب الإشفاق لما رأى من نصبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله ، أى لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر ؟ وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ ، وحكى السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى بأنه قال : كان رسول الله ﷺ فى مقام الخوف والصديق فى مقام الرجاء ، وكان مقام الخوف فى هذا الوقت ـ يعنى أكمل ـ قال : لأن لله أن يفعل ما يشاء ، فخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة .

قلت : وأما قول بعض الصوفية : إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله ، إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم .

هذا ، وقد تواجه الفئتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدى الرحمن واستغاث بربه سيد الأنبياء وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء ، فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، قال ابن إسحاق : وكان رجلا شرسا سيىء الخلق فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد . . . زعم ، أن تبر يمينه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض ، قال الأموى : فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة وهم : عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عفراء ، والثالث عبد الله بن رواحة ـ فيما قيل ـ فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ما لنا بكم من حاجة ، وفى رواية فقالوا : أكفاء كرام ، ولكن أخرجوا إلينا من بنى عمنا ، ونادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال النبى ﷺ : « قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا على » وعند الأموى أن النفر من الأنصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله ﷺ لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه فأحب أن يكون أولئك من عشيرته ، فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن إسحاق : فلما دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ ـ وفى هذا دليل أنهم كانوا مُلبسين لا يعرفون من السلاح ـ فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال على : على ، قالوا : نعم ! أكفاء كرام ، فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ، عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلىّ بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضى الله عنه .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى مجلز عن قيس بن عُباد عن أبى ذر : أنه كان

يقسم قسما أن هذه الآية : ﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾ [1] نزلت فى حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه يوم برزوا فى بدر ، هذا لفظ البخارى فى تفسيرها ، وقال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن على بن أبى طالب ، أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن عز وجل فى الخصومة يوم القيامة ، قال قيس : وفيهم نزلت ﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾ قال : هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، تفرد به البخارى ، وقد أوسعنا الكلام عليها فى التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن المبارك عن إسماعيل ابن أبى خالد عن عبد الله البهى ، قال : برز عتبة وشيبة والوليد وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلى ، فقالوا : تكلموا نعرفكم ، فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله ، أنا حمزة ابن عبد المطلب فقال : كفؤ كريم ، وقال على : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وقال عبيدة : أنا الذى فى الحلفاء فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم فقتلهم الله ، فقالت هند فى ذلك :

أعينى جودى بدمع سرب * على خير خندف لم ينقلبْ
تداعى له رهطه غدوة * بنو هاشم وبنو المطلبْ
يذيقونه حد أسيافهم * يعلونه بعد ما قد عطبْ

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، ولما جاءوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأشرفه [2] رسول الله ﷺ قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله لو رآنى أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله :

ونسلمه حتى نصرّع دونه * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رضى الله عنه فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنك شهيد » رواه الشافعى رحمه

---

(١) الآية : ١٩ من سورة الحج .

(٢) فى السيرة الحلبية فأفرشه .

الله ، وكان أول قتيل من المسلمين فى المعركة مهجع ، مولى عمر بن الخطاب ، رمى بسهم فقتله ، قال ابن إسحاق : فكان أول من قتل ، ثم رمى بعده حارثة بن سراقة ، أحد بنى عدى بن النجار ، وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فمات ، وثبت فى الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان فى النظارة أصابه سهم غرب فقتله ، فجاءت أمه فقالت : يا رسول الله أخبرنى عن حارثة ، فإن كان فى الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع ـ يعنى من النياح ـ وكانت لم تحرم بعد ، فقال لها رسول الله ﷺ : « ويحك أهبلت ، إنها جنان ثمان وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى » .

قال ابن إسحاق : ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ، وفى صحيح البخارى عن أبى أسيد ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر : إذا أكثبوكم ـ يعنى المشركين ـ فارموهم واستبقوا نبلكم ، وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أبى إسحاق حدثنى عبد الله ابن الزبير ، قال : جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عبيد الله ، وسمى خيله : خيل الله ، قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر أَحَدٌ أحد .

قال ابن إسحاق : ورسول الله ﷺ فى العريش معه أبو بكر رضى الله عنه ـ يعنى وهو يستغيث الله عز وجل ـ كما قال تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ [1] قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نوح قراد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفى أبو زميل حدثنى ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبى ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد فى الأرض أبداً » فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا رسول الله كفاك [2] مناشدتك ربك ،

---

(١) آيتا : ٩ ، ١٠ من سورة الأنفال .

(٢) فى الحلبية : كذلك ، وفى المصرية : كذاك

فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ وذكر تمام الحديث كما سيأتى ، وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليمانى وصححه على بن المدينى والترمذى ، وهكذا قال غير واحد عن ابن عباس والسدى وابن جرير وغيرهم : إن هذه الآية نزلت فى دعاء النبى ﷺ يوم بدر .

وقد ذكر الأموى وغيره أن المسلمين عجوا إلى الله عز وجل فى الاستغاثة بجنابه والاستعانة به وقوله تعالى : ﴿ بألف من الملائكة مردفين ﴾ أى ردفا لكم ومدداً لفئتكم رواه العوفى عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم ، وقال أبو كدينة عن قابوس عن ابن عباس (مردفين) وراء كل ملك ملك ، وفى رواية عنه بهذا الإسناد (مردفين) بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة ، وقد روى على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة ، وكان جبريل فى خمسمائة مجنبة ، وميكائيل فى خمسمائة مجنبة ، وهذا هو المشهور ، ولكن قال ابن جرير : حدثنى المثنى حدثنا إسحاق حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنى عبد العزيز بن عمران عن الربعى عن أبى الحويرث عن محمد بن جبير عن على ، قال : نزل جبريل فى ألف من الملائكة على ميمنة النبى ﷺ وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل فى ألف من الملائكة على ميسرة النبى ﷺ وأنا فى الميسرة ، ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث محمد بن جبير عن على فزاد : ونزل إسرافيل فى ألف من الملائكة ، وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة ، وهذا غريب وفى إسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال ويؤيدها قراءة من قرأ ﴿ بألف من الملائكة مردفين ﴾ بفتح الدال والله أعلم .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب أخبرنى إسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبى رافع عن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده ، قال : لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال ، ثم جئت مسرعا لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل ، قال : فجئت فإذا هو ساجد يقول : « يا حى يا قيوم ، يا حى يا قيوم » لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، فذهبت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، حتى فتح الله على

يده ، وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة عن بندار عن عبد الله بن عبد المجيد أبى على الحنفى .

وقال الأعمش عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود ، قال : ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر ، جعل يقول : « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد » ثم التفت وكأن شق وجهه القمر ، وقال : « كأنى أنظر إلى مصارع القوم عشية » رواه النسائى من حديث الأعمش به ، وقال : لما التقينا يوم بدر قام رسول الله ﷺ فما رأيت مناشداً ينشد حقا له أشد مناشدة من رسول الله ﷺ وذكره ، وقد ثبت إخباره ﷺ بمواضع مصارع رءوس المشركين يوم بدر فى صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتى فى صحيح مسلم أيضا عن عمر بن الخطاب ، ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة وهو مناسب ، وفى الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل ذلك بيوم وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الوقعة والله أعلم .

وقد روى البخارى من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال وهو فى قبة له يوم بدر : « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله ألححت على ربك ، فخرج وهو يثب فى الدرع وهو يقول : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ [1] وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر ، كما رواه ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال : لما نزلت ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ قال عمر : أى جمع يهزم وأى جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب فى الدرع وهو يقول : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ ، وروى البخارى من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول : نزل على محمد بمكة ـ وإنى لجارية ألعب ـ ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما

---

(١) آيتا : ٤٥ ، ٤٦ من سورة القمر .

يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يا نبى الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك ، وقد خفق النبى ﷺ خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذاً بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع » يعنى الغبار ، قال ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم ، وقال : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » قال عمير بن الحمام ، أخو بنى سلمة وفى يده تمرات يأكلهم : بَخٍ بَخٍ ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ قال : ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل ، رحمه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن سليمان عن ثابت عن أنس ، قال : بعث رسول الله ﷺ بسبسا عينا ينظر ما صنعت عير أبى سفيان ، فجاء وما فى البيت أحد غيرى وغير النبى ﷺ قال : لا أدرى ما آستثنى من بعض نسائه ، قال : فحدثه الحديث ، قال : فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال : « إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا » فجعل رجال يستأذنونه فى ظهورهم فى علو المدينة قال : « لا ، إلا من كان ظهره حاضراً » وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ : « لا يتقدمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه » فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض » قال : يقول عمير بن الحمام الأنصارى : يا رسول الله جنة عرضها السمٰوات والأرض ؟ قال : نعم ! قال : بخ بخ ! فقال رسول الله : « ما يحملك على قول : بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : فإنك من أهلها » قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها حياة طويلة ، قال : فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل ، رحمه الله ، ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وجماعة عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به ، وقد ذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :

ركضًا إلى الله بغير زادِ * إلا التقى وعملَ المعادِ
والصبر فى الله على الجهادِ * وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النفادِ
غير التقى والبر والرشادِ

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب عن على ، قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها

وعك ، وكان رسول الله ﷺ يتحيز عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركين إليها فوجدنا فيها رجلين : رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط ، فأما القرشى فانفلت ؛ وأما المولى فوجدناه فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم ، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : كم القوم ؟ قال : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم ، فجهد النبى ﷺ أن يخبره كم هم فأبى ، ثم إن النبى ﷺ سأله كم ينحرون من الجزر ؟ فقال : عشراً كل يوم ، فقال النبى ﷺ : « القوم ألف ، كل جزر لمائة وتبعها » ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول : « اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » فلما طلع الفجر نادى الصلاةَ عبادَ الله ، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرض على القتال ثم قال : « إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل » فلما دنا القوم منا وصافناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير فى القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا على ناد حمزة » وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم : يا قوم أعصبوها برأسى وقولوا : جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنى لست بأجبنكم ، فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك ، والله لو غيرك يقوله لأعضضته ، قد ملأت رئتك جوفك رعبا ، فقال : إياى تعير يا مصفر استه ؟ سيعلم اليوم أينا الجبان ، فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار مشببة فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بنى عمنا من بنى عبد المطلب ، فقال رسول الله ﷺ : « قم يا حمزة ، وقم يا على ، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب » فقتل الله عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة ، فقتلنا منهم سبعين ، وأسرنا سبعين ، وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يا رسول الله ، والله إن هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه فى القوم ، فقال الأنصارى : أنا أسرته يا رسول الله ، فقال : « اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » قال : فأسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعقيلا ونوفل بن الحارث ، هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى ، وقد تفرد بطوله الإمام أحمد ، وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به ، ولما نزل رسول الله ﷺ من العريش وحرض الناس على القتال والناس على

مصافهم صابرون ذاكرون الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾ [١] الآية .

وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق قال : قال الأوزاعى : كان يقال : قلما ثبت قوم قياما ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغض طرفه ويذكر الله رجوت أن يسلم من الرياء ، وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم - يعنى أصحاب النبى ﷺ - جثيا على الركب كأنهم حرس يتلمظون كما تتلمظ الحيات - أو قال الأفاعى - قال الأموى فى مغازيه : وقد كان النبى ﷺ حين حرض المسلمين على القتال قد نفل كل امرىء ما أصاب ، وقال : « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم ، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا فى العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب عن على قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً ، ورواه النسائى من حديث أبى إسحاق عن حارثة عن على قال : كنا إذا حمى البأس ولقى القوم اتقينا برسول الله ﷺ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبى عون عن أبى صالح الحنفى عن على ، قال : قيل لعلى ولأبى بكر رضى الله عنهما يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال يشهد الصف - وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان فى الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزيلا كان جبريل على أحد المجنبتين فى خمسمائة من الملائكة ، فكان فى الميمنة من ناحية أبى بكر الصديق ، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى فى خمسمائة من الملائكة فوقفوا فى الميسرة وكان على بن أبى طالب فيها [وفى حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن على ، قال كنت أسبح على القليب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل فى ألف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكر ، وإسرافيل فى ألف فى الميسرة وأنا فيها ، وجبريل

---

(١) الآية : ٤٥ من سورة الأنفال .

فى ألف ، قال : ولقد طفت يومئذ حتى بلغ إبطى] [1] وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أفخر بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

وببئر بدر إذ يكف مطيهم * جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقد قال البخارى حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ ابن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : ما تعدون من أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة ، انفرد به البخارى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾ [2] وفى صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبى زميل حدثنى ابن عباس ، قال : بينما رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقيا ، فنظر إليه فإذا هو حطم وشق وجهه بضربة السوط وحضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدث ذاك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم عمن حدثه عن ابن عباس عن رجل من بنى غفار ، قال : حضرت أنا وابن عم لى بدراً ونحن على شركنا ، وإنا لفى جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حمحمة الخيل ، وسمعنا قائلا يقول : أقدم حيزوم فأما صاحبى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا لكدت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك ، وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر عن بعض بنى ساعدة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ـ وكان شهد بدراً ـ قال ـ بعد أن ذهب بصره ـ لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى ، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم ﴿ **أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾ [3] ، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتى الرجل فى صورة الرجل يعرفه فيقول له : أبشروا فإنهم ليسوا بشىء والله معكم ، كروا عليهم .

---

(١) ما بين المربعين لم يرد فى النسخة المصرية .

(٢) الآية : ١٢ من سورة الأنفال .

(٣) الآية : ١٢ من سورة الأنفال .

وقـال الـواقدى : حدثنى ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عبـاس ، قال : كان الملك يتصـور فى صورة من يعـرفون فيقول إنى قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشىء ، إلى غير ذلك من القول ، فذلك قوله : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ الآية ، ولما رأى إبليس الملائكة ﴿ نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون ﴾[١] وهو فى صورة سراقة ، وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم ، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه ، ثم قال : واللات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه فى الجبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذا .

وروى البيهقى من طريق سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : قال أبو أسيد ـ بعد ما ذهب بصره ـ يا بن أخى والله لو كنت أنا وأنت ببدر ثم أطلق الله بصرى لأريتك الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار ، وروى البخـارى عن إبراهيم بن موسى عن عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب » .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرنى موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبيه ، وحدثنى عابد بن يحيى عن أبى الحويرث عن عمارة بن أكيمة الليثى عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا : لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول : « اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك ، فأنزل الله ألفاً من الملائكة مردفين عند اكتناف العدو ، قال رسول الله ﷺ : « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيب عنى ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول : أتاك نصر الله إذ دعوته » ، وروى البيهقى عن أبى أمامة بن سهل عن أبيه ، قال : يا بنى ، لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

وقال ابن إسحاق : حدثنى والدى حدثنى رجال من بنى مازن عن أبى واقد الليثى قال إنى لأتبع رجلا من المشركين لأضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أن

---

(١) الآية : ٤٨ من سورة الأنفال .

غيرى قد قتله ، وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التيمى عن الربيع بن أنس ، قال : كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار وقد أحرق به .

وقال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء ، وقد قال ابن عباس : لم تقاتل الملائكة فى يوم من الأيام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عُدداً ومدداً لا يضربون ، وقال الواقدى : حدثنى عبد الله بن موسى بن أبى أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون ، وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره ، قال : لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصرى ، لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمترى ، قال : وحدثنى خارجة بن إبراهيم عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : « من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ » فقال جبريل : يا محمد ما كل أهل السماء أعرف .

قلت : وهذا الأثر مرسل ، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم فرس جبريل كما قاله السهيلى وغيره والله أعلم ، وقال الواقدى حدثنى إسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال : فما أدرى كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلمها قد رأيتها يوم بدر ، وحدثنى محمد بن يحيى عن أبى عقيل عن أبى بردة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهن بين يدى رسول الله ﷺ فقلت : أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فإنى رأيت رجلا طويلا قتله فأخذت رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : « ذاك فلان من الملائكة » وحدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبى حبيش يحدث فى زمن عمر يقول : والله ما أسرنى أحد من الناس ، فيقال : فمن ؟ فيقول : لما انهزمت قريش انهزمت معها فأدركنى رجل أشعر طويل على فرس أبيض فأوثقنى رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدنى مربوطاً فنادى فى العسكر من أسر هذا ؟ حتى انتهى بى إلى رسول الله ﷺ فقال : من أسرك ؟ قلت : لا أعرفه ، وكرهت أن أخبره بالذى رأيت فقال رسول الله ﷺ : « أسرك ملك من الملائكة » اذهب يا بن عوف بأسيرك ، وقال الواقدى : حدثنى عابد بن يحيى حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن أكيمة عن حكيم بن حزام قال : لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجاد من السماء قد سد الأفق فإذا

الوادى يسيل نهلا ، فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أُيِّد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ولقىّ الملائكة .

[وقال إسحاق بن راهويه : حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنى أبى عن محمد بن إسحاق حدثنى أبى عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت قبل هزيمة القوم[١]] والناس يقتتلون ـ مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] ولما تنزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله ﷺ حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال : « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النقع » يعنى من المعركة ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش فى الدرع فجعل يحرض على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمأنينة ، وقد حصل النعاس الذى هو دليل على الطمأنينة والثبات والإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ **إذ يغشيكم النعاس أمنة منه** ﴾[٢] وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أُحد بنص القرآن ، ولهذا قال ابن مسعود : النعاس فى المصاف من الإيمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق ، وقال الله تعالى : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين** ﴾ [٣] ، قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن إسحاق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال ـ حين التقى القوم ـ اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة ، فكان هو المستفتح ، وكذا ذكره ابن إسحاق فى السيرة ورواه النسائى من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى ، ورواه الحاكم من حديث الزهرى أيضاً ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الأموى : حدثنا أسباط بن محمد القرشى عن عطية عن مطرف فى قوله تعالى : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ قال : قال أبو جهل : اللهم أعن أعز الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين ، فنزلت ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم** ﴾ قال : أقبلت عير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم

---

(١) ما بين المربعين سقط من المصرية .

(٢) الآية : ١١ من سورة الأنفال .

(٣) الآية : ١٩ من سورة الأنفال .

رسول الله ﷺ يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها لكيلا يغلب عليها النبى ﷺ وأصحابه فسبقت العير رسول الله ﷺ وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يلقوا العير ، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبى ﷺ والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمون ضعف شديد ، وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ! فأمطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا فأذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم وأيّد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وجاء إبليس فى جند من الشياطين ومعه ذريته وهم فى صورة رجال من بني مدلج ، والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم ، فلما اصطف الناس قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ، ورفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « يارب إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد فى الأرض أبداً » ، فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه ـ وكانت يده في يد رجل من المشركين ـ انتزع إبليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة ، أما زعمت أنك لنا جار؟ قال : إنى أرى ما لا ترون ، إنى أخاف الله والله شديد العقاب ، وذلك حين رأى الملائكة ، رواه البيهقى فى الدلائل .

[وقال الطبرانى : حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصارى عن رفاعة بن رافع ، قال : لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص إليه ، فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يظن أنه سراقة بن مالك ، فوكز فى صدر الحارث ثم خرج هاربا حتى ألقى نفسه فى البحر ورفع يديه فقال : اللهم إنى أسألك نظرتك إياى ، وخاف أن يخلص القتل إليه ، وأقبل أبو جهل فقال : يا معشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقة بن مالك فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد فإنهم قد عجلوا ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا ألفين رجلا منكم قتل رجلا ، ولكن خذوهم أخذا حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى ، ثم قال أبو جهل متمثلا :

ما تنقم الحرب الشموس مني * بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدتني أمي] [1]

وروى الواقدى عن موسى بن يعقوب الزمعى عن أبى بكر بن أبى سليمان عن أبى حثمة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألح عليه ، فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة فى الطست ، وقبض النبى ﷺ القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا ، قال الواقدى : وحدثنا إسحاق بن محمد بن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صقير سمعت نوفل بن معاوية الديلى يقول : انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصى فى الطاس فى أفئدتنا ، ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشد الرعب علينا .

وقال الأموى : حدثنا أبى حدثنا ابن أبى إسحاق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة ابن صقير أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لانعرف فأحنه الغداة ، فكان هو المستفتح ، فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم فى أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله ﷺ خفقة فى العريش ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع ، أتاك نصر الله وعدته » وأمر رسول الله ﷺ فأخذ كفا من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال : «شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها ثم قال لأصحابه : « احملوا ، فلم تكن إلا الهزيمة » فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم ، وقال زياد عن ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال : « شدوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .

وقال السدى الكبير : قال رسول الله ﷺ لعلى يوم بدر : « أعطنى حصباء من الأرض » فناوله حصباء عليها تراب فرمى به فى وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه من ذلك التراب شىء ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله فى ذلك ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾[2] وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم : إن هذه الآية نزلت فى ذلك يوم بدر ، وقد فعل ﷺ مثل ذلك فى غزوة حنين ، كما سيأتى فى موضعه

---

(١) ما بين المربعين لم يرد بالمصرية .

(١) الآية : ١٧ من سورة الأنفال .

إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة ، وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش ، أيضاً ، ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكر راجعة من المشركين إلى النبى ﷺ ، قال ابن إسحاق : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لى - فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له : « كأنى بك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ » قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخان فى القتل أحب إلىّ من استبقاء الرجال ، قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس ابن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس أن النبى ﷺ قال لأصحابه يومئذ : « إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى أبا البخترى بن هشام ابن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مستكرهاً » ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس ؟ والله لئن لقيته لألحمنه بالسيف ، فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر : « يا أبا حفص » قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ بأبى حفص ، « أيُضْرَبُ وجه عم رسول الله بالسيف ؟ » فقال عمر : يا رسول الله دعنى فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ، فقال أبو حذيفة : ما أنا بآمن بتلك الكلمة التى قلت يومئذ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيداً رضى الله عنه .

مقتل أبى البخترى بن هشام

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل البخترى لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شىء يكرهه ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة ، فلقيه المجذر بن زياد البلوى ، حليف الأنصار ، فقال له : إن رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك ومع أبى البخترى زميل له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة وهو من بنى ليث ، قال : وزميلى ، فقال له المجذر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال : لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا يتحدث عنى نساء قريش بمكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة ، وقال أبو البخترى وهو ينازل المجذر :

لن يترك (١) ابـن حرة زمـيله * حتـى يمـوت أو يرى سـبـيله

قال : فاقتتلا فقتله المجذر بن زياد وقال فى ذلك :

إمّـا جهـلت أو نسيتَ نسبى * فأثبـت الـنسبـة إنى من بلى
الـطاعـنين برمـاح الـيزنـى * والطاعنين (٢) الكبش حتى ينحنى
بشّـر بيتم من أبـوه الـبختـرى * أو بشـرنَّ بمـثلـهـا منـى بنـى
أنـا الـذى يقال أصلى من بلى * أطـعـن بالـصـعـدة حتى تنـثـنى
وأعـبط القـرن بعضب مشـرفى * أرزم للمـوت كإرزام الـمـرى
فـلا يـرى مجـذراً يفـرى فـرى

ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال : والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

فصـــل فى مقتل أُميـــة بن خلـــف

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، وحدثنيه أيضاً ، عبد الله بن أبى بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لى صديقاً بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقانى ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سماك أبوك ؟ قال : فأقول : نعم ! قال : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، قال : وكان إذا دعانى ياعبد عمرو لم أجبه ، قال : فقلت له : يا أبا على اجعل ماشئت ، قال : فأنت عبد الإله ، قال : نعم ! قال فكنت إذا مررت به قال : ياعبد الإله فأجيبه فأتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على وهو آخذ بيده ، قال : ومعى أدراع لى قد استلبتها فأنا أحملها ، فلما رآنى قال : ياعبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : ياعبد الإله ، فقلت : نعم ! قال : هل لك فىّ ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ، قال : قلت : نعم ، هاالله ، قال : فطرحت الأدراع من يدى وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول : مارأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة فى اللبن ؟ ثم خرجت أمشى بهما .

---

(١) وفى ابن هشام : لن يسلم ابن حرة زميله .

(٢) وفى ابن هشام : والضاربين .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الواحد بن أبى عون عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما : ياعبد الإله ، مَنْ الرجل منكم العلم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال ؛ قلت : حمزة ، قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى ـ وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على الإسلام ـ فلما رآه قال : رأس الكفر أمية ابن خلف ، لانجوتُ إن نجا ، قال : قلت : أى بلال أسيرىّ ، قال : لانجوتُ إن نجا ، قال : ثم صرخ بأعلا صوته يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لانجوتُ إن نجا ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة [1] فأنا أذب عنه ، قال : فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ماسمعت بمثلها قط ، قال : قلت : انج بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً ، قال : فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما ، قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، فجعنى بأدراعى وبأسيرىّ .

وهكذا رواه البخارى فى صحيحه قريباً من هذا السياق فقال فى الوكالة : حدثنا عبد العزيز ـ هو ابن عبد الله ـ حدثنا يوسف ـ هو ابن الماجشون ـ عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال : كاتبت أمية بن خلف كتابا بأن يحفظنى فى صاغيتى [2] بمكة وأحفظه فى صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن قال : لا أعرف الرحمن ، كاتبنى باسمك الذى كان فى الجاهلية ، فكاتبته عبد عمرو ، فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال ، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال : أمية بن خلف ؟! لانجوت إن نجا أمية بن خلف ، فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا ، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ثم أتوا حتى تبعونا ، وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له : ابرك ، فبرك فألقيت عليه نفسى لأمنعه ، فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه ، فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك فى ظهر قدمه ، سمع يوسف صالحاً وإبراهيم أباه ، تفرد به البخارى من بينهم كلهم ، وفى مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذى قتل أمية بن خلف .

---

(١) المسكة بالتحريك السوار : أى جعلونا فى حلقة كالسوار وأحدقوا بنا .

(٢) الصاغية : خاصة الإنسان والمائلون إليه

مقتــــــل أبى جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ويقول :

ما تنقم الحـرب العـوان منى * بازل عامـين حديث سنـى
لمثـــل هـــذا ولـــدتـنى أمـــى

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى، وكـان أول من لقي أبـا جهـل، كما حدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس، وعبد الله بن أبى بكر أيضاً قد حدثنى ذلك ، قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح ، أخو بنى سلمة : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة [1] وهم يقولون : أبو الحكم لايخلص إليه ، فلما سمعتها جعلته من شأنى فصمدت نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخـة النوى حين يضرب بها ، قال : وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى ، وأجهضنى القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومى وإنى أسحبها خلفى فلمـا آذتنى وضعت عليهـا قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها ، قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان ، ثم مر بأبى جهل ـ وهو عقير ـ معوذ ابن عفراء فضربه حتى أثبته ، وتركه وبه رمق ، وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس فى القتلى ، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنى ـ انظروا ، إن خفى عليكم فى القتلى ، إلى أثر جرح فى ركبته فإنى ازدحمت أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش فى أحدهما جحشاً لم يزل أثره به ، قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلى على عنقه ، قال :وقد كان ضبث بى [2] مرة بمكة فآذانى ولكزنى ثم قلت له : أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزانى ؟ قال : أعمد من رجل قتلتموه ، أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم أن ابن مسعود كان يقول لى : لقد

---

(١) الحرجة الشجر الملتف ، وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ أنه سأل أعرابياً عن الحرجة فقال هى شجرة من الأشجار لا يوصل إليها ، عن ابن هشام .

(٢) ضبث : قبض عليه ولزمه ، عن ابن هشام .

ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم ، قال : ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله ، فقال : « آلله الذى لا إله غيره ؟ » ، وكانت يمين رسول الله ﷺ ، فقلت : نعم ! والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله ﷺ ، فحمد الله ، هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى .

وقد ثبت فى الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : إنى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وشمالى فإذا أنا بين غلامين من الأنصار ، حديثة أسنانهما ، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما ، فغمزنى أحدهما فقال : يا عم ، أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم ، وما حاجتك إليه ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ ، والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ، فغمزنى الأخر فقال لى أيضاً مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل وهو يجول فى الناس فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذى تسألان عنه ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبى ﷺ فأخبراه فقال : « أيكما قتله ؟ » قال كل منهما : أنا قتلته ، قال : « هل مسحتما سيفيكما ؟ » قالا : لا ، قال : فنظر النبى ﷺ فى السيفين فقال : « كلاهما قتله » ، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ـ والآخر معاذ بن عفراء .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده ، قال : قال عبد الرحمن : إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما إذ قال لى أحدهما سراً من صاحبه : يا عم ، أرنى أبا جهل ، فقلت : يا بن أخى ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لى الآخر سراً من صاحبه مثله ، قال : فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء ، وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من ينظر ماذا صنع أبو جهل ؟ » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله ، فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد ، قال : فأخذ بلحيته ، قال : فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رجل قتلتموه ـ أو قال قتله قومه ـ وعند البخارى عن أبى أسامة عن إسماعيل بن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزاك الله ؟ فقال : هل أعمد من رجل قتلتموه ؟ وقال الأعمش عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن

عبد الله قال : انتهيت إلى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ، ومعى سيف ردىء فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذكر نقفا كان ينقف رأسى بمكة حتى ضعفت يده[١] فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدائرة ؟ لنا أو علينا ، ألست رويعينا بمكة ؟ قال : فقتلته ، ثم أتيت النبى ﷺ فقلت : قتلت أبا جهل ، فقال : آلله الذى لا إله إلا هو ؟ فاستحلفنى ثلاث مرات ثم قام معى إليهم فدعا عليهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة قال : قال عبد الله : انتهيت إلى أبى جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له ، فقلت : الحمد لله الذى أخزاك يا عدو الله ، قال : هل هو إلا رجل قتله قومه ؟ فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل فأصبت يده فندر[٢] سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته ، قال : ثم خرجت حتى أتيت النبى ﷺ كأنما أقل من الأرض[٣] فأخبرته فقال: « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا ، قال : قلت : آلله الذى لا إله إلا هو ، قال : فخرج يمشى معى حتى قام عليه فقال : « الحمد لله الذى أخزاك يا عدو الله ، هذا كان فرعون هذه الأمة » وفى رواية أخرى قال ابن مسعود : فنفلنى سيفه .

وقال أبو إسحاق الفزارى عن الثورى عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن ابن مسعود قال : أتيت رسول الله ﷺ يوم بدر فقلت : قد قتلت أبا جهل فقال : « آلله الذى لا إله إلا هو؟ » فقلت : آلله الذى لا إله إلا هو ، مرتين ـ أو ثلاثا ـ قال : فقال النبى ﷺ : « الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال : « انطلق فأرنيه » فانطلقت فأريته فقال : « هذا فرعون هذه الأمة » ، ورواه أبو داود والنسائى من حديث أبى إسحاق السبيعى به ، وقال الواقدى : وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابنى عفراء فقال : « رحم الله ابنى عفراء فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر » فقيل : يا رسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكة وابن مسعود قد شرك فى قتله » رواه البيهقى .

[وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس ابن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن أبى إسحاق قال : لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم

---

(١) وفى المصرية : صفقت يده .

(٢) ندر : أى سقط .

(٣) أى : أحمل من شدة الفرح .

بدر بقتل أبى جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلا ؟ فحلف له فخر رسول الله ﷺ ساجداً] ثم روى البيهقى من طريق أبى نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء ـ امرأة من بنى أسد ـ عن عبد الله بن أبى أوفى أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جيء برأس أبى جهل ، وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال : حدثتنى شعثاء عن عبد الله بن أبى أوفى أن رسول الله ﷺ صلى يوم بُشّر برأس أبى جهل ركعتين .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا أبى حدثنا هشام أخبرنا مجالد عن الشعبى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : إنى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب فى الأرض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً ، فقال رسول الله ﷺ : « ذاك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة » ، وقال الأموى فى مغازيه : سمعت أبى حدثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إنى رأيت رجلا جالساً فى بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب فى الأرض ، فقال رسول الله ﷺ : « ذاك أبو جهل وُكِّلَ به ملك يفعل به كلما خرج ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقال البخارى : حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال : قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات الكرش ، فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعنزة فطعنته فى عينه فمات ، قال هشام : فأخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها ، وقد انثنى طرفاها ، قال عروة : فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل على فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل ، وقال ابن هشام حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ـ ومر به ـ إنى أراك كأن فى نفسك شيئاً ، أراك تظن أنى قتلت أباك ، إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإنى مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه على فقتله .

قال ابن إسحاق : وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدى ، حليف بنى عبد شمس ، يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلا من حطب

فقال : « قاتل بهذا يا عكاشة » فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعاد سيفاً فى يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحة الأسدى أيام الردة ، وأنشد طليحة فى ذلك قصيدة منها قوله :

عشية غادرت ابن أقرم [1] ثاويا * وعكاشة الغنمى عند مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة ، كما سيأتى بيانه ، قال ابن إسحاق : وعكاشة هو الذى قال حين بشر رسول الله ﷺ أمته بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : ادع الله أن يجعلنى منهم قال : « اللهم اجعله منهم » وهذا الحديث مخرج فى الصحاح والحسان وغيرهما ، قال ابن إسحاق : وقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنى ـ « منا خير فارس فى العرب » قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : « عكاشة بن محصن » فقال ضرار بن الأزور : ذاك رجل منا يا رسول الله ، قال : ليس منكم ولكنه منا للحلف ، وقد روى البيهقى عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدى ، حدثنى عمر بن عثمان الخشنى عن أبيه عن عمته قالت : قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفى يوم بدر فأعطانى رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك ، وقال الواقدى : وحدثنى أُسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بنى عبد الأشهل ، عدّة ، قالوا : انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقى أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان فى يده من عراجين ابن طاب [2] فقال : اضرب به ، فإذا سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيدة .

رده ﷺ عين قتادة

قال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو سعد المالينى أخبرنا أبو أحمد بن عدى حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحمانى حدثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال : « لا » فدعاه فغمز حدقته

---

(١) ابن أقرم : هو ثابت بن أقرم الأنصارى كما فى ابن هشام .

(٢) عذق ابن طاب نخل بالمدينة ، وابن طاب ضرب من الرطب ، عن القاموس .

براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيب ؟ وفى رواية ، فكانت أحسن عينيْه ، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما ردِّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشداً قول أُمية بن أبى الصلت فى سيف ابن ذى يزن ، فأنشده عمر فى موضعه حقاً :

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فصل فى قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن صالح أخبرنا الفضل بن محمد الشعرانى حدثنا إبراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز بن عمران حدثنى رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه ، رافع بن مالك ، قال : لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبىّ بن خلف ، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه ، قال : فطعنته بالسيف فيها طعنة ، ورميت بسهم يوم بدر ، ففقئت عينى ، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لى فما آذانى منها شىء ، وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده جيد ولم يخرجوه ، ورواه الطبرانى من حديث إبراهيم بن المنذر ، قال ابن هشام : ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال : أين مالى يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يبق إلا شكة ويعبوب * وصارم يقتل ضلال الشيب

يعنى لم يبق إلا عدة الحرب ، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقوله فى حال كفره ، وقد روينا فى مغازى الأموى أن رسول الله ﷺ جعل يمشى هو وأبو بكر الصديق بين القتلى ورسول الله ﷺ يقول : « نفلق هاما » فيقول الصديق :

من رجال أعزة علينا * وهم كانوا أعق وأظلما

ذكر طرح رءوس الكُفر فى بئرٍ يوم بدر

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا فى القليب ، طرحوا فيه إلا ما كان من أُمية بن خلف فإنه انتفخ

فى درعه فملأها فذهبوا ليخرجوه فتزايل لحمه فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم فقال : « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً » قالت : فقال له أصحابه : يا رسول الله أتكلم قوما موتى ؟ فقال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً » قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله ﷺ : لقد علموا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : سمع أصحاب النبى ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول : « يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ـ فعدد من كان منهم فى القليب ـ هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا » فقال المسلمون : يا رسول الله أتنادى قوما قد جيفوا ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » وقد رواه الإمام أحمد عن ابن أبى عدى عن أنس فذكر نحوه ، وهذا على شرط الشيخين ، قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال : « يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ، فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا » .

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضى الله عنها تتأوله من الأحاديث ، كما قد جمع ما كانت تتأوله من الأحاديث فى جزء وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله تعالى : ﴿ **وما أنت بمسمع من فى القبور** ﴾ [1] وليس هو بمعارض له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم للأحاديث الدالة نصاً على خلاف ما ذهبت إليه رضى الله عنها وأرضاها .

وقال البخارى : حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبى ﷺ أن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله فقالت : رحمه الله ، إنما قال رسول الله ﷺ : « إنه ليعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليبكون عليه الآن » قالت : وذاك مثل قوله : إن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال ، قال : إنهم ليسمعون ما أقول ، وإنما قال : إنهم الآن ليعلمون أنما كنت أقول لهم حق ، ثم قرأت ﴿ **إنك لا تسمع الموتى** ﴾ [2] ، ﴿ **وما**

---

(١) الآية : ٢٢ من سورة فاطر .

(٢) الآية : ٨٠ من سورة النمل .

أنت بمسمع من فى القبور ﴾[1] تقول : حين تبوءوا مقاعدهم من النار ، وقد رواه مسلم عن أبى كريب عن أبى أسامة به ، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه فى غير ما حديث كما سنقرر ذلك فى كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله .

ثم قال البخارى : حدثنى عثمان حدثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر قال : وقف النبى ﷺ على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » ثم قال : « إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم » وذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبى ﷺ : إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ حتى قرأت الآية ، وقد رواه مسلم عن أبى كريب عن أبى أسامة ، وعن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالك عن أبى طلحة أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » ، فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال النبى ﷺ : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » ، قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما ، وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن سعيد بن أبى عروبة ، ورواه الإمام أحمد عن يونس ابن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث أنس بن مالك فذكر مثله ، فلم يذكر أبا طلحة وهذا إسناد صحيح ، ولكن الأول أصح وأظهر والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً » قال : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله

---

(١) الآية : ٢٢ من سورة فاطر .

أتناديهم بعد ثلاث ؟ وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ (١) فقال : « والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » ، ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به ، وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب * كخط الوحى فى الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جونٍ * من الوسمىّ منهمر سكوبِ
فأمسى رسمها خلقاً وأمستْ * يَبابا بعدَ ساكنِها الحبيبِ
فدع عنك التذكّر كل يومٍ * وردّ حرارةَ القلب (٢) الكئيبِ
وخبّر بالذى لا عيبَ فيه * بصدقٍ غير أخبارِ الكذوبِ
بما صنع المليكُ غداةَ بدرٍ * لنا فى المشركين من النصيبِ
غداة كأنّ جمعهم حراء * بدتْ أركانُهُ جُنْحَ الغروبِ
فلاقيناهم منّا بجمْعٍ * كَأُسْدِ الغابِ مُردانٍ وشيبِ
أمام محمدٍ قد وازروه * على الأعداءِ فى لفح الحروبِ
بأيديهم صوارم مرهفاتٌ * وكل مجرّب خاطى الكعوبِ
بنو الأوس الغطارف وازرتْها * بنو النجار فى الدين الصليبِ
فغادرنا أبا جهلٍ صريعاً * وعتبةَ قد تركنا بالجبوبِ (٣)
وشيبةَ قد تركنا فى رجالٍ * ذوى حسب إذا نسبوا حسيبِ
يناديهم رسول الله لمّا * قذفناهم كباكبَ فى القليبِ
ألم تجدوا كلامى كان حقاً * وأمر الله يأخذ بالقلوبِ
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا * صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مصيبِ

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب فى القليب ، فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه فقال : « يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء - أو كما قال رسول الله ﷺ - فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما

---

(١) الآية : ٨٠ من سورة النمل .

(٢) فى ابن هشام : الصدر الكئيب .

(٣) الجبوب اسم للأرض لأنها تجب أى تحفر .

رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له أحزننى ذلك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ الذين بدلوا نعمة الله كفراً ﴾ قال : هم والله كفار قريش ، قال عمرو : هم قريش ، ومحمد ﷺ نعمة الله ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار﴾ (١) قال : النار يوم بدر ، قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قومى الذين همو آووا نبيهم * وصدقوه وأهل الأرض كفارُ
إلا خصائص أقوام هم سلف * للصالحين من الأنصار أنصارُ
مستبشرين بِقَسْمِ الله قولهم * لما أتاهم كريمُ الأصلِ مختارُ
أهلا وسهلا ففى أمنٍ وفى سَعَةٍ * نِعْمَ النبىُّ ونعم القَسْمُ والجارُ
فأنزلوه بدار لا يخاف بها * من كان جارهم دار هى الدارُ (٢)
وقاسموهم بها الأموال إذ قدموا * مهاجرين وقسم الجاحد النارُ
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهُم بغرور ثم أسلمهم * إن الخبيث لمن والاه غرّارُ
وقال إنى لكم جارٌ فأوردهم * شَرَّ الموارد فيه الخزى والعارُ
ثم التقينا فولّوْا عن سراتهم * من منجدين ومنهم فرقة غاروا

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بكر وعبد الرزاق ، قالا : حدثنا إسرائيل عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قيل له : عليك العير ليس دونها شىء ، فناداه العباس وهو فى الوثاق : إنه لا يصلح لك ، قال : لم ؟ قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك ، وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور ألف من الملائكة ، وكان قدر الله السابق فيمن بقى منهم أن سيسلم منهم بشر كثير ، ولو شاء الله لسلط عليهم ملكا واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية ، وقد كان فى الملائكة جبريل الذى أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط ، وكن سبعاً ، فيهن من الأمم والدواب

---

(١) الآية : ٢٨ من سورة إبراهيم .

(٢) البيت عن ابن هشام ، وقوله فى الذى يليه (الجاحد) فى الأصل الجاهل ، وكذا قوله : (دلاهم) فى الأصل والاهمو والتصحيح عن ابن هشام .

والأراضى والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التى سُوِّمَتْ لهم ، كما ذكرنا ذلك فى قصة قوم لوط ، كما تقدم .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين ، وبين تعالى حكمه فى ذلك فقال : ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثختموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض** ﴾ [١] الآية ، وقال تعالى : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء** ﴾ [٢] الآية ، فكان قتل أبى جهل على يدى شاب من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له : لقد رقيت مرتقى صعباً يا رويعى الغنم ، ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدى رسول الله فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلماً ولكنه خرج معهم تقية منهم لأنه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن إسلامه جماعة منهم : الحارث بن زمعة ابن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة] [٣] وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، قال : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** ﴾ [٤] وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً ، كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله ﷺ : عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد استدل الشافعى والبخارى وغيرهما بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه ، وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمرة فى ذلك فالله أعلم ، وكان فيهم أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبى ﷺ .

---

(١) الآية : ٥ من سورة محمد .

(٢) آيتا : ١٤ ، ١٥ من سورة التوبة .

(٣) لم يرد فى الأصول وأوردناه من ابن هشام .

(٤) الآية : ٩٧ من سورة النساء .

فصـــــل

وقد اختلف الصحابة فى الأسارى أيقتلون أو يفادون على قولين ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم بن حميد عن أنس ـ وذكر رجلا ـ عن الحسن ، قال : استشار رسول الله ﷺ الناس فى الأسارى يوم بدر فقال : « إن الله قد أمكنكم منهم » قال : فقام عمر فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم ، قال : فأعرض عنه النبى ﷺ ، ثم عاد النبى ﷺ فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال : يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء ، قال : فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء ، قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم ﴾ (1) الآية ، انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد ـ واللفظ له ـ ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه وكذا على بن المدينى وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفى أبو زميل حدثنى ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر ، وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله : فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا ، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليا وعمر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا ، فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطاب ؟ » قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكننى من فلان ، قريب لعمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان ، أخيه ، فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهوَ ما قلت ، وأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبى ﷺ وأبى بكر ، وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدتُ بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « للذى عرض علىّ أصحابك من أخذهم الفداء ، قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة » ـ لشجرة قريبة ـ وأنزل الله تعالى : ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا

---

(١) الآية : ٦٨ من سورة الأنفال .

والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم ﴾ من الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ (١) ثم أحل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيد عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : « ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ » قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم ، قال : وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذبوك ، قرِّبهم فاضرب أعناقهم ، قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم آضرمه عليهم ناراً ، قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً ، فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، فخرج عليهم فقال : « إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال : ﴿ فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ﴾ (٢) ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٣) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ (٤) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال : ﴿ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ (٥) أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق قال عبد الله : فقلت : يا رسول الله ، إلا سهيل بن بيضاء فإنى قد سمعته يذكر الإسلام ، قال : فسكت ، قال : فما رأيتنى فى يوم أخوف أن تقع علىّ حجارة من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال : « إلا سهيل بن بيضاء » قال : فأنزل الله ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ (٦) وهكذا رواه الترمذى والحاكم من حديث أبى معاوية ، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبى هريرة بنحو ذلك ، وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى بنحوه .

---

(١) آيتا : ٦٧ ، ٦٨ من سورة الأنفال .
(٢) الآية : ٣٦ من سورة إبراهيم .
(٣) الآية : ١١٨ من سورة المائدة .
(٤) الآية : ٢٦ من سورة نوح .
(٥) الآية : ٨٨ من سورة يونس .
(٦) آيتا : ٦٧ ، ٦٨ من سورة الأنفال .

وقد روى ابن مردويه والحاكم فى المستدرك من حديث عبيد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال : لما أُسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر ، أسره رجل من الأنصار قال : وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « إنى لم أنم الليلة من أجل عمى العباس ، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » قال عمر : أفآتيهم ؟ قال : نعم ، فأتى عمر الأنصار فقال لهم : أرسلوا العباس ، فقالوا : لا والله لا نرسله ، فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله رضى ؟ قالوا : فإن كان له رضى فخذه ، فأخذه عمر ، فلما صار فى يده قال له عمر : يا عباس أسلم ، فوالله لئن تسلم أحب إلىّ من أن يسلم الخطاب ، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك ، قال : واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر : عشيرتك فأرسلهم ، واستشار عمر فقال : اقتلهم ، ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ﴾ الآية ، ثم قال الحاكم فى صحيحه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان الثورى عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن على قال : جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : خيِّر أصحابك فى الأسارى ، إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلا منهم مثلهم ، قالوا : الفداء ويقتل منا ، وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسلا عن عبيدة والله أعلم .

وقد قال ابن إسحاق عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ يقول : لولا أنى لا أعذب من عصانى حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، وهكذا روى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أيضاً ، واختاره ابن إسحاق وغيره ، وقال الأعمش : سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بدراً ، وهكذا روى عن سعد بن أبى وقاص وسعيد بن جبير وعطاء ابن أبى رباح ، وقال مجاهد والثورى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ أى لهم بالمغفرة ، وقال الوالبى عن ابن عباس : سبق فى أم الكتاب الأول أن المغانم وفداء الأسارى حلال لكم ، ولهذا قال بعده : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً ﴾[1] وهكذا روى عن أبى هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة والأعمش ، واختاره ابن جرير .

---

(١) الآية : ٦٩ من سورة الأنفال .

وقد ترجح هذا القول بما ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلَتْ لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُحِلَّتْ لى الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلى ، وأُعْطِيتُ الشفاعة ، وكان النبى يُبْعَثُ إلى قومه وبُعِثْتُ إلى الناس عامة » ، وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « لم تحل الغنائم لسود الرءوس غيرنا » ولهذا قال تعالى : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً ﴾(١) فأذن الله تعالى فى أكل الغنائم وفداء الأسارى ، وقد قال أبو داود : حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العبسى حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن أبى العنبس عن أبى الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وهذا كان أقل ما فودى به أحد من المال ، وأكثر ما فودى به الرجل منهم أربعة آلاف درهم ، وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه فى الدنيا والآخرة فقال تعالى : ﴿ يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفرلكم ﴾(٢) الآية ، وقال الوالبى عن ابن عباس : نزلت فى العباس ، ففادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب ، قال العباس : فآتانى الله أربعين عبداً ـ يعنى كلهم يتجر له ـ قال : وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله جل ثناؤه .

وقال ابن إسحاق : حدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبِدٍ عن بعض أهله عن ابن عباس قال : لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر ، والأسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبى ﷺ ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : « سمعت أنين عمى العباس فى وثاقه » فأطلقوه فسكت ، فنام رسول الله ﷺ ، قال ابن إسحاق : وكان رجلا موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب .

قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابنى أخويه : عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة ابن عمرو أحد بنى الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادعى أنه لا مال عنده ، قال : « فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل ، وقلت لها : إن أصبت فى سفرى فهذا لبنىّ : الفضل وعبد الله وقثم ؟ » فقال : والله إنى لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا شىء ما علمه إلا أنا وأم الفضل ، رواه ابن إسحاق عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن ابن عباس .

---

(١) الآية : ٦٩ من سورة الأنفال .
(٢) الآية : ٧٠ من سورة الأنفال .

وثبت فى صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة قال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك قال : إن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا : آئذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه ، فقال : « لا والله لا تذرون منه درهما » قال البخارى : وقال إبراهيم ابن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن النبى ﷺ أتى بمال من البحرين فقال : « انثروه فى المسجد » فكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ ، إذ جاءه العباس فقال : يا رسول الله ، أعطنى إنى فاديت نفسى وفاديت عقيلا فقال : « خذ » فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع ، فقال : مر بعضهم يرفعه إلىّ ، قال : « لا » قال : فارفعه أنت على . قال : « لا » فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع ، فقال : مر بعضهم يرفعه إلى ، قال : « لا » قال : فارفعه أنت على ، قال : « لا » فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق ، فما زال يتبعه بصره حتى خفى علينا عجبا من حرصه ، فما قام رسول الله ﷺ وثَمّ منها درهم ، وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، قال : كان فداء العباس وابنىْ أخويه : عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، كل رجل أربعمائة دينار ، ثم توعد تعالى الآخرين فقال : ﴿ **وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم** ﴾ (١)

فصـــــــل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين والقتلى من المشركين سبعين كما ورد فى غير ما حديث مما تقدم وسيأتى إن شاء الله ، وكما فى حديث البراء بن عازب فى صحيح البخارى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ، وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعون ، وأسر منهم تسعة وثلاثون هكذا رواه البيهقى عنه ، قال : وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبى الأسـود عن عروة فى عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين ، ثم قال : أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد ابن إسحاق قال واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا : أربعة من قريش وسبعة من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا ، وقال فى موضع آخر : وكان مع رسول الله ﷺ أربعون أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك .

---

(١) الآية : ٧١ من سورة الأنفال .

ثم روى البيهقى من طريق أبى صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل عن الزهرى قال : وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر ، ورجل من الأنصار ، وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك . قال ورواه ابن وهب عن يونس ابن يزيد عن الزهرى عن عروة بن الزبير قال : قال البيهقى - وهو الأصح - فيما رويناه فى عدد من قتل من المشركين وأسر منهم ، ثم استدل على ذلك بما ساقه هو والبخارى ، أيضاً ، من طريق أبى إسحاق عن البراء بن عازب ، قال : أمَّر رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبى ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلا .

قلت : والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف ، وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وكأنه أخذه من هذا الذى ذكرناه ، والله أعلم .

وفى حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول لقوله ﷺ « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا كما سيأتى التنصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله ، وتقدم فى حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضا عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسدى الكبير وأبو جعفر الباقر ، وروى البيهقى من طريق قتيبة عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله ابن مسعود فى ليلة القدر قال : « تحروها لإحدى عشرة بقين فإن صبيحتها يوم بدر » ، قال البيهقى : وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال : ليلة تسع عشرة ما شك ، وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، قال البيهقى : والمشهور عن أهل المغازى أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصارى عن يوم بدر فقال : إما لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت ، أو لإحدى عشرة بقيت ، وإما لسبع عشرة بقيت وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة قباث بن أشيم الليثى من طريق الواقدى وغيره بإسنادهم إليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال : وجعلت أقول فى نفسى ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، والله لو

خرجت نساء قريش بالها (١) لردت محمداً وأصحابه ، فلما كان بعد الخندق قلت : لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع فى نفسى الإسلام ، قال : فقدمتها فسألت عنه فقالوا : هو ذاك فى ظل المسجد فى ملأ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت ، فقال : يا قباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، فقلت : أشهد أنك رسول الله ، فإن هذا الأمر ما خرج منى إلى أحد قط ولا تزمزمت به إلا شيئا حدثت به نفسى ، فلولا أنك نبى ما أطلعك عليه ، هلم أبايعك على الإسلام فأسلمت] (٢)

فصـــــــل

وقد اختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر فى المغانم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم ؟ وكانوا ثلاثة أصناف حين ولّى المشركون ، ففرقة أحدقت برسول الله ﷺ تحرسه خوفا من أن يرجع أحد من المشركين إليه ، وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن ، فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم ، قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبى أمامة الباهلى قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ، فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين عن بواء ، يقول : عن سواء ، وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق به ، ومعنى قوله : على السواء أى ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصص بها فريقا منهم ممن ادعى التخصيص بها ، ولا ينفى هذا تخميسها وصرف الخمس فى مواضعه ، كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم ، بل قد تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار من مغانم بدر ، قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملا لأبى جهل كان فى أنفه برة من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضا .

---

(١) فى الأصلين هكذا (بالها) ولعلها بألتها : أى بسلاحها .

(٢) ما بين المربعين من الحلبية فقط .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبى سلام عن أبى أمامة عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع النبى ﷺ فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن نفينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ، فأنزل الله ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ [١] فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ إذا أغار فى أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الأنفال وقد روى الترمذى وابن ماجه من حديث الثورى عن عبد الرحمن ابن الحارث آخره وقال الترمذى هذا حديث حسن ، ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه .

وقد روى أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ، فسارع فى ذلك شبان الرجال وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاءوا يطلبون الذى لهم ، قال الشيوخ : لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءاً لكم لو انكشفتم لفئتم إلينا ، فتنازعوا فأنزل الله تعالى ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ [١]، وقد ذكرنا فى سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها ههنا ، ومعنى الكلام أن الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ ثم ذكر ما وقع فى قصة بدر وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى**

---

(١) الآية : ١ من سورة الأنفال .

واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ [1] **الآية ، فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله فى الأنفال الذى جعل مرده إليه وإلى رسوله ﷺ ، فبينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى ،** وهو قول أبى زيد .

وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر على السواء بين الناس ، ولم يخمسها ، ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخا لما تقدم ، وهكذا روى الوالبى عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدى وفى هذا نظر ، والله أعلم ، فإن فى سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها فى غزوة بدر ، فيقتضى أن ذلك نزل جملة فى وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضى نسخ بعضه بعضا ، ثم فى الصحيحين عن على رضى الله عنه أنه قال فى قصة شارفيه اللذيْن اجتب أسنمتهما حمزة : إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحا على أبى عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم ، بل خمست ، كما هو قول البخارى وابن جرير وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح ، والله أعلم .

فصـــــــــل

فى رجوعه ﷺ من بدر إلى المدينة وما كان من الأمور فى مسيره إليها مؤيداً منصوراً عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وثبت فى الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد أقام ﷺ بعرصة بدر ثلاثة أيام ، كما تقدم ، وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قليب بدر فقرع أولئك الذين سحبوا إليه ، كما تقدم ذكره ، ثم سار ﷺ ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة وقد بعث ﷺ بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وحده وبه كفر الأول : عبد الله بن رواحة إلى أعالى المدينة ، والثانى : زيد بن حارثة إلى السافلة ، قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ ، وقد ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره فى بدر ، قال أسامة : فلما قدم أبى ، زيد بن حارثة ، جئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل

---

(١) الآية : ٤١ من سورة الأنفال .

ابن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخترى العاص بن هشام ، وأُمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، قال : قلت : يا أبة أحق هذا ؟ قال : إى والله يا بنى .

وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد أن النبى ﷺ خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ، ناقة رسول الله ﷺ ، بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهيعة فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى ، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه ، وقال الواقدى : صلى رسول الله ﷺ مرجعه من بدر العصر بالأثيل ، فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال : « يرى ميكائيل وعلى جناحه النقع فتبسم إلىّ وقال : إنى كنت فى طلب القوم ، وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنييه الغبار فقال : يا محمد إن ربى بعثنى إليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : نعم .

قال الواقدى : قالوا : وقدم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل فجاءا يوم الأحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته : يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمعة بن الأسود ، وأُمية بن خلف ، وأسر سهيل بن عمرو ، قال عاصم بن عدى : فقمت إليه فنحوته فقلت : أحقاً يا بن رواحة ؟ فقال : إى والله ، وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين ، ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يبشرهم داراً داراً ، والصبيان ينشدون معه يقولون : قتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ ، القصواء ، يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البخترى وزمعة بن الأسود ، وأسر سهيل بن عمرو ، ذو الأنياب ، فى أسرى كثير ، فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون : ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاًّ ، حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا ، وقدم زيد حين سوينا على رقية بنت رسول الله ﷺ بالبقيع .

وقال رجل من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه ؟ وقال آخر لأبى لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون فيه أبداً ، وقد قتل عليه أصحابه ، قتل محمد وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدرى ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلاًّ فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك ، وقالت اليهود : ما جاء زيد إلا فلاًّ ، قال أسامة : فجئت حتى خلوت بأبى

فقلت : أحق ما تقول ؟ فقال : إى والله حق ما أقول يا بنى ، فقويت نفسى ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت : أنت المرجف برسول الله ﷺ وبالمسلمين ، لنقدمنك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك ، فقال : إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه ، قال : فجيء بالأسرى وعليهم شقران ، مولى رسول الله ﷺ ، وكان قد شهد معهم بدراً وهم تسعة وأربعون رجلا الذين أحصوا قال الواقدى ، وهم سبعون فى الأصل مجتمع عليه لا شك فيه ، قال : ولقى رسول الله ﷺ إلى الروحاء رءوس الناس يهنئونه بما فتح الله عليه ، فقال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله ، الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخلفى عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها عير ، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت ، فقال له رسول الله ﷺ « صدقت » قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلا إلى المدينة ومعه الأسارى ، وفيهم عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث ، وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار ، فقال راجز من المسلمين ـ قال ابن هشام يقال : إنه هو عدى بن أبى الزغباء :

أقم لها صدورَها يا بسبس * ليس بذى الطلح لها مُعَرَّسُ
ولا بصحراء عمير محبس * إن مطايا القومِ لا تُحَبَّسُ
فحملها على الطريق أكيس * قد نصر الله وفر الأخنسُ

قال : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق والنازية يقال : له سَيَر إلى سرحة به فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش ، كما حدثنى عاصم بن عمرو ويزيد بن رومان : ما الذى تهنئوننا به ، والله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعقلة فنحرناها ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « أى ابن أخى أولئك الملأ » قال ابن هشام : يعنى الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله على بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان

بعرق الظبية قتل عقبة بن أبى معيط، قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فمن للصبية يا محمد ؟ قال : « النار » وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف ، كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، وكذا قال موسى بن عقبة فى مغازيه ، وزعم أن رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره ، قال : ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت ، قال : يا معشر قريش علامَ أُقْتَلُ مِنْ بين مَنْ هُهنا ؟ قال : على عداوتك الله ورسوله ، وقال حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب عن الشعبى قال : لما أمر النبى ﷺ بقتل عقبة قال : أتقتلنى يا محمد من بين قريش ؟ قال : « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بى ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقى وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينىّ ستندران ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسى وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى » قال ابن هشام : ويقال : بل قتل عقبة على بن أبى طالب ، فيما ذكره الزهرى وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاءً للإسلام وأهله ، لعنهما الله ، وقد فعل ، قال ابن هشام : فقالت قتيلة بنت الحارث ، أخت النضر بن الحارث فى مقتل أخيها :

يا راكبـا إنّ الأثيل مظنّـةٌ * من صبح خامسة وأنت موفقُ
أبـلغ بهـا ميتـا بأنّ تحـيةً * ما إن تزال بهـا النجـائب تخفقُ
منّى إليكَ وعَبْـرةً مفسوحـةً * جادت بوابـلهـا وأخـرى تخنـقُ
هل يسمعنّ النضـر إن ناديتـهُ * أم كيف يسـمـع ميت لا ينـطقُ
أمحمـد يا خيرَ ضِنْءٍ كريمـةٍ * من قومهـا والفحـلُ فحلٌ معرقُ
ما كان ضرّكَ لو مننـتَ وربّمـا * منّ الفتى وهـو المغيظ المحنقُ
أو كنـتَ قابـلَ فديةٍ فلينفـقنْ * بأعـزِّ ما يغـلو به ما ينـفـقُ
والنضر أقربُ من أسَرْتَ قرابـةً * وأحـقُّـهـم إن كان عِتـقٌ يعتـقُ
ظلت سيوفُ بنى أبيه تَنُوشُـهُ * لله أرحـامٌ هنـاك تشـقـقُ
صبـراً يقـاد إلى المنية متعبـاً * رسف المقيد وهـو عانٍ موثـقُ

قال ابن هشام : ويقال والله أعلم إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن إسحاق : وقد تلقى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند ، مولى فروة بن

عمرو البياضى ، حجامه ﷺ ومعه زق خمر [1] مملوء حيساً ـ وهو التمر والسويق بالسمن ـ هدية لرسول الله ﷺ فقبله منه ووصى به الأنصار ، قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم ، قال ابن إسحاق : وحدثنى نبيه بن وهب ، أخو بنى عبد الدار ، أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال : « استوصوا بهم خيراً » قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه ، فى الأسارى ، قال أبو عزيز : مَرَّ بى أخى مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى ، فقال : شُدّ يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، قال أبو عزيز : فكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فأستحى فأردها فيردها علىّ ما يمسها .

قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لأبى اليسر ـ وهو الذى أسره ـ ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخى هذه وصاتك بى ؟ فقال له مصعب : إنه أخى دونك ، فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها .

قلت : وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير فى غابة الصحابة ، وعدّه خليفة ابن خياط فى أسماء الصحابة ، وكان أخا مصعب بن عمير لأبيه ، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير ، وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافراً ذاك أبو عزة كما سيأتى فى موضعه والله أعلم .

قال ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال : قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبى ﷺ عند آل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابنى عفراء ، قال : وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، قال : تقول سودة : والله إنى لعندهم إذ أتينا فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، قالت : فرجعت إلى بيتى ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، قالت : فلا والله ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أى أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ، ألا متم كراما ؟ فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله ﷺ من البيت : « يا سودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين » قالت :

---

(١) كذا فى الأصلين ، وفى ابن هشام : ولقى رسول الله إلخ بحميت مملوء حيسا ، والحميت الزق .

قلت : يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت ، ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتى بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكميته إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشى بوقعة بدر ، رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفى ببغداد حدثنا أحمد بن سلمان النجاد حدثنا عبد الله بن أبى الدنيا حدثنى حمزة بن العباس حدثنا عبد التواب بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن ـ رجل من أهل صنعاء ـ قال : أرسل النجاشى ذات يوم إلى جعفر بن أبى طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو فى بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب ، قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى ما فى وجوهنا قال : إنى أبشركم بما يسركم ، إنه جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن الله قد نصر نبيه وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان . التقوا بواد يقال له : بدر ، كثير الأراك ، كأنى أنظر إليه كنت أرعى لسيدى رجل من بنى ضمرة إبله ، فقال له جعفر : ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاط ؟ قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إن حقا على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعا عندما يحدث لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لى نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع .

فصل فى وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعى ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم ابن هشام وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ، وأبو البخترى بن هشام . فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية : والله لن[1] يُعْقَلَ هذا ، فسلوه عنى ، فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالسا فى الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا . قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت

---

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية وابن هشام : والله إن يعقل هذا .

النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل . وذكر السهيلى عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال : لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أزار الحنيفيون بدراً وقيعةً * سينقض منها ركنُ كِسْرَى وقيصرا
أبادت رجالا من لؤىّ وأبرزتْ * خرائدَ يضربن الترائبَ حُسَّرا
فياويح من أمسى عدوَّ محمدٍ * لقد جار عن قصدِ الهدَى وتحيّرا

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع ، مولى رسول الله ﷺ : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل ، وأَسْلَمتُ ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه . وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ـ وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا ـ فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزاً ، قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الأقداح أنحتها فى حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر [1] حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهرى ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ـ واسمه المغيرة ـ ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال : فقال أبو لهب : هلم إلىّ فعندك لعمرى الخبر ، قال : فجلس إليه والناس قيام عليه فقال : يا بن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال : وثاورته [2] فاحتملنى وضرب بى الأرض ثم برك على يضربنى ـ وكنت رجلا ضعيفا ـ فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت فى رأسه شجة منكرة ، وقالت : استضعفته إن غاب عنه سيده فقام موليًا ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . زاد يونس عن ابن إسحاق : فلقد تركه ابناه بعد موته

---

(١) كذا فى الحلبية وابن هشام .
(٢) كذا فى الحلبية وابن هشام ، وفى المصرية : وبادرته .

ثلاثا ما دفناه حتى أنتن . وكانت قريش تتقى هذه العدسة كما تتقى الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان ، إن أباكما قد أنتن فى بيته ، ألا تدفنانه ؟ فقالا : إنا نخشى عدوة هذه القرحة ، فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه ، فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة . [قال يونس عن ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كان لا تمر على مكان أبى لهب هذا إلا تسترت بثوبها حتى تجوز] (١)

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا ، يبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه فى الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم فى ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم ، فإن البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده . زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكى على بنيه ، قال : فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له ـ وكان قد ذهب بصره ـ انظر هل أحل النحب ؟ هل بكت قريش على قتلاها لعلّى أبكى على أبى حكيمة ؟ ـ يعنى ولده زمعة ـ فإن جوفى قد احترق ، قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته ، قال : فذاك حين يقول الأسود :

أتبكى أن أضل لها بعيرٌ * ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكرٍ ولكنْ * على بدرٍ تقاصرتِ الجدود
على بدرٍ سراة بنى هصيص * ومخزومٌ ورهطُ أبى الوليد
وبكّى إن بكيتِ أبا عقيل * وبكّى حارثاً أسدَ الأسود
وبكّيهم ولا تسمى جميعاً * وما لأبى حكيمةَ من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجالٌ * ولولا يوم بدر لم يسودوا (٢)

---

(١) ما بين المربعين من الحلبية فقط ولم يرد فى المصرية ولا فى ابن هشام . ولكن السهيلى أشار إليه وأسنده إلى ابن إسحاق .

(٢) فى الشعر إقواء .

فصل فى بعث قريش إلى رسول الله ﷺ فداء أسراهم

قال ابن إسحاق : وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى . فقال رسول الله ﷺ : « إن له بمكة ابنا كيّسا تاجراً ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه ؛ قال المطلب ابن أبى وداعة ، وهو الذى كان رسول الله ﷺ عنى : صدقتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل وقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به .

قلت : وكان هذا أول أسير فدى ، ثم بعثت قريش فى فداء أسراهم ، فقدم مكرز ابن حفص بن الأخيف فى فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف ، فقال فى ذلك :

أسرتُ سهيلا فلا أبتغى * أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى * فتاها سهيل إذا يظلم
ضربتُ بذى الشفر حتى انثنى * وأكرهتُ نفسى على ذى العلم

قال ابن إسحاق : وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى . قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء ، أخو بنى عامر بن لؤى ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : دعنى أنزع ثنية سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبداً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا » .

قلت : هذا حديث مرسل بل معضل .

قال ابن إسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لعمر فى هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه » .

قلت : وهذا هو المقام الذى قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها . فقام بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سيأتى فى موضعه .

قال ابن إسحاق : فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضائهم قالوا : هاتِ الذى لنا ، قال : اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم . وأنشد له ابن إسحاق فى ذلك شعراً أنكره ابن هشام فالله

أعلم . قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال : وكان فى الأسارى عمرو ابن أبى سفيان صخر بن حرب . قال ابن إسحاق : وكانت أمه بنت عقبة بن أبى معيط . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبى معيط . قال ابن هشام : وكان الذى أسره على ابن أبى طالب قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال : فقيل لأبى سفيان : آفدِ عمراً ابنك ، قال : أيجتمع علىّ دمى ومالى ، قتلوا حنظلة وأفدى عمراً ؟ دعوه فى أيديهم يمكسوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال ، أخو بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى معاوية معتمراً ومعه مرية له ، وكان شيخا مسلما فى غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمراً ، ولم يظن أنه يحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو وقال فى ذلك :

أرهط ابن أكـال اجيبـوا دعـاءه * تعـاقـدتم لا تسلمـوا السيد الكهلا
فإن بنـى عمـرو لئـامٌ أذلـةٌ * لئن لم يكفـوا عن أسيرهم الكبـلا

قال فأجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعـد يومَ مكـة مطلقـا * لأكثر فيكم قبـل أن يُؤْسَرَ القتـلا
بعضب حسـام أو بصفـراء نبعةٍ * تحن إذا ما أنبضت تحفـز النبـلا

قال : ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم فأعطاهم النبى فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيل سعد . قال ابن إسحاق : وقد كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس بن أمية ، ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذى أسره خراش بن الصمة أحد بنى حرام . قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد ، أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هى التى سألت رسول الله ﷺ أن يزوجه بابنتها زينب ، وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحى ، وكان ﷺ قد زوج ابنته رقية ـ أو أم كلثوم من عتبة بن أبى لهب ، فلما جاء الوحى قال أبو لهب : اشغلوا محمداً بنفسه ، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومشوا إلى أبى العاص فقالوا : فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت ، قال : لا والله إذاً لا أفـارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله ﷺ يثنى عليه فى صهره ، فيما بلغنى .

قلت : الحديث بذلك فى الثناء عليه فى صهره ثابت فى الصحيح كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبى العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما . قلت : إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ فى فداء أبى العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا » قالوا : نعم ! يا رسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها . [قال ابن إسحاق : فكان ممن سمى لنا ممن منّ عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداء من بنى أمية :أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، أسره بعض بنى الحارث بن الخزرج ، فترك فى أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه (١)] قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلى سبيل زينب ـ يعنى أن تهاجر إلى المدينة ـ فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتى . وقد ذكر ذلك ابن إسحاق هٰهنا فأخرناه لأنه أنسب والله أعلم . وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ نفسه وعقيلا ونوفلا ابنى أخويه بمائة أوقية من الذهب . وقال ابن هشام كان الذى أسر أبا العاص أبو أيوب خالد بن زيد . قال ابن إسحاق : وصيفى بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك فى أيدى أصحابه ، فأخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يفِ لهم : قال حسان بن ثابت فى ذلك :

ما كان صيفىّ ليوفى أمانة * قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد

قال ابن إسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح كانت محتاجا ذا بنات ، قال يا رسول الله : لقد عرفتَ ما لى من مال وإنى لذو حاجة وذو عيال فامنن علىّ ، فمن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً ، فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك :

---

(١) ما بين المربعين مقدم فى الحلبية ومؤخر فى المصرية .

من مُبْلغٌ عنى الـرسولَ محمـداً * بأنـكَ حقٌّ والـمـليكُ حميـدُ
وأنت امرؤٌ تدعو إلى الحقِّ والهدَى * عليكَ من اللهِ الـعـظيم شهـيدُ
وأنـت امـرؤٌ بُوِّئْـتَ فينـا مبـاءةً * لهـا درجـاتٌ سهـلةٌ وصَعـودُ
فإنـكَ من حاربتَـهُ لمحـاربٌ * شقـىٌّ ومـن سالـمتَـهُ لسعيدُ
ولـكـنْ إذا ذكـرتُ بدراً وأهـلَهُ * تأوَّبَ ما بى حسـرة وقـعـودُ

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم ، فلما كان يوم أحد أسر أيضا ، فسأل من النبى ﷺ أن يمن عليه أيضا فقال النبى ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمداً مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه ، كما سيأتى فى غزوة أحد . ويقال : إن فيه قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهذا من الأمثال التى لم تسمع إلا منه ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزّبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية فى الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر . قال ابن هشام : والذى أسره رفاعة بن رافع ، أحد بنى زريق . قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر عن عروة فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله ما إن فى العيش بعدهم خير ، قال له عمير : صدقت ، أما والله لولا دين علىّ ليس عندى قضاؤه ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى فيهم علة ابنى أسير فى أيديهم . قال : فاغتنمها صفوان بن أمية فقال : علىّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا ، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكتم علىّ شأنى وشأنك ، قال : سأفعل . قال : ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسُمَّ ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينمـا عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم فى عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحا السيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . قال : فأدخله علىّ ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث ،

فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال : « أرسله يا عمر ، آدن يا عمير » فدنا ثم قال : أنعم صباحا ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه ، قال : « فما بال السيف فى عنقك ؟ » قال : قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال : « أصدقنى ، ما الذى جئت له ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك ، قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك » فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ : « فقهوا أخاكم فى دينه ، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم ، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير . قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ـ أو الحارث بن هشام ـ هو الذى رأى عدو الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفر هاربا وقال : إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون ، وكان إبليس يومئذ فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، أمير مدلج .

فصل

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، تكلم على ما نزل من القرآن فى قصة بدر وهو من أول سورة الأنفال إلى آخرها فأجاد وأفاد ، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثَمَّ ، ولله الحمد والمنة .

فصــــــــل

ثم شرع ابن إسحاق فى تسمية من شهد بدراً من المسلمين فسرد أسماء من شهدها من المهـاجرين أولا ، ثم أسماء من شهدها من الأنصار : أوسها وخزرجها ، إلى أن قال : فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون رجلا . ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا . وقد سردهم البخارى فى صحيحه مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بأبى بكر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلـك من كتـاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى وغيره بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ .

أســــماء أهل بدر مرتبــة على حروف المعجم (١)

حرف الألــــــــف

أُبَىّ بن كعب النجـارى سيد القراء، الأرقم بن أبى الأرقم وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى ، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة ابن عامر بن العجلان ، أسود بن زيد بنَ ثعلبة بن عبيد بن غنم ، كذا قال موسى بن عقبة ، وقال الأموى : سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدى ، شك فيه ، وقال سلمة ابن الفضل عن ابن إسحاق : سواد بن زريق بن ثعلبة ، وقال ابن عائذ : سواد بن زيد ، أسير بن عمرو الأنصارى أبو سليط ، وقيل : أسير بن عمرو بن أمية بن لوزان بن سالم ابن ثابت الخزرجى ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسى ، كذا سماه موسى بن عقبة ، وسماه الأموى فى السيرة أنيس .

قلت : وأنس بن مالك ، خادم النبى ﷺ ، لما روى عمر بن شبة النميرى حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال : قيل : لأنس بن مالك : أشهدت بدراً ؟ قال : وأين أغيب عن بدر لا أُمَّ لك ؟ ! وقال محمد بن سعد : أخبرنا

---

(١) وقعت بعض الأخطاء فى الأصول فى ترتيب الأسماء فليتنبه لذلك .

محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا أبى عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس : شهدت بدراً ؟ قال : لا أمَّ لك ، وأين أغيب عن بدر ؟ قال محمد بن عبد الله الأنصارى : خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه : هكذا قال الأنصارى ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى .

وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أنسة الحبشى ، مولى رسول الله ﷺ ، أوس بن ثابت بن المنذر النجارى ، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجى . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجى ، أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن بكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر ، حليف بنى عدى بن كعب .

حرف البـــــــاء

بجير بن أبى بجير ، حليف بنى النجار ، بحاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو ابن عمارة البلوى ، حليف الأنصارى ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنى ، حليف بنى ساعدة ، وهو أحد العينين هو وعدى بن أبى الرغباء كما تقدم ، بشر بن البراء بن معرور الخزرجى ، الذى مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى ، والد النعمان بن بشير ، ويقال : إنه أول من بايع الصديق ، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسى رده ﷺ من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التـــــــاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، تميم ، مولى خراش بن الصمة ، تميم ، مولى بنى غنم بن السلم . وقال ابن هشام : هو مولى سعد بن خيثمة .

حرف الثـــــاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، ثابت بن ثعلبة ، ويقال لثعلبة هذا : الجـذع بن زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجارى ، ثابت بن خنسـاء بن عمـرو بن مالـك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجارى ، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد بن مالك بن غنم بن عدى بن النجار النجارى ، ثابت بن هزال الخزرجى ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد ابن مالك بن الأوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجـارى ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجى ، ثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابىء السلمى ، ثقف بن عمرو ، من بنى حجر آل بنى سليم ، وهو من حلفاء بنى كثير بن غنم بن دودان بن أسد .

حرف الجيـــــم

جابر بن خالد بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجارى ، جابر ابن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد ين عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أحد الذين شهدوا العقبة .

[**قلت** : فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى ، أيضا ، فذكره البخارى فيهم فى مسند عن سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : كنت أمتـح لأصحابى الماء يوم بدر . وهذا الإسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد : ذكرت لمحمد بن عمر - يعنى الواقدى - هذا الحديث فقال : هذا وهم من أهل العراق ، وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً . وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا روح بن عبادة حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحدا منعنى أبى ، فلما قتل أبى يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ عن غزاة . ورواه مسلم عن أبى خيثمة عن روح [1]] .

جبار بن صخر السلمى ، جبر بن عتيك الأنصارى ، جبير بن إياس الخزرجى .

---

(١) ما بين المربعين عن النسخة المصرية فقط .

حرف الحـــــاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجى ، الحارث بن أوس بن معاذ ، ابن أخى سعد بن معاذ الأوسى ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس رده ﷺ من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن خزمة بن عدى بن أبى غنم ابن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، حليف لبنى زعور بن عبد الأشهل ، الحارث بن الصمة الخزرجى رده ﷺ لأنه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرفجة الأوسى ، الحارث بن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجى ، الحارث ابن النعمان بن أمية الأنصارى ، حارثة بن سراقة النجارى ، أصابه سهم غرب وهو فى النظارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصارى ، حاطب بن أبى بلتعة اللخمى ، حليف بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ، حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجعى ، من بنى دهمان ، هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق . وقال الواقدى : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، كذا ذكره ابن عائذ فى مغازيه . وقال ابن أبى حاتم : حاطب بن عمرو بن عبد شمس سمعته من أبى وقال : هو رجل مجهول ، الحباب بن المنذر الخزرجى ، ويقال : كان لواء الخزرج معه يومئذ ، حبيب ابن أسود ، مولى بنى حرام من بنى سلمة ، وقال موسى بن عقبة : حبيب بن سعد ، بدل أسود ، وقال ابن أبى حاتم : حبيب بن أسلم ، مولى آل جشم بن الخزرج ، أنصارى بدرى ، حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصارى ، أخو عبد الله بن زيد الذى أرى النداء ، الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله ﷺ .

حرف الخــــــاء

خالد بن البكير ، أخو إياس المتقدم ، خالد بن زيد أبو أيوب النجارى ، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصارى ، خارجة بن الحمير ، حليف بنى خنساء من الخزرج ، وقيل : اسمه حارثة بن الحمير ، وسماه ابن عائذ خارجة ، فالله أعلم ، خارجة بن زيد الخزرجى ، صهر الصدّيق ، خباب بن الأرت ، حليف بنى زهرة وهو من المهاجرين الأولين وأصله من بنى تميم ، ويقال : من خزاعة ، خباب ، مولى عتبة بن غزوان ، من المهاجرين الأولين ، خراش بن الصمة السلمى ، حبيب بن أساف بن عتبة

الخزرجى ، خريم بن فاتك ، ذكره البخارى فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجى ، خليد ابن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد ، الأنصارى السلمى ، خنيس بن حذافة بن قيس ابن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى السهمى ، قتل يومئذ فتأيمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خوات بن جبير الأنصارى ، ضرب له بسهمه وأجره ولم يشهدها بنفسه ، خولى بن أبى خولى العجلى ، حليف بنى عدى من المهاجرين الأولين ، خلاد بن رافع ، وخلاد بن سويد ، وخلاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون .

حرف الـــــذال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجى ، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة ، من غبشان ابن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، من بنى خزاعة ، حليف لبنى زهرة قتل يومئذ شهيداً . قال ابن هشام : واسمه عمير وإنما قيل له : ذو الشمالين لأنه كان أعسر .

حرف الـــــراء

رافع بن الحارث الأوسى ، رافع ابن عنجدة ، قال ابن هشام : هى أمه ، رافع بن المعلى بن لوذان الخزرجى ، قتل يومئذ ، ربعى بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة ابن الجدبن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقْبة : ربعى بن أبى رافع ، ربيع بن إياس الخزرحى ، ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة ، حليف لبنى عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الأولين رخيلة ابن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجى ، رفاعة بن رافع الزرقى ، أخو خلاد بن رافع ، رفاعة بن عبد المنذر بن زنير الأوسى ، أخو أبى لبابة ، رفاعة بن عمرو ابن زيد الخزرجى .

حرف الـــــزاى

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، ابن عمة رسول الله ﷺ

وحواريه ، زياد بن عمرو ، وقال موسى بن عقبة : زياد بن الأخرس بن عمرو الجهنى . وقال الواقدى : زياد بن كعب بن عمرو بن عدى بن رفاعة بن كليب بن برذعة بن عدى ابن عمرو بن الزبعرى بن رشدان بن قيس بن جهينة ، زياد بن لبيد الزرقى ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن عجلان بن ضبيعة ، زيد بن حارثة بن شرحبيل ، رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ ، زيد بن الخطاب بن نفيل ، أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجارى ، أبو طلحة رضى الله عنه .

حرف السين

سالم بن عمير الأوسى ، سالم بن غنم بن عوف االخزرجى ، سالم بن معقل ، مولى أبى حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى ، شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس ابن عائذ [١] الخزرجى ، سبرة بن فاتك ، ذكره البخارى ، سراقة بن عمرو النجارى ، سراقة بن كعب النجارى ، أيضا ، سعد بن خولة ، مولى بنى عامر لؤى من المهاجرين الأولين ، سعد بن خيثمة الأوسى ، قتل يومئذ شهيداً ، سعد بن الربيع الخزرجى ، الذى قتل يوم أحد شهيداً ، سعد بن زيد بن مالك الأوسى ، وقال الواقدى : سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجارى ، سعد بن عبيد الأنصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى ، أبو عبادة ، وقال ابن عائذ : أبو عبيدة ، سعد بن معاذ الأوسى ، وكان لواء الأوس معه .

سعد بن عبادة بن دليم الخزرجى ، ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدراً ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبى ﷺ فى ملتقى النفير من قريش فقال سعد بن عبادة : كأنك تريدنا يا رسول الله ، الحديث ، والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قيل : لاستنابته على المدينة ، وقيل لدغته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر ، حكاه السهيلى عن ابن قتيبة فالله أعلم .

سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة [٢] ، سعد بن مالك أبو

---

(١) كذا فى الإصابة وفى المصرية ابن عيشة وفى الروض عبسة بالمهملة .

(٢) يقصد العشرة المبشرين بالجنة .

سهل ، قال الواقدى : تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج ، سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل العدوى ، ابن عم عمر بن الخطاب يقال : قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسمهه وأجره ، سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجى ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش ابن زغبة ، سليم بن الحارث النجارى ، سليم بن عمرو السلمى ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجى ، سليم بن ملحان ، أخو حرام بن ملحان النجارى ، وسماك بن أوس ابن خرشة ، أبو دجانة ، ويقال : سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجى ، وهو أخو بشير بن سعد ، المتقدم ، سهل بن حنيف الأوسى ، سهل بن عتيك النجارى ، سهل بن قيس السلمى ، سهيل بن رافع النجارى ، الذى له كان ولأخيه موضع المسجد النبوى ، كما تقدم ، سهيل بن وهب الفهرى ، وهو ابن بيضاء وهى أمه ، سنان بن أبى سنان بن محصن بن حرثان ، من المهاجرين حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف ، سنان بن صيفى السلمى ، سواد بن زريق بن زيد الأنصارى ، وقال الأموى : سواد بن رزام ، سواد بن غزية بن أهيب البلوى ، سويبط بن سعد بن حرملة العبدرى ، سويد بن مخشى أبو مخشى الطائى ، حليف بنى عبد شمس ، وقيل : اسمه أزيد بن حمير .

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدى : أسد بن خزيمة ، حليف بنى عبد شمس من المهاجرين الأولين ، شماس بن عثمان المخزومى ، قال ابن هشام : واسمه عثمان بن عثمان وإنما سمى شماسا لحسنه وشبهه شماساً كان فى الجاهلية ، شقران ، مولى رسول الله ﷺ ، قال الواقدى : لم يسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل رجل ممن له فى الأسرى شيئا فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صهيب بن سنان الرومى ، من المهاجرين الأولين ، صفوان بن وهب بن ربيعة الفهرى ، أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذ . صخر بن أمية بن خنساء السلمى .

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمى ، ضحاك بن عبد عمرو النجارى ، ضمرة بن عمرو

الجهنى وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو ، حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطـــــــاء

طلحة بن عبيد الله التيمى ، أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسـول الله ﷺ بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، من المهـاجرين وهو أخو حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمى ، طفيل بن النعمان بن خنساء السلمى ، ابن عم الذى قبله ، طليب بن عمير بن وهب بن أبى كبير ابن عبد بن قصى ، ذكره الواقدى .

حرف الظـــــــاء

ظهير بن رافع الأوسى ، ذكره البخارى .

حرف العيـــــــن

عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، الذى حمته الدبر حين قتل بالرجيع ، عاصم بن عدى بن الجدبن عجلان ، رده ﷺ من الروحاء ، وضرب له بسهمه وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجى ، عاقل بن البكير ، أخو إياس وخالد وعامر ، عامر ابن أمية بن زيد بن الحسحاس النجارى ، عامر بن الحارث الفهرى كذا ذكره سلمة عن ابن إسحـاق وابن عائـذ ، وقـال موسى بن عقبـة وزياد عن ابن إسحـاق : عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العنزى ، حليف بنى عدى من المهاجرين ، عامر ابن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوى القضاعى حليف بنى سالم بن مالك بن سالم بن غنم قال ابن هشام ويقال : عمر بن سلمة ، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهيرة ، مولى أبى بكر ، عامر بن مخلد النجارى ، عائذ بن ماعض ابن قيس الخزرجى ، عباد بن بشر بن وقش الأوسى ، عباد بن قيس بن عامر الخزرجى ، عبـاد بن قيس بن عيشـة الخـزرجى ، أخـو سبيع المتقـدم ، عبـاد بن الخشخـاش القضاعى ، عبادة بن الصامت الخزرجى ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ، عبد الله ابن أمية بن عرفطة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزمة أخو بحاث المتقدم ، عبد الله بن جحش ابن رئاب الأسدى ، عبد الله بن جبيربن النعمان الأوسى ، عبد الله بن الجد بن قيس

السلمى ، عبد الله بن حق بن أوس الساعدى وقال موسى بن عقبة والواقدى وابن عائذ : عبد رب بن حق ، وقال ابن هشام : عبد ربه بن حق ، عبد الله بن الحمير ، حليف لبنى حرام وهو أخو خارجة بن الحمير من أشجع ، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجى ، عبد الله بن رواحة الخزرجى ، عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجى الذى أرى النـــداء ، عبد الله بن سراقة العدوى ، لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدى ولا ابن عائـذ وذكره ابن إسحاق وغيره ، عبد الله بن سلمة بن مالك بن العجلان ، حليف الأنصار، عبد الله بن سهل بن رافع ، أخو بنى زعورا ، عبد الله بن سهيل بن عمرو ، خرج مع أبيه والمشركين ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم ، عبد الله بن طارق بن مالك القضاعى ، حليف الأوس ، عبد الله بن عامر ، من بلى ، ذكره ابن إسحاق ، عبد الله بن عبد الله بن أبىّ ابن سلول الخزرجى ، وكان أبوه رأس المنافقين ، عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى ، عبد الله بن عبس ، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة بن كعب : أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عبد الله بن عرفطة بن عدى الخزرجى ، عبد الله بن عمر بن حرام السلمى أبو جابر ، عبد الله بن عمير بن عدى الخزرجى ، عبد الله بن قيس بن خالد النجارى ، عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام السلمى ، عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار ، جعله النبى ﷺ مع عدى بن أبى الزغباء على النفل يوم بدر ، عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعـود الهـذلى ، حليف بنى زهـرة من المهـاجـرين الأولين ، عبـد الله بن مظعـون الجمحى ، من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمى ، عبد الله ابن أنيسة بن النعمان السلمى ، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاعى البلوى ، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهرى أحد العشرة رضى الله عنهم ، عبس ابن عامر بن عدى السلمى ، عبيد بن التيهان ، أخو أبى الهيثم بن التيهان ويقال : عتيك بدل عبيد ، عبيد بن ثعلبة من بنى غنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر ، عبيد بن أبى عبيد ، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضى الله عنه ، عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجى ، عتبة بن ربيعة بن خالد ابن معاوية البهرانى ، حليف بنى أمية بن لوذان ، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى ،

عتبة بن غزوان بن جابر ، من المهاجرين الأولين ، عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى ، أمير المؤمنين وأحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، عثمان بن مظعون الجمحى أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين ، عدى بن أبى الزغباء الجهنى ، وهو الذى أرسله رسول الله ﷺ وبسبس بن عمرو بين يديه عيناً ، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان ، عصيمة ، حليف لبنى الحارث بن سوار من أشجع ، وقيل : من بنى أسد بن خزيمة ، عطية بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجى ، عقبة بن عامر بن نابى السلمى ، عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجى ، أخو سعد بن عثمان ، عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى ، وقع فى صحيح البخارى أنه شهد بدراً وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازى ولهذا لم يذكروه ، عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى : أسد خزيمة حليف لبنى عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عقبة بن وهب بن كلدة حليف بنى غطفان ، عكاشة بن محصن الغنمى من المهاجرين الأولين وممن لا حساب عليه ، على بن أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله عنه ، عمار بن ياسر العنسى المذحجى ، من المهاجرين الأولين ، عمارة بن حزم ابن زيد النجارى ، عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدى بهم رضى الله عنهما ، عمر بن عمرو بن إياس ، من أهل اليمن حليف لبنى لوذان بن عمرو بن سالم ، وقيل : هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى ابن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم ، عمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة ابن هلال بن أهيب بن ضبشة بن الحارث بن فهر الفهرى ، عمرو بن سراقة العدوى ، من المهاجرين ، عمرو بن أبى سرح الفهرى ، من المهاجرين ، وقال الواقدى وابن عائذ : معمر بدل عمرو ، عمر بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم ، وهو فى بنى حرام ، عمرو بن الجموح بن حرام الأنصارى ، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم ، ذكره الواقدى والأموى ، عمرو بن قيس بن مالك بن عدى بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر أبو خارجة ، ولم يذكر موسى بن عقبة ، عمرو بن عامر بن الحارث الفهرى ، ذكره موسى بن عقبة ، عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسى ، عمرو بن معاذ الأوسى ، أخو سعد بن معاذ ، عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال : عمرو بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمى ، عمير بن حرام بن الجموح السلمى ، ذكره ابن عائذ والواقدى ، عمير بن الحمام بن الجموح ، ابن عم الذى قبله

قتل يومئذ شهيداً ، عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازنى ، عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو ، وسماه الأموى وغيره عمرو ابن عوف ، وكذا وقع فى الصحيحين فى حديث بعث أبى عبيدة إلى البحرين ، عمير بن مالك بن أهيب الزهرى ، أخو سعد بن أبى وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنترة ، مولى بنى سليم ، وقيل : إنه منهم فالله أعلم ، عوف بن الحارث النجارى ، وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عويم بن ساعدة الأنصارى ، من بنى أمية بن زيد ، عياض بن غنم الفهرى ، من المهاجرين الأولين رضى الله عنهم أجمعين .

حرف الغيـــــــن

غنام بن أوس الخزرجى ، ذكره الواقدى وليس بمجمع عليه .

حرف الفـــــــاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجى ، فروة بن عمرو بن ودفة (١) الخزرجى .

حرف القـــــــاف

قتادة بن النعمان الأوسى ، قدامة بن مظعون الجمحى ، من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله ، قطبة بن عامر بن حديدة السلمى ، قيس بن السكن النجارى ، قيس بن أبى صعصعة عمرو بن زيد المازنى ، كان على الساقة يوم بدر ، قيس بن محصن بن خالد الخزرجى ، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجارى .

حرف الكـــــــاف

كعب بن حمان ، ويقال : جمار ، ويقال : جماز ، وقال ابن هشام : كعب بن عبشان ، ويقال : كعب بن مالك بن ثعلبة بن جماز ، وقال الأموى : كعب بن ثعلبة بن حبالة بن غنم الغسانى ، من حلفاء بنى الخزرج بن ساعدة ، كعب بن زيد بن قيس

---

(١) وقال السهيلى : ويقال : وذفة بالذال المعجمة .

النجارى ، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمى ، كلفة بن ثعلبة ، أحد البكائين ذكره موسى ابن عقبة ، كناز بن حصين بن يربوع أبو مرثد الغنوى ، من المهاجرين الأولين .

حرف الميـــــــم

مالك بن الدخشم ، ويقال : ابن الدخشن الخزرجى ، مالك بن أبى خولى الجعفى ، حليف بنى عدى ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدى ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن عمرو ، أخو ثَقَف بن عمرو ، وكلاهما مهاجرى ، وهما من حلفاء بنى تميم بن دودان بن أسد ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن مسعود الخزرجى ، مالك بن ثابت بن ثميلة المزنى ، حليف لبنى عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد المنذر ابن زنبر الأوسى ، أخو أبى لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيداً ، المجذر بن ذياد البلوى ، مهاجرى ، محرز بن عامر النجارى ، محرز بن نضلة الأسدى ، حليف بنى عبد شمس ، مهاجرى ، محمد بن مسلمة ، حليف بنى عبد الأشهل ، مدلج ، ويقال : مدلاج بن عمرو أخو ثَقَف بن عمرو ، مهاجرى ، مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، مسطح ابن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، من المهاجرين الأولين وقيل : اسمه عوف ، مسعود بن أوس الأنصارى النجارى ، مسعود بن خلدة الخزرجى ، مسعود بن ربيعة القارى ، حليف بنى زهرة مهاجرى ، مسعود بن سعد ويقال : ابن عبد سعد بن عامر ابن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجى ، مصعب بن عمير العبدرى ، مهاجرى كان معه اللواء يومئذ ، معاذ بن جبل الخزرجى ، معاذ بن الحارث النجارى ، وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجى ، معاذ بن ماعض الخزرجى ، أخو عائذ ، معبد بن عباد ابن قشير بن القزم بن سالم بن غنم ، ويقال : معبد بن عبادة بن قيس ، وقال الواقدى : قشعر بدل قشير ، وقال ابن هشام : قشعر أبو خميضة ، معبد بن قيس بن صخر السلمى ، أخو عبد الله بن قيس ، معتب بن عبيد بن إياس البلوى القضاعى ، معتب ابن عوف الخزاعى ، حليف بنى مخزوم من المهاجرين ، معتب بن قشير الأوسى ، معقل بن المنذر السلمى ، معمر بن الحارث الجمحى ، من المهاجرين ، معن بن عدى الأوسى ، معوذ بن الحارث الجمحى ، وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف ، معوذ ابن عمرو بن الجموح السلمى ، لعله أخو معاذ بن عمرو ، المقداد بن عمرو البهرانى ، وهو المقداد بن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال المحمود ابن المتقدم ذكره

وكـان أحـد الفـرسـان يومئذ ، مليل بن وبرة الخزرجى ، المنذر بن عمرو بن خنَيْس السـاعـدى ، المنـذر بن قدامـة بن عرفجـة الخـزرجى ، المنـذر بن محمد بن عقبة الأنصارى ، من بنى جحجبى ، مهجع ، مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

حرف النــــــــون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجارى ، وهو أخو الضحاك ، نعمان بن عمرو بن رفاعة النجارى ، نعمان بن عصر بن الحارث ، حليف لبنى الأوس ، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجى ويقال له : قوقل ، نعمان بن يسار ، مولى لبنى عبيد ويقال : نعمان بن سنان ، نوفل بن عبيد الله بن نضلة الخزرجى .

حرف الهـــــــاء

هانىء بن نيار أبو بردة البلوى ، خال البراء بن عازب ، هلال بن أمية الواقفى ، وقع ذكره فى أهل بدر فى الصحيحين فى قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازى ، هلال بن المعلى الخزرجى ، أخو رافع بن المعلى .

حرف الـــــــواو

واقد بن عبد الله التميمى ، حليف بنى عدى من المهاجرين ، وديعة بن عمرو بن جراد الجهنى ذكره الواقدى وابن عائذ ، ورقة بن إياس بن عمرو الخزرجى ، أخو ربيع بن إياس ، وهب بن سعد بن أبى سرح ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدى فى بنى عامر بن لؤى ولم يذكره ابن إسحاق .

حرف اليـــــــاء

يزيد بن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمى ، قال السهيلى : شهد هو وأبوه

وابنه يعنى بدراً ولا يعرف لهم نظير فى الصحابة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق والأكثرون ، لكن شهدوا معه بيعة الرضوان ، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجى ، وهو الذى يقال له : ابن فسحم ، وهى أمه ، قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمى ، يزيد بن المنذر بن سرح السلمى ، وهو أخو معقل بن المنذر .

حرف الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجارى ، وقال ابن هشام : أبو الأعور الحارث بن ظالم ، وقال الواقدى : أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم ، أبو بكر الصديق ، عبد الله بن عثمان تقدم ، أبو حبة بن عمرو بن ثابت ، أحد بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصارى ، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، من المهاجرين ، وقيل : اسمه مهشم ، أبو الحمراء ، مولى الحارث بن رفاعة بن عفراء ، أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجارى ، أبو سبرة ، مولى أبى رهم بن عبد العزى من المهاجرين ، أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين ، أبو الصياح بن النعمان وقيل : عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر ، رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه ، أبو عرفجة ، من حلفاء بنى جحجبى ، أبو كبشة ، مولى رسول الله ﷺ ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم ، أبو مرثد الغنوى كناز بن حصين تقدم ، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسى .

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلا منهم رسول الله ﷺ ، كما قال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق سمعت البراء بن عازب يقول : حدثنى أصحاب محمد ﷺ ، ورضى عنهم ، ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، بضعة عشر وثلاثمائة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن . ثم رواه البخارى من طريق إسرائيل وسفيان الثورى عن أبى إسحاق عن البراء نحوه : قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف إنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وقال أيضا : حدثنا محمود حدثنا وهب عن شعبة عن

أبى إسحاق عن البراء : قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين : هكذا وقع فى هذه الرواية وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن عبيد المحاربى حدثنا أبو مالك الجنبى عن الحجاج - وهو ابن أرطاة - عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلا : وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان حامل راية النبى ﷺ على بن أبى طالب ، وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة ، وهذا يقتضى أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال : قال ابن جرير : وقيل : كانوا ثلثمائة وسبعة رجال .

قلت : وقد يكون هذا عد معهم النبى ﷺ والأول عدهم بدونه ، فالله أعلم ، وقد تقدم عن ابن إسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، وأن الأوس أحد وستون رجلا ، والخزرج مائة وسبعون رجلا وسردهم . وهذا مخالف لما ذكره البخاري ولما روى عن ابن عباس فالله أعلم . وفى الصحيح عن أنس أنه قيل له : شهدت بدراً ؟ فقال : وأين أغيب ؟ وفى سنن أبى داود عن سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال : كنت أمتح [1] لأصحابى الماء يوم بدر ، وهذان لم يذكرهما البخارى ولا الضياء فالله أعلم .

قلت : وفى الذين عدهم ابن إسحاق فى أهل بدر من ضرب له بسهم فى مغنمها وأنه لم يحضرها ، تخلف عنها لعذر أذن له فى التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو تسعة وهم ، عثمان بن عفان تخلف على رقية ، بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضا فضرب له بسهمه وأجره ، وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، رده رسول الله ﷺ من الروحاء حين بلغه خروج النفير من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية ، رده رسول الله ﷺ ، أيضا من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب له بسهمه ، زاد الواقدى : وأجره ، وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الصياح بن ثابت ، خرج مع رسول الله ﷺ فأصاب ساقه فصيل حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره ، قال الواقدى : وسعد أبو مالك تجهز ليخرج

---

(١) المتح النزول إلى البئر وملء الدلو منها وذلك إذا قل ماؤها ومنه قولهم :

أيها المائح دلوى دونكا ... إنى رأيت الناس يقصدونكا

فمات ، وقيل : إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره . وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ستة وهم : عبيدة بن الحارث بن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعمير بن أبى وقاص ، أخو سعد بن أبى وقاص الزهرى ، قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ، ويقال : إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى فأذن له فى الذهاب فقتل رضى الله عنه ، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعى ، وصفوان بن بيضاء ، وعاقل بن البكير الليثى حليف بنى عدى ، ومهجع ، مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ ، ومن الأنصار ثمانية وهم : حارثة بن سراقة ، رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث ـ ويقال : ابن فُسحم ـ وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر ابن عبد المنذر ، رضى الله عن جميعهم ، وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم ، قال ابن إسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بعزجة ـ ويقال : سبحة ـ وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب ، وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل إحداهما للمهاجرين على بن أبى طالب ، والتى للأنصار يحملها سعد بن عبادة وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذ .

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وقال الواقدى كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا وهذا التحديد يحتاج إلى دليل ، وقد تقدم فى بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم ، والله أعلم ، وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخارى عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك فى قصيدة له :

فأقام بالعطن المعطن منهم ... سبعون عتبة منهمُ والأسود

وقد حكى الواقدى الإجماع على ذلك وفيما قاله نظر ، فإن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا خلاف ذلك ، وهما من أئمة هذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحا بالنسبة إلى الحديث الصحيح ، والله أعلم ، وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء فى أحكامه جيداً ، وقد تقدم فى غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الأسود بن عبد الأسد

المخزومى ، وأول من فر وهو خالد بن الأعلم الخزاعى ـ أو العقيلى ـ حليف بنى مخزوم وما أفاده ذلك فإنه أسر وهو القائل فى شعره :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقـدامنـا يقـطر الـدم

فما صدق فى ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث قتلا صبراً بين يدى رسول الله ﷺ من بين الأسارى ، وقد اختلف فى أيهما قتل أولا على قولين وأنه ﷺ أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء منهم : أبو العاص بن الربيع الأموى ، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومى ، وصيفى بن أبى رفاعة كما تقدم ، وأبو عزة الشاعر ، ووهب بن عمير بن وهب الجمحى ، كما تقدم ، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لئلا يحابيه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال : لا تتركوا منه درهما ، وقد كان فداؤهم متفاوتا فأقل ما أخذ أربعمائة ، ومنهم من أُخِذ منه أربعون أوقية من ذهب ، قال موسى بن عقبة : وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب ، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم قال : قال داود حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال فجاء غلام يوما يبكى إلى أمه فقالت ما شأنك ؟ فقال : ضربنى معلمى ، فقالت : الخبيث يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه أبداً ، انفرد به أحمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله ولله الحمد والمنة .

فصل فى فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخارى فى هذا الباب : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فإن يك فى الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى فترى ما أصنع فقال : « ويحكِ ، أوهبلت ؟ أوجنة واحدة هى ؟ إنها جنان كثيرة وإنه فى جنة الفردوس » تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس ، وأن حارثة كان فى النظارة ، وفيه « إن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » وفى هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر ، فإن هذا

الذى لم يكن فى بحبوحة القتال ولا فى حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التى هى أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التى أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها ، فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً فى نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عَدداً وعُدداً ؟ .

ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن إسحاق بن راهويه عن عبد الله بن إدريس عن حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عُبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب قصة حاطب بن أبى بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ فى ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : « قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ولفظ البخارى « أليس من أهل بدر ؟ ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ أو قد غفرت لكم ـ » فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة عن الليث عن أبى الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً ، قال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ، إنه شهد بدراً والحديبية » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو بكر بن عياش حدثنى الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية » تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ورواه أبو داود عن أحمد بن سنان وموسى بن إسماعيل عن كليْهما عن يزيد بن هارون به ، وروى البزار فى مسنده حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله » ثم قال : لا نعلمه يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم .

وقال البخارى فى باب شهود الملائكة بدراً ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رافع الزرقى عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال :

جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة ، انفرد به البخارى .

فصل فى قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلى المدينة بعد وقعة بدر بشهر بمقتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص للنبى ﷺ كما تقدم

قال ابن إسحاق : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله ـ يعنى كما تقدم ـ بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه فقال : كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها فتأتيانى بها ، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر ـ أو شيعه (١) ـ فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز ، قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال : حدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهز لقيتنى هند بنت عتبة فقالت : يا ابنة محمد ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك ، فقالت أى ابنة عم لا تفعلى إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك فلا تضطنى منى ، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ، قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت : ولكنى خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، قال ابن إسحاق : فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهى فى هودج لها ، وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى الفهرى ، فروعها هبار بالرمح وهى فى الهودج وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهما ، فتكركر الناس عنه ، وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال ، يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا وأن ذلك ضعف منا ووهن ، ولعمرى مالنا بحبسها من أبيها من حاجة

---

(١) قوله أو شيعه : أى أو نحوا من شهر .

ومـالنا من ثؤرة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا وألحقها بأبيها، قال : ففعل ، وقد ذكر ابن إسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمهم على ذلك :

أفـى الـسلم أعياراً جفـاء وغلظة وفى الحـرب أشباه النسـاء العـوارك

وقد قيل : إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعدما قتل منهم الذين قتلوا ، قال ابن إسحاق : فأقامت ليال حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها ليلا على رسول الله ﷺ . وقد روى البيهقى فى الدلائل من طريق عمـر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة ، فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما فى بطنها وأن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجىء معـه فتلطف زيد فأعـطاه راعيا من مكة فأعطى الخاتم لزينب فلما رأته عرفته فقالت : من دفع إليك هذا ؟ قال : رجل فى ظاهر مكة فخرجت زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة ، قال : فكان رسول الله ﷺ يقول : « هى أفضل بناتى أصيبت فىّ » قال : فبلغ ذلك على بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال : ما حديث بلغنى أنك تحدثته ؟ فقال عروة : والله ما أحب أن لى ما بين المشرق والمغرب وأنى أنتقص فاطمة حقا هو لها وأما بعد ذلك أن لا أحدث به أبداً ، قال ابن إسحاق فقال فى ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف ، قال ابن هشام هى لأبى خيثمة :

أتـانى الـذى لايقـدر النـاس قدرَهُ * لزينـبَ فيهـم من عقـوقٍ ومَـأْثَـم
وإخـراجهـا لم يخـز فيهـا محمـدٌ * على مأقط وبـينـنـا عطر منـشـم
وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم * ومـن حربنـا فى رغـم أنـف ومنـدم
قرنـا ابنـه عمـراً ومـولى يمينـه * بذى حلق جلد الـصلاصـل محكم
فأقسـمتُ لاتـنـفـك منـا كتـائبٌ * سراة خمـيس من لهـام مسوم
نروع قريش الكفـر حتى نعلّهـا * بخـاطـمـةٍ فوق الأنوف بميسم
ننـزلـهـم أكنـافَ نجـدٍ ونخـلةٍ * وإن يتـهمـوا بالخيل والـرجـل نتهم
يد الـدهـر حتى لا يعـوّج سربنَـا * ونـلحـقـهـم آثـارَ عادٍ وجـرهـم
ويـنـدم قومٌ لم يُطِيعـوا محـمـداً * على أمـرهـم وأىّ حين تنـدم
فأبـلغ أبـا سفـيان إمّـا لقيتـهُ * لئـن أنـت لم تخلص سجـوداً وتسلم
فأبـشـر بخـزى فى الحياة معجَّـلٍ * وسـربـال قارٍ خالـداً فى جهـنـم

قال ابن إسحاق : ومولى يمين أبى سفيان الذى عناه الشاعر هو عامر بن الحضرمى ، وقال ابن هشام : إنما هو عقبة بن الحارث بن الحضرمى ، فأما عامر بن الحضرمى فإنه قتل يوم بدر ، قال ابن إسحاق : وقد حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن سليمان بن يسار عن أبى إسحاق الدوسى عن أبى هريرة ، قال : بعث النبى ﷺ سرية أنا فيها فقال : « إن ظفرتم بهبار بن الأسود والرجل الذى سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار » فلما كان الغد بعث إلينا فقال : « إنى قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لاينبغى لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن [1] ولم يخرجوه .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة أنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى بعث فقال : « إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار » ثم قال : حين أردنا الخروج : « إنى أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وأن النار لايعذب بها إلا الله ، فإن وجدتموها فاقتلوهما » وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص فى تجارة لقريش ، فلما قفل من الشام لقيته سرية فأخذوا مامعه وأعجزهم هربا وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته ، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فلمـا سلم رسـول الله ﷺ أقبـل على النـاس فقـال : « أيها الناس هل سمعتم الذى سمعت ؟ » قالـوا : نعم ! قال : « أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشىء حتى سمعت ما سمعتم ، وإنه يجير على المسلمين أدناهم » ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال : « أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له » قال : وبعث رسول الله ﷺ فحثهم على رد ما كان معه ، فردوه بأسره لا يفقد منه شيئاً ، فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة ، فأعطى كل إنسان ما كان له ، ثم قال : يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيا كريماً ، قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله مامنعنى عن الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ .

---

(١) كذا فى المصرية وفى الحلبية على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق : فحدثنى دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : رد عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأول ولم يحدث شيئاً ، وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق ، وقال الترمذى : ليس بإسناده بأس ، ولكن لانعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين . وقال السهيلى : لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت ، وفى لفظ : ردها عليه رسول الله ﷺ بعد ست سنين ، وفى رواية : بعد سنتين بالنكاح الأول ، رواه ابن جرير ، وفى رواية : لم يحدث نكاحاً ، وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء ، فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر ، فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة ، فإن أسلم فيها استمر على نكاحها ، وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها ، وزينب رضى الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سن ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان ، فمن قال : ردها عليه بعد ست سنين أى من حين هجرتها فهو صحيح ، ومن قال : بعد سنتين ، أى من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا ، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها فى هذه المدة التى أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الأول ؟ فقال قائلون : يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة يمين يتطرق إليها الاحتمال ، وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد بنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد .

قال الإمام أحمد : هذا حديث ضعيف واه ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمى ، والعرزمى لايساوى حديثه شيئا والحديث الصحيح الذى روى أن النبى ﷺ أقرها على النكاح الأول . وهكذا قال الدارقطنى : لايثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردها بالنكاح الأول ، وقال الترمذى : هذا حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردها بالنكاح الأول ، وقال الترمذى : هذا حديث فى إسناده مقال ، والذى عليه العمل عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت فى العدة ، وهو قول مالك ، والأوزاعى ، والشافعى ، وأحمد ، وإسحاق . وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن روى أنه جدد لها نكاحاً فضعيف ، ففى قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لاينفسخ بمجرد

ذلك ، بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره ، وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أى وقت كان ، وهى امرأته ما لم تتزوج ، وهذا القول فيه قوة ، وله حظ من جهة الفقه ، والله أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخارى حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين ، كانوا مشركى أهل الحرب يقاتلهم ويقاتلونه ، ومشركى أهل عهد لايقاتلهم ولايقاتلونه . فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حل لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ، ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بحروفه ، فقوله : فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضى أنها كانت تستبرىء بحيضة ولا تعتد بثلاثة قروء ، وقد ذهب قوم إلى هذا ، وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه يقتضى أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الأول مالم تنكح زوجا غيره ، كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبى ﷺ ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء والله أعلم .

فصـــــل فيما قيل من الأشعار فى غزوة بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهرِ ... وللحين أسبابٌ مبينةُ الأمرِ
وما ذاك إلا أن قومًا أفادهم ... فخافوا تواصٍ بالعقوقِ وبالكفرِ
عشيةَ راحوا نحو بدرٍ بجمعهم ... وكانوا رهوناً للركيةِ من بدرِ
وكنا طلبنا العيرَ لم نبغِ غيرَها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدرِ
فلما التقينا لم تكن مثنويةً ... لنا غيرَ طعنٍ بالمثقفة السمرِ
وضربٍ ببيضٍ يختلى الهام حدُّها ... مشهورةَ الألوانِ بينة الأثرِ
ونحن تركنا عتبةَ الغىّ ثاويًا ... وشيبةَ فى قتلى تجرجم فى الجفرِ
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حُماتِهم ... فَشُقَّتْ جيوبُ النائحاتِ على عمروِ
جيوبُ نساءٍ من لُؤَىّ بن غالبٍ ... كرامٍ تفرعن الذوائب من فهرِ

أولئك قوم قتّلوا فى ضلالهم وخلوا لواء غير مختصر النصر
لواء ضلالٍ قاد إبليسُ أهلَهُ فخاسَ بهم إنّ الخبيثَ إلى غدرِ
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحا برئتُ إليكم مابىّ اليومِ من صبرِ
فإنى أرى ما لا ترون وإننى أخافُ عقابَ اللهِ واللهُ ذو قَسرِ
فقدّمهم للحَيْنِ حتى تَوَرّطوا وكان بما لم يخبر القوم ذا خبرِ
فكانوا غداةَ البئرِ الفاً وجَمعنا ثلاث مئين كالمسدمة الزهرِ
وفينا جنودُ الله حين يمدّنا بهم فى مقام ثَمّ مستوضح الذكرِ
فَشَدّ بهم جبريلُ تحت لوائنا لدى مأزقٍ فيه منايا هم تجرِى

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمدا . وقال على بن أبى طالب وأنكرها ابن هشام .

ألم تر أن الله أبلى رسولَهُ بلاءَ عزيزٍ ذى اقتدار وذى فضلِ
بما أنزل الكفارَ دارَ مذلّةٍ فلاقَوْا هوانا من أسارٍ ومن قتلِ
فأمسى رسول الله قد عَزّ نصرُهُ وكان رسول الله أرسل بالعدلِ
فجاء بفرقانٍ من الله مُنْزَلٍ مُبَيَّنَةٍ آياتُهُ لذوى العقلِ
فآمنَ أقوامٌ بذاك وأيقنوا فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشملِ
وأنكر أقوامٌ فزاغتْ قلوبهم فزادهم ذو العرش خَبْلا على خَبْلِ
وأمكن منهم يوم بدرٍ رسولَهُ وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعلِ
بأيديهم بيض خفافٌ عصوا بها وقد حادثوها بالجلاء وبالصقلِ
فكم تركوا من ناشيءٍ ذى حميّةٍ صريعا ومن ذى نجدة منهم كهلِ
تبيتُ عيونُ النائحاتِ عليهمُ تجودُ بإسبال الرشاش وبالوبلِ
نوائح تنعى عتبة الغىّ وابنه وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهلِ
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم مسلبة حرى مبينة الثكلِ
ثوى منهم فى بئر بدر عصابةٌ ذوو نجداتٍ فى الحروب وفى المحلِ
دعا الغى منهم من دعا فأجابَهُ وللغى أسباب مرمقةُ الوصلِ
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزلٍ عن الشغب والعدوان فى أسفل السفلِ (١)

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضها من الحارث أيضا تركناها قصداً ، وقال كعب بن مالك :

---

(١) كذا فى المصرية وفى ابن هشام والحلبية : فى أشغل الشغل .

عجبتُ لأمر اللهِ واللهُ قادرٌ * على ما أراد ليس لله قاهرُ
قضى يوم بدر أنَ نلاقى معشراً * بغوا وسبيل البغى بالناس جائرُ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهمُ * من الناس حتى جمعهم متكاثرُ
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا * بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرُ
وفينا رسول الله والأوس حوله * له معقل منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمع بنى النجار تحت لوائه * يمشون فى الماذى والنقع ثائرُ
فلما لقيناهم وكل مجاهدٍ * لأصحابه مستبسلُ النفس صابرُ
شهدنا بأنّ الله لاربَّ غيرهُ * وأنّ رسولَ اللهِ بالحقِّ ظاهرُ
وقد عريت بيض خفاف كأنها * مقاييسُ يُزهيها لعينيكَ شاهرُ
بهنّ أبدنا جمعهم فتبدّدوا * وكان يلاقى الحَيْن من هو فاجرُ
فَكُبَّ أبو جهل صريعا لوجههِ * وعتبة قد غادرتُهُ وهو عاثرُ
وشيبة والتيمى غادرت فى الوغى * وما منهم إلا بذى العرش كافرُ
فأمسوا وقود النار فى مستقرها * وكل كفور فى جهنم صائرُ
تلظّى عليهم وهى قد شب حميها * بزُبُر الحديدِ والحجارةِ ساجرُ
وكان رسول الله قد قال اقبلوا * فولَّوْا وقالوا إنما أنت ساحرُ
لأمرٍ أراد الله أن يهلكواْ بِهِ * وليس لأمر حمّه الله زاجرُ

وقال كعب فى يوم بدر :

ألاهل أتى غسان فى نأى دارِها * وأخبر شيء بالأمور عليمُها
بأن قد رمتنا عن قسى عداوة * مُعَدٌّ معاً جهالها وحليمُها
لأنّا عبدنا الله لم نرجُ غيرَهُ * رجاء الجنانِ إذ أتانا زعيمُها
نبى له فى قومه إرث عزةٍ * وأعراقُ صدقٍ هذّبتها أرومُها
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا * أُسُودُ لقاءٍ لا يُرجى كليمُها
ضربناهُم حتى هوى فى مكرّنا * لمنخر سوءٍ من لؤىٍّ عظيمُها
فولوا ودسناهم ببيضٍ صوارمٍ * سواءٌ علينا حلفُها وصميمُها

وقال كعب أيضا :

لعمر أبيكما يا ابنى لؤى * على زهوٍ لديكم وانتخاءِ
لما حامت فوارسكم ببدرٍ * ولا صبروا به عند اللقاءِ
وردناه ونورُ الله يجلو * دجَى الظلماءِ عنّا والغطاءِ

رسول الله يقدمنا بأمرٍ * مِنَ آمر الله أُحْكِمَ بالقضاءِ
فما ظفرتْ فوارسكم ببدرٍ * وما رجعوا إليكم بالسواءِ
فلا تعجل أبا سفيان وارقبْ * جيادَ الخيلِ تطلعُ من كداءِ
بنصر الله روحُ القدسِ فيها * وميكالُ فيا طيبَ الملاءِ

وقال حسان بن ثابت : قال ابن هشام ، ويقال : هى لعبد الله بن الحارث السهمى

مستشعرى حلق الماذى يقدمهم * جلد النحيزة ماض غير رعديدِ
أعنى رسول إله الخلق فضلهُ * على البرية بالتقوى وبالجودِ
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم * وماء بدر زعمتم غيرَ مورودِ [١]
مستعصمين بحبلٍ غير منجذم * مستحكم من حبال الله ممدودِ
فينا الرسول وفينا الحق نتبعهُ * حتى المماتِ ونصرٌ غير محدودِ
وافٍ وماضٍ شهابٌ يُستَضاءُ بهِ * بدرٌ أنار على كل الأماجيدِ

وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا ليت شعرى هل أتى أهلَ مكةٍ * إبادتُنا الكفّارَ فى ساعةِ العسرِ
قتلنا سراة القوم عند مجالنا * فلم يرجعوا إلا بقاصمةِ الظهرِ
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله * وشيبة يكبو لليدين وللنحرِ
قتلنا سويداً ثم عتبة بعده * وطعمة أيضا عند ثائرة القترِ
فكم قد قتلنا من كريم مُسَوَّدٍ * له حسبٌ فى قومه نابهُ الذكرِ
تركناهمو للعاويات ينبنهم [٢] * ويصلون ناراً بعدُ حاميةَ القعرِ
لعمرك ما حامتْ فوارسُ مالكٍ * وأشياعِهم يوم التقينا على بدرِ

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فى يوم بدر فى قطع رجله فى مبارزته هو وحمزة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ، وأنكرها ابن هشام :

ستبلغ عنا أهل مكة وقعةٌ * يهبُّ لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة إذ ولى وشيبة بعدهُ * وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فإن تقطعوا رجلى فإنى مسلمٌ * أُرَجِّى بها عيشا من الله دانيا

---

(١) وبعده فى ابن هشام .

ثم وردنا لم نسمع لقولكم * حتى شربنا رواء غير تصريد

(٢) ينبنهم معناه يأتونهم مرة بعد مرة .

مع الحور أمثال التماثيل أخلصت * من الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعتُ بها عيشا تعرفتُ صفوهُ * وعاجلته حتى فقدت الأدانيا
فأكرمنى الرحمن من فضل مَنّه * بثوبٍ من الإسلام غطى المساويا
وما كان مكروهًا إلىّ قتالهمْ * غداةَ دعا الأكْفاءَ من كان داعيا
ولم يبغ إذ سألوا النبى سواءنا * ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالأُسْدِ تخطرُ بالقنا * نقاتل فى الرحمٰن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا * ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا (١)

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه قومه لا يقاتل دونهم :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة * تشفى الضجيع ببارد بسَّامِ
كالمسك تخلطه بماءِ سحابةٍ * أو عاتقٍ كدم الذبيح مُدامِ
نفج الحقيبة بوصها متنضد * بلهاء غير وشيكة الأقسامِ
بنيت على قطَن أجم كأنّهُ * فضلا إذا قعدت مداك رخامِ
وتكاد تكسل أن تجىء فراشها * فى جسم خرعبة وحسن قوامِ
أما النهار فلا أفتر ذكرها * والليل توزعنى بها أحلامى
أقسمتُ أنساها وأترك ذكرها * حتى تُغَيَّبَ فى الضريح عظامى
بل مَنْ لعاذلة تلوم سفاهةً * ولقد عصيتُ على الهوى لُوّامى
بكرتْ إلىّ بسحرةٍ بعد الكرَى * وتقارب من حادث الأيامِ
زعمت بأن المرء يكرب عمره * عدم لمعتكر من الأصرامِ
إن كنت كاذبةَ الذى حدّثْتِنى * فنجوت منجى الحارث بن هشامِ
تركَ الأحبّة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرّة ولجامِ
يذر العناجيج الجياد بقفرة * مر الذمول بمحصد ورجامِ
ملأت به الفرجين فارمدّت به * وثوى أحبته بِشَرٍّ مقامِ
وبنو أبيه ورهطه فى معرك * نصر الإله به ذوى الإسلامِ
طحنتهمُ والله ينفذ أمرَهُ * حرب يشب سعيرها بضرامِ
لولا الإله وجريها لتركنه * جزر السباع ودسنه بحوامِ

---

(١) قال الخشنى فى غريب السيرة : المنائيا ، أراد المنايا فزاد الهمزة وقد تكون منقلبة من الياء الزائدة فى منية .

من بين مأسور يشد وثاقهُ * صقر إذا لاقى الأسنة حامِ
ومجدل لا يستجيب لدعوةٍ * حتى تزولَ شوامخُ الأعلامِ
بالعارِ والذلِّ المبين إذا رأى * بيضَ السيوفِ تسوق كل همامِ
بيدى أغر إذا انتمي لم يخزه * نسب القصار سميدعٍ مقدامِ
بيض إذا لاقت حديداً صمّمت * كالبرق تحت ظلالٍ كلِّ غمامِ

قال ابن هشام تركنا فى آخرها ثلاثة أبيات أقذع فيها . قال ابن هشام فأجابه الحارث ابن هشام أخو أبى جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم (١) أعلم ما تركت قتالهمْ * حتى رموا فرسى (٢) بأشقر مزبدِ
وعرفتُ أنى إن أقاتل واحداً * أقتل ولا ينكى عدوّى مشهدى
فصددتُ عنهم والأحبةُ فيهمُ * طمعا لهم بعقاب يوم مفسدِ

وقال حسان أيضا :

ياحار قد عولت غير مُعَوّلٍ * عند الهياج وساعة الأحسابِ
إذا تمتطى سرح اليدين نجيبةً * مرطى الجِراء طويلة الأقرابِ
والقوم خلفك قد تركت قتالهم * ترجو النجاء وليس حين ذهابِ
ألا عطفت على ابن أمك إذ ثوى * قعص الأسنة ضائع الأسلابِ
عجل المليكُ له فأهلك جمعهُ * بشنار مخزية وسوء عذابِ

وقال حسان أيضا :

لقد علمتْ قريشٌ يومَ بدرٍ * غداةَ الأسرِ والقتلِ الشديدِ
بأنّا حين تشتجر العوالى * حماةُ الحربِ يومَ أبى الوليدِ
قتلنا ابنىْ ربيعة يوم سارا * إلينا فى مضاعفة الحديدِ
وفر بها حكيمٌ يوم جالتْ * بنو النجار تخطر كالأسودِ
وولتْ عند ذاك جموعُ فهرٍ * وأسلمها الحويرث من بعيدِ
لقد لاقيتمو ذلا وقتلاً * جهيزاً نافذا تحت الوريدِ
وكل القوم قد ولّوا جميعاً * ولم يلووا على الحسب التليدِ

---

(١) فى ابن هشام : الله أعلم .

(٢) كذا فى الحلبية، وفى ابن هشام : حتى حبوا مهرى ، وفى السهيلى ، علوا مهرى . وقوله فى البيت الثالث « يوم مفسد » الذى فى الشواهد يوم مرصد .

وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمّن الصفراء مجداً وسؤدداً * وحلماً أصيلا وافر اللبِّ والعقلِ
عبيدة فابكيه لأضياف غربةٍ * وأرملة تهوى لأشعث كالجذلِ
وبكّيه للأقوام فى كل شتوةٍ * إذا احْمَرَّ آفاقُ السماءِ من المحلِ
وبكّيه للأيتام والريحُ زفزفٌ * وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلى
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها * فقد كان يذكيهن بالحطب الجزلِ
لطارقِ ليلٍ أو لملتمسِ القرى * ومستنبح أضحى لديه على رِسْلِ

وقال الأموى فى مغازيه : حدثنى سعيد بن قطن ، قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب فى رؤياها التى رأت وتذكر بدراً :

ألمّا تكن رؤياى حقا ويأتكمْ * بتأويلها فلٌّ من القوم هاربُ
رأى فأتاكم باليقين الذى رأى * بعينيهِ ما تفرى السيوفُ القواضبُ
فقلتم ولم أكذب عليكم وإنما * يكذّبنى بالصدقِ من هو كاذبُ
وما جاء إلا رهبةَ الموت هاربا * حكيمٌ وقد أعيت عليه المذاهبُ
أقامت سيوف الهند دون رءوسكم * وخطية فيها الشبا والتغالبُ
كأن حريق النار لمع ظباتها * إذا ما تعاطتها الليوث المشاغبُ
ألا بأبى يوم اللقاء محمداً * إذا عض من عون الحروب الغواربُ
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم * كفاحا كما تمرى السحاب الجنائبُ
فكم بردت أسيافه من مليكةٍ * وزعزع ورد بعد ذلك صالبُ
فما بال قتلى فى القليب ومثلهم * لدى ابن أخى أسرى له ما يضاربُ
فكانوا نساء أم أتى لنفوسهم * من الله حَيْنٌ ساق والحيْن حالبُ
فكيف رأى عند اللقاء محمداً * بنو عمه والحرب فيها التجاربُ
ألم يغشكم ضربا يحار لوقعه الـ * ـجبان وتبدو بالنهار الكواكبُ
حلفت لئن عادوا لتصطلينهم * بحاراً تردى تجربتها المقانبُ
كأن ضياءَ الشمسِ لمع ظباتها * لها من شعاعِ النور قرنٌ وحاجبُ

وقالت عاتكة أيضا فيما نقله الأموى :

هلا صبرتم للنبى محمدٍ * ببدرٍ ومن يغشى الوغى حق صابر
ولم ترجعوا عن مرهفاتٍ كأنها * حريقٌ بأيدى المؤمنين بواتر
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتمو * قليلا بأيدى المؤمنين المشاعر

وولیتمو نفراً وما البطل الذی * یقاتل من وقع السلاح بنافر
أتاكم بما جاء النبيون قبله * وما ابن أخى البر الصدوق بشاعر
سيكفى الذى ضيعتمو من نبيكم * وينصره الحيان عمرو وعامر (١)

وقال طالب بن أبى طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثى أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ ذاك :

ألا إن عينى أنفدت دمعها سكبا * تبكى على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعبا فى الحروب تخاذلوا * وأرداهمو ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكى للملمات غدوة * فياليت شعرى هل أرى لهم قربا (٢)
فيا أخوينا عبد شمس ونوفل * فدا لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ود وإلفة * أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس * وحرب أبى يكسوم إذ ملأوا الشعبا (٣)
فلولا دفاع الله لاشىء غيره * لأصبحتمو لا يمنعون لكم سربا
فما إن جنينا فى قريش عظيمة * سوى أن حمينا خير من وطىء التربا
أخا ثقة فى النائبات مرزءا * كريما ثناه لا بخيلا ولا ذربا
يطيف به العافون يغشون بابه * يؤمون نهراً لا نزوراً ولا صربا
فوالله لاتنفك نفسى حزينة * تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

---

(١) فى الشعر إقواء .

(٢) وأورد ابن هشام بعد هذا البيت :

هما أخوای لم یعدا لغیة * تعد ولن يستام جارهما غصبا

(٣) كذا فى الأصلين ، وفى ابن هشام : وجيش أبى يكسوم إذ ملأ الشعبا .

فصـــــــل

وقد ذكر ابن إسحاق أشعارا من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بـدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخى بنى محارب بن فهر وقد أسلم بعد ذلك والسهيلى فى روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك

عجبتُ لفخر الأوسِ والحيْن دائرٌ * عليهم غداً والـدهـرُ فيه بصـائـرُ
وفخـر بنى النجار إن كان معشر * أصـيبـوا ببـدر كلهـم ثَمَّ صائـرُ
فإن تك قتلى غودرت من رجـالنـا * فإن رجـالا بعـدهـم سنـغـادرُ
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم * بنى الأوس حتى يشفى النفسَ ثائـرُ
ووسط بنى النجـار سوف نكرهـا * لهـا بالـقـنـا والـدارعين زوافـرُ
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم * ولـيس لهـم إلا الأمـانـىّ ناصـرُ
وتبكيهم من أرض يثـرب نسـوة * لهـن بهـا ليل عن الـنـوم ساهـرُ
وذلـك أنـا لاتـزال سيوفـنـا * بهـن دم ممـن يحـاربـن مائـرُ
فإن تظفـروا فى يوم بدر فإنـمـا * بأحمـد أمسى جدكم وهـو ظاهـرُ
وبـالـنـفـر الأخيار هم أولياؤه * يحـامـون فى اللأواء والموتُ حاضرُ
يعـد أبـو بكـر وحـمـزة فيهـم * ويدعـى على وسط من أنت ذاكـرُ
أولئـك لا من نتجت من ديارهـا * بنـو الأوس والنجـار حين تفـاخـرُ
ولـكـنْ أبـوهم من لؤى بن غالب * إذا عدت الأنسـاب كعب وعـامـرُ
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك * غداة الـهياج الأطيبـون الأكـابـرُ

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التى أسلفناها وهى قوله :

عجـبـت لأمـر الله والله قادر * على ما أراد ليس لله قاهـرُ

قال ابن إسحاق : وقال أبو بكر واسمه شداد بن الأسود بن شعوب .

قلت : وقد ذكر البخارى أنه خلف على امرأة أبى بكر الصديق حين طلقها الصديق وذلك لما حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

تحـيى بالـسلامـة أم بكـر * وهـل لى بعـد قومى من سلام

فمــاذا بالـقــليب قليبِ بدر * من القينـات والشـرب الكرامِ
ومــاذا بالـقــليب قليب بدر * من الـشيزى تكـلل بالـسـنـامِ
وكـم لك بالـطوى طوى بدر * من الحـومات والنعم المسامِ
وكـم لك بالـطوى طوى بدر * من الغـايات والـدسع العظامِ
وأصحــاب الكــريم أبى على * أخى الكـأس الكـريمة والندامِ
وإنـك لو رأيت أبـا عقـيل * وأصحـاب الـثـنية من نعـامِ
إذاً لظللت من وجـد عليهـم * كأمٍّ الـسـقـبِ جائـلة الـمـرامِ
يخبـرنـا الـرسول لسوف نحيا * وكـيف حياة أصـداء وهـامِ

قلت : وقد أورد البخارى بعضها فى صحيحه ليعرف به حال قائلها . قال ابن إسحاق وقال أمية بن أبى الصلت يرثى من قتل من قريش يوم بدر :

ألا بكـيت على الـكـرا * م بنى الكـرام أولى الممـادح
كبـكـا الـحـمـام على فرو * ع الأيك فى الغصن الجـوائح
يبـكـين حراً مسـتـكـيـ * ـنـات يرحـن مع الـروائـح
أمثـالـهـن الـبـاكـيـــا * ت الـمـعـولات من الـنـوائـح
من يبـكـهـم يبـكى علـى * حزن ويصـدق كل مــادح
ماذا بـبـدر والـعـقـنـ * ـقـل من مرازبـة جحـاجـح
فمـدافـع الـبـرقـين فالـــ * ـحـنـان من طرف الأواشـح
شمط وشـــبـان بهـــا * ليل مغـاوير وحـــاوح
ألا ترون لمـــا أرى * ولـقـد أبـان لكـلٍّ لامـح
أن قد تغـير بطـن مكـــ * ـة فهـى موحشـة الأبـاطـح
من كل بطريق لبـطـــ * ـريق نقـى الـود واضـح
دعـمـوص أبـواب الـمـلـو * ك وجـائـب للخـرق فاتـح
ومن الـسـراطـمـة الخـلا * جمـة الـمـلاوثـة المناجـح
الـقـائـليـن الـفـاعـلـــ * ـين الآمـرين بكـل صالـح
الـمـطـعـمين الـشـحم فـو * ق الخبـز شـحمـا كالأنـافـح
نقـل الـجـفــان مع الجفـا * ن إلى جفـان كالـمـنـاضـح
ليســت بأصـفـار لمـن * يعـفـو ولا رح رحـارح
للضـيف ثم الـضـيف بعـــ * ـد الضيف والبسـط السلاطح

وهـب الـمئين من الـمئـ * ـين إلى المئين من اللواقح
سوق الـمؤبـل للمؤبـ * ـل صادرات عن بلادح
لكرامهـم فوق الكـرا * م مزية وزن الرواجح
كمثـاقـل الأرطـال بالـ * ـقسطاس بالأيدى الموائح
خذلَتْهمـو فئة وهـم * يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقـدميـ * ـة بالمهندة الصفائح
ولقـد عنانى صوتهـم * من بين مستسق وصائح
لله دَرُّ بنى عـ * ـلى أيم منهم وناكح
إن لم يغيـروا غارة * شعواء تحجر كل نابح
بالمقربـات المبعـدا * ت الطامحات مع الطوامح
مرداً على جرد إلـى * أسد مكالبة كوالح
ويلاق قرن قرنـه * مشى المصافح للمصافح
بزهـاء ألف ثم ألـ * ـف بين ذى بدن ورامح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ (١) .

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذى حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبى جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللئام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله فخر البشر ومن وجهه أنور من القمر ذى العلم الأكمل والعقل الأشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات وبذل الألوف والمئات فى طاعة رب الأرض والسموات ، وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والإسلام رضى الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام ، وما تعاقبت الليالى والأيام . وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردها ابن إسحاق رحمه الله خوف الإطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية ولله الحمد والمنة .

وقد قال الأموى فى مغازيه سمعت أبى حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهلية . قال سليمان : فذكر ذلك الزهرى فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التى ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الأعشى التى يذكر فيها الأحوص . وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك والله أعلم .

---

(١) يوجد فى بعض هذه القصائد اختلاف وتحريف اعتمدنا فى تصحيحه على ابن هشام

فصـــــل فى غزوة بنى سليم فى سنة ثنتين من الهجرة النبويــة

قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر فى عقب شهر رمضان ـ أو فى شوال ـ ولما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ـ أو ابن أم مكتوم الأعمى ـ قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له : الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى فى إقامته تلك جل الأسارى من قريش .

فصـــــل

غزوة الســـويق فى ذى الحجة منها وهى غزوة قرقرة الكدر

قال السهيلى : والقـرقرة الأرض الملساء ، والكدر طير فى ألوانها كدرة . قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج فى مائتى راكب من قريش لتبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له : نيب من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل فأتى حييّ بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجـالا من قريش فأتـوا ناحية منها يقال لها : العريض فحرقوا فى أصوار من نخل بها ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفا له فى حرث لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، قال ابن إسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخففون منها وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق . قال المسلمون : يارسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال : نعم . قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودى :

وإنى تخيرت المدينة واحداً * لحلف فلم أندم ولم أَتَلَوَّمِ
سقانى فروّانى كميتا مدامة * على عجلٍ منى سلام بن مشكمِ
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن * لأفرجه أَبْشِرْ بعزٍّ ومغنمِ
تأمل فإن القوم سر وإنهم * صريح لؤى لا شماطيط جرهمِ
وما كان إلا بعض ليلة راكب * أتى ساعيا من غير خلة معدمِ

فصل

في دخول على بن أبى طالب رضى الله عنه على زوجته فاطمة ، بنت رسول الله ﷺ ، وذلك فى سنة ثنتين بعد وقعة بدر ، لما رواه البخارى ومسلم من طريق الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على ، عن على بن أبى طالب قال : كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر ، وكان النبى ﷺ أعطانى شارفا مما أفاء الله من الخمس يومئذ فلما أردت أبتنى بفاطمة بنت النبى ﷺ واعدت رجلا صوّاغا من بنى قينقاع أن يرتحل معى فنأتى بإذخر ، فأردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به فى وليمة عرسى ، فبينا أنا أجمع لشارفىّ من الأقتاب والغرائز والحبال ، وشارفاى مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفى قد أجبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عينى حين رأت المنظر فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت وهو فى شرب من الأنصار وعنده قينته وأصحابه ، فقالت فى غنائها :

* ألا ياحمز للشُّرُف النواء *

فوثب حمزة إلى السيف فأجب أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما ، قال على : فانطلقت حتى أدخل على النبى ﷺ وعنده زيد بن حارثة فعرف النبى ﷺ الذى لقيت ، فقال : مالك ؟ فقلت : يارسول الله ، ما رأيت كاليوم ، عدا حمزة على ناقتىَّ فأجب أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى البيت معه شرب ، فدعا النبى ﷺ بردائه فارتداه ثم انطلق يمشى واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذى فيه حمزة فاستأذن عليه فأذن له ، فطفق النبى ﷺ يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة ثملٌ محمرة عيناه ، فنظر حمزة إلى النبى ﷺ ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم إلا عبيد لأبى ، فعرف النبى ﷺ أنه ثمل ، فنكص رسول الله ﷺ على

عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه . هذا لفظ البخارى فى كتاب المغازى وقد رواه فى أماكن أخر من صحيحه بألفاظ كثيرة .

وفى هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خمست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم ابن سلام فى كتاب الأموال من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها وقد خالفه فى ذلك جماعة منهم البخارى وابن جرير وبينا غلطه فى ذلك فى التفسير وفيما تقدم والله أعلم وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضى الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتى وذلك قبل تحريم الخمر ، والله أعلم . وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا فى طلاق ولا إقرار ولا غيره ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرر فى كتاب الأحكام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عليا يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فقلت : ما لى من شىء ، ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شىء ؟ » قلت : لا ، قال : « فأين درعك الخطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » قال : هى عندى ، قال : فأعطنيها ، قال : فأعطيتها إياه هكذا رواه أحمد فى مسنده ، وفيه رجل مبهم ، وقد قال أبو داود : حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقانى حدثنا عبدة حدثنا سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما تزوج علىٌّ فاطمة رضى الله عنهما قال له رسول الله ﷺ : أعطها شيئاً ، قال : ما عندى شىء قال : أين درعك الخطمية ؟ ورواه النسائى عن هارون بن إسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبى عروبة عن أيوب السختيانى به . وقال أبو داود : حدثنا كثير بن عبيد الحمصى حدثنا أبو حيوة عن شعيب بن أبى حمزة حدثنى غيلان بن أنس من أهل حمص حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئا ، فقال : يارسول الله ليس لى شىء ، فقال له النبى ﷺ : « أعطها درعك » فأعطاها درعه ثم دخل بها .

وقال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن على قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى : هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا ، قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك ، فقلت : وعندى شىء أتزوج

به ؟ فقالت : إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك ، قال : فوالله مازالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ، ألك حاجة ؟ » فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ، فقلت : نعم ! فقال : « وهل عندك من شيء تستحلها به ؟ » فقلت : لا والله يارسول الله ، فقال : « ما فعلت درع سلحتكها » فو الذى نفس على بيده إنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندى . فقال : قد زوجتكها ، فابعث إليها بها فاستحلها بها ، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فولدت فاطمة لعلى حسنا وحسينا ومحسنا ـ مات صغيراً ـ وأم كلثوم وزينب ، ثم روى البيهقى من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن على قال : جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل وقربة ووسادة أدم حشوها إذخر ، ونقل البيهقى عن كتاب المعرفة لأبى عبد الله بن منده أن علياً تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها فى أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير ، فيكون ذلك كما ذكرناه فى أواخر السنة الثانية ، والله أعلم .

فصـــــل

فى ذكر جمل من الحوادث فى سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه ﷺ بعائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها ، وذكرنا ماسلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين ، فكان ممن توفى فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجرى وأنصارى تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، لعنه الله ، كما تقدم ، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله ﷺ قد

توفيت وساووا عليها التراب ، وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبى ﷺ له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه فى مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان : ذو النورين ، ويقال : إنه لم يغلق أحد على ابنتى نبى واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه ، وفيها حولت القبلة ، كما تقدم ، وزيد فى صلاة الحضر ، على ماسلف ، وفيها فرض الصيام صيام رمضان ، كما تقدم ، وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر ، وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانعوا المسلمين ، وأظهر الإسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم فى الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فبقى مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله فى كتابه .

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله ﷺ المعاقل وكانت معلقة بسيفه ، قال ابن جرير : وقيل : إن الحسن بن على ولد فيها ، قال : وأما الواقدى فإنه زعم أن ابن أبى سبرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر أن على بن أبى طالب بنى بفاطمة فى ذى الحجة منها ، قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحه فالقول الأول باطل .

تم بعون الله الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة

البداية والنهاية

لشيخ الإسلام
الإمام الحافظ المفسّر المؤرخ
عماد الدين أبي الفدا إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشي، الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

طبعة جديدة محققة ومصححة

الجزء الرابع

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث من الهجرة

فى أولها كانت غزوة نجد . ويقال لها : غزوة ذى أَمَر . قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهى غزوة ذى أمر . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يلق كيداً . وقال الواقدى : بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان ، من بنى ثعلبة بن محارب ، تجمعوا بذى أمر يريدون حربه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتى عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلا ، وهربت منه الأعراب فى رءوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله ﷺ ، فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف ، وذلك بمرأى من المشركين ، واشتغل المشركون فى شئونهم ، فبعث المشركون رجلا شجاعاً منهم يقال له : غورث ابن الحارث ، أو دعثور بن الحارث ، فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد ، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد ، من يمنعك منى اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ فقال : من يمنعك منى ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه . فلما رجع إلى أصحابه ، فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرت إلى رجل طويل فدفع فى صدرى ، فوقعت لظهرى ، فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليه جمعاً ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام . قال : ونزل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم** ﴾ (١) الآية . قال البيهقى : وسيأتى فى غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه ، فلعلهما قصتان .

---

(١) الآية : ١١ من سورة المائدة .

قلت : إن كانت هذه محفوظة فهى غيرها قطعاً ، لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ، ولم يكن عاهد النبى ﷺ أن لا يقاتله ، والله أعلم .

غزوة الفرع من بحـــــــــران

قال ابن إسحـاق : فأقـام ﷺ بالمدينة ربيعاً الأول كله أو قليلا منه ، ثم غدا يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحران ، وهو معدن بالحجاز من ناحية الفُرُع . وقال الواقدى : إنما كانت غيبته عليه الصلاة والسلام عن المدينة عشرة أيام ، فالله أعلم .

خبر يهـــود بنى قينقـــاع من أهل المدينــــة

وقد زعم الواقدى أنها كانت فى يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة ، فالله أعلم ، وهم المـرادون بقـوله تعالى : ﴿ **كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم** ﴾ (١) قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بنى قينقاع . قال : وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ جمعهم فى سوقهم ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم . فقالوا : يا محمد ، إنك ترى أنّا قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿ **قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا** ﴾ يعنى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿ **فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ (٢) قال ابن إسحاق :

---

(١) الآية : ١٥ من سورة الحشر .

(٢) آيتا : ١٢ ، ١٣ من سورة آل عمران .

وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : فذكر عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبى عون ، قال : كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ هناك منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديا ، فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود ، فأغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع ، قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن فى موالىَّ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن فى موالى ، فأعرض عنه ، قال : فأدخل يده فى جيب درع النبى ﷺ . قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفضول ، فقال له رسول الله ﷺ : أرسلنى ، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللا ، ثم قال : ويحك ، أرسلنى ، قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى : أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر . قال : فقال له رسول الله ﷺ : هم لك .

قال ابن هشام واستعمل رسول الله ﷺ فى محاصرته إياهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق . وحدثنى أبى عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله ابن أبىّ وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بنى عوف له من حلفهم مثل الذى لهم من عبد الله بن أبىّ ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، قال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : فيه ، وفى عبد الله بن أبىّ نزلت الآيات من سورة المائدة : ﴿ **يٰأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض** ﴾ الآيات ، حتى قوله : ﴿ **فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة** ﴾

يعنى عبد الله بن أبىّ ، إلى قوله : ﴿ ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ (١) يعنى عبادة بن الصامت . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير .

سـريـة زيد بن حارثـة

إلى عِير قريش صحبة أبى سفيان أيضاً ، وقيل : صحبة صفوان ، قال يونس عن بُكَيْر عن ابن إسحاق : وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر . قال ابن إسحاق : وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهى عُظم تجارتهم واستأجروا رجلا من بكر بن وائل يقال له : فرات بن حيان ، يعنى العجلى ، حليف بنى سهم ، ليدلهم على تلك الطريق . قال ابن إسحاق فبعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة فلقيهم على ماء يقال له : القردة فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله ﷺ ، فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

دَعُوا فلجاتِ الشام قد حال دونها * جلاد كأفواه المخاض الأواركِ
بأيدى رجالٍ هاجروا نحو ربِّهم * وأنصاره حقاً وأيدى الملائكِ
إذا سلكَت للغَوْرِ من بطن عالج * فقولا لها ليس الطريق هنالكِ

قال ابن هشام : وهذه القصيدة فى أبيات لحسان ، وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث ، وقال الواقدى : كان خروج زيد بن حارثة فى هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية ، وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبى الحقيق فى بنى النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم فشربوا ، وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال ، فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال ، وإنما أسروا رجلا أو رجلين وقدموا بالعير فخمسها رسول الله ﷺ فبلغ خمسها عشرين ألفاً ، وقسم أربعة أخماسها على السرية ، وكان فيمن أسر : الدليل ، فرات بن حيان

---

(١) الآيات : ٥١ - ٥٦ من سورة المائدة .

فأسلم رضى الله عنه ، قال ابن جرير : وزعم الواقدى أن فى ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وأدخلت عليه فى جمادى الآخرة منها .

مقتـــــل كعب بن الأشــــرف اليهــودى

وكـان من بنى طيء ثم أحد بنى نبهان ولكن أمه من بنى النضير . هكذا ذكره ابن إسحـاق قبـل جلاء بنى النضير ، وذكـره البخـارى والبيهقى بعـد قصـة بنى النضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق لما سيأتى ، فإنى بنى النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحد وفى محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه بطريقه إن شاء الله .

قال البخارى فى صحيحه : « قتل كعب بن الأشرف » حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ : مَنْ لكَعب بن الأشرف ، فإنه قد آذى الله ورسوله ، فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم ، قال : فأذنْ لى أن أقول شيئاً ، قال : قل ، فأتاه (١) محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وأنه قد عَنَّانا ، وإنى أتيتك أستسلفك ، قال : وأيضاً والله لتملُّنَّه ، قال : إنا قد اتبعناه فلا نحبُّ أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنـه ، وقد أردنا أن تسلفنا ، قال : نعم ، ارهنونى ، قلت : أى شيء تريد ؟ قال : ارهنـونى نسـاءكم ، فقـالـوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فارهنونى أبناءكم ، فقالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال : رُهِن بوسق أو وسقين ، هذا عار علينا ، ولكن نرهنك اللأمة . قال سفيان يعنى السلاح ، فواعده أن يأتيه ليلا ، فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة ، وهو أخو كعب من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمرو قالت : أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم ، قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ، إن الكـريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب ، قال : ويُدْخِل محمد بن مسلمة معه رجلين فقال : إذا ما جاء فإنى مائل بشعره فأشمه ، فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مرة : ثم أشمكم ، فنزل إليهم متوحشاً وهو ينفح منه ريح الطيب ، فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً ، أى أطيب ، وقال غير عمرو : قال عندى أعطر نساء العرب وأجمل العرب ، قال عمرو : فقال : أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال : نعم ، فشمه ثم أشم

---

(١) يقصد أن محمد بن مسلمة أتى كعب بن الأشرف فقال : . . . [دار الغـد] .

أصحابه ، ثم قال : أتأذن لى ؟ قال : نعم ، فلما استمكن منه قال : دونكم ، فقتلوه ، ثم أتوا النبى ﷺ فأخبروه .

وقال محمد بن إسحاق : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طىء ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير ، أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد ابن حارثة وعبد الله بن رواحة قال : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبَطْنُ الأرض خير من ظهرها ، فلما تيقن عدو الله الخبر خرج إلى المدينة فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن ضبيرة السهمى وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر ، فذكر ابن إسحاق قصيدته التى أولها :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله * ولمثل بدر تستهل وتدمعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره، ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه . وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف ، أحد بنى النضير أو فيهم ، قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء وركب إلى قريش فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك ، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى فى رأيك وأقرب إلى الحق ؟ إنا نطعم الجزور الكوماء ونسقى اللبن على الماء ونطعم ما هبَّت الشمال ، فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلا . قال : فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً** ﴾ (١) وما بعدها .

قال موسى ومحمد بن إسحاق : وقدم المدينة يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب ، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ ، وجعل يشبب بأم الفضل بنت الحارث، وبغيرها من نساء المسلمين . قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة : مَنْ لابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة ، أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : فافعل إن قدرت على ذلك ، قال : فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا

---

(١) آيتا : ٥١ ، ٥٢ من سورة النساء .

يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب فقال يارسول الله قلت لك قولا لاأدرى هل أفى لك به أم لا قال: إنما عليك الجهد ، قال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا أن نقول ، قال : فقولوا ما بدا لكم ، فأنتم فى حل من ذلك ، قال : فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وَقْش ، وهو أبو نائلة أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعباد بن بشر بن وَقْش ، أحد بنى عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، أحد بنى عبد الأشهل ، وأبو جبير أخو بنى حارثة .

قال : فقدّموا بين أيديهم إلى عدو الله ، كعب ، سلكان بن سلامة ، أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً وكان أبو نائلة يقول الشعر ـ ثم قال : ويحك يا بن الأشرف ، إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها فاكتم عنى ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا ، فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر يصير إلى ما أقول ؛ فقال له سلكان : إنى قد أردتُ أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك ، قال : ترهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تفضحنا ، إن معى أصحابا لى على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها ، فقال : إن فى الحلقة لوفاء .

قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره . وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه : فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته وهو فى ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : أنت امرؤ مُحارَب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائماً ما أيقظنى . فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشر ، قال : يقول لها كعب : لو دُعى الفتى لطعنة لأجاب ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شِعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام

يده فى فود رأسه ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودى رأسة ثم قال : اضربوا عدو الله ! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا فى سيفى فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه النار ، قال : فوضعته فى ثُنَّتِهِ ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح فى رجله أو فى رأسه أصابه بعض سيوفنا ، قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بُعاث حتى أسندنا فى حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل ، وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

قال ابن جرير : وزعم أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : وفى ذلك يقول كعب بن مالك :

فغـودر منـهـمُ كعب صريعـاً ... فذلّـتْ بعـد مصرعـهِ الـنضيرُ
على الـكـفين ثَمَّ وقـد علتـهُ ... بأيدينـا مشـهـرة ذكـورُ
بأمـر محـمـد إذ دَسَّ ليلا ... إلـى كعـب أخـا كعـب يسـيرُ
فمـاكـرَهُ فأنـزلـهُ بمـكـرٍ ... ومـحـمـود أخـو ثقـة جسـورُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات له فى يوم بنى النضير ستأتى .

قلت : كان قتل كعب بن الأشرف على يدى الأوس بعد وقعة بدر ، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبى الحقيق بعد وقعة أحد ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله وبه الثقة ، وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت :

لله در عصـابـةٍ لاقـيتَـهُـمْ ... يابـن ٱلْـحـقيق وأنت يابن الأشـرف
يسـرون بالبيض الخفـاف إليكم ... مرحـاً كأُسْـدٍ فى عرين مغـرفِ
حتـى أتـوكم فى محـل بلادكم ... فسـقـوكـم حتـفـاً ببيض ذُفَّـفِ
مستـبصـرين لنصـر دين نبيهم ... مستصغرين لكل أمـر مجـحـفِ

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله ﷺ : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب

عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسى على ابن سنينة ـ رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم ـ فقتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدوّ الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله . قال محيصة : فقلت والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ، قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويصة ، وقال : والله لو أمرك محمد بقتلى لتقتلنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها ، قال : فوالله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة . قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا الحديث مولى لبنى حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها . وقال فى ذلك محيصة :

يلومُ ابنُ أُمّ لو أُمِرتُ بقتلهِ ... لطبقت ذفراه بأبيض قارب
حسام كلون الملح أخلص صقله ... متى ما أصوّبه فليس بكاذبِ
وما سّرنى أنى قتلتُكَ طائعاً ... وأنّ لنا ما بين بُصرى ومأربِ

وحكى ابن هشام عن أبى عبيدة عن أبى عمرو المدنى أن هذه القصة كانت بعد مقتل بنى قريظة ، فإن المقتول كان كعب بن يهوذا، فلما قتله محيصة عن أمر سول الله ﷺ يوم بنى قريظة قال له أخوه حويصة ما قال ، فرد عليه محيصة بما تقدم ، فأسلم حويصة يومئذ . فالله أعلم .

تنبيه : ذكر البيهقى والبخارى قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازى ، وبرهانه أن الخمر حرمت ليالى حصار بنى النضير ، وثبت فى الصحيح أنه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالا ، وإنما حرمت بعد ذلك فتبين ما قلناه من أن قصة بنى النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم .

تنبيه آخر : خبر يهود بنى قينقاع بعد وقعة بدر ، كما تقدم ، وكذلك قتل كعب ابن الأشرف اليهودى على يد الأوس، وخبربنى النضير بعد أحد كما سيأتى ، وكذلك مقتل أبى رافع اليهودى تاجر أهل الحجاز على يدى الخزرج ، وخبر يهود بنى قريظة بعد الأحزاب وقصة الخندق ، كما سيأتى .

غزوة أحـــد فى شـــــوال ســــنة ثلاث

فائدة ذكرها المؤلف في تسمية أُحُد ، قال : سمى أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال ، وفى الصحيح « أُحد جبل يحبنا ونحبه » قيل : معناه أهله ، وقيل : لأنه كان يبشره بقرب أهله إذا رجع من سفره كما يفعل المحب ، وقيل : على ظاهره كقوله ﴿ **وإن منهـا لمـا يهبط من خشية الله** ﴾ [1] وفى الحديث عن أبى عبس بن جبر « أُحد يحبنا ونحبه ، وهو على باب الجنة ، وعير يبغضنا ونبغضه ، وهو على باب من أبواب النار » قال السهيلى ، مقويا لهذا الحديث : وقد ثبت أنه ﷺ قال « المرء مع من أحب » وهذا من غريب صنع السهيلى ، فإن هذا الحديث إنما يراد به الناس ولا يسمى الجبل امرءاً .

وكانت هذه الغزوة فى شوال سنة ثلاث ، قاله الزهرى وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد ابن إسحاق ومالك ، قال ابن إسحاق : للنصف من شوال ، وقال قتادة : يوم السبت الحادى عشر منه ، قال مالك : وكانت الوقعة فى أول النهار ، وهى على المشهور التى أنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تُبَوِّىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم . إذ همت طائفتـان منكم أن تفشـلا والله وليهمـا وعلى الله فليتـوكل المؤمنـون . ولقـد نَصَـركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين** ﴾ [2] الآيات وما بعدها إلى قوله تعالى : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب** ﴾ [3] وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله فى كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

ولنذكر ههنا ملخص الوقعة مما ساقه محمد بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن ، رحمه الله ، وكان من حديث أُحد كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى ابن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أُحد ، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا أو من قال منهم : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش

---

(١) الآية : ٧٤ من سورة البقرة .

(٢) الآيات : ١٢١ ـ ١٢٥ من سورة آل عمران .

(٣) الآية : ١٧٩ من سورة آل عمران .

أصحاب القليب ورجع فلّهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إنَّ محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم كما ذكر لى بعض أهل العلم أنزل الله تعالى : ﴿ **إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ (١) قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك : أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد مَنَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة فى الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد منّ علىّ فلا أريد أن أظاهر عليه ، قال : بلى ، فأعنا بنفسك فلك الله إن رجعت أن أغنيك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة يسير ويدعو بنى كنانة ويقول :

أيا بنى عبد مناة الرزامْ * أنتم حماةٌ وأبوكم حامْ
لا يعدونى نصركم بعد العامْ * لا تسلمونى ، لا يحل إسلامْ

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويقول :

يا مال مال الحسب المقدمِ * أنشد ذا القربى وذا التذممِ
من كان ذا رحم ومن لم يرحمِ * الحلف وسط البلد المحرمِ
عند حطيم الكعبة المعظمِ

قال : ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له : وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطىء بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق . قال : فخرجت قريش بحدها وحديدها

---

(١) الآية : ٣٦ من سورة الأنفال .

وجدّها وأحابيشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته ، هند بنت عتبة بن ربيعة ، وخرج عكرمة بن أبى جهل بزوجته ، ابنة عمه أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجته ، فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج ، وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو ، وذكر غيرهم ممن خرج بامرأته . قال : وكان وحشى كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول : ويهاً أبا دسمة اشف واشتف ، يعنى تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب .

قال : فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلون قال لهم : قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأوّلتها المدينة .

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهَلى إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب ، ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها ، أيضاً ، بقراً والله خير ، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر » .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى ابن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ، قال : تعقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ، قال ابن عباس ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيه أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها ، فقال له الناس ، لم يكونوا شهدوا بدراً : نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأُحد ، ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر ، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول الله ، أقم ، فالرأى رأيك . فقال لهم : ما ينبغى لنبى أن يضع أداته بعدما لبسها حتى يحكم

الله بينه وبين عدوه . قال : وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الأداة : إنى رأيت أنى فى درع حصينة فأولتها المدينة وأنى مردف كبشاً وأوَّلته كبش الكتيبة ، ورأيت أن سيفى ذا الفقار فلّ فأولته فلاً فيكم ، ورأيت بقراً يذبح فبقر والله خير » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه به .

وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس مرفوعاً ، قال : رأيت فيما يرى النائم كأنى مردف كبشاً ، وكأن ضبة سيفى انكسرت ، فأولت أنى أقتل كبش القوم ، وأولت كسر ضبة سيفى قتل رجل من عترتى فقُتل حمزة وقَتل رسول الله ﷺ طلحة ، وكان صاحب اللواء . وقال موسى بن عقبة رح : ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركى العرب ، وسار أبو سفيان بن حرب فى جمع قريش ، وذلك فى شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر حتى نزلوا ببطن الوادى الذى قبلىّ أحد ، وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدراً قد ندموا على مافاتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر ، فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدو عليهم ، وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيتنا .

ثم إن رسول الله ﷺ أُرِىَ ليلة الجمعة رؤيا فأصبح فجاءه نفر من أصحابه ، فقال لهم : « رأيت البارحة فى منامى بقراً تذبح والله خير ، ورأيت سيفى ذا الفقار انقصم من عند ضبته ، أو قال : به فلول فكرهته وهما مصيبتان ، ورأيت أنى فى درع حصينة وأنى مردف كبشاً » فلما أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا أولت رؤياك ؟ قال : أولت البقر الذى رأيت بقراً فينا وفى القوم ، وكرهت ما رأيت بسيفى ، ويقول رجال : كان الذى رأى بسيفه الذى أصاب وجهه ، فإن العدو أصاب وجهه يومئذ وقصموا رباعيته وخرقوا شفته ، يزعمون أن الذى رماه عتبة بن أبى وقاص ، وكان البقر مَنْ قتل من المسلمين يومئذ ، وقال : أوّلت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله ، وأوّلت الدرع الحصينة المدينة ، فامكثوا واجعلوا الذرارى فى الآطام ، فإن دخل علينا القوم فى الأزقة قاتلناهم ، ورُمُوا من فوق البيوت .

وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبنيان حتى صارت كالحصن ، فقال الذين لم يشهدوا بدراً : كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير ، وقال رجل من الأنصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال رجال : ماذا نمنع إذا لم نمنع الحرب بروع ؟ وقال رجال قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب ، قال : والذى أنزل عليك الكتاب لنجادلنهم . وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة ،

وهو أحد بنى سالم : يا نبى الله ، لا تحرمنا الجنة ، فوالذى نفسى بيده لأدخلنها ، فقال له رسول الله ﷺ ، بم قال بأنى أحب الله ورسوله ، ولا أفر يوم الزحف . فقال له رسول الله ﷺ : صدقت . واستشهد يومئذ . وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه ، ولو رضوا بالذى أمرهم كان ذلك ، ولكن غلب القضاء والقدر ، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً ، قد علموا الذى سبق لأصحاب بدر من الفضيلة .

فلما صلى رسول الله ﷺ الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بلأمته فلبسها ، ثم أذن فى الناس بالخروج ، فلما رأى ذلك رجال من ذوى الرأى قالوا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة ، وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحى من السماء ، فقالوا : يا رسول الله ، آمكث كما أمرتنا ؟ فقال : ما ينبغى لنبى إذا أخذ لأمة الحرب ، وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا ، قال : فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف ، فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأحد ، ورجع عنه عبد الله بن أبىّ ابن سلول فى ثلثمائة ، فبقى رسول الله ﷺ فى سبعمائة .

قال البيهقى رح : هذا هو المشهور عند أهل المغازى أنهم بقوا فى سبعمائة مقاتل . قال : والمشهور عن الزهرى أنهم بقوا فى أربعمائة مقاتل ، كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى ، وقيل عنه بهذا الإسناد : سبعمائة ، فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مائة فرس ، وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة . قال : ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة ثم ذكر الوقعة ، كما سيأتى تفصيلها إن شاء الله تعالى . وقال محمد بن إسحاق : لما قص رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأى عبد الله بن أبىّ ابن سلول مع رأى رسول الله ﷺ فى أن لا يخرج إليهم ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر : يا رسول اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جَبنًا عنهم وضعفنا ، فقال عبد الله بن أبىّ : يا رسول الله لا تخرج

إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك رجل من بنى النجار يقال له : مالك بن عمرو ، فصلى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا : استكْرَهْنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك ، فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل . فخرج رسول الله ﷺ فى ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن إسحاق : حتى كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبىّ بثلث الناس وقال : أطاعهم وعصانى ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هٰهنا أيها الناس ؟ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى ، والد جابر بن عبد الله فقال : يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أن يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف ، قال : أبعدكم الله أعداءَ الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه ﷺ .

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ **وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون** ﴾ (١) يعنى أنهم كاذبون فى قولهم : (**لو نعلم قتالا لاتبعناكم**) وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لاخفاء ولا شك فيه ، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ **فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا** ﴾ (٢) الآية ، وذلك أن طائفة قالت : نقاتلهم ، وقال آخرون : لانقاتلهم كما ثبت وبين فى الصحيح . وذكر الزهرى أن الأنصار استأذنوا حينئذ رسول الله ﷺ فى الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : لا حاجة لنا فيهم . وذكر عروة ابن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لما رجع عبد الله بن أبىّ وأصحابه همتا أن تفشلا فثبتهما الله تعالى ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **إذ هَمَّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ (٣) قال جابر بن عبد الله : ما أحب أنها لم تنزل ، والله يقول : (**والله وليهما**) كما ثبت فى الصحيحين عنه .

---

(١) الآية : ١٦٧ من سورة آل عمران .

(٢) الآية : ٨٨ من سورة النساء .

(٣) الآية : ٢٢ من سورة آل عمران .

قال ابن إسحاق : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه فأصاب كُلاّب سيف فاستله ، فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف : « شم سيفك » أى اغمده « فإنى أرى السيوف ستسل اليوم » ثم قال النبى ﷺ لأصحابه « مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كثب » أى من قريب « من طريق لا يمر بنا عليهم » فقال أبو خيثمة ، أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفذ به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك به فى مال لمربع بن قيظى ، وكان رجلا منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثى فى وجوههم التراب ويقول : إن كنتَ رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل فى حائطى .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من التراب فى يده ثم قال : والله لو أعلم أنى لا اصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر ، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل قبل نهى رسول الله ﷺ فضربه بالقوس فى رأسه فشجه .

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أُحد فى عدوة الوادى وفى الجبل ، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد وقال : لا يقاتلنَّ أحد حتى آمره بالقتال ، وقد سرحت قريش الظهر والكراع فى زروع كانت بالصمغة من قناة كانت للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروع بنى قيلة ولما نضارب ؟ وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال وهو فى سبعمائة رجل وأمّر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وهو مُعلّم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال : انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتَين من قبلك ، وسيأتى شاهد هذا فى الصحيحين إن شاء الله تعالى . قال ابن إسحاق : وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين ، يعنى لبس درعاً فوق درع ، ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير ، أخى بنى عبد الدار .

قلت : وقد رد رسول الله ﷺ جماعة من الغلمان يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر ، كما ثبت فى الصحيحين ، قال : عُرِضتُ على النبى ﷺ يوم أحد فلم يجزنى ، وعُرِضتُ عليه يوم الخندق ، وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازنى ، وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد بن ثابت وزيد والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعَرابة بن أوس بن قيظى ، ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلى ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ * تلقّاها عرابةُ باليمينِ

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة ، ذكره السهيلى أيضاً ، وأجازهم كلهم يوم الخندق ، وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فقيل : يارسول الله ، إن رافعاً رامٍ فأجازه ، فقيل : يا رسول الله ، فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه . قال ابن إسحاق رح : وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ابن هشام ، وقال رسول الله ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بنى ساعدة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أنْ تضرب به فى العدو حتى ينحنى . قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد وعفان قالا : حدثنا حماد ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابت عن النبى أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ هذا السيف ؟ فأخذ قوم فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : من يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة سماك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين ، ورواه مسلم عن أبى بكر عن عفان به . قال ابن إسحاق : وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، وكان له عصابة حمراء يُعلَم بها عند الحرب يعتصب بها فَيُعْلَمُ أنه سيقاتل ، قال : فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين ، قال : فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن . قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء ، من بنى عبد الدار ، يحرضهم على القتال : يا بنى عبد الدار ، قد وُلِّيتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤْتَى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهمّوا به وتواعدوه وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذى أراد أبو سفيان . قال : فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول :

ويهاً بنى عبد الدار * ويها حماةَ الأدبار
ضرباً بكلِّ بتّار

وتقول أيضاً :

إن تُقبلوا نُعانقْ * ونفرش النمارقْ
أو تُدبروا نفارقْ * فراقُ غير وامقْ

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفى ابن مالك بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة ، وكان قد خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاما من الأوس ، وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر ، وكان يعد قريشاً أن لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق . وكان يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق . فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديداً ثم أرضخهم بالحجارة . قال ابن إسحاق : فأقبل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس ، قال ابن هشام : وحدثنى غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال : وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت إليه وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركنى ، والله لأنظرن ما يصنع ، فاتبعته فأخرج عصابه له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب ، فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى * ونحنُ بالسفح لدى النخيلِ
أن لا أقومَ الدهرَ فى الكيولِ * أضربُ بسيفِ الله والرسولِ

وقال الأموى : حدثنى أبو عبيد فى حديث النبى ﷺ أن رجلا أتاه وهو يقاتل به فقال : لعلك إن أعطيتك تقاتل فى الكيول ؟ قال : لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى * أن لا أقوم الدهر فى الكيول

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه إسرائيل كلاهما عن أبى إسحاق عن هند بنت خالد أو غيره يرفعه ، الكيول : يعنى مؤخر الصفوف ، سمعته من عدة من أهل العلم ، ولم أسمع هذا الحرف إلا فى هذا الحديث . قال ابن هشام : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله ، وكان فى المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف عليه ، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة

فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت : الله ورسوله أعلم . وقد رواه البيهقى فى الدلائل من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك .

قال ابن إسحاق : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يحمس الناس حمساً شديداً فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة ، وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه ، فوجدا فى أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه إليه فأعطى السيف حقه ، قال : فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رأيت مُثلى المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاورت ، فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال : وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمته ، فمضيت حتى كنت من ورائه ثم قمت أقدر المسلم والكافر ببصرى ، فاذا الكافر أفضلهما عدة وهيأة . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة .

مقتل حمزة رضى الله عنه

قال ابن اسحاق : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، وكذلك قتل عثمان بن أبى طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول :

إن على أهل اللواء حقا * أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة فقتله ، ثم مر به سباع بن عبد العزَّى الغُبشانى ، وكان يكنى بأبى نيار ، فقال حمزة : هلم إلىّ يا بن مقطعة البظور وكانت أمه أم أنمار ، مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى وكانت ختانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، فقال وحشى ، غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر لحمزة يهد الناس بسيفه ما يليق شيئاً يمرُّ به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمنى إليه سباع فقال حمزة : هلم يا بن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت

فى ثُنَّته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوى فُغلب فوقع وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى ثم تنحيتُ إلى العسكر ولم يكن لى بشىء حاجة غيره .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيار ، أحد بنى نوفل بن عبد مناف فى زمان معاوية ، فأدربنا مع الناس ، فلما مررنا بحمص وكان وحشى ، مولى جبير ، قد سكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت ، فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه ؟ إنكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلا عربياً وتجدا عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما به فانصرفا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه فإذا هو بفناء داره على طنفسة له وإذا شيخ كبير مثل البغاث ، وإذا هو صاح لا بأس به ، فلما انتهينا إليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى فقال : ابنٌ لعدى بن الخيار أنت ؟ قال : نعم . قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى ، فإنى ناولتكها وهى على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لى قدماك حتى رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتهما . قال فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتلته ؟ فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألنى عن ذلك .

كنت غلاماً لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال : فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس كأنه الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هداً ما يقوم له شىء ، فوالله إنى لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال : هلم إلىّ يا بن مقطعة البظور ، فضربه ضربة أخطأ رأسه ، قال : وهزرت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نحوى فغُلب وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت إلى العسكر وقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم

أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت عليَّ المذاهب فقلت ، ألحقُ بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل : ويحك ، إنه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه وشهد شهادة الحق ، قال : فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق ، فلما رآنى قال لى : أوحشى أنت ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ؟ قال فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثى قال : ويحك غيِّب عنى وجهك فلا أرينك ، قال : فكنت أتنكب برسول الله ﷺ حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله عز وجل ، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب ، صاحب اليمامة ، خرجت معهم وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً وبيده السيف وما أعرفه ، فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصارى بالسيف ، فربك أعلم أينا قتله ، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ وقتلت شر الناس .

قلت : الأنصارى هو أبو دجانة سماك بن خرشة ، كما سيأتى فى مقتل أهل اليمامة . وقال الواقدى فى الردة : هو عبد الله بن عاصم المازنى . وقال سيف بن عمرو : هو عدى ابن سهل وهو القائل :

ألم تر أنى ووحشيهم * قتلتُ مسيلمةَ المفتتنْ
ويسأل الناسُ عن قتله * فقلتُ ضربتُ وهذا طعنْ

والمشهور أن وحشياً هو الذى بدره بالضربة وذففف عليه أبو دجانة ، لما روى ابن إسحاق عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن ابن عمر قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتله العبد الأسود .

وقد روى البخارى قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى قال : خرجت مع عبد الله بن عدى بن الخيار فذكر القصة كما تقدم . وذكر أن عبيد الله بن عدى كان معتجراً عمامة لا يرى منه وحشى إلا عينيه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم ، وهذه قيافة عظيمة ، كما عرف مجزز المدلجى أقدام زيد وابنه أسامة مع

اختلاف ألوانهما . وقال فى سياقته : فلما أن صف الناس للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : يا سباع ، يا بن أم أنمار مقطعة البظور أتحادّ الله ورسوله ؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب ، قال : وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا منى رميته بحربتى فأضعها فى ثُنّته حتى خرجت من بين وركيه ، قال : فكان ذلك آخر العهد به ، إلى أن قال : فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذاب قلت : لأخرج إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافىء به حمزة ، قال : فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، قال : فإذا رجل قائم فى ثلمة جدار ، كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، قال : فرميته بحربتى فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، قال : ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته ، قال عبد الله بن الفضل : فأخبرنى سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظهر البيت : واأمير المؤمناه قتله العبد الأسود ، قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشياً لم يزل يُحدُّ فى الخمر حتى خُلع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلت : إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة .

قلت : وتوفى وحشى بن حرب ، أبو دسمة ، ويقال : أبو حرب ، بحمص وكان أول من لبس الثياب المدلوكة .

قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير (١) دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً .

قلت : وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذى قتل مصعباً هو أبىّ بن خلف فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء على بن أبى طالب . وقال يونس بن بكير عن أبى إسحاق : كان اللواء أولا مع على بن أبى طالب ، فلما رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع عبد الدار قال : نحن أحق بالوفاء منهم ، وأخذ اللواء من على بن أبى طالب فدفعه إلى مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواء على بن أبى طالب . قال ابن إسحاق : وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

---

(١) هو حامل اللواء فى هذه الغزوة ، كما تقدم [دار الغد] .

قال ابن هشام : وحدثنى مسلمة بن علقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يوم أُحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى علىّ أن قدم الراية ، فقدم على وهو يقول : أنا أبو القصم ، فناداه أبو سعد بن أبى طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة ؟ قال : نعم ، فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علىّ فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعورته فعطفتنى عليه الرحم ، وعرفت أن الله قتله . وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صفين مع بسر بن أبى أرطاة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه ، وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه فى بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع علىّ أيضاً . ففى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفى كل يوم فارس غير منته * وعورته وسط العجاجة باديهْ
يكف لها عنه علىّ سنانَه * ويضحك منها فى الخلاء معاويهْ

وذكر يونس عن ابن اسحاق أن طلحة العبدرى حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحجم عنه الناس فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحهُ بسيفه ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال : « إنّ لكل نبىّ حواريا وحواريى الزبير» وقال : لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه . وقال ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتل نافع بن أبى طلحة وأخاه الحلاس ، كلاهما يشعره سهماً فيأتى أمه سلافة فيضع رأسه فى حجرها فتقول : يا بنى من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا رمانى يقول خذها وأنا ابن أبى الأقلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركاً أبداً ، ولا يمسه ، ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع ، كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبى عامر ، واسمه عمرو ، ويقال : عبد عمرو ابن صيفى وكان يقال لأبى عامر فى الجاهلية : الراهب لكثرة عبادته ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الإسلام ومخالفة الرسول ﷺ ، وحنظلة الذى يعرف بحنظلة الغسيل لأنه غسلته الملائكة ، كما سيأتى ، هو وأبو سفيان صخر بن حرب ، فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأوس وهو الذى يقال له : ابن شعوب ، فضربه شداد فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » فسئلت صاحبته قال الواقدى : هى جميلة بنت أبىّ ابن

سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة . فقالت : خرج وهو جُنُبٌ حين سمع الهاتفة ، فقال رسول الله ﷺ : « كذلك غسلته الملائكة » . وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله فى صدره وقال : ذنبان أصبتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولا للرحم براً بالوالد . قال ابن إسحاق ، وقال ابن شعوب فى ذلك :

لأحْمِيَنّ صاحبى ونفسى * بطعنة مثل شعاع الشمسِ

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعى يا بن حرب ومشهدى * لألفيتَ يوم النعف غير مجيبِ
ولولا مكرى المهر بالنعف فرفرت * عليه ضباع أو ضراء كليبِ

وقال أبو سفيان :

ولو شئت نجتنى كميت طمرة * ولم أحمل النعماء لابن شعوبِ
وما زال مهرى مزجر الكلب منهمُ * لدنْ غدوة حتى دنت لغروبِ
أقاتلهم ، وأدَّعى : يا لغالب * وأدفعهم عنى بركن صليبِ
فبكّى ولا تَرْعَىْ مقالةَ عاذلٍ * ولا تسأمى من عَبْرَةٍ ونحيبِ
أباكِ وإخواناً له قد تتابعوا * وحق لهم من عبرة بنصيبِ
وسلى الذى قد كان فى النفس إننى * قتلتُ من النجارِ كلَّ نجيبِ
ومن هاشم قرماً كريماً ومصعباً * وكان لدى الهيجاء غير هَيُوبِ
فلو أننى لم أشفِ نفسىَ منهمُ * لكانت شجى فى القلب ذات ندوبِ
فَآبوا وقد أودى الجلابيب منهمُ * بهم خدب من معبط وكثيبِ
أصابهم من لم يكن لدمائهم * كِفاءً ولا فى خطة بضريبِ

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشمٍ * ولستَ لزورٍ قلتَهُ بمصيبِ
أتعجب أن أقصدت حمزة منهمُ * نجيباً ، وقد سميتَهُ بنجيبِ
ألم يقتلوا عمراً وعتبة وابْنَهُ * وشيبة والحجاج وابن حبيبِ
غداة دعا العاصى عليا فراعَهُ * بضربة عضب بلّه بخضيبِ

فصل

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسوهم

بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها . وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير . إذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلوا ظهورنا للخيل فأُتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ، فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد منهم ، فحدثنى بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به ، وكان اللواء مع صواب ، غلام لبنى أبى طلحة حبشى ، وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت - يعنى اللهم هل أعذرت - فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فخرتم باللواء وشر فخرٍ * لواء حين رُدَّ إلى صوابِ
جعلتم فخركم فيه لعبدٍ * وألأم من يطأ عفر الترابِ
ظننتم والسفيهُ له ظنونٌ * وما إن ذاك من أمر الصوابِ
بأن جلادنا يوم التقينا * بمكة بيعكم حمر العيابِ
أقر العين إن عصبت يداهُ * وما إن تعصبان على خضابِ

وقال حسان أيضا فى رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

إذا عضل سيقت إلينا كأنها * جداية شرك معلماتُ الحواجبِ
أقمنا لهم طعنا مبيراً منكلا * وحزناهم بالضرب من كل جانبِ
فلولا لواء الحارثية أصبحوا * يباعون فى الأسواق بيع الجلائبِ

قال ابن إسحاق : فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فَذُبَّ بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكُلِمَتْ شفته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص ، فحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كسرت رباعية النبى ﷺ يوم أحد وشج فى وجهه فجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله ، فأنزل الله ﴿ **ليس لك من الأمر شىء أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنهم ظالمون** ﴾ [1] قال ابن جرير فى تاريخه : حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أحمد بن

---

(١) الآية : ١٢٨ من سورة آل عمران .

الفضل حدثنا أسباط ، قال : أتى الحارثى فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله ، وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة ، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس : إلىّ عبادَ الله ، إلىّ عباد الله ، فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف إلا طلحة ، وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة فرمى بسهم فى يده فيبست يده .

وأقبل أُبىّ بن خلف الجمحى ، وقد حلف ليقتلن النبى ﷺ ، فقال ﷺ : بل أنا أقتله . فقال : يا كذاب أين تفر ؟ فحمل عليه ، فطعنه النبى ﷺ فى جيب الدرع ، فجرح جرحاً خفيفاً فوقع يخور خُوار الثور ، فاحتملوه وقالوا : ليس بك جراحة فما يجزعك ؟ قال : أليس قال : لأقتلنك ؟ لو كانت تجتمع ربيعة ومضر لقتلهم ، فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح ، وفشا فى الناس أن رسول الله ﷺ قد قُتِل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبىّ ، فيأخذ لنا أمنة من أبى سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، فقال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ ، اللهم إنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء . ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل .

وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلما رأوه وضع رجل سهماً فى قوسه يرميه ، فقال : أنا رسول الله ، ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ ، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن فى أصحابه من يمتنع به ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل فى الذين قالوا إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيْه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين** ﴾[1] فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه وهمهم أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس لهم أن يعلونا ، اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تعبد فى الأرض » ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذ : اُعلُ هبل حنظلة بحنظلة ويوم أحد بيوم بدر . وذكر تمام القصة . وهذا غريب جداً وفيه نكارة .

---

(١) الآية : ١٤٤ من سورة آل عمران .

قال ابن هشام : وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى سعيد أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وأن عبد الله بن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ، ووقع رسول الله ﷺ فى حفرة من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ على بن أبى طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومص مالك بن سنان أبو أبى سعيد الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده ، فقال : من مس دمه دمى لم تمسه النار .

قلت : وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لما وقع لشقه أغمى عليه فمر به سالم مولى أبى حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفاق وهو يقول : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله ﴿ **ليس لك من الأمر شىء** ﴾ (١) الآية رواه ابن جرير وهو مرسل وسيأتى بسط هذا فى فصل وحده .

قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار ، كما قال الله تعالى : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين . إذ تُصْعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غماً بغم** ﴾ (٢) الآية .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنى سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله فى موطن كما نصر يوم أحد ، قال : فأنكرنا ذلك ، فقال : بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله أن يقول فى يوم أحد : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ يقول ابن عباس : والحس القتل ﴿ **حتى إذا فشلتم** ﴾ إلى قوله ﴿ **ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين** ﴾ وإنما عنى بهذا الرماة ، وذلك أن النبى ﷺ أقامهم فى موضع ثم قال : احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا نغنم فلا تشركونا . فلما غنم النبى ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً فدخلوا فى العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم هكذا ـ وشبك بين أصابع يديه ـ والتبسوا ، فلما أخلَّ الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب

---

(١) الآية : ١٢٨ من سورة آل عمران .

(٢) آيتا : ١٥٢ ، ١٥٣ من سورة آل عمران .

النبى ﷺ فضرب بعضهم بعضاً فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أولُ النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس ، الغار إنما كان تحت المهراس .

وصاح الشيطان : قتل محمد ، فلم يشك فيه أنه حق ، فمازلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى اطلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بتكفّيه إذا مشى ، قال : ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، فرقى نحونا وهو يقول : اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى : اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا ، حتى انتهى إلينا فمكث ساعة ، فإذا أبو سفيان يصيح فى أسفل الجبل : اعلُ هبل ، مرتين ، يعنى آلهته ، أين ابن أبى كبشة ؟ أين ابن أبى قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا أجيبه ؟ قال : بلى ، قال : فلما قال : اعل هبل ، قال : الله أعلى وأجل . قال أبو سفيان : يا ابن الخطاب قد أنعمت عينها ، فعادِ عنها ـ أو فعالِ عنها ـ فقال . أين ابن أبى كبشة ؟ أين ابن أبى قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر وها أنا ذا عمر ، قال : فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، الأيام دول وإن الحرب سجال . قال : فقال عمر : لاسواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار . قال : إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذن وخسرنا . ثم قال أبو سفيان : أما إنكم سوف تجدون فى قتلاكم مثلة ولم يكن ذلك عن رأى سراتنا . قال : ثم أدركته حمية الجاهلية فقال : أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه ، وقد رواه ابن أبى حاتم والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى الدلائل من حديث سليمان بن داود الهاشمى به ، وهذا حديث غريب وهو من مرسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ما تيسر ، إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان .

قال البخارى : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبى ﷺ جيشاً من الرماة وأمّر عليهم عبد الله بن جبير وقال : لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا . فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : عهد إلىّ النبى ﷺ أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلا ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ فقال :

لا تجيبوه . فقال أفى القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قُتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدوَّ الله ، أبقى الله عليك ما يحزنك . فقال أبو سفيان : اعلُ هُبل : فقال النبى ﷺ : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العُزّى ولا عُزّى لكم . فقال النبى ﷺ : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى . وهذا من أفراد البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق أن البراء بن عازب قال : جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أُحد ـ وكانوا خمسين رجلا ـ عبد الله بن جبير ، قال : ووضعهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم ، قال : فهزموهم ، قال : فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت سوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، أى قوم ، الغنيمة . ظهر أصحابكم ، فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : إنّا والله لنأتين الناس فلنصيبنّ من الغنيمة ! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذى يدعوهم الرسول فى أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثنى عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلا ، فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ، أفى القوم محمد ؟ فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة ، أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب ، أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قُتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدوّ الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، إنكم ستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى . ثم أخذَ يرتجز : اعلُ هُبَل اعلُ هُبَل فقال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجلّ . قال : إن العزّى لنا ولا عزّى لكم ، قال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . ورواه البخارى من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً ، وقد تقدم روايته له مطوَّلة من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وعليّ بن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهِقوا النبى ﷺ وهو فى سبعة من الأنصار ورجل من قريش ، قال : من يردّهم عنا هو رفيقى فى الجنة ؟ فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل . فلما رهقوه ، أيضاً ، قال : من يردّهم عنا وهو رفيقى فى الجنة ؟ حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ : ما أنصفْنا أصحابنا . ورواه مسلم عن حماد بن سلمه به .

وقال البيهقى فى الدلائل بإسناده عن عمارة بن غزية عن أبى الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد وبقى معه أحد عشر رجلا من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد فى الجبل فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ﷺ ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ومن بقى معه ثم قتل الأنصارى فلحقوه ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة : أنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما ، فقال رسول الله ﷺ : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا ، فقاتل مثل قتال من كان قبله وأصيبت أنامله فقال : حس ، فقال لو قلت : باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك فى جو السماء . ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون .

وروى البخارى عن عبد الله بن أبى شيبة عن وكيع عن إسماعيل عن قيس بن أبى حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى ﷺ يوم أحد . وفى الصحيحين من حديث موسى بن إسماعيل عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبى عثمان النهدى قال : لم يبق مع النبى ﷺ فى بعض تلك الأيام التى يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما . وقال الحسن بن عرفة : حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم السعدى سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : نثل لى رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال : ارم ، فداك أبى وأمى ، وأخرجه البخارى عن عبد الله بن محمد عن مروان به .

وفى صحيح البخارى من حديث عبد الله بن شداد عن على بن أبى طالب قال : ما سمعت النبى ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فإنى سمعته يقول يوم أحد : يا

سعد ارم ، فداك أبى وأمى . قال محمد بن إسحاق : حدثنى صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبى وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولنى النبل ويقول : ارم ، فداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ليس له نصل فأرمى به . وثبت فى الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبى وقاص قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبى ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده ، يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام .

وقال أحمد : حدثنا عفان أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة كان يرمى بين يدى النبى ﷺ يوم أحد والنبى ﷺ خلفه يترس به ، وكان رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لا يصيبك سهم ، نحرى دون نحرك . وكان أبو طلحة يسوّر نفسه بين يدى رسول الله ﷺ ويقول : إنى جلد يا رسول الله ، فوجهنى فى حوائجك ومرنى بما شئت . وقال البخارى : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ وأبو طلحة بين يدى رسول الله ﷺ مجوب عليه بجحفةله ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول ﷺ : انثرها لأبى طلحة . قال : ويُشرف النبى ﷺ يَنظر إلى القوم فيقول أبو طلحة : بأبى أنت وأمى ، لا تشرف فيصيبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك ولقد رأيت بنت أبى بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدَى أبى طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً .

قال البخارى : وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة بن أنس عن أبى طلحة قال : كنت فيمن تغشّاه النعاس يوم أُحد حتى سقط سيفى من يدى مراراً ، يسقط وآخذه ويسقط فآخذه ، هكذا ذكره البخارى معلقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنَة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شىء قل إن الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم مالاِ يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى**

صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور . إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ﴾ [١] قال البخارى : حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهَب قال : جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه ، فقال : إنى سائلك عن شىء ، أتحدّثنى ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فرَّ يوم أُحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيّب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال : نعم . قال : فكبر . قال ابن عمر : تعالى لأخبرك ولأبين لك عما سألتنى عنه : أما فراره يوم أُحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر ، فإنه كان تحته بنت النبى ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فإنه لوكان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبى ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده ، فقال : هذه لعثمان ، اذهب بهذا الآن معك . وقد رواه البخارى أيضاً فى موضع آخر ، والترمذى من حديث أبى عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به .

وقال الأموى فى مغازيه : عن ابن إسحاق حدثنى يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المُنَقَّى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان ، رجل من الأنصار ، حتى بلغوا الجَلْبَ ، جبل بناحية المدينة مما يلى الأعوص ، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم : لقد ذهبتم فيها عَريضة . والمقصود أن أُحُداً وقع فيها أشياء مما وقع فى بدر ، منها حصول النعاس حال التحام الحرب ، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكلها على خالقها وبارئها . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى فى غزوة بدر : **﴿ إذ يغشّيكم النعاس أمَنةً منه ﴾** [٢] الآية ، وقال هاهنا : **﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمَنة نعاساً يغشى طائفة منكم ﴾** [٣] يعنى المؤمنين الكُمَّل ، كما قال ابن

---

(١) آيتا : ١٥٤ ، ١٥٥ من سورة آل عمران .

(٢) الآية : ١١ من سورة الأنفال .

(٣) الآية : ١٥٤ من سورة آل عمران .

مسعود وغيره من السلف : النعاس فى الحرب من الإيمان ، والنعاس فى الصلاة من النفـاق . ولهذا قال بعد هذا : ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ﴾ الآية . ومن ذلك أن رسـول الله ﷺ استنصر يوم أحدكما استنصر يوم بدر بقوله ﷺ : « إن تشأ لا تعبد فى الأرض » كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أُحُد : «اللهم إنك إن تشأ لا تعبد فى الأرض » ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن مسلمة به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبى ﷺ يوم أُحُد : « أرأيت إن قُتلتُ ، فأين أنا ؟ قال : فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ، ثم قاتل حتى قتل ». ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التى تقدمت فى غزوة بدر رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصـــــــــل
فيما لقى النبى ﷺ يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخارى : ما أصاب النبى ﷺ من الجراح يوم أُحُد . حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله » . ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الأموى حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبى فى سبيل الله ، اشتد غضب الله على قـوم دموا وجه رسول الله » ﷺ . وقال أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يوم أُحُد ، وهو يسلت الدم عن وجهه : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعو إلى الله » فأنزل الله (**ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**) (١) ورواه مسلم عن القعنبى عن حماد بن سلمة به . ورواه الإمام أحمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته وشج فى وجهه حتى سال الدم على وجهه ، فقال : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم » فأنزل الله تعالى : ﴿ **ليس لك من الأمر شىء** ﴾ .

---

(١) الآية : ١٢٨ من سورة آل عمران .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبى حازم أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبى ﷺ فقال : أما والله إنى لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ، ومن كان يسكب الماء وبما دووى ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلىّ يسكب الماء بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم ، وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه . وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا ابن المبارك عن إسحاق عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرنى عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحُد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث ، قال : كنت أول من فاء يوم أُحُد ، فرأيت رجلا يقاتل فى سبيل الله دونه وأراه قال حمية ، قال : فقلت : كن طلحة حيث فاتنى ما فاتنى ، فقلت : يكون رجلا من قومى أحب إلىّ ، وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يخطف المشى خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج فى وجهه وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » يريد طلحة وقد نزف ، فلم نلتفت إلى قوله : قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ، فقال : أقسم عليك بحقى لما تركتنى ، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله ﷺ فأزم عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع فقال : أقسمت عليك بحقى لما تركتنى . قال : ففعل مثل ما فعل فى المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هتما . فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه .

وذكر الواقدى عن ابن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن أبى الحويرث عن نافع بن جبير قال : سمعت رجلا من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت إلى النبل تأتى من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهرى يومئذ يقول : دلونى على محمد لا نجوتُ إن نجا ، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحد فجاوزه ، فعاتبه فى ذلك صفوان بن أمية ، فقال : والله ما رأيته ، أحلف بالله إنه منا لممنوع ، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إليه . قال الواقدى : ثبت عندى أن الذى رمى فى وجنتى رسول الله ﷺ ابن قمئة ،

والذى رمى فى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبى وقاص ، وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا وأن الرباعية التى كسرت له ﷺ هى اليمنى السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبى وقاص ، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً فى قومه ، ولقد كفانى فيه قول رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله » وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن الزهرى عن عثمان الحرورى عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبى وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال : « اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً » فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار . وقال أبو سليمان الجوزجانى : حدثنا محمد بن الحسن حدثنى إبراهيم بن محمد حدثنى ابن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن حرب عن أبيه عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أحد بعظم بال . هذا حديث غريب رأيته فى أثناء كتاب المغازى للأموى فى وقعة أحد . ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال رجع وهو يقول : قتلت محمداً . وصرخ الشيطان ، أزب العقبة يومئذ بأبعد صوت : ألا إن محمداً قد قتل ! فحصل بهتة عظيمة فى المسلمين ، واعتقد كثير من الناس ذلك وصمموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتى ذكره .

وقد أنزل الله تعالى التسلية فى ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين . وكأين من نبى قاتل معه ربِّيُّون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين . يٰأيها الذين آمنو إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين . بل الله مولاكم وهو خير الناصرين . سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين** ﴾[1] وقد تكلمنا على ذلك مستقصى فى كتابنا التفسير ولله الحمد .

---

(١) الآيات : ١٤٤ ـ ١٥١ من سورة آل عمران .

وقد خطب الصديق رضى الله عنه فى أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . ثم تلا هذه الآية ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** ﴾ الآية . قال : فكأن الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحد إلا يتلوها . وروى البيهقى فى دلائل النبوة من طريق ابن أبى نجيح عن أبيه قال : مر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه . فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال الأنصارى : إن كان محمد ﷺ قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم ، فنزل ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ الآية . ولعل هذا الأنصارى هو أنس بن النضر رضى الله عنه ، وهو عم أنس ابن مالك .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال : غبت عن أول قتال قاتله النبى ﷺ للمشركين ، لئن الله أشهدنى قتالا للمشركين ليرين ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلون ، فقال : اللهم إنى أعتذر إليك عما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أصنع ما صنع ، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، قال : فكنا نقول : فيه وفى أصحابه نزلت ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر** ﴾[1] ورواه الترمذى عن عبد بن حميد والنسائى عن إسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به ، وقال الترمذى : حسن .

قلت : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا بهز وحدثنا هاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : قال أنس : عمى - قال هاشم : أنس بن النضر - سميت به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر . قال : فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، ولئن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو أين؟ قال واهاً لريح الجنة أجده دون أحد قال: فقاتلهم حتى قتل

---

(١) الآية : ٢٣ من سورة الأحزاب .

فوجد فى جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . قال : فقالت أخته ، عمتى الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ (١) قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز ابن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائى وأبو داود وحماد بن سلمة أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال أبو الأسد عن عروة بن الزبير : كان أبىّ بن خلف ، أخو بنى جمح ، قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ . فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال : بل أنا أقتله إن شاء الله . فلما كان يوم أحد أقبل أبىّ فى الحديد مقنعاً وهو يقول : لا نجوتُ إن نجا محمد . فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير ، أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبى ابن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ؟ إنما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : أنا أقتل أُبيًّا ، ثم قال : والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون ، فمات إلى النار ﴿ **فسحقاً لأصحاب السعير** ﴾ (٢) وقد رواه موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى عن سعيد بن المسيب نحوه . وقال ابن إسحاق : لما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبىّ بن خلف وهو يقول : لانجوتُ إن نجوتَ . فقال القوم : يا رسول الله ، يعطف عليه رجل منا ، فقال رسول الله ﷺ : دعوه ! فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم ، كما ذُكِر لى : فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً . ذكر الواقدى عن يونس ابن بكير عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك .

قال الواقدى : وكان ابن عمر يقول : مات أبىّ بن خلف ببطن رابغ ، فإنى لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل إذا أنا بنار تأججت فهبتها ، وإذا برجل يخرج منها بسلسلة

---

(١) الآية : ٢٣ من سورة الأحزاب .

(٢) الآية : ١١ من سورة الملك .

يجذبها يهيجه العطش ، فإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإنه قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبىّ ابن خلف . وقد ثبت فى الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله » ورواه البخارى من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « اشتد غضب الله على من قتله رسول الله بيده فى سبيل الله » وقال البخارى : وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابراً قال : لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبى ﷺ ينهوننى والنبى ﷺ لم ينه ، وقال النبى ﷺ : لا تبكه ، أو ما تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع . هكذا ذكر الحديث هٰهنا معلقاً ، وقد أسنده فى الجنائز عن بندار عن غندر عن شعبة . ورواه مسلم والنسائى من طرق عن شعبة به .

وقال البخارى : حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال : قتل مصعب بن عمير ، وهو خير منى ، كُفِّنَ فى بردة إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأُراه قال : وقتل حمزة هو خير منى ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا . ثم جعل يبكى حتى برد الطعام ، انفرد به البخارى ، وقال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا الأعمش عن شقيق عن خباب بن الأرت قال : هاجرنا مع النبى ﷺ نبتغى وجه الله ، فوجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً ، كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة ، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه فقال لنا النبى ﷺ : غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر . ومنا من أينعت له ثمرته [فهو] يهدبها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به .

وقال البخارى : حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس ، لعنة الله عليه : أى عباد الله ، أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أى عباد الله ، أبى أبى . قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله مازال فى حذيفة بقية خير حتى لقى الله عز وجل .

قلت : كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا فى الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما فقالا : إنه لم يبق من آجالنا إلا ظمء حمار ، فنزلا ليحضرا الحرب فجاء طريقهما ناحية المشركين ، فأما ثابت فقتله المشركون ، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ . وتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ولم يعاتب أحداً منهم لظهور العذر فى ذلك .

فصـــــــل

قال ابن إسحاق : وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما . وفى الحديث عن جابر بن عبد الله أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله ﷺ مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وروى الدارقطنى بإسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتىْ فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان . والمشهور الأول أنه أصيبت عينه الواحدة . ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلا :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه ... فرُدّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردّ
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسنها عيناً ويا حسن ما خدّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارم لاقَعبان من لبن ... شيِبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه .

فصـــــــل

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية ، يوم أحد ، فذكر سعيد ابن أبى زيد الأنصارى أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة فقلت لها : يا خالة ، أخبرينى خبرك ، فقالت ، خرجت أول النهار أنظر ما يصنع

الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذبُّ عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلىّ ، قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقمأه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلونى على محمد ، لانجوتُ إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربنى هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ، قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أخو بنى عدى بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال : فما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمى أنس بن مالك ، فحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه ، قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها فى رجله فعرج .

فصــــــل

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس : قتل رسول الله ﷺ ـ كما ذكر لى الزهرى ـ كعبُ بن مالك ، قال : رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ . فأشار رسول الله ﷺ أن أنصت . قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبىّ بن خلف ـ فذكر قتله ﷺ أبيًا كما تقدم ـ

قال ابن اسحاق : وكان أبىّ بن خلف ، كما حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العوذَ ـ فرساً ـ أعلفه كل يوم فرَقاً من ذرة أقتلك عليه . فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلنى والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إن بك بأس . قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصق علىَّ لقتلنى . فمات عدو الله بسرَف وهم قافلون به إلى مكة ، قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لقد ورث الضلالةَ عن أبيهِ ... أبىٌّ يوم بارزه الرسولُ
أتيتَ إليه تحمل رِمَّ عظمٍ ... وتوعده وأنت به جهولُ
وقد قتلتْ بنو النجار منكمْ ... أميةَ إذ يغوّث ياعقيلُ
وتبَّ ابنا ربيعة إذ أطاعا ... أبا جهلٍ لأمهما الهبولُ
وأفلت حارثٌ لمّا شُغِلْنا ... بأسرِ القومِ أسرتُهُ فليلُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا من مبلغ عنى أبيًّا ... فقد أُلقيتَ فى سحق السعيرِ
تمنى بالضلالة من بعيد ... وتقسم أن قدرت مع النذورِ
تمنيك الأمانى من بعيد ... وقول الكفر يرجع فى غرورِ
فقد لاقتك طعنةُ ذى حفاظ ... كريم البيت ليس بذى فجورِ
له فضل على الأحياء طراً ... إذا نابت ملمات الأمورِ

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : « اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه » وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق : فبينا رسول الله ﷺ فى الشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل ، قال ابن هشام : فيهم خالد بن الوليد ، قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا . فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض النبى ﷺ إلى صخرة من الجبل

ليعلوها وقد كان بدَّن رسول الله ﷺ وظاهرَ بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها ، فحدثنى يحيى بن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يومئذ « أوجب طلحة » حين صنع برسول الله ﷺ يومئذ ما صنع . قال ابن هشام : وذكر عمر ، مولى غفرة ، أن رسول الله ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التى أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أتِىٌّ ، لا يُدرى من هو يقال له : قزمان ، فكان رسول الله ﷺ يقول ، إذا ذُكر : « إنه لمن أهل النار » قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة فاحتُمِل إلى دار بنى ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر . قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ولولا ذلك ما قاتلت . قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا فى غزوة خيبر ، كما سيأتى إن شاء الله . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن المسيب عن أبى هريرة قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدعى الإسلام : « هذا من أهل النار » فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذى قلت إنه من أهل النار قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات ، فقال النبى ﷺ : « إلى النار » فكاد بعض القوم يرتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قيل : فإنه لم يمت ولكن به جراح شديدة ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه ، فأخبر النبى ﷺ فقال : « الله أكبر ، أشهد أنى عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالا فنادى فى الناس « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق به .

قال ابن إسحاق : وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق ، وكان أحد بنى ثعلبة بن الفطيون ، فلما كان يوم أحد قال : يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدته وقال : إن أُصِبتُ فمالى لمحمد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل . فقال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنا : « مخيريق خير يهود » قال السهيلى : فجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق ـ وكانت سبع حوائط ـ أوقافاً بالمدينة لله ، قال محمد بن كعب القرظى ، وكانت أول وقف بالمدينة .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن أبى سفيان مولىٍ ابن أبى أحمد عن أبى هريرة أنه كان يقول : حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصلِّ قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول : أُصيرم بنى عبد الأشهل : عمرو بن ثابت بن وقش ، قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، قال : فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا : فوالله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث فسألوه فقالوا : ما جاء بك يا عمرو؟ أحدب على قومك أم رغبة فى الإسلام ؟ فقال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ﷺ وأسلمت ثم أخذت سيفى وغدوت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى . فلم يلبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : « إنه من أهل الجنة » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى عن أشياخ من بنى سلِمة قالوا : كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأُسْدِ يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ وقال : إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل يوم أحد رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة ـ كما حدثنى صالح بن كيسان ـ والنسوة اللائى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً . وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . وذكر موسى بن عقبة أن الذى بقر عن كبد حمزة وحشى فحملها إلى هند فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فالله أعلم . قال ابن إسحاق : ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعرِ
ما كان لى عن عتبة من صبر ... ولا أخى وعمِّه وبكرى

شفيتُ نفسى وقضيتُ نذرى شفيتَ وحشى غليلَ صدرى
فشكر وحشى على عمرى حتى تُرمَّ أعظمى فى قبرى

قال : فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيتِ فى بدر وبعد بدر يا بنتَ وقّاع عظيم الكفرِ
صبّحك الله غداةَ الفجر الهاشميين الطوال الزُهرِ
بكل قطّاع حُسام يفرى حمزةُ ليثى وعلى صقرى
إذ رام شيب وأبوك غدرى فخضّبا منه ضواحى النحرِ
ونذركِ السوء فشر نذرِ

قال ابن إسحاق : وكان الحليس بن زيان ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة ـ وهو يومئذ سيد الأحابيش ـ مر بأبى سفيان وهو يضرب فى شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ذق عقق . فقال الحليس : يا بنى كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما . فقال : ويحك ، اكتمها عنى فإنها كانت زلة . قال ابن إسحاق : ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت فعالِ ، إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، أعلُ هبل ـ أى ظهر دينك ـ . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « قم يا عمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجل ، لاسواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار » فقال له أبو سفيان : هلم إلىّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ لعمر : آئته فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت عندى أصدق من ابن قمئة وأبر . قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه كان فى قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت . قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه . قل : نعم ، هو بيننا وبينك موعد . قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال : اخرج فى آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة . والذى نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم . قال على : فخرجت فى أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

ذكر دعاه النبـــــى ﷺ
بعد الوقعة يوم أحـــــد

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكى عن ابن رفاعة الزرقى عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ : « استووا حتى أثنى على ربى عز وجل » فصاروا خلفه صفوفاً فقال : « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضلَّ لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرّب لما باعدت ولا مبعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك . اللهم إنى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول . اللهم إنى أسألك النعيم يوم العَيْلَةِ والأمن يوم الخوف . اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إله الحق » ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة المازنى ، أخو بنى النجار ، أن رسول الله ﷺ قال : مَن رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ، أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ فقال : أنا فى الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ سلامى وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبى ﷺ فأخبرته خبره .

قلت : كان الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى محمد بن سلمة ، فيما ذكره محمد ابن عمر الواقدى ، وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر خبرك أجابه بصوت ضعيف وذكره . وقال الشيخ أبو عمر فى الاستيعاب : كان الرجل الذى التمس سعداً أبىّ بن كعب فالله أعلم . وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضى الله عنه ، وهو الذى آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف . قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومُثِّلَ به فَجُدِعَ أنفه وأذناه ، فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلنَّ بثلاثين رجلا منهم » فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى عن محمد بن كعب ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس أن الله أنزل فى ذلك ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾[1] . قال : فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآية مكية وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتئم هذا فالله أعلم .

قال : وحدثنى حميد الطويل عن الحسن عن سمرة قال : ما قام رسول الله ﷺ فى مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة . قال ابن هشام : ولما وقف النبى ﷺ على حمزة قال : « لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ إلىَّ من هذا » ثم قال : « جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوىْ رسول الله ﷺ من أرضعتهم ثلاثتهم ثويبة مولاة أبى لهب .

ذكر الصلاة على حمـــــزة وقتلى أحد

وقال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : « أمر رسول

---

(١) الآية : ١٢٦ من سورة النحل .

الله ﷺ بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبرسبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » وهذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلى : ولم يقل به أحد من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبى عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ لرجوت أن أبرّ أنا ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ﴾[1] فلما خاف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله ﷺ فى تسعة ـ سبعة من الأنصار واثنين من قريش وهو عاشرهم ـ فلما رهقوه قال : رحم الله رجلا ردّهم عنا . فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيْه : ما أنصفنا أصحابنا ، فجاء أبو سفيان فقال : اعل هبل ! فقال رسول الله ﷺ : قولوا : الله أعلى وأجل ، فقالوا : الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ، ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، يوم لنا ويوم علينا ، ويوم نُساءُ ويوم نُسَرُّ ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله ﷺ : لا سواء ، أما قتلانا فأحياء يرزقون ، وقتلاكم فى النار يعذبون . قال أبو سفيان : قد كانت فى القوم مثلة وإن كانت لعن غير ملا منا ، ما أمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءنى ولا سرنى ، قال : فنظروا فإذا حمزة قد بُقِر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : أأكلت شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة فى النار ، قال : فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه ، وجيء برجل من الأنصار فوُضع إلى جنبه فصلى عليه ، فرفع الأنصارى وترك حمزة وجيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة » تفرد به أحمد وهذا إسناد فيه ضعف أيضاً من جهة عطاء بن السائب فالله أعلم .

والذى رواه البخارى أثبتُ حين قال حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه فى اللحد وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنهم

---

(١) الآية : ١٥٢ من سورة آل عمران .

بدمائهم ولم يصلِّ عليهم ولم يغسلوا ، تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به ، وقال أحمد : حدثنا محمد ، يعنى ابن جعفر ، حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهرى عن ابن جابر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال فى قتلى أحد : فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة ، ولم يصلِّ عليهم ، وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته ﷺ بيسير ، كما قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا زكريا بن عدى أخبرنا ابن المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إنى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ . ورواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث يزيد بن أبى حبيب به نحوه . قال والأموى : حدثنى أبى حدثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبى ثابت قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر مخرج رسول الله ﷺ إلى أحد نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجل محتجر يشتد ويقول :

لبّث قليلا يشـــــهدِ الهيجا جمل

قال : فنظرنا فإذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلكُ فإذا بعير قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين ، قالت : فدنونا منها فإذا هى امرأة عمرو بن الجَموح فقلنا لها : ما الخبر؟ قالت : دفع الله عن رسول الله ﷺ واتخذ من المؤمنين شهداء ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا** ﴾[1] ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى . وقال ابن إسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى . قالت : ولمَ وقد بلغنى أنه مُثِّلَ بأخى ، وذلك فى الله فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله ، فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك قال : خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصلّتْ عليه واسترجعت[2] واستغفرت . قال ابن إسحاق : ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن ، ودفن معه

---

(١) الآية : ٢٥ من سورة الأحزاب .

(٢) الاسترجاع : هو قول : إنا لله وإنا إليه راجعون [دار الغد] .

ابن أخته عبد الله بن جحش ، وأمه : أمية بنت عبد المطلب ، وكان قد مُثِّل به غير أنه لم ينقر عن كبده ، رضى الله عنهما .

وقال السهيلى : وكان يقال له : المجدع فى الله ، قال : وذكر سعد أنه هو وعبد الله ابن جحش دَعَوَا بدعوة فاستجيبت لهما ، فدعا سعد أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه فكان ذلك ، ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه فارس فيقتله ويجدع أنفه فى الله فكان ذلك ، وذكر الزبير بن بكار أن سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً فصار فى يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ثم بيع فى تركة بعض ولده بمائتى دينار ، وهذا كما تقدم لعكاشة فى يوم بدر . وقد تقدم فى صحيح البخارى أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد ، بل فى الكفن الواحد ، وإنما أرخص لهم فى ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحدا ، ويقدم فى اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن ، وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين فى اللحد الواحد، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام ، والد جابر، وبين عمرو بن الجموح ، لأنهما كانا متصاحبيْن ولم يُغسَّلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم ، كما روى ابن إسحاق عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير أن رسول الله ﷺ لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : أنا شهيد على هؤلاء أنه مامن جريح يجرح فى سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك . قال : وحدثنى عمى موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ : مامن جريح يجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون الدم والريح ريح المسك ، وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أمر رسول الله ﷺ يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود وقال ادفنوهم بدمائهم وثيابهم . رواه أبو داود وابن ماجه من حديث على بن عاصم به .

وقال الإمام أبو داود فى سننه : حدثنا القعنبى أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن حميد ابن هلال عن هشام بن عامر أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا : قد أصابنا قرح وجهد فكيف تأمر فقال : احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد . قيل : يا رسول الله فأيهم يُقَدَّمُ ؟ قال : أكثرهم قرآنا . ثم رواه من حديث الثورى عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فذكره وزاد : وأعمقوا . قال ابن إسحاق : وقد احتمل ناس مَن المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : ادفنوهم حيث صُرعوا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا على بن إسحاق حدثنا عبد الله وعتاب حدثنا عبد الله حدثنا عمر بن سلمة بن أبى يزيد المدينى حدثنى أبى سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبى بأحد ، فأرسلنى أخواتى إليه بناضح لهن فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه فى مقبرة بنى سلمة . فقال : فجئته وأعوان لى ، فبلغ ذلك نبى الله وهو جالس بأحد فدعانى فقال : والذى نفسى بيده لا يدفن إلا مع إخوته ، فدفن مع أصحابه بأحد ، تفرد به أحمد ، وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الأسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله أن قتلى أُحد حملوا من مكانهم ، فنادى منادى النبى ﷺ أن ردوا القتلى إلى مضاجعهم ، وقد رواه أبو داود والنسائى من حديث الثورى والترمذيُّ من حديث شعبة والنسائى أيضاً وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة كلهم عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزى عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين يقاتلهم وقال لى أبى ، عبد الله : يا جابر ، لا عليك أن تكون فى نظارى أهل المدينة حتى تعلم إلىّ ما مصير أمرنا ، فإنى والله لولا أنى أترك بنات لى بعدى لأحببت أن تقتل بين يدى . قال : فبينا أنا فى النظارين إذ جاءت عمتى بأبى وخالى عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادى : ألا إن النبى ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها فى مصارعها حيث قتلت فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا فبينا أنا فى خلافة معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال : يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل ، ثم ساق الإمام قصة وفائه دين أبيه كما هو ثابت فى الصحيحين .

وروى البيهقى من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة ، استصرخنا إليهم فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دما . وفى رواية ابن إسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس ؛ وذكر الواقدى أن معاوية لما أراد أن يجرى العين نادى مناديه : من كان له قتيل بأحد فليشهد ، قال جابر : فحفرنا عنهم فوجدت أبى فى قبره كأنما هو هيئته ، ووجدنا جاره فى قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فأزيلت عنه فانبعث جرحه دما ، ويقال : إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين ، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا ؛ وقد قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال : لما حضر أحد

دعـانى أبى من الليل فقـال لى : ما أرانى إلا مقتـولا فى أول من يقتـل من أصحاب النبى ﷺ ، وإنى لا أترك بعدي أعز عَلَيَّ منك ، غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن عليَّ دَيْناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً ، فأصبحنا ، وكان أول قتيل فدفنت معه آخر فى قبره ، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه .

وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عنه الثوب ويبكى ، فنهاه الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « تبكيه أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه » ، وفى رواية أن عمته هى الباكية . وقال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا فيض بن وثيق البصرى حدثنا أبو عبادة الأنصارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لجابر : «ياجابر، ألا أبشرك ؟ قال : بلى ، بشرك الله بالخير ، فقال : أشعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمنَّ عليَّ عبدى ما شئت أعطكه . قال يا رب عبدتك حق عبادتك ، أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى ، قال : إنه سلف منى أنه إليها لا يرجع » . وقال البيهقى : حدثنا أبو الحسن محمد بن المعروف الإسفراينى حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا على بن المدينى حدثنا موسى ابن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصارى ثم السلمى قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلىَّ رسول الله ﷺ فقال : « مالى أراك مهتما ؟ قال : قلت : يا رسول الله قتل أبى وترك دَيْناً وعيالاً ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وأنه كلم أباك كفاحاً وقال له : يا عبدى سلنى أعطك ، فقال : أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يا رب ، فأبلغ من ورائى ، فأنزلَ الله ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[1] وقال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت جابراً يقول : قال رسول الله ﷺ : « ألا أبشرك يا جابر ؟ قلت : بلى ، قال : إن أباك أصيب بأحد أحياه الله ثم قال له : ما تحب يا عبد الله ، ما تحب أن أفعل بك ؟ قال : أى ربِّ ، أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » وقد رواه أحمد

---

(١) الآية : ١٦٩ من سورة آل عمران .

عن على بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن محمد بن على بن ربيعة السلمى عن ابن عقيل عن جابر ، وزاد : فقال الله : إنى قضيت أنهم إليها لا يرجعون .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن عبد الله عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، إذا ذكر أصحاب أحد : « أما والله لوددت أنى غودرت مع أصحابه بحضن الجبل » ـ يعنى سفح الجبل تفرد به أحمد ، وقد روى البيهقى من حديث عبد الأعلى ابن عبد الله بن أبى فروة عن قطن بن وهب عن عُبيد بن عمير عن أبى هريرة رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه فدعا له ثم قرأ ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ (١) الآية ، قال : « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم ، والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه » وهذا حديث غريب ، وروى عن عبيد بن عمير مرسلا . وروى البيهقى من حديث موسى بن يعقوب عن عباد ابن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : كان النبى ﷺ يأتى قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشعب قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر بعد النبى ﷺ يفعله وكان عمر بعد أبى بكر يفعله وكان عثمان بعد عمر يفعله .

قال الواقدى : كان النبى ﷺ يزورهم كل حول ، فإذا بلغ نقرة الشعب يقول : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم فتبكى وتدعو لهم ، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلمون على قوم يردون عليكم . ثم حكى زيارتهم عن أبى سعيد وأبى هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضى الله عنهم . وقال ابن أبى الدنيا ، حدثنى إبراهيم حدثنى الحكم بن نافع حدثنا العطاف بن خالد حدثتنى خالتى فقالت : ركبت يوماً إلى قبور الشهداء ـ وكانت لا تزال تأتيهم ـ فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلى وما فى الوادى داع ولا مجيب إلا غلاما قائما آخذاً برأس دابتى فلما فرغت من صلاتى قلت هكذا بيدى « السلام عليكم » قالت : فسمعت رد السلام علىّ يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقنى وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة منى .

---

(١) الآية : ٢٣ من سورة الأحزاب .

وقال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبى الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال النبى ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد . فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله فى الكتاب قوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ (١) . وروى مسلم والبيهقى من حديث أبى معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ . فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أرواحهم فى جوف طير خضر تسرح فى أيها شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال : فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك إطلاعةً ، فقال : اسألونى ما شئتم . فقالوا : يا ربنا ، وما نسألك ونحن نسرح فى الجنة فى أيها شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا فى الدنيا نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا .

فصـــــل فى عدد الشـــــهداء

قال موسى بن عقبة : جميع من استشهد يوم أُحد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلا ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح عند البخارى عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلا ، فالله أعلم . وقال قتادة عن أنس : قتل من الأنصار يوم أُحد سبعون ويوم بئر مَعُونة سبعون ويوم اليمامة سبعون . وقال حماد بن سلمة : عن ثابت عن أنس أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أُحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة . وقال مالك عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب : قتل من الأنصار يوم أُحد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبى عبيد سبعون ، وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن إسحاق فى قتلى أُحد ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنَّى هذا** ﴾(٢) يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ، وعن

---

(١) الآية : ١٦٩ من سورة آل عمران .

(٢) الآية : ١٦٥ من سورة آل عمران .

ابن إسحاق : قتل من الأنصار ـ لعله من المسلمين ـ يوم أُحد خمسة وستون ؛ أربعة من المهاجرين : حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان ، والباقون من الأنصار ، وسرد أسماءهم على قبائلهم ، وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام ، وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا : وعن عروة : كان الشهداء يوم أُحد أربعة أو قال : سبعة وأربعين ، وقال موسى بن عقبة ، تسعة وأربعون ، وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا ، وقال عروة : تسعة عشر ، وقال ابن اسحاق : اثنان وعشرون ، وقال الربيع عن الشافعي : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي ، وقد كان في الأسارى يوم بدر فمنَّ عليه رسول الله ﷺ بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله ، فلما أسر يوم أُحد قال : يا محمد امنن على لبناتي وأعاهد أن لا أقاتلك ، فقال له رسول الله ﷺ : لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمداً مرتين ، ثم أمر فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جُحر مرتين » .

فصـــــــــل

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش ـ كما ذكر لي ـ فلما لقيت الناس نُعِيَ إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت ، واستغفرت له ، ثم نعىَ لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن زوج المرأة منها لبمكان » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها ، وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا إسحاق بن محمد الفروى حدثنا عبد الله بن عمر عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه عن حمنة بنت جحش أنه قيل لها : قُتِلَ أخوك ، فقالت : رحمه الله وإنا لله وإنا إليه راجعون ، فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزناه ، فقال رسول ﷺ : « إن للزوج من المرأة لشعبة ما هى لشىء » قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون عن إسماعيل عن محمد عن سعيد ابن أبى وقاص قال : مر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه حتى

إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير وهو هٰهنا القليل ، قال امرؤ القيس :

لقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء خلاه جلل

أي صغير وقليل ، قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنيَّة ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة » وقال موسى بن عقبة في موضع آخر : ولما رأى رسول الله ﷺ سيف عليّ مخضباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » وروى البيهقي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هاك السيف حميداً فإنها قد شفتني ، فقال رسول الله ﷺ « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة » .

قال ابن هشام : وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نادى منادٍ يوم أحد : لا سيف إلا ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لعليّ : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » قال ابن إسحاق : ومر رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال : « لكن حمزة لا بواكي له » فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ ، فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد ابن حنيف عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن » قال : ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام ، وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل ، وقد أسنده الإمام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحباب حدثني أسامة بن زيد حدثني نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحد فجعل نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله ﷺ : « ولكن حمزة لا بواكي له » قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فهن اليوم إذاً يبكين يندبن حمزة » وهذا على شرط مسلم .

وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مر بنساء بنى عبد الأشهل يبكين هلكاهن يوم أحد فقال رسول الله ﷺ : « لكن حمزة لا بواكى له » فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : « ويحهن ما انقلبن بعد مرورهن فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله ﷺ أزقة المدينة إذا النوح والبكاء فى الدور قال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكى له » واستغفر له ، فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة فمشوا إلى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم النبى ﷺ ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكى له بالمدينة ، وزعموا أن الذى جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله ﷺ قال : ما هذا ؟ » فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيراً وقال : « ما هذا أردت ، وما أحب البكاء » ونهى عنه ، وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير سواء ، قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين فى المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل ، وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم فأنزل الله القرآن فى طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين ، يعنى فيمن قتل منهم فقال تعالى : ﴿**وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم**﴾[1] الآيات كلها ، كما تكلمنا على ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

---

(١) الآية : ١٢١ من سورة آل عمران .

ذكـــــر خروج النبى ﷺ
بأصحابه على ما بهم من القـــرح والجراح
فى أثر أبى سفيان إرهاباً له ولأصحـــابه
حتى بلغ حمراء الأســـد وهى على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد وذكره رجوعه ﷺ إلى المدينة : وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبى سفيان وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومـون ويقـول بعضهم لبعض : لم تصنعـوا شيئـاً أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم فقد بقى منهم رؤس يجمعون لكم ، فأمر رسول الله ﷺ - وبهم أشد القرح - بطلب العدو ليسمعوا بذلك وقال : لا ينطلقن معى إلا من شهد القتال ، فقال عبد الله بن أبىّ : أنا راكب معك ، فقال : لا ، فاستجابوا لله ورسوله على الذى بهم من البلاء فانطلقوا ، فقال الله فى كتابه : ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** ﴾ (١) قال : وأذن رسول الله ﷺ لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام فى المدينة على أخواته ، قال : وطلب رسول الله ﷺ العدو حتى بلغ حمراء الأسد ، وهكذا روى ابن لهيعه عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير سواء ، وقـال محمـد بن إسحـاق فى مغازيه : وكان يوم أُحُد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ فى الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه ألا يخرجنّ أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله فأذن له .

قال ابن إسحاق : وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو ليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ، قال ابن إسحاق رحمه الله : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب ، مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلا من بنى عبد الأشهل قال : شهدت أحداً أنا وأخ لى جريحيْن ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو قلت لأخى وقال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله مالنا من دابة نركبها وما مناً إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ

---

(١) الآية : ١٧٢ من سورة آل عمران..

وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غُلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة ، قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم متكوم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن معبد بن أبى معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك مر برسول الله ﷺ وهو مقيم بحمراء الأسد فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرَّن على بقيتهم فلنفرغن منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط ، قال : ويلك ، ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم ، قال : فإنى أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حملنى ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر . قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتى ... إذ سالتِ الأرضُ بالجرد الأبابيلِ
تَرْدَى بأُسْدٍ كرامٍ لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا ميل معازيلِ
فظلتُ عَدْواً أظن الأرض مائلة ... لمّا سموا برئيس غير مخذولِ
فقلتُ ويلَ ابن حربٍ من لقائكم ... إذا تغطمطتِ البطحاءُ بالجيلِ
إنى نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً ... لكلِّ ذى إربة منهمْ ومعقولِ
من جيشِ أحمدَ لا وَخْشٍ تنابلة ... وليس يُوصَفُ ما أنذرتُ بالقيلِ

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرَّ به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذى

قال أبو سفيان ، فقال ، حسبنا الله ونعم الوكيل . وكذا قال الحسن البصرى . وقد قال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، أراه قال : حدثنا أبو بكر عن أبى حصين أبى الضحى عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، قالها محمد ﷺ حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . تفرد بروايته البخارى .

وقد قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** ﴾ (١) قالت لعروة : يا بن أختى ، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما لمّا أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال : من يذهب فى أثرهم ؟ فانْتُدِبَ منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير . هكذا رواه البخارى ، وقد رواه مسلم مختصراً من وجه عن هشام ، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدى جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم فى مستدركه من طريق أبى سعيد عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث السدى عن عروة وقال فى كل منهما صحيح ولم يخرجاه . كذا قال . وهذا السياق غريب جداً فإن المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائة ، كما تقدم ، قتل منهم سبعون وبقى الباقون .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس قال : إن الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد الذى كان منه فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحد فى شوال وكان التجار يقدمون فى ذى القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى فى كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المسلمين القرح واشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ واشتد عليهم الذى أصابهم وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا مُتَّبعين وقال لنا : ترتحلون الآن فتأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل ، فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه ، فقال ﷺ إنى ذاهب وإن لم يتبعنى أحد ، فانْتُدِبَ معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة فى سبعين رجلا فساروا فى طلب أبى سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله ﴿ **الذين استجابوا**

---

(١) الآية : ١٧٢ من سورة آل عمران .

لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾[1] وهذا غريب أيضاً ، وقال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان فارجعوا فرجعوا ،فقال النبى ﷺ ، وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : « والذى نفسى بيده لقد سُوِّمَتْ لهم حجارة ولو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » قال : وأخذ رسول الله ﷺ فى وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الملك ابن مروان لأمه عائشة بنت معاوية وأبا عزَّة الجمحى ، وكان رسول الله ﷺ قد أسره ببدر ثم منَّ عليه فقال : يا رسول الله أقلنى ، فقال : لا والله ، لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه . قال ابن هشام : وبلغنى عن ابن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه » وذكر ابن هشام أن معاوية بن المغيرة ابن أبى العاص استأمن له عثمان على أن لايقيم بعد ثلاث ، فبعث رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه فى مكان كذا وكذا فاقتلاه ، ففعلا رضى الله عنهما .

قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان عبد الله بن أبىّ ، كما حدثنى الزهرى ، له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر له شرفا فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفاً إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أى عدو الله ، والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره . فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك ، مالك ؟ قال : قمت أشدد أمره فوثب إلىّ رجال من أصحابه يجبذوننى ويعنفوننى لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره . قالوا : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . قال : والله ما أبغى أن يستغفر لى . ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل من القرآن فى قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله تعالى : **﴿ وإذ غدوت من أهلك تُبَوِّىء المؤمنين مقاعد للقتال**

---

(١) الآية : ١٧٢ من سورة آل عمران .

والله سميع عليم ﴾ [1] قال : إلى تمام ستين آية . وتكلم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية . ثم شرع ابن إسحاق فى ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة : حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان رضى الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلا ، واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام ، ثم سمى ابن إسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على قبائلهم أيضاً .

قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزَّة الجمحى كما ذكره الشافعى وغيره وقتله رسول الله ﷺ صبراً بين يديه أمر الزبير ـ ويقال : عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ـ فضرب عنقه .

فصـــــل
فيما تقاول به المؤمنون والكفار فى وقعة أحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الإسلام ليكون أبلغ فى وقعها من الأسماع والأفهام وأقطع لشبهة الكفرة الطغام . قال الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، وهو على دين قومه من قريش فقال :

ما بال همّ عميدٍ باتَ يطرُقُني ... بالوُدِّ من هندٍ إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هندٌ وتعذُلُني ... والحربُ قد شغلتْ عني مواليها
مهلا فلا تعذليني إنّ من خُلُقي ... ما قد علمتِ وما أنْ لستُ أُخفيها
مُساعِفٌ لبني كعب بما كلفوا ... حَمّالُ عبء وأثقالٍ أعانيها
وقد حملتُ سلاحى فوقَ مُشْتَرِفٍ ... ساطٍ سَبُوح إذا تجرى يباريها
كأنه إذ جرى عيرٌ بفدفدةٍ ... مكدّم لاحق بالعون يحميها
من آل أعوج يرتاح النديُّ له ... كجذع شعْراء مستعل مراقيها
أعددتُه ورقاق الحدّ منتخلاً ... ومارنا لخطوبٍ قد ألاقيها

---

(١) الآية : ١٢١ من سورة آل عمران .

هذا وبيضاءُ مثل النهى محكمةٌ لظّت عليَّ فما تبدو مساويها
سقنا كنانةَ من أطرافِ ذي يمنٍ عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالتْ كنانةُ أنّى تذهبون بنا قلنا النخيل فأمّوها ومن فيها
نحن الفوارسُ يوم الجرِّ من أُحُدٍ هابت معد فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضِراباً وطعناً صادقاً خدماً مما يرون وقد ضمت قواصيها
ثمت رحنا كأنا عارض برد وقام هام بنى النجار يبكيها
كأن هامَهم عند الوغى فلقٌ من قيض ربد نفته عن أداحيها
أو حنظلٌ ذعذعته الريحُ فى غصن بالٍ تعاوره منها سوافيها
قد نبذلُ المال سُحًّا لاحساب لهُ ونطعنُ الخيلَ شزراً فى مآقيها
وليلةٍ يصطلى بالفرث جازرُها يختص بالنقرى المثرين داعيها
وليلةٍ من جمادى ذات أنديةٍ جربا جمادية قد بت أسريها
لا ينبح الكلب فيها غيرَ واحدةٍ من القريس ولا تسرى أفاعيها
أوقدتُ فيها لذى الضراء جاحمةً كالبرق ذاكية الأركانِ أحميها
أورثنى ذلكم عمرو ووالدُهُ من قبله كان بالمشتى يغاليها
كانوا يبارون أنواء النجوم فما دنت عن السورة العليا مساعيها

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال : قال ابن هشام : وتروى لكعب بن مالك وغيره . قلت : وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر والله أعلم :

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم إلى الرسول فجندُ الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والقتل لاقيها
جمعتموهم أحابيشاً بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلتْ أهلَ القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمنٍ وجز ناصية كنا مواليها

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبى وهب المخزومى أيضاً :

ألا هل أتى غسان عنّا ودونهم من الأرض خرق سيره متنعنعُ
صحارى وأعلام كأنّ قتامَها من البعد نقعٌ هامدٌ متقطّعُ
تظل به البزل العراميس رزحاً ويحلو به غيث السنين فيمرعُ
به جيف الحسرى يلوح صليبُها كما لاح كتان التجار الموضعُ
به العين والآرام يمشين خلفة وبيضُ نعامٌ قيضه يتقلّعُ

مجـالـدنـا عن ديننـا كل فخمـة ... مذربـة فيهـا الـقـوانس تلمـعُ
وكـل صمـوت فى الـصوان كأنهـا ... إذا لبست نهى من المـاء مترعُ
ولـكـنْ ببـدرٍ سائـلو من لقـيتـمُ ... من النـاس والأنبـاء بالغيب تنفـعُ
وإنـا بأرض الـخـوف لو كان أهلُهـا ... سوانـا لقـد أُجلوا بليلٍ فأُقشِعـوا
إذا جاء منّـا راكـبٌ كان قولـه ... أعـدّوا لما يزجى ابن حرب ويجمعُ
فمـهـمـا يهـمُّ الناس ممـا يكيدُنـا ... فنحن له من سائـر النـاس أوسـعُ
فلو غيرُنـا كانـت جميعـاً تكيده الـ ... ـبـريةُ قد أعـطوا يداً وتـوزعـوا
نجـالـدُ لا تبـقـى علينـا قبـيلة ... من الناس إلا أن يهابـوا ويفظعـوا
ولـمـا ابتنـوا بالعـرض قالتْ سُراتُنـا ... علام إذا لم نمنـع العـرض نزرعُ
وفـينـا رسـول الله نتـبـع أمـرهُ ... إذا قال فينـا الـقـولَ لا نتـظلّعُ
تدلّـى عليه الـروحُ من عنـدِ ربّـهِ ... يُنـزل من جوّ الـسـمـاء ويُرْفَـعُ
نُشـاوره فيمـا نريد وقـصـرنـا ... إذا ما اشـتـهى أنّـا نطيع ونسمـعُ
وقـال رسـول الله لمـا بَدَوْا لنـا ... ذروا عنـكم هول المنيّات واطمعـوا
وكـونـوا كمن يشـرى الحياةَ تقـرُّباً ... إلـى ملكٍ يحـيا لديهِ ويرجـعُ
ولـكـن خذوا أسـيافَـكم وتـوكـلوا ... على الله إن الأمـر لله أجـمـعُ
فسـرْنـا إلـيهـم جهـرةً فى رحـالـهم ... ضُحَـيّا علينـا البـيض لا نتخشـعُ
بملـمـومـةٍ فيهـا الـسنـوّر والقـنـا ... إذا ضربـوا أقـدامَـهـا لا تُورّعُ
فجئنـا إلـى موج من الـبحـر وسـطه ... أحـابيشُ منـهـم حاسـرٌ ومُقنـعُ
ثلاثـة آلاف ونـحـنُ نصـيَّة ... ثلاث مئين إن كثـرنـا فأربـعُ
نغـاورهـم تجـرى الـمـنيةُ بيننـا ... نشـارعُهم حوضَ المنـايا ونشـرعُ
تهـادى قسـى الـنبـع فينـا وفيهـمُ ... ومـا هو إلا اليـثربى الـمقـطعُ
ومـنـجـوفـة حِرْمِـيّة صاعـدية ... يذر عليهـا السم ساعـة تصنـعُ
تُصَـوّبُ بأبـدان الـرجـال وتـارة ... تمـر بأعـراض الـبصّـار تقعقـعُ
وخـيلٍ تراهـا بالـفـضـاء كأنـهـا ... جراد صبـا فى قرة يتـريّعُ
فلمـا تلاقـينـا ودارت بنـا الـرحـا ... ولـيس لأمـرٍ حمّـه الله مدفـعُ
ضربـنـاهـم حتـى تركنـا سُراتِـهـم ... كأنـهـم بالـقـاع خُشْبٌ مُصـرعُ
لدن غدوةٍ حتـى اسـتـفـقنـا عشـيةً ... كأن ذكـانـا حرُّ نـارٍ تلفـعُ
وراحـوا سراعـاً مُوجَـعـين كأنـهـم ... جهـام هراقـت ماءه الـريح مقلَعُ
ورحـنـا وأخـرانـا بطاء كأنـنـا ... أسـود على لحـمٍ ببـيشـة ضُلَّعُ

فنلنا ونال القومُ منّا وربما فعلنا ولكنْ ما لدى الله أوسعُ
ودارت رَحانا واستدارتْ رحاهم وقد جعلوا كل من الشرّ يشبعُ
ونحن أناسٌ لا نرى القتل سبّةً على كل من يحمى الذِّمار ويمنعُ
جِلادٌ على ريب الحوادثِ لا نرى على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمعُ
بنو الحرب لانعيا بشيء نقولُهُ ولا نحن مما جرَّت الحرب نجزعُ
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفُحَّش ولا نحن من أظفارنا نتوجعُ
وكنا شهاباً يتقى الناس حرَّهُ ويفرج عنه من يليه ويسفعُ
فخرتَ عليَّ ابنَ الزبعرى وقد سرى لكم طلب من آخر الليل متبعُ
فسل عنك فى عليا مَعَد وغيرها من الناس من أخزى مقاماً وأشنعُ
ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً ومَنْ خدُّهُ يوم الكريهة أضرعُ
شددنا بحول الله والنصر شدةً عليكم وأطراف الأسنَّة شرَّعُ
تكِرُّ القنا فيكم كأنَّ فروعَها عزالى مزاد ماؤها يتهزَّعُ
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يَطْر بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرعُ
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا أبى الله إلا أمره وهو أصنعُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى فى يوم أُحُد وهو يومئذ مشرك بعد :

يا غُرابَ البين أسمعت فقلْ إنما تَنطق شيئاً قد فُعلْ
إن للخير وللشرّ مَدًى وكلا ذلك وَجهٌ وقبلْ
والعطيَّاتُ خِساسٌ بينهم وسواء قبر مُثرٍ ومُقِل
كلُّ عيش ونعيمٍ زائل وبناتُ الدهر يلعبن بكل
أبلغا حسانَ عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم ترى بالجر من جمجمة وأكفّ قد أترت ورِجل
وسرابيل حسان سرّيت عن كماةٍ أهلكوا فى المنتزل
كم قتلنا من كريم سيّد ماجد الجدّين مِقدامٍ بطل
صادق النجدة قرم بارع غير ملتاث لدى وقع الأسل
فسل المِهراسَ ما ساكنه بين أقحاف وهام كالحجل
ليتَ أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بقباء بركها واستحرّ القتل فى عبد الأشل
ثم خفّوا عند ذاكم رُقّصاً رَقْص الحفان يعلو فى الجبل

فقلنا الضعف من أشرافهم ... وعدلنا مَيل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا ... لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم ... عَلَلاً تعلوهم بعد نهلْ

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبتْ بابن الزِّبعرى وقعةٌ ... كان منا الفضل فيها لو عدلْ
ولقد نلتم ونلنا منكم ... وكذاك الحرب أحيانا دُوَلْ
نضع الأسياف فى أكتافكم ... حيث نهوى عللاً بعد نَهلْ
نخرج الأصبح من أِستاهكم ... كسلاح النيب يأكلن العصلْ
إذ تولون على أعقابكم ... هرباً فى الشعب أشباه الرَّسَلْ
إذ شددنا شدَّةً صادقة ... فأجأناكم إلى سفح الجبلْ
بخناطيل كأشداق الملا ... من يلاقوه من الناس يهلْ
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه ... وملأنا الفرط منه والرجلْ
برجال لستم أمثالهم ... أُيِّدوا جبريل نصراً فنزلْ
وعلونا يوم بدر بالتقى ... طاعة الله وتصديقِ الرُّسُلْ
وقتلنا كلَّ رأس منهم ... وقتلنا كل جحجاح رفلْ
وتركنا فى قريش عورة ... يوم بدر وأحاديث المثلْ
ورسول الله حقاً شاهدا ... يوم بدر والتنابيل الهبلْ
فى قريش من جموع جمعوا ... مثل ما يجمع فى الخصب الهملْ
نحن لا أمثالكم وُلْدُ استها ... نحضر البأس إذا البأس نزلْ

قال ابن إسحاق : وقال كعب يبكى حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضى الله عنهم :

نشجت وهل لك من منشج ... وكنتَ متى تذَّكرْ تلجج
تذكر قوم أتانى لهم ... أحاديث فى الزمن الأعوجِ
فقلبك من ذكرهم خافق ... من الشوق والحزن المنضجِ
وقتلاهم فى جنان النعيم ... كرام المداخل والمخرجِ
بما صبروا تحت ظل اللواء ... لواء الرسول بذى الأضوجِ
غداة أجابت بأسيافها ... جميعاً بنو الأوس والخزرجِ
وأشياع أحمدَ إذ شايعوا ... على الحق ذى النور والمنهجِ

فما برحوا يضربون الـ ... ـكماة ويمضون فى القسطل المرهجِ
كذلك حتى دعاهم مليـ ... ـك إلى جنة دوحة المولجِ
وكلهم مات حر البـ ... ـلاء على ملة الله لم يحرجِ
كحمزة لمَّا وفى صادقاً ... بذى هبة صارم سلججِ
فلاقاه عبد بنى نوفل ... يبربر كالجمل الأدعجِ
فأوجره حربة كالشهـ ... ـاب تلهب فى اللهب الموهجِ
ونعمان أوفى بميثاقه ... وحنظلة الخير لم يحنجِ
عن الحق حتى غدت روحه ... إلى منزل فاخر الزبرجِ
أولئك لامَنْ ثوى منكم ... من النار فى الدرك المرتجِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد وهى على رويّ قصيدة أمية بن أبى الصلت فى قتلى المشركين يوم بدر . قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان والله أعلم :

يامَّى قومى فاندبى بسحيرة شجوَ النوائح ... كالحاملات الوقر بالثقل الملحات الدوالح
المعولات الخامشات وجوه حرات صحائح ... وكأنّ سيلَ دموعها الأنصابُ تُخضَب بالذبائح
ينقضن أشعاراً لهن هناك بادية المسائح ... وكأنّها أذنابُ خيل بالضحى شمس روامح
من بين مشرور ومجزور يذعذع بالبوارح ... يبكين شجو مسلبات كدحتهن الكوادح
ولقد أصاب قلوبها مجل له جلب قوارح ... إذ أقصد الحدثان من كنّا نرجى إذ نشايح
أصحاب أحد غالهم دهر ألمّ له جوارح ... من كان فارسنا وحامينا إذا بعث المسالح
ياحمز ، لا والله ، ما أنساك ما صر اللقائح ... لمناخ أيتام ، وأضياف ، وأرملة تلامح
ولما ينوب الدهر فى حرب لحرب وهى لاقح ... يافارساً ، يا مِدْرَهاً يا حَمْز قد كنت المصامح
عنا شديدات الخطوب إذا ينوب لهن فادح ... ذكرتنى أسد الرسول وذاك مدرهنا المنافح
عنا وكان يعدُّ إذ عد الشريفون الجحاجح ... يعلو القماقم جهرة سبط اليدين أغر واضح
لا طائش رعش ولا ذو علة بالحمل آنح ... بحر فليس يغب جاراً منه سيب أو منادح
أودى شباب أولى الحفائظ والثقيلون المراجح ... المطعمون إذ المشاتى ما يصفقهن ناضح
لحم الجلاد وفوقه من شحمه شطب شرائح ... ليدافعوا عن جارهم ما رام ذو الضغن المكاشح
لهفى لشبان رزئناهم كأنهم المصابح ... شم بطارقة غطارفة خضارمة مسامح
المشترون الحمد بالأموال إن الحمد رابح ... والجامزون بلجمهم يوماً إذا ما صاح صائح
من كان يرمى بالنواقر من زمان غير صالح ... ما إن تزال ركابه يرسمن فى غبر صحاصح

راحت تبارى وهو فى ركب صدورهم رواشح ... حتى تئوب له المعالى ليس من فوز السفائح
يا حمز قد أوحدتنى كالعود شذبه الكوافح ... أشكو إليك وفوقك الترب المكوَّر والصفائح
من جندل يلقيه فوقك إذ أجاد الضرح ضارح ... فى واسع يحشونه بالترب سوته المماسح
فعزاؤنا أنا نقول وقولنا برح بوارح ... من كان أمسى وهو عما أوقع الحدثان جانح
فليأتنا فلتبك عيناه لهلكانا النوافح ... القائلين الفاعلين ذوى السماحة والممادح

من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مائح[1]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان ، قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة وأصحابه :

طرقت همومك فالرقاد مسهدُ ... وجزعت أن سلخ الشبابُ الأغْيَدُ
ودعت فؤادك للهوى ضمرية ... فهواكَ غورى وصحوكَ منجدُ
فدع التمادى فى الغواية سادراً ... قد كنتَ فى طلب الغواية تفندُ
ولقد أنى لك أن تناهى طائعاً ... أو تستفيق إذا نهاك المرشدُ
ولقد هددتُ لفقد حمزة هدةً ... ظلت بنات الجوف منها ترعدُ
ولو انه فجعت حِراء بمثله ... لرأيت راسىْ صخرها يتبددُ
قرم تمكن فى ذؤابة هاشم ... حيث النبوَّة والندَى والسؤدد
والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت ... ريح يكاد الماء منها يجمدُ
والتارك القِرن الكمى مجدَّلا ... يوم الكريهة والقنا يتقصدُ
وتراه يرفل فى الحديد كأنهُ ... ذو لبدة ششنُ البرائن أربدُ
عم النبى محمد وصفّيهُ ... وردَ الحمامَ فطاب ذاك المَوردُ
وأتى المنية معلماً فى أسرةٍ ... نصروا النبى ومنهمُ المستشهدُ
ولقد إخال بذاك هنداً بُشّرَتْ ... لتميتَ داخل غصة لا تبردُ
مما صبحنا بالعقنقل قومَها ... يوماً تغيب فيه عنها الأسعدُ
وببئر بدرٍ إذ يردُّ وجوهَهم ... جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ
حتى رأيت لدى النبى سراتهم ... قسمين نقتل من نشاء ونطردُ
فأقام بالعَطن المعطن منهم ... سبعون ، عتبةُ منهم والأسودُ

---

(١) فى الشعر إقواء ، ولعله لهذا أنكر بعض أهل العلم بالشعر هذه القصيدة لحسان [دار الغد] .

وابـن الـمـغـيرةِ قد ضربنـا ضربـةً فوق الـوريد لهـا رشـاش مزبـدُ
وأمـيـة الـجـمـحـىُّ قوَّم ميلهُ عضـب بأيدى الـمؤمـنين مهنـدُ
فأتـاك فل الـمـشـركـين كأنـهـم والـخـيل تثـفـنـهـم نعام شُرَّدُ
شتـانِ من هو فى جهـنـم ثاويا أبـداً ومن هو فى الجنـان مخلدُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رَوَاحه يبكى حمزة وأصحابه يوم أحد . قال ابن هشام : وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك فالله أعلم :

بكـتْ عينـى وحـق لهـا بكـاهـا ومـا يغنـى الـبكـاء ولا العـويلُ
على أَسَـدِ الإلـه غداة قالـوا أحـمـزةَ ذاكـم الـرجـل الـقـتـيلُ
أُصـيب الـمـسـلمـون به جميعـاً هنـاك وقـد أُصيب به الـرسـولُ
أبـا يعـلى لك الأركـانُ هُدَّتْ وأنـت المـاجـدُ البَـرُّ الـوصـولُ
عليك سلامُ ربّـكَ فى جنـانٍ مخـالـطُهـا نعـيم لا يزولُ
ألا يا هاشـمَ الأخيـار صبـراً فكـلُّ فعـالِـكـم حسـنٌ جميلُ
رسـول الله مُصْـطَبَـرٌ كريمٌ بأمـر الله ينـطق إذ يقـولُ
ألا من مُبـلغ عنـى لُؤَيا فبـعـدَ الـيوم دائـلةٌ تدولُ
وقـبـل الـيوم ماعـرفـوا وذاقـوا وقـائـعـنـا بهـا يشـفـى الـغـليلُ
نسـيتـم ضربـنـا بقـليب بدرٍ غداة أتـاكـم الـمـوت الـعـجـيلُ
غداة ثوى أبـو جهـل صَريعـاً عليه الـطـير حائـمـةٌ تجـولُ
وعـتـبـة وابـنـه خرَّا جمـيعـاً وشيبـة عضـه الـسـيفُ الـصـقيلُ
ومـتـركـنـا أميةَ مجـلعـبّـا وفـى حيزومـه لدنٌ نبـيلُ
وهـام بنـى ربيعـة سائـلوهـا ففـى أسيافـنـا منـهـا فلولُ
ألا يا هنـد فابـكـى لا تمـلى فأنـت الـوالـه الـعـبرى الهبـولُ
ألا يا هنـد لا تبـدى شمـاتـاً بحـمـزةَ ، إنّ عزكـم ذلـيلُ

قال ابن إسحـاق : وقـالت صفية بنت عبـد المـطلب تبكى أخـاهـا حمزة بن عبد المطلب ، وهى أم الزبير عمة النبى ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين :

أسـائـلة أصحـابَ أحـد مخـافـة بنـات أبـى من أعـجـم وخـبيرِ
فقـال الـخـبـير إن حمـزة قد ثوى وزير رسـول الله خير وزيرِ
دعـاه إلـه الـحق ذو العـرش دعـوة إلـى جنـة يحـيا بهـا وسـرورِ
فذلـك ما كنـا نرجّـى ونـرتـجـى لحـمـزةَ يوم الـحـشـرِ خيرَ مصيرِ

فوالله لا أنســاك ما هبَّت الـصبـا بكـاء وحـزنـاً محضرى ومسيرى
على أسـد الله الـذى كان مِدْرَهـا يذودُ عن الإســلام كل كفـورِ
فياليـت شلوى عنـد ذاك وأعـظمـى لدى أضـبـع تعتـادنى ونسـورِ
أقـول وقـد أعلى الـنعى عشيرتى جزى الله خيراً من أخ ونـصـيرِ

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى زوجها والله أعلم ولله الحمد والمنة :

يا عين جودى بفـيض غير إبسـاسِ على كريمٍ من الـفـتيان لبـاسِ
صعبُ البـديهـة ، ميمـونٌ نقيبتُـهُ حَمّـالُ ألـوية ، ركّـابُ أفـراسِ
أقـول لمَّـا أتـى الـنـاعـى له جزعـاً أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى
وقـلتُ لمـا خلت منـه مجـالسـه : لا يبـعـد الله منـا قرب شمـاسِ

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها ، فقال :

اقْـنَـىْ حياءك فى ستـر وفـى كرمٍ فإنـمـا كان شمـاسٌ من الـنـاسِ
لا تقـتلى الـنفس ، إذ حانـت منيتـهُ فى طاعـة الله يوم الـروع والبـاسِ
قد كان حمـزة ليث الله فاصـطبـرى فذاق يومئـذ من كأس شمـاسِ

وقالت هند بنت عتبة ، امرأة أبى سفيان ، حين رجعوا من أُحُد :

رجـعـت وفـى نفسى بلابـل جمـة وقـد فاتنى بعض الـذى كان مطلبى
من اصـحـاب بدر من قريش وغيرهم بنى هاشم منهم ومن أهـل يثـربِ
ولـكـننى قد نلت شيئـاً ولـم يكن كمـا كنت أرجو فى مسيرى ومركبى

وقـد أورد ابن إسحاق فى هذا أشعاراً كثيرة ، تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد . وقد أورد الأموى فى مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته ولا سيما هٰهنا ، فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابت أنه قال فى غزوة أحد ، فالله أعلم :

طاوعـوا الـشيطانَ إذ أخـزاهـمُ فاستبـان الخـزى فيهم والفشـلْ
حين صاحـوا صيحـة واحـدة مع أبى سفيان قالـوا أعـلُ هبـلْ
فأجـبـنـاهـم جـمـيعـاً كلُّنـا ربـنـا الـرحـمن أعلى وأجـلْ
اثـبـتـوا ، تستـعـملوهـا مرة من حياض المـوت والمـوت نهـلْ
واعـلـمـوا أنـا إذا ما نضـحـت عن خيال المـوت قدر تشـتعـلْ

وكأن هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعرى ، والله أعلم :

فصـــــل
آخر الكـــــلام على وقعة أحد

قد تقدم ما وقع فى هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها وقعة أُحُد ، كانت فى النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها ولله الحمد .

وفيهـا فى أحد توفى شهيداً أبو يعلى ، ويقال : أبو عمارة ، أيضاً ، حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، الملقب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبى ﷺ هو وأبو سلمة بن عبد الأسد أرضعتهم ثويبة ، مولاة أبى لهب ، كما ثبت ذلك فى الحديث المتفق عليه ، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضى الله عنه ، فإنه كان من الشجعان الأبطال ، ومن الصديقين الكبار ، وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضى الله عنهم أجمعين .

وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم ، بنت رسول الله ﷺ ، بعد وفاة أختها رقية ، وكان عقده عليها فى ربيع الأول منها ، وبنى عليها فى جمادى الآخرة منها ، كما تقدم فيما ذكره الواقدى .

وفيهـا كمـا قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول‌الله ﷺ الحسن بن على بن أبى طالب ، قال : وفيها علقت بالحسين رضى الله عنهم .

بســـم الله الرحمن الرحيـــم
ربِّ يَسِّـــــرْ
ســـنة أربع من الهجـــرة النبـــوية

فى المحرم منها كانت سرية أبى سلمة بن عبد الأسد أبى طليحة الأسدى فانتهى إلى ما يقـال له : قَطَن . قال الـواقدى : حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعى عن سلمة بن عبد الله بن أبى سلمة وغيره قالوا : شهد أبو سلمة أحداً ، فجرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يُداوَى ، فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين

شهراً من الهجرة دعاه رسول الله ﷺ ، فقال : اخرج فى هذه السرية ، فقد استعملتك عليها ، وعقد له لواء وقال : سر حتى تأتى أرض بنى أسد فأغر عليهم ، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وخرج معه فى تلك السرية خمسون ومائة ، فانتهى إلى أدنى قطن ، وهو ماء لبنى أسد ، وكان هناك طليحة الأسدى وأخوه سلمة ابنا خويلد ، وقد جمعا حلفاء من بنى أسد ليقصدوا حرب النبى ﷺ ، فجاء رجل منهم إلى النبى ﷺ فأخبره بما تمالأوا عليه ،فبعث معه أبا سلمة فى سريته هذه . فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نَعَما كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة مماليك وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل الأسدى الذى دلهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صفى النبى ﷺ عبداً وخمس الغنيمة وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة . قال عمر بن عثمان : فحدثنى عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن عمر بن أبى سلمة قال : كان الذى جرح أبى ، أبو أسامة الجشمى فمكث شهراً يداويه فبرىء فلما برىء بعثه رسول الله ﷺ فى المحرم ، يعنى من سنة أربع إلى قطن فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى . قال عمر : واعتدّت أمى حتى أربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله ﷺودخل بها فى ليال بقين من شوال ، فكانت أمى تقول : ما بأس بالنكاح فى شوال والدخول فيه ، قد تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى فيه ، قال : وماتت أم سلمة فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين ، رواه البيهقى .

قلت : سنذكر فى أواخر هذه السنة فى شوالها تزويج النبى ﷺ بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه فى النكاح ومذاهب العلماء فى ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

غـــــــــزوة الرجيع

قال الواقدى : وكانت فى صفر ، يعنى سنة أربع بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليجيزوه قال : والرجيع على ثمانية أميال من عسفان . قال البخارى : حدثنى إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهرى عن عمرو بن أبى سفيان الثقفى عن أبى هريرة ، قال : بعث النبى ﷺ سرية عينا ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل ، يقال لهم : بنو لحيان ، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا

منزلا نزلوه ، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب ، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً ، فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك ، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل ، وبقى خبيب ، وزيد ، ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذى معهما هذا أول الغدر ، فأبى أن يصحبهم ، فجروه وعالجوه على أن يصحبهم ، فلم يفعل فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان خبيب هو الذى قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً ، حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحدُّ بها فأعارته ، قالت : فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله . وكانت تقول : ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قِطْف عنب وما بمكة يومئذ من ثمرة وإنه لموثق فى الحديدوما كان إلا رزقاً رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : دعونى أصلى ركعتين ، ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت . فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ، ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ثم قال :

ولست أبالى حين أُقْتَلُ مسلماً ... على أى شِقٍّ كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشا ... يبارك على أوصال شلو ممزعِ

قال : ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشىء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبْر ، فحمته رُسلهم فلم يقدروا منه على شىء . وقال البخارى : حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا سفيان عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذى قتل خبيباً هو أبو سَرْوَعة .

قلت : واسمه عقبة بن حارث ، وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديث فى الرضاع ، وقد قيل : إن أبا سروعة وعقبة أخوان ، فالله أعلم .

هكذا ساق البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه قصة الرجيع ، ورواه أيضاً فى التوحيد وفى الجهاد من طرق عن الزهرى عن عمرو بن أبى سفيان ، وأسد بن حارثة

الثقفى حليف بنى زهرة ، ومنهم من يقول : عمر بن أبى سفيان ، والمشهور عمرو . وفى لفظ للبخارى بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينا ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح وساق بنحوه ، وقد خالفه محمد بن إسحاق ، وموسى بن عقبة ، وعروة بن الزبير فى بعض ذلك ، ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أن ابن إسحاق إمام فى هذا الشأن غير مدافع ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق .

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحُد رهط من عضل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه ، وهم مَرْثد بن أبى مرثد الغنوى ، حليف حمزة ابن عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم . وخالد بن البكير الليثى ، حليف بنى عدى ، وعاصم بن ثابت أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدى ، أخو بنى جَحْجَبىَ بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة ، أخو بنى بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، حليف بنى ظفر رضى الله عنهم . هكذا قال ابن إسحاق : إنهم كانوا ستة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة ، وسماهم ، كما قال ابن إسحاق ، وعند البخارى أنهم كانوا عشرة ، وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة ، غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلاً ، فلم يرع القوم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . فأما مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وقال عاصم بن ثابت ، والله أعلم ولله الحمد والمنة :

ما علتى وأنا جلد نابلُ ... والقوس فيها وتر عنابلُ
تزلُّ عن صفحتها المعابلُ ... الموت حق والحياة باطلُ
وكل ما حمّ الإله نازلُ ... بالمرء والمرء إليه آيلُ

إن لم أقاتلكم فأمى هابلُ

وقال عاصم أيضاً :

أبـو سليمـان وريش المـقـعـدِ　　وضـالـة مثـل الجحيم المـوقـدِ
إذا النـواحي افتـرشت لم أرعـدِ　　ومـجـنـاً من جلد ثور أجـردِ

ومؤمن بما نزل على محمـــــدِ

وقال أيضاً :

أبـو سليمـان ومـثـلـي رامـا　　وكـان قومـي معـشـراً كرامـا

قال : ثم قاتـل حتى قتل وقتل صاحباه . فلما قتل عاصم أرادتْ هذيل أخذ رأسه ليبيعـوه من سلافـة بنت سعد بن سهيل وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر فمنعته الدَّبْر ، فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه ، فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لايمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً ، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لايمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته . قال ابن إسحاق : وأما خبيب ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانـوا بالـظهـران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظهران . أما خبيب بن عدى ، وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حجير بن أبى إهاب التميمى ، حليف بنى نوفل ، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه قد أخذه ليقتله بأبيه . قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له يقال له : نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد ، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً . قال : ثم قتله نسطاس . قال : وأما خبيب بن عدى فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أنه

حُدِّثَ عن ماوية ، مولاة حجير بن إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حبس فى بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوماً وإن فى يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى نجيح أنهما قالا : قالت : قال لى حين القتل : ابعثى إلىَّ بحديدة أتطهر بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحى الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . فقالت : فوالله إن هو إلا أن ولى الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمركِ ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلىَّ ؟ ثم خلى سبيله . قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها . قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، وقال لهم : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم ، فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك فبلّغه الغداة ما يُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ، ثم قتلوه .

وكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه . وفى مغازى موسى بن عقبة : أن خبيباً وزيد بن الدثنة قتلا فى يوم واحد ، وأن رسول الله ﷺ سمع يوم قُتلا وهو يقول : وعليكما أو وعليك السلام ، خبيب قتلته قريش ، وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلا إيماناً وتسليماً . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفدينى بشوكة يشاكُها فى قدمه ، فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن إسحاق فى قصة زيد بن الدثنة ، فالله أعلم . قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيباً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة ابن الحارث ، قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً ، لأنا أصغر من ذلك ، ولكنَّ أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه

بها حتى قتله . قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهرى القوم فذُكِر ذلك لعمر ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين مابى من بأس ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدىّ حين قتل وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غُشى علىّ . فزادته عند عمر خيراً . وقد قال الأموى : حدثنى أبى قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أن عمر قال : من سرَّه أن ينظر إلى رجل نسيج وحده فلينظر إلى سعيد بن عامر . قال ابن هشام : أقام خبيب فى أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقى من طريق إبراهيم بن إسماعيل حدثنى جعفر بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية أن رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده قال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته ، فوقع إلى الأرض ، ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ، ثم التفت فلم أر شيئاً فكأنما بلعته الأرض ، فلم تُذكر لخبيب رمة حتى الساعة . ثم روى ابن إسحاق عن محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لاهم أقاموا فى أهلهم ، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام** ﴾[1] وما بعدها . وأنزل الله فى أصحاب السرية : ﴿ **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد** ﴾[2] قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى هذه الغزوة قول خبيب حين أجمعوا على قتله (قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له) :

لقد جمع الأحزاب حولى وألّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمعِ
وكلهم مبدى العداوةَ جاهدٌ ... عَلَىَّ لأنى فى وثاق بمضيعِ
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبْتُ من جذع طويل ممنعِ
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى ... وما أرصدَ الأعداءُ لى عند مصرعى
فذا العرشِ صَبِّرْنى على ما يراد بى ... فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشا ... يبارك على أوصال شلو ممزعِ

---

(١) الآية : ٢٠٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ٢٠٧ من سورة البقرة .

وقد خيرونى الكفر والموتُ دونهُ ... وقد هملت عيناى من غير مجزعِ
وما بى حذار الموت إنى لميت ... ولكن حذارى جحم نار ملفعِ
فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً ... على أى جنب كان فى الله مضجعى
فلست بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً ... ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى

وقد تقدم فى صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة ، وهما قوله :

فلست أبالى حين أقتل مسلماً ... على أى شق كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشا ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وقال حسان بن ثابت يرثى خبيباً فيما ذكره ابن إسحاق :

وما بال عينكَ لا ترقا مدامِعُها ... سحًّا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا ... لا فشل حين تلقاه ولا نزقَ
فاذهب خبيبُ جزاك الله طيبة ... وجنة الخلد عند الحور فى الرُّفُقَ
ماذا تقولون إن قال النبى لكم ... حين الملائكة الأبرار فى الأفقَ
فيم قتلتُم شهيدَ الله فى رجل ... طاغٍ قَدُ آوعث فى البلدان والرُّفَقَ

قال ابن هشام : تركنا بعضها لأنه أقذع فيها ، وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بنى لحيان فيما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم ولله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة :

إن سرك الغدر صرفاً لا مزاج له ... فأتِ الرجيعَ فسل عن دار لحيانِ
قومٌ تواصَوْا بأكل الجارِ بينهمْ ... فالكلب والقرد والإنسان مثلانِ
لو ينطق التيس يوماً قام يخطبهمْ ... وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شانِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هُذيلا وبنى لحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع رضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرك ... أحاديثُ كانت فى خبيب وعاصمِ
أحاديث لحيان صلوا بقبيحها ... ولحيان جرّامون شرّ الجرائمِ
أناسٍ هُمُ من قومهم فى صميمهم ... بمنزلة الزمعان دبر القوادمِ
هُمُ غدروا يوم الرجيع وأسلمت ... أمانتهم ذا عفةٍ ومكارمِ
رسولَ رسولِ الله غدراً ولم تكن ... هذيل توقّى منكراتِ المحارمِ
فسوف يرون النصر يوماً عليهم ... بقتل الذى تحميه دون الحرائمِ

أبابيل دَبْر شمَّس دون لحمه ... حمت لحم شهاد عظيم الملاحمِ
لعل هذيلا أن يروا بمصابه ... مصارع قتلى أو مقاما لمأتمِ
ونوقع فيها وقعة ذات صولة ... يوافى بها الركبانُ أهلَ المواسمِ
بأمر رسول الله ، إن رسوله ... رأى رأى ذى حزمٍ بلحيانَ عالمِ
قبيلة ليس الوفاء يهمهم ... وإن ظلموا لم يدفعوا كفَّ ظالمِ
إذا الناس حلوا بالفضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارمِ
محلهمُ دار البوار ورأيهم ... إذا نابهم أمرٌ كرأىِ البهائمِ

وقال حسان رضى الله عنه ، أيضاً ، يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره ، كما ذكره ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

صلّى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرجيعِ فأكرموا وأثيبوا
رأسُ السرية مرثدٌ وأميرهم ... وابن البكير إمامهم وخبيبُ
وابنٌ لطارق وابن دثنة منهم ... وافاه ثم حمامه المكتوبُ
والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالى إنه لكسوبُ
منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالدَ ، إنه لنجيبُ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

سرية عمرو بن أمية الضمرى
على أثر مقتل خبيب

قال الواقدى : حدثنى إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبى عبيدة عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن [(1)]] عمرو بن أمية الضمرى وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد ابن أبى عوف [وزاد بعضهم على بعض] قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد يغتال محمداً فإنه يمشى فى الأسواق فندرك ثأرنا . فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتنى خرجت إليه حتى أغتاله ، فإنى هاد بالطريق خريت ، معى خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقة وقال : اَطْوِ أمرك فإنى لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد ، قال : قال العربى :

---

(١) هذه الزيادة وما بعدها من أمثالها منقولة عن الطبرى ٣ : ٣٢ .

لا يعلمه أحد . فخرج ليلا على راحلته فسار خمساً وصبح ظهر الحى يوم سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه إلى بنى عبد الأشهل ، فخرج الأعرابى يقود راحلته حتى انتهى إلى بنى عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ فوجده فى جماعة من أصحابه يحدث فى مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريده . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب ، فذهب ينحنى على رسول الله ﷺ كأنه يُسارّه ، فجبذه أسيد بن حضير وقال : تنح عن رسول الله ﷺ وجذب بداخل إزاره فإذا الخنجر فقال : يارسول الله هذا غادر ، فأسقط فى يد الأعرابى وقال : دمى دمى يا محمد . وأخذه أسيد بن حضير يلببه فقال له النبى ﷺ : أصدقنى ، ما أنت وما أقدمك ؟ فإن صدقتنى نفعك الصدق وإن كذبتنى فقد اطلعت على ما هممت به . قال العربى : فأنا آمن ، قال : وأنت آمن ، فأخبره بخبر أبى سفيان وما جعل له ، فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال : قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك ، قال : وما هو ؟ فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفت ثم اطلعت على ما هممتُ به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبى سفيان حزب الشيطان . فجعل النبى ﷺ يبتسم وأقام أياماً ثم استأذن النبى ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر .

وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمرى ولسلمة بن أسلم بن حريس : آخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه . قال عمرو : فخرجت أنا وصاحبى حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا وقال لى صاحبى : يا عمرو هل لك فى أن نأتى مكة فنطوف بالبيت سبعاً ونصلى ركعتين فقلت : [أنا أعلم بأهل مكة منك ، إنهم إذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و(١)] إنى أعرف بمكة من الفرس الأبلق . فأبى علىّ فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً (٢) وصلينا ركعتين ، فلما خرجت لقينى معاوية بن أبى سفيان فعرفنى وقال : عمرو بن أمية ، واحزناه . فنذر بنا أهل مكة فقالوا : ما جاء

(١) هذه الزيادة وما بعدها من الطبرى ٣ : ٣٢ .

(٢) طاف بالبيت أسبوعاً أى : سبع مرات [دار الغد] .

عمرو فى خير . وكان فاتكا فى الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا فى طلبهما واشتدوا فى الجبل .

قال عمرو فدخلت فى غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا فى الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له ، فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك ابن عبيد الله التيمى يختلى لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا ، فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، قال فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدى بخنجرى فسقط وصاح ، فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكانى فدخلت فيه] وقلت لصاحبى : لا تتحرك ، فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك ؟ قال عمرو بن أمية الضمرى ، فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت لخير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فإنه كان بآخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فمكثنا ليلتين فى مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [إلى التنعيم] فقال صاحبى ، يا عمرو بن أمية هل لك فى خبيب بن عدى تنزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس ، فقلت : أمهلنى وتنح عنى ، فإن خشيت شيئا فأنخ إلىّ بعيرَك فاقعد عليه فأتِ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ودعنى فإنى عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهرى فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا فى أثرى فطرحت الخشبة ، فما أنسى وجيبها ، يعنى صوتها ، ثم أهلت عليه التراب برجلى فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدرى مع بقاء نفسى فانطلق صاحبى إلى البعير فركبه وأتى النبى ﷺ فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على الغليل ، غليل ضجنان ، فدخلت فى غار معى قوسى وأسهمى وخنجرى ، فبينما أنا فيه إذا أقبل رجل من بنى الديل بن بكر أعور طويل يسوق غنما ومعزى فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر ، فقال : وأنا من بنى بكر ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلست بمسلم مادمت حيًا ... ولست أدين دين المسلمينا

فقلت فى نفسى : والله أنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قمت إليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط ، ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت فى الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الأخبار فقلت : استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقاً ثم أقبلت به إلى النبى ﷺ ، فلما قدمت المدينة أتى صبيان الأنصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون : هذا عمرو ، فاشتد الصبيان إلى النبى ﷺ

فأخبروه وأتيته بالرجل قد ربطت إبهامه بوتر قوسى فلقد رأيت النبى ﷺ وهو يضحك ثم دعا لى بخير . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام ، رواه البيهقى . وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمة ولا جسداً فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم . وهذه السرية إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدى لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية فى هذه السرية جبار بن صخر . فالله أعلم ولله الحمد .

سـريـة بئر معـونة

وقـد كانت فى صفر منها (١) وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال : إنها كانت بعد الخندق . قال البخارى : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس ابن مالك قال : بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا لحاجة يقال لهم : القراء ، فعرض لهم حيان من بنى سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها : بئر مَعُونة ، فقال القوم : والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون فى حاجة للنبى ﷺ فقتلوهم ، فدعا النبى ﷺ عليهم شهراً فى صلاة الغداة ، وذاك بدء القنوت وما كنا نقنت . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه . ثم قال البخارى : حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا يزيد ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن رِعْلا وذكوان وعصية وبنى لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار ، كنا نسميهم القراء فى زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبى ﷺ فقنت شهـراً يدعـو فى الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرآناً ثم إن ذلك رفع « بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة حدثنى أنس بن مالك أن النبى ﷺ بعث حراماً ـ أخاً لأم سليم ـ فى سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر بن الطُفَيل خير رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال ، فقال : يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر ، أو أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف ، فطعن عامر فى بيت أم فلان فقال : غُدة كغدة البَكْر فى بيت امرأة من آل فلان ، آئتونى بفرسى فمات على ظهر فرسه ، فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بنى فلان ، فقال : كونا قريباً حتى آتيهم ،

---

(١) أى : من السنة الرابعة للهجرة [دار الغد] .

فإن آمنونى كنتم قريباً وإن قتلونى أتيتم أصحابكم ، فقال : أتؤمنونى حتى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ ؟ فجعل يحدثهم ، وأومأوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه ، قال همام : أحسبه قال : حتى أنفذه بالرمح ، فقال : الله أكبر ، فزتُ ورب الكعبة ، فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان فى رأسِ جبل فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ « إنا لقد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » فدعا النَّبِىُّ ﷺ ثلاثين صباحاً على رِعْل وذَكوان وبنى لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله .

وقال البخارى : حدثنا حِبَّان حدثنا عبد الله أخبرنى معمر حدثنى ثمامة بن عبد الله بن أنس أنه سمع أنس بن مالك يقول : لما طعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ يوم بئر معونة قال بالدم هكذا ، فنضحه على وجهه ورأسه وقال : فزت ورب الكعبة . وروى البخارى عن عبيد بن إسماعيل عن أبى أسامة عن هشام بن عروة أخبرنى أبى قال : لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمرى قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة ، قال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع ، فأتى النبى ﷺ خبرهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا ، فأخبرهم عنهم ، وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت ، فسمى عروة به ومنذر بن عمرو وسمى به منذر . هكذا وقع فى رواية البخارى مرسلا عن عروة ، وقد رواه البيهقى من حديث يحيى بن سعيد عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة فساق من حديث الهجرة وأدرج فى آخره ما ذكره البخارى ههنا فالله أعلم .

وروى الواقدى عن مصعب بن ثابت عن أبى الأسود وعن عروة فذكر القصة وشأن عامر ابن فهيرة وإخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء ، وذكر أن الذى قتله جبار بن سلمى الكلابى ، قال : ولما طعنه بالرمح قال : فزت ورب الكعبة ، ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله : فزت ؟ قالوا : يعنى بالجنة ، فقال : صدق والله ، ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك ، وفى مغازى موسى بن عقبة عن عروة أنه قال : لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون أن الملائكة وارته ، وقال يونس عن ابن إسحاق فأقام رسول الله ﷺ ، يعنى بعد أحد ، بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ثم بعث أصحاب بئر معونة فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ، فحدثنى أبو إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ بالمدينة فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد لو بعثتَ رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك . فقال النبي ﷺ : « إني أخشى عليهم أهل نجد » فقال أبو براء : أنا لهم جار . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة المعنق ليموت ، في أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان ، أخو بني عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر ، في رجال من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرة بن سليم ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم وقالوا : لن نُخفر أبا براء وقد عَقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم ـ عُصيَّة ورعلا وذكوان والقارة ـ فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد ، أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمق فأُرْتُثَّ (١) من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق .

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف ، فلم ينبئهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم حول العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فقال : الأنصاري : لكني لم أكن لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر عنه الرجال ، فقاتل القوم حتى قتل ، وأخذ عمرو أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فيما زعم . قال : وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان مع العامريين عهد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما ؟ قالا ، من بني عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامر

---

(١) أي : حُمِل من المعركة جريحاً وبه رمق [دار الغد] .

فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره بالخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد قتلتَ قتيلين لأدِيَنَّهما » ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا عمل أبى براء ، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوِّفاً » فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره ، فقال حسان بن ثابت فى إخفار عامر أبا براء ويحرض بنى أبى براء على عامر :

بنى أم البنين ألم يَرُعكم ... وأنتم من ذوائب أهل نجدِ
تهكمُ عامر بأبى بَرَاء ... ليخفره ، وما خطأ كعمدِ
ألا أبلغ ربيعةَ ذا المساعى ... فما أحدثتَ فى الحدثان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء ... وخالك ماجد حكم بن سعدِ

قال ابن هشام : أم البنين أم أبى براء ، وهى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فى فخذه فأشواه ووقع عن فرسه وقال : هذا عمل أبى براء ، إن أمت فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل : مرثد بن أبى مرثد .

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة ـ فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله ـ والله أعلم :

على قتلى معونة فاستهلّى ... بدمع العين سَحًّا غير نزرِ
على خيل الرسول غداة لاقَوْا ... ولاقتهم مَنَاياهم بقدرِ
أصابهمُ الفناء بعقد قومٍ ... تخوِّن عقد حبلهم بغدرِ
فيالهفى لمنذر إذ تولى ... وأعنق فى منيته بصبرِ
وكائن قد أصيب غداة ذاكم ... من ابيض ماجد من سر عمرو

غزوة بنى النضير
وهى التى أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر

فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بنى النضير . وحكى

البخارى عن الزهرى عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر، قبل أحد، وقد أسنده ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهرى به ، وهكذا روى حنبل بن إسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جَعفرٍ الرَّقّى عن مطرف بن مازن اليمانى عن معمر عن الزهرى فذكر غزوة بدر فى سابع عشر رمضان سنة ثنتين ، قال : ثم غزا بنى النضير ثم غزا أحداً فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع ، وقال البيهقى : وقد كان الزهرى يقول : هى قبل أحد .

قال : وذهب آخرون إلى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكر ابن إسحاق ، كما تقدم ، فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بنى عامر ، ولم يشعر بعهدهما الذى معهما من رسول الله ﷺ ، ولهذا قال له رسول الله ﷺ : « لقد قتلت رجلين لأدينهما » .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر الـذيْن قتلهما عمرو بن أمية ، للعهد الذى كان ﷺ أعطاهما ، وكان بين بنى النضير وبنى عامر عهد وحلف فلما أتاهم ﷺ قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه [ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد] فَمَنْ رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة فلما استلبث النبى ﷺ أصحابُه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال : رأيته داخلا المدينة ، أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدى : فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم وحمى حيى بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ونابذوه بنقض العهود ، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم ، قال الواقدى : فحاصروهم خمس عشرة ليلة ، وقال ابن إسحاق : وأمر النبى ﷺ بالتهيُّؤ لحربهم والمسير إليهم ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك فى شهر

ربيع الأول ، قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر حينئذ ، وتحصنوا فى الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها ، قال : وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبى وديعة ومالك وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى بنى النضير أن تمنعوا فإنا لن نسلمكم ، اثبتوا إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ، وقال العوفى عن ابن عباس : أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه وسقاً ، رواه البيهقى ، وروى من طريق يعقوب بن محمد عن الزهرى عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد ابن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال ، وروى البيهقى وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله ﷺ ضعوا وتعجلوا ، وفى صحته نظر والله أعلم .

قال ابن إسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم من يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر : سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها ، فحدثنى عبد الله ابن أبى بكر أنه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ما رؤى مثله لحى من الناس فى زمانهم ، قال : وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ يعنى النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقراً فأعطاهما ـ وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة حكاه السهيلى .

قال ابن إسحاق ولم يُسْلم من بنى النضير إلا رجلان وهما : يامين بن عمير بن كعب ، ابن عم عمير بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما ، قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين : « ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك ؟ وماهم به من شأنى ؟» فجعل يامين لرجل جُعْلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله ، لعنه الله ، قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله ﷺ وما عمل به فيهم ، ثم شرع

ابن إسحاق يفسرها ، وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة فى كتابنا التفسير ولله الحمد ، قال الله تعالى ﴿ **سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقّ الله فإن الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين** ﴾[1] .

سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز وهو منيع الجناب فلا ترام عظمته وكبرياؤه وأنه الحكيم فى جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين فى ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المفضى لقتالهم ، كما تقدم ، حتى حاصرهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابهم على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانة لهم واحتقاراً ، فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء ، وهو التسيير والنفى من جوار الرسول ﷺ من المدينة ، لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوى وهو القتل مع ما ادخر لهم فى الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم ، ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم وترك ما بقى لهم وأن ذلك كله سائغ فقال سبحانه : ﴿ **ما قطعتم من لينة** ﴾ وهو جيد التمر ﴿ **أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله** ﴾ إن الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدراً فلا حرج عليكم فيه ، ولنعم ما رأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهار للقوة وإخزاء للكفرة الفجرة ، وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وهى البويرة فأنزل الله ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين** ﴾ ، وعند البخارى من طريق جويرية بن

---

(١) الآيات : ١ ـ ٥ من سورة الحشر .

أسماء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤى ... حريق بالبويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرق فى نواحيها السعيرُ
ستعلم أينا منها بستر ... وتعلم أى أراضينا نضيرُ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف فالله أعلم :

لقد خزيت بغدرتها الحبور (١) ... كذاك الدهر ذو صرف يدورُ
وذلك أنهم كفروا بربٍّ ... عظيمٍ أمرُهُ أمرٌ كبيرُ
وقد أوتو معاً فهماً وعلماً ... وجاءهم من الله النذيرُ
نذير صادق أدّى كتاباً ... وآياتٍ مبينةً تنيرُ
فقالوا ما أتيتَ بأمر صدقٍ ... وأنت بمُنكَر منا جديرُ
فقال بلى لقد أديت حقًّا ... يصدقنى به الفهم الخبيرُ
فمن يتّبعه يُهْدَ لكل رشدٍ ... ومن يكفر به يُخْزَ الكفورُ
فلما أُشربوا غدراً وكفراً ... وجدَّ بهم عن الحق النفورُ
أرى الله النبى برأيِ صدقٍ ... وكان الله يحكم لا يجورُ
فأيده وسلطه عليهم ... وكان نصيره نعم النصيرُ
فغُودِرَ منهم كعبٌ صريعاً ... فذلّت بعد مصرعه النضيرُ
على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكورُ
بأمر محمد إذ دس ليلا ... إلى كعب أخا كعب يسيرُ
فماكره فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسورُ
فتلك بنو النضير بدار سوء ... أبارَهُم بما اجترموا المبيرُ
غداة أتاهم فى الزحف رهوا ... رسول الله وهو بهم بصيرُ
وغسان الحماة مؤازروه ... على الأعداء وهو لهم وزيرُ
فقال السلم ويحكم فصدوا ... وخالف أمرهم كذب وزورُ

---

(١) الحبور : جمع حبر ، وهم علماء اليهود ، هامش الأصل .

فذاقوا غِبَّ أمرهم وبالا ... لكل ثلاثة منهم بعيرُ
وأُجْلُوا عامدين لقينقاع ... وغودر منهم نخل ودورُ

وقد ذكر ابن إسحاق : جوابها لسمال اليهودى ، فتركناها قصداً ، قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى بن النضير قول ابن لقيم العبسى ، ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعى :

أهلى فداء لامرىء غيرِ هالك ... أحلَّ اليهودَ بالحسى المزنّمِ
يقيلون فى جمر العضاة وبدّلوا ... أهيضب عوداً بالودى المكمّمِ
فإن يك ظنى صادقاً بمحمدٍ ... تروا خيلَهُ بين الصلا ويرمرمِ
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم ... عدوٌّ وما حىٌّ صديقٌ كمجرمِ
عليهن أبطال مساعير فى الوغى ... يهزون أطراف الوشيج المقوّمِ
وكل رقيق الشفرتين مهند ... تُوورِثنَ من أزمان عادٍ وجرهمِ
فمن مبلغٌ عنى قريشا رسالةً ... فهل بعدهم فى المجد من متكرّمِ
بأن أخاهم فاعلمنَّ محمدا ... تليد الندى بين الحجون وزمزمِ
فدينوا له بالحق تجسم أموركم ... وتسمو من الدنيا إلى كل معظمِ
نبى تلافته من الله رحمةٌ ... ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مرجَّمِ
فقد كان فى بدر لعمرى عبرةٌ ... لكم يا قريش والقليبِ الملمّمِ
غداة أتى فى الخزرجية عامداً ... إليكم مطيعاً للعظيم المكرمِ
مُعاناً بروح القدس ينكى عدوهُ ... رسولا من الرحمن حقا بمعلمِ
رسولا من الرحمٰن يتلو كتابه ... فلما أنار الحق لم يتلعثمِ
أرى أمر يزداد فى كل موطن ... عُلُوًّا لأمر حمّه الله محكمِ

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب : وقال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين ولم أر أحداً يعرفها لعلى :

عرفتُ ومن يعتدل يعرفِ ... وأيقنتُ حقا ولم أصدفِ
عن الكلم المحكم اللاء من ... لدى الله ذى الرأفة الأرأفِ
رسائل تدرس فى المؤمنين ... بهن اصطفى أحمدَ المصطفى
فأصبح أحمد فينا عزيزاً ... عزيزَ المقامة والموقفِ
فيا أيها الموعِدُوه سفاهاً ... ولم يأتِ جَوْراً ولم يعنفِ

ألستم تخافون أدنى العذاب … وما آمنُ الله كالأخوفِ
وإن تُصرَعوا تحت أسيافه … كمصرع كعب أبى الأشرفِ
غداةَ رأى الله طغيانَهُ … وأعرض كالجمل الأجنفِ
فأنزل جبريلَ فى قتله … بوحيٍ إلى عبده ملطفِ
فدسّ الرسولُ رسولا له … بأبيضَ ذى هبّةٍ مرهفِ
فباتت عيونٌ له معولات … متى يُنْعَ كعبٌ لها تذرفِ
وقلن لأحمد ذرنا قليلا … فإنا من النوح لم نشتفِ
فخلاهم ثم قال اظعنوا … دُحوراً على رغم الآنفِ
وأجلى النضيرَ إلى غربة … وكانوا بدارٍ ذوى زخرفِ
إلى أذرعات ردافاً وهم … على كل ذى دبر أعجفِ

وتركنا جوابها أيضاً من سمال اليهوى قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفيء وأنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله ﷺ وملكها له فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى ، كما ثبت فى الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموالُ بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ، فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقى فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله عز وجل . ثم بين تعالى حكم الفيء وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم وطريقتهم **﴿ ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾**[1] .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم وعفان قالا : حدثنا معتمر سمعت أبى يقول : حدثنا أنس بن مالك عن نبى الله ﷺ أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال : فجعل يرد بعد ذلك . قال : وإن أهلى أمرونى أن آتى نبى الله ﷺ فأسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبى الله ﷺ أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله . قال : فسألت النبى ﷺ فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وجعلت تقول : كلا والله الذى لا إله إلا هو لاأعطيكهن وقد أعطانيهن أو كما قالت ، فقال النبى ﷺ : لك كذا وكذا ، وتقول : كلا والله ، قال : ويقول : لك

---

(١) الآية : ٧ من سورة الحشر .

كذا وكذا ، وتقول ، كلا والله ، قال : ويقول : لك كذا وكذا ، حتى أعطاها ، حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال ، أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به ، ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا إلى بنى النضير فى الباطن ، كما تقدم ، ووعدهم النصر فلم يكن من ذلك شىء بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم وغروهم من أنفسهم فقال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون** ﴾ (١) ثم ذمهم تعالى على جبنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ثم ضرب لهم مثلا قبيحاً شنيعاً بالشيطان ﴿ **إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين** ﴾ (٢) .

قصة عمرو بن سعدى القرظى

حين مر على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب ، وقد كانت بنو النضير أشرف من بنى قريظة حتى حداه ذلك على الإسلام وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة ، قال الواقدى : حدثنا إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع إلى بنى قريظة فوجدهم فى الكنيسة فنفخ فى بوقهم فاجتمعوا ـ فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد ، أين كنت منذ اليوم لم تزل ، وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله فى اليهودية ، قال : رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل ، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ، ثم بيته آمنا ، وأوقع بابن سنينة سيدهم ، وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم ، وهم أهل جد يهود ، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة ، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم ، قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمداً ، والله إنكم لتعلمون أنه نبى قد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان أبو عمير وابن

---

(١) آيتا : ١١ ، ١٢ من سورة الحشر .

(٢) آيتا : ١٦ ، ١٧ من سورة الحشر .

حراش ، وهما أعلم يهود ، جاءانا يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه ، جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا هذه ، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء ، فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته فى كتاب باطا التوراة التى نزلت على موسى ليس فى المثانى الذى أحدثنا ، قال : فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال : أنت يا كعب . قال كعب : فلم ؟ والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ، قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا فى ذلك إلى أن قال عمرو : ما عندى فى أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسى أن أصير تابعاً . رواه البيهقى .

غـــــــزوة بنى لحيـــــان
التى صلى فيها ﷺ صلاة الخوف بعســـــفان

ذكرها البيهقى فى الدلائل ، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه فى جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبنى قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقى ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ليصيب من بنى لحيان غرة ، فسلك طريق الشام ليُرىَ أنه لا يريد بنى لحيان ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة » فخرج فى مائتى راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ثم انصرفا ، فذكر أبو عياش الزرقى أن رسول الله ﷺ صلى بعسفان صلاة الخوف .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثورى عن منصور عن مجاهد عن ابن عياش قال : كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله ﷺ فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، ثم قالوا : تأتى الآن عليهم صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم ، قال :

فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾[(١)] قال فحضرَتْ فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد بالصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا جلس الآخرون فسجدوا فى مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعا ثم سجد الصف الذى يايه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف . قال : فصلاها رسول الله ﷺ مرتين : مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بنى سليم . ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه .

وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائى عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن محمد بن المثنى وبندار عن غندر عن شعبة ثلاثتهم عن منصور به . وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه واحد منهما ، لكن روى مسلم من طريق أبى خيثمة زهير بن معاوية عن أبى الزبير عن جابر قال : غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة فقاتلوا قتالا شديداً ، فلما أن صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم ، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وذكر لنا رسول الله ﷺ قال : « وقالوا : إنه ستأتيهم صلاة هى أحب إليهم من الأولاد » فذكر الحديث كنحو ما تقدم .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا هشام عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل فَهمّ به المشركون ثم قالوا : دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هى أحب إليهم من أبنائهم ، قال : فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره فصلى صلاة العصر فصفهم صفين بين أيديهم رسول الله والعدو بين يدى رسول الله ﷺ ، فكبر وكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيام ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدم هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام ، فلما رفعوا . . ، وقد استشهد البخارى فى صحيحه برواية هشام هذه عن أبى الزبير عن جابر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا سعيد بن عبيد الهنائى حدثنا عبد الله ابن شقيق حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون :

---

(١) الآية : ١٠٢ من سورة النساء .

إن لهؤلاء صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم ، وهى العصر ، فأجمعوا أمركم فميلوا عليهم ميلة واحدة . وإن جبريل أتى رسول الله ﷺ وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلى ببعضهم ويقدم الطائفة الأخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ثم تأتى الأخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ولرسول الله ركعتان . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الصمد به وقال الترمذى حسن صحيح .

قلت : إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خيبر وإلا فهو من مرسلات الصحابى ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم . ولم يذكر فى سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبى داود الطيالسى أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة . بقى الشأن فى أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فإن من العلماء منهم الشافعى من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فإنهم أخروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها . ولهذا قال بعض أهل المغازى : إن غزوة بنى لحيان التى صُلِّىَ فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بنى قريظة . وقد ذكر الواقدى بإسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا ، فأطلعه الله على ما فى أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمرة الحديبية كانت فى ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبنى قريظة كما سيأتى . وفى سياق حديث أبى عياش الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت فى هذه الغزوة يوم عسفان فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها ﷺ والله أعلم .

وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها فى كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

غـــزوة ذات الرقـــاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر ، قال ابن هشام : ويقال : عثمان بن عفان ، قال ابن إسحاق : فسار حتى

نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع . قال ابن هشام : لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال : لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدى : بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض . وفى حديث أبى موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ، وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف هٰهنا عن عبد الوارث بن سعيد التنورى عن يونس بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبى الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ، ولكن لم يذكر فى هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا لمكان ، وفى كون غزوة ذات الرقاع كانت بنجد لقتال بنى محارب وبنى ثعلبة بن غطفان قبل اا خندق نظر .

وقد ذهب البخارى إلى أن ذلك كان بعد خيبر ، واستدل على ذلك بأن أبا موسى الأشعرى شهدها ، كما سيأتى ، وقدومه إنما كان ليالى خيبر صحبة جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال : صليت مع رسول الله ﷺ فى غزوة نجد صلاة الخوف ، ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله ﷺ فى القتال أول ماأجازه يوم الخندق . وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر صلاة الخوف ، وقول الواقدى أنه ﷺ خرج إلى ذات الرقاع فى أربعمائة ويقال : سبعمائة من أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر ، ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق ، لأن الخندق كان فى شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل : فى شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبى موسى وأبى هريرة فلا .

قصة غـــورث بن الحـــارث

قال ابن إسحاق فى هذه الغزوة : حدثنى عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلا من بنى محارب يقال له : غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمـداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس ، وسيف رسول الله ﷺ فى حجره . فقال يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، فأخذه ثم جعل يهزه ويهم ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما

تخافني ؟ قال : لا ، ما أخاف منك ، قال : أما تخافني وفي يدي السيف . قال : لا ، يمنعني الله منك . ثم عمد إلى سيف النبي ﷺ فرده عليه فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش ، أخي بني النضير ، وما هم به ، هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدري رأس الفرقة الضالة ، وهو وإن كان لايتهم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد .

فقد أورد الحافظ البيهقي هاهنا طرقا لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن أبي سلمة عن جابر أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القائلة في واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه . قال جابر : فنمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فأجبناه وإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فقال من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشام السيف ، وجلس ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك .

وقد رواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ ، فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة ، فأخذ سيف رسول الله فاخترطه وقال لرسول الله ﷺ : تخافني ؟ قال : لا . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، قال : فهدده أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلقه . قال : ونودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان . وقد علقه البخاري بصفة الجزم عن أبان به .

---

(١) الآية : ١١ من سورة المائدة .

قال البخارى : وقال مسدد : عن أبى عوانة عن أبى بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث ، وأسند البيهقى من طريق أبى عوانة عن أبى بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له : غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال : من يمنعك منى ؟ قال : الله ، فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف ، وقال : من يمنعك منى ؟ فقال : كن خير آخذ ، قال : تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : لا ، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال : جئتكم من عند خير الناس ، ثم ذكر صلاة الخوف وأنه صلى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين ، وقد أورد البيهقى هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بت جبير عن سهل بن أبى حثمة ، وحديث الزهرى عن سالم عن أبيه فى صلاة الخوف بنجد ، وموضع ذلك كتاب الأحكام ، والله أعلم .

قصة الذى أصيبت امرأته فى هذه الغـــــزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثنى عمى صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلا ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد دما ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلا فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب من الوادى ، وهما : عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصارى للمهاجرى : أى الليل تحب أن أكفيكه ، أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفنى أوله ، فاضطجع المهاجرى فنام وقام الأنصارى يصلى ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانتزعه ووضعه وثبت قائما قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائما ، قال: ثم عاد له بالثالث فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه ، فقال : اجلس فقد أُثْبِتَّ قال : فوثب الرجل فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به فهرب قال : ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله أفلا أهبتنى أول ما رماك ، قل : كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع علىّ الرمى ركعت فآذنتك ، وايم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرنى

رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها ، هكذا ذكره ابن إسحاق فى المغازى ، وقد رواه أبو داود عن أبى توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقدى عن عبد الله العمرى عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن أبيه حديث صلاة الخوف بطوله ، قال : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب فى محالهم نسوة ، وكان فى السبى جارية وضيئة وكان زوجها يحبها فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبته ، ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق . قال الواقدى : وكان جابر بن عبد الله يقول : بينا أنا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله ﷺ ينظر إليه فأقبل إليه أبواه أو أحدهما حتى طرح بنفسه فى يدى الذى أخذ فرخه فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه ، فوالله ، لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه .

قصة جمل جابر فى هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثنى وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى ضعيف ، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف حتى أدركنى رسول الله ﷺ فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله أبطأ بى جملى هذا . قال : أنخه ، قال : فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : أعطنى هذه العصا أو اقطع عصا من شجرة ، ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب فركبت فخرج والذى بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة . قال : وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال : أتبيعنى جملك هذا يا جابر ؟ قال : بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكن بِعْنِيه ، قال : قلت : فسمنيه قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا ، إذاً تغبننى يا رسول الله ، قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا ، قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية ، قال : فقلت : أفقد رضيت ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته ، ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ؟ قال : قلت : بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رءوسهن فتقوم عليهن . قال :

أصبت إن شاء الله ، أما إنا لوجئنا صراراً لأمرنا بجزور فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها ، قال : فقلت : يا رسول الله مالنا نمارق ، قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيساً ، قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا . قال : فحدثتُ المرأة الحديث وما قال لى رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك ، فسمع وطاعة ، فلما أصبحتُ أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال : ماهذا قالوا : يا رسول الله ، هذا الجمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال : فقال : يا ابن أخى ، خذ برأس جملك فهو لك ، قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية ، قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئاً يسيراً ، قال : فوالله ما زال ينمى عندى ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ، يعنى يوم الحرة ، وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمرى عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه .

قال السهيلى : فى هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له ، تمنّ علىّ ، وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** ﴾ (١) وزادهم على ذلك فى قوله : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ (٢) ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم أرواحهم التى اشتراها منهم فقال : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ (٣) والروح للإنسان بمنزل المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز .

قال : فلذلك اشترى رسول الله ﷺ من جابر جمله ـ وهو مطيته ـ فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك . قال : ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه . وهذا الذى سلكه السهيلى هاهنا إشارة غريبة وتخيل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ترجم الحافظ البيهقى فى كتابه (دلائل النبوة) على هذا الحديث فى هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظهر فى غزاته هذه من بركاته وآياته فى جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنه . وهذا

---

(١) الآية : ١١١ من سورة التوبة .

(٢) الآية : ٢٦ من سورة يونس .

(٣) الآية : ١٦٩ من سورة آل عمران .

الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير فى كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط فى البيع وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتى ، ومستبعد تعداد ذلك والله أعلم .

غــزوة بدر الآخـــــــرة

وهى بدر الموعد التى تواعدوا إليها من أحد كما تقدم . قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان . قال ابن هشام . واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبىّ ابن سلول . قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بدراً وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ثم بدا له فى الرجوع فقال : يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عام جدب وإنى راجع فارجعوا . فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق . قال : وأتى مخشى بن عمرو الضمرى ، وقد كان وادع النبى ﷺ فى غزوة ودان على بنى ضمرة ، فقال : يا محمد أجئت للقاء قريش على الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ماكان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً . قال ابن إسحاق : وقد قال عبد الله بن رواحة ، يعنى فى انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك ، قال ابن هشام : وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك :

وعـدنـا أبـا سفـيان بدراً فلم نجـد ... لميعــاده صدقـا ومـا كان وافـيا
فأقـسـم لو لاقـيتـنـا فلقـيتـنـا ... لأُبْتَ ذميمـا وافتقـدت المـواليا
تركـنـا به أوصـالَ عتبـة وابـنـه ... وعـمـرًا أبـا جهـلٍ تركـنـاه ثاويا
عصـيتـم رسـولَ الله أفٍّ لدينـكـم ... وأمـركـم السيء الـذى كان غاويا
فإنـى وإن عنّـفـتـمـونى لقـائـلٌ ... فدًى لرسـول الله أهـلى ومـاليا
أطـعـنـاه لم نعـدلـه فينـا بغيـرهِ ... شِهـابـا لنا فى ظلمـة الليل هاديا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقاً وأيدى الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا ... بأرعن جرار عريض المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه ... وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامى تذرى أصولُهُ ... مناسم أخفاف المطى الرواتك
فإن تلقَ فى تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيان يكنْ رهنَ هالك
وإن تلق قيس بن امرىء القيس بعدهُ ... يَزِدْ فى سواد لونه لونُ حالك
فأبلغ أبا سفيان عنى رسالةً ... فإنك من غر الرجال الصعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن حارث بن عبد المطلب ، وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أحسان أنا يا بن آكلة الفغا ... وجدّك نغتال الخروق كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا ... ولو وألتْ منا بشد مدارك
إذا ما انبعثنا من مناخٍ حسبتهُ ... مدمن أهل الموسم المتعارك
أقمت على الرس والنزوع تريدنا ... وتتركنا فى النخل عند المدارك
على الزرع تمشى خيلُنا وركابنا ... فما وطئتْ ألصقنه بالدكادك
أقمنا ثلاثاً بين سلع وفارعٍ ... بجرد الجياد والمطى الرواتك
حسبتم جلاد القوم عند فنائكم ... كمأخذكم بالعين أرطال آنك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها ... على نحو قول المعصم المتماسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها ... فوارسَ من أبناء فهر بن مالك
فإنك لافى هجرة إن ذكرتها ... ولا حرماتِ دينها أنت ناسكُ (١)

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها ، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى وابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعد أبى سفيان وانبعث المنافقون فى الناس يثبطونهم فسلم الله أولياءه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدر وأخذوا معهم بضائع وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان

---

(١) فى الشعر إقواء [دار الغد] .

وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ، ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق فى خروج أبى سفيان إلى مجنة ورجوعه وفى مقاولة الضمرى ، وعرض النبى ﷺ المنابذة فأبى ذلك .

قال الواقدى : خرج رسول الله ﷺ إليها فى ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وكان خروجه إليها فى مستهل ذى القعدة يعنى سنة أربع ، والصحيح قول ابن إسحاق : إن ذلك فى شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة : إنها فى شعبان لكن قال : فى سنة ثلاث ، وهذا وهم ، فإن هذه تواعدوا إليها من أحد وكانت أحد فى شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم .

قال الواقدى : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذى كان يعقد فيها ثمانية أيام ، وقد ربحوا من الدرهم درهمين ، وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عز وجل : ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾ (١) .

فصـــــل
فى جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفى جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضى الله عنه يعنى من رقية ، بنت رسول الله ﷺ ، وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل فى حفرته والده عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قلت : وفيه توفى أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى وأمه برة بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله ﷺ ، وكان رضيع رسول الله ﷺ ، ارتضعا من ثويبة مولاة أبى لهب ، وكان إسلام أبى سلمة وأبى عبيدة ، وعثمان بن عفان والأرقم بن أبى الأرقم قديماً فى يوم واحد ، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم ، وشهد بدراً وأحداً ومات من آثار جرح جرحه بأُحُد رضى الله عنه وأرضاه ، له حديث واحد فى الاسترجاع عند المصيبة سيأتى فى سياق تزويج رسول الله ﷺ بأم سلمة قريباً .

قال ابن جرير : وفى ليال خلون من شعبان منها ولد الحسين بن على من فاطمة ،

---

(١) الآية : ١٧٤ من سورة آل عمران .

بنت رسول الله ﷺ ، ورضى الله عنهم . قال : وفى شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال ابن عامر بن صعصعة الهلالية ، وقد حكى أبو عمر بن عبد البر عن على بن عبد العزيز الجرجانى أنه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث ، ثم استغربه وقال : لم أره لغيره ، وهى التى يقال لها : أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم ، وأصدقها ثنتى عشرة أوقية ونشا ودخل بها فى رمضان ، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها ، قال أبو عمر بن عبد البر عن على بن عبد العزيز الجرجانى : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، قال ابن الأثير فى أسْد الغابة : وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أُحد ، قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت فى حياة رسول الله ﷺ ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها ، وقال الواقدى : فى شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبى أمية .

قلت : وكانت قبله عند زوجها أبى أولادها أبى سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أُحد فداوى جرحه شهراً حتى برىء ، ثم خرج فى سرية فغنم منها نعما جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ، ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، فلما حلت فى شوال خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة ، وبعث إليها عمر بن الخطاب فى ذلك مراراً فتذكر أنها امرأة غيرى ، أى شديدة الغيرة ، وأنها مصبية ، أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم فى قوتهم ، فقال : أما الصبية فإلى الله وإلى رسوله ، أى نفقتهم ليس إليك ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها ؛ فأذنت فى ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم فزوج النبى ﷺ ، تعنى قد رضيت وأذنت ، فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبى سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لايلى مثله العقد ، وقد جمعتُ فى ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب فى ذلك ولله الحمد والمنة ، وأن الذى ولى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبى سلمة ، وهو أكبر ولدها ، وساغ هذا لأن أباه ابن عمها ، فللابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوة بالإجماع ، وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البنوة فلا يلى بها عقد النكاح عند الشافعى وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله ، ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه ، وهو كتاب النكاح من الأحكام الكبير إن شاء الله .

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس حدثنا ليث ، يعنى ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أتانى أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ ، فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولا سررت به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ، ثم يقول : اللهم آجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا فعل به » ، قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفى أبو سلمة استرجعت ، وقلت : اللهم آجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منهـا ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت : من أين لى خير من أبى سلمة ؟ فلما انقضت عدتى استـأذن علىّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لى فغسلت يدى من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبنى إلى نفسى ، فلما فرغ من مقالته ، قلت : يارسول الله ، مابى أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنى امرأة بى غيرة شديدة فأخاف أن ترى منى شيئاً يعذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت فى السن وأنا ذات عيال ، فقال : أمّا ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابنى مثل الذى أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال ، فإنما عيالك عيالى ، فقالت : فقد سلمتُ لرسول الله ﷺ ، فقالت أم سلمة : فقد أبدلنى الله بأبى سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ ، وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن أبى سلمة عن أمه أم سلمة به ، وقال الترمذى : حسن غريب ، وفى رواية للنسائى عن ثابت عن ابن عمر بن أبى سلمة عن أبيه ، ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحى عن أبيه عن عمر بن أبى سلمة به .

وقـال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ ـ يعنى من بدر الموعد ـ راجعاً إلى المدينة ، فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ، وقال الواقدى . وفى هذه السنة ، يعنى سنة أربع ، أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود .

قلت : فثبت عنه فى الصحيح أنه قال : تعلمته فى خمسة عشر يوماً والله أعلم .

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

سنة خمس من الهجـرة النبـوية

غزوة دومة الجنـــدل فى ربيع الأول منها

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل . قال ابن هشام : فى ربيع الأول ـ يعنى من سنة خمس ـ واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفارى . قال ابن اسحاق : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلقَ كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن إسحاق . وقد قال محمد بن عمر الواقدى بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أدانى الشام ، وقيل له : إن ذلك مما يفزع قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، فخرج فى ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، ومعه دليل له من بنى عذرة يقال له : مذكور ، هادٍ خريت ، فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بنى تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجه ، وجاء الخبر أهلَ دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا ، ثم رجعوا ، وأخذ محمد بن سلمة رجلا منهم فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه فقال : هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

قال الواقدى : وكان خروجه عليه الصلاة والسلام إلى دومة الجندل فى ربيع الآخر (١) سنة خمس . قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله ﷺ فى هذه الغزوة ، وقد قال أبو عيسى الترمذى فى جامعه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أم سعد ماتت والنبى ﷺ غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر ، وهذا مرسل جيد وهو يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام غاب فى هذه الغزوة شهراً فما فوقه ، على ما ذكره الواقدى رحمه الله .

---

(١) فى تاريخ ابن جرير عن الواقدى أنه فى ربيع الأول .

غزوة الخنـــدق وهى غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الأحزاب فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً . إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلىَ المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً . وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثربِ لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبىَّ يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً . ولو دُخِلتْ عليهم من أقطارها ثم سُئِلوا الفتنة لآتَوْها وما تلبثوا بها إلا يسيراً . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن يَنْفعكم الفِرارُ إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلا . قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة . ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً . قد يَعْلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ولا يأتون البأسَ إلا قليلا . أشِحَّةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حِدادٍ أشحةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً . يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأتِ الأحزاب يودُّوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا . لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً . ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بَدَّلُوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيما . وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديراً ﴾ [1] وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات فى التفسير ولله الحمد والمنة ، ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

---

(١) الآيات : ٩ ـ ٢٧ من سورة الأحزاب .

وقد كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة ، نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقى وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب فى شوال سنة أربع ، وكذلك قال الإمام مالك بن أنس فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه . قال البيهقى : ولا اختلاف بينهم فى الحقيقة لأن مرادهم أن ذلك بعد مضى أربع سنين وقبل استكمال خمس ، ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أُحُد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبى ﷺ وأصحابه ، كما تقدم ، فى شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان لجدب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق فى شوال من سنة خمس والله أعلم .

وقد صرح الزهرى بأن الخندق كانت بعد أحد بسنتين ، ولا خلاف أن أحداً فى شوال سنة ثلاث إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها كما حكاه البيهقى : وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوى ، وقد صرح أن بدراً فى الأولى ، وأحداً فى سنة ثنتين ، وبدر الموعد فى شعبان سنة ثلاث ، والخندق فى شوال سنة أربع . وهذا مخالف لقول الجمهور ، فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم . والصحيح قول الجمهور أن أحداً فى شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم فأما الحديث المتفق عليه فى الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال : عُرِضْتُ على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى ، فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقى بأنه عرض يوم أحد أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب فى أواخر الخامسة عشرة .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه فى يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التى يجاز لمثلها الغلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها ، ولهذا لمَّا بلّغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا الفرق بين الصغير والكبير ، ثم كتب به إلى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم .

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره . قال ابن إسحاق : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس، فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة ومن لا أتهم عن عبيد الله

ابن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظى والزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا ، وبعضهم يحدث مالا يحدث بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراًمن اليهود منهم : سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحيى ابن أخطب النضرى ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير من بنى وائل ، وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ؛ إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ؛ وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت . ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا** ﴾ [١] الآيات ، فلما قالوا ذلك لقريش سرهم لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب النبى ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة ، والحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رُخَلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع ابن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة ، قال ابن هشام : يقال إن الذى أشار به سلمان ، قال الطبرى والسهيلى : أول من حفر الخنادق منوشهر بن أيرج بن أفريدون وكان فى زمن موسى عليه السلام ، قال ابن إسحاق : فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون ، وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من ينسلّ خفية بغير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام ، وقد أنزل الله تعالى فى ذلك قولة تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنو بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله**

---

(١) آيتا : ٥١ ، ٥٢ من سورة النساء .

فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . ألا إن لله ما فى السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم ﴾ (١) .

قال ابن إسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له : جعيل ، سماه رسول الله ﷺ عَمْراً ، فقالوا فيما يقولون :

سماه من بعد جُعَيل وكان للبائس يوما ظهرا

وكانوا إذا قالوا : عمْرا ، قال معهم رسول الله ﷺ : عمرا ، وإذا قالوا : ظهرا ، قال لهم : ظهرا . وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن حميد سمعت أنسا قال : خرج رسول ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخره ، فاغفر للأنصار والمهاجره » فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس نحوه ، وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس بنحوه ، وقال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا على الإسلام مابقينا أبدا

قال : يقول النبى ﷺ مجيباً لهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره ، فبارك فى الأنصار والمهاجره » قال : يؤتون بملء كفى من الشعير فيصنع لهم بإهالة سنخة توضع بين يدى القوم والقوم جياع ، وهى بشعة فى الحلق ولها ريح منتن . وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخره ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » ورواه مسلم عن القعنبى

---

(١) الآيات : ٦٢ - ٦٤ من سورة النور .

عن عبد العزيز به . وقال البخارى : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلنْ سكينةً علينا وثبتِ الأقدامَ إنْ لاقينا
إن الألى قد بَغَوْا علينا إذا أرادوا فتنةً أبيْنا

ورفع بها صوته : أبينا ، أبينا . ورواه مسلم من حديث شعبة به . ثم قال البخارى : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنى إبراهيم بن يوسف حدثنى أبى عن أبى إسحاق عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

ثم يمد صوته بآخرها . وقال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا إسماعيل بن الفضل البجلى حدثنا إبراهيم بن يوسف البلخى حدثنا المسيب بن شريك عن زياد بن أبى زياد عن أبى عثمان عن سلمان أن رسول الله ﷺ ضرب فى الخندق وقال :

بسم الله وبه هدينا ولو عبدنا غيره شقينا
يا حبذا ربًّا وحبَّ دينا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال ، وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير إلا خير الآخره ، فأصلح الأنصار والمهاجره » وأخرجاه فى الصحيحين من حديث غندر عن شعبة . قال ابن إسحاق : وقد كان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى من الله فيها عبرة فى تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون ، فمن ذلك أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كُدْيَة ، فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح

الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فاساً ولا مسحاة ، هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وقد قال البخارى رحمه الله : حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه ، قال : أتيت جابراً ، فقال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْية شديدة فجاءوا النبى ﷺ ، فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا ، فأخذ النبى ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهْيَلَ أو أهْيَمَ ، فقلت : يا رسول الله ائـذن لى إلى البيت ، فقلت لامرأتى : رأيت بالنبى ﷺ شيئاً ما كان فى ذلك صبر ، فعندك شىء ؟ قالت : عندى شعير وعناق ، فذبحت العناق وطحَنَت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبى ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافى قد كادت أن تنضج ، فقلت : طعيم لى فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : كم هو؟ فذكرت له ، فقال : كثير طيب ، قل لها : لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى ، فقال : قوموا ، فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحك ، جاء النبى ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم ، قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم ، فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقى بقية ، قال : كلى هذا وأهدى ، فإن الناس أصابتهم مجاعة ، تفرد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أيمن الحبشى ، مولى بنى مخزوم ، عن جابر بقصة الكدية وربط الحجر على بطنه الكريم ، ورواه البيهقى فى الدلائل عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة الكدية والطعام وطوله أتم من رواية البخارى ، قال فيه : لما علم النبى ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً : قوموا إلى جابر فقاموا ، قال : فلقيت من الحياء مالا يعلمه إلا الله وقلت : جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق ، ودخلت على امرأتى أقول : افتضحت ، جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين ، فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فكشفتْ عنى غما شديداً ، قال : فدخل رسول الله ﷺ فقال : خدمى ودعينى من اللحم . وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ويخمر هذا ويخمر هذا ،

فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ، ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا ، ثم قال رسول ﷺ : كلى وأهدى ، فلم تزل تأكل وتهدى يومها . وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر به وأبسط أيضا ، وقال فى آخره : وأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة أو قال : ثلثمائة .

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن أبى الزبير عن جابر ، فذكر القصة بطولها فى الطعام فقط وقال : وكانوا ثلثمائة . ثم قال البخارى : حدثنا عمرو بن على حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبى سفيان عن أبى الزبير حدثنا ابن ميناء سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبى ﷺ خمصاً فانكفأتُ إلى امرأتى فقلت : هل عندكِ شىء ؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً . فأخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها فطحنت ففرغت إلى فراغى وقطعتها فى برمتها ، ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه ، فجئته فساررته ، فقلت : يا رسول الله ذبحت بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله ﷺ فقال : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سؤراً فحيهلا بكم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت : بك وبك . فقلت : قد فعلت الذى قلت . فأخرجت لنا عجيناً فبسق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك واقدحى من برمتك ولا تنزلوها ، وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هى وإن عجيننا كما هو . ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبى عاصم به نحوه .

وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفى سياقه غرابة من بعض الوجوه ، فقال : حدثنى سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال : عُملنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق وكانت عندى شويهة غير جد سمينة قال : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ ، قال : وأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ ، فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، فقلت : يا رسول الله إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فأنا أحب أن تنصرف معى إلى منزلى قال : وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده ، قال : فلما أن قلت ذلك قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه فجلس

وأخرجناها إليه ، قال : فبرك وسمّى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها . والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحاق عنه عن جابر مثله سواء .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتني أمي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت : فأخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي فقال : تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير ابن سعد وخالي عبد الله بن رواحه يتغديانه . فقال : هاتيه ، قالت : فصببته في كفيْ رسول الله ﷺ فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسِط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلمّ إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب . هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله ﷺ قريب مني ، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة فضرب ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال : أما الأولى فإن الله فتح عليّ باب اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ باب الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق ، قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه ، وذكره أبو الأسود عن عروة ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار [1] كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن

---

(١) وفي نسخة أخرى من ابن كثير (وشداد) . والذي في تاريخ ابن جرير من رواية محمد بن بشار وحده عن محمد بن خالد بن عثمة .

عوف المزنى عن أبيه عن جده فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرين والأنصار فى سلمان ، فقال رسول الله ﷺ : سلمان منّا أهل البيت ، قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرّن وستة من الأنصار فى أربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا بلغنا الندى ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو فى قبة تركية ، فأخبره عنها فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة ما بين لابتيها ـ يعنى المدينة ـ حتى كأنها مصباح فى جوف ليل مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك .

وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ وسألوه عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لى من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، واستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعود صادق . ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون ، كما حكى القرآن الكريم : ﴿ **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما** ﴾ (١) وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل فيهم ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا** ﴾ (٢) وهذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا هارون بن ملول حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال : لما أمر رسول الله ﷺ بالخندق فخندق على المدينة قالوا : يا رسول الله إنا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها ، فقام النبى ﷺ وقمنا معه ، فلما أتاها أخذ المعول فضرب وكبر ، فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط ، فقال : فُتِحَت فارس ، ثم ضرب أخرى فكبر ، فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط ، فقال : فتحت الروم ، ثم ضرب أخرى فكبر ، فسمعت هدة لم أسمع

---

(١) الآية : ٢٢ من سورة الأحزاب .

(٢) الآية : ١٢ من سورة الأحزاب .

مثلها قط ، فقال : جاء الله بحمير أعواناً وأنصارا . وهذا أيضا غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى فيه ضعف فالله أعلم . وقال الطبرانى أيضاً : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى سعيد بن محمد الجرمى حدثنا أبو نميلة حدثنا نعيم بن سعيد الغرى أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتفر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال : هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة ؟ قال رجل : نعم ، قال : أما لا ، فتقدم فدلنا عليه ، فانطلقوا إلى بيت الرجل فإذا هو فى الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جىء ، فإن رسول الله ﷺ قد أتانا ، فجاء الرجل يسعى وقال : بأبى وأمى ، وله معزة ومعها جديها فوثب إليها ، فقال النبى ﷺ : الجدى من ورائها فذبح الجدى ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت فأدركت القدر فثردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فوضع رسول الله ﷺ أصبعه فيها وقال : باسم الله اللهم بارك فيها ، اطعموا ، فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقى ثلثاها ، فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبو وسرحوا إلينا بعدتكم فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله ﷺ : دعونى فأكون أول من ضربها . فقال : باسم الله ، فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال : الله أكبر ، قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال : الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة . فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم .

ثم قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا هوذة حدثنا عوف عن ميمون بن أستاذ الزهرى حدثنى البراء بن عازب الأنصارى قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فلما رآها أخذ المعول وقال : باسم الله ، وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال : باسم الله فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة . وهذا حديث

غريب أيضاً تفرد به ميمون بن أستاذ هذا وهو بصرى روى عن البراء وعبد الله بن عمرو وعنه حميد الطويل والجريرى وعوف الأعرابى ، قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين : كان ثقة ، وقال على بن المدينى : كان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه .

وقال النسائى : حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبى زرعة **الشيبانى** عن أبى سكينة ، رجل من البحرين ، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبى ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : ﴿ **وتمت كلمتُ ربك صدقا وعدلالامبدل لكلماته وهو السميع العليم** ﴾ [1] فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسى قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ثم ضرب الثانية وقال : ﴿ **وتمت كلمتُ ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم** ﴾ فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال : ﴿ **وتمت كلمتُ ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم** ﴾ فندر الثلث الباقى وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان : يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة ، قال رسول الله ﷺ : يا سلمان رأيت ذلك : قال : إى والذى بعثك بالحق يا رسول الله ، قال : فإنى حين ضربت الضربة الأولى رُفعت لى مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعينى ، فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم ، فدعا بذلك ، قال : ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لى مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعينى ، قالوا : يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم ، فدعا ثم قال : ثم ضرب الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعينى . ثم قال رسول الله ﷺ : « دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » هكذا رواه النسائى مطولا وإنما روى منه أبو داود « دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » عن عيسى بن محمد الرملى عن ضمرة بن ربيعة عن أبى زرعة يحيى بن أبى عمرو الشيبانى به .

---

(١) الآيـة : ١١٥ من سورة الأنعام ، وقد وردت فى الأصل (كلمات) وهى قراءة صحيحة لكن لغير حفص [دار الغـد] .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول ، حين فتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينـة ولا تفتحـونهـا إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك . وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه ولله الحمد ، فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بُعِثْتُ بجوامع الكلم ونُصِرْتُ بالرعب ، وبينا أنا نائم أُتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى . وقد رواه البخارى منفرداً به عن يحيى بن بكير وسعد بن عفير كليهما عن الليث به ، وعنده قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها ، وقال الإمام أحمد : حدثنـا يزيد حدثنـا محمـد بن عمـرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتلت فى يدى . وهذا إسناد قوى على شرط مسلم ولم يخرجـوه ، وفى الـصـحـيحـين : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعـده وإذا هلك كسرى فلا كسـرى بعـده ، والـذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله ، وفى الحديث الصحيح : إن الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها .

فصـــــل

قال ابن إسحـاق : ولمـا فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومَنْ تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومَنْ تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحـد ، وخـرج رسـول الله ﷺ والمسلمـون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فوق الآطام . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾ (١) قال البخارى : حدثنا عثمان

---

(١) الآية : ١٠ من سورة الأحزاب .

ابن أبى شيبة حدثنا عبيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار** ﴾ قالت : ذلك يوم الخندق .

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم قال ابن إسحاق : وخرج حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى ، صاحب عقدهم وعهدهم ، فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيى فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه ويحك يا كعب ، افتح لى . قال : ويحك يا حيى ، إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال : ويحك ، افتح لى أكلمك . قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا خوفاً على جشيشتك أن آكل معك منها ، فأحفظ الرجل ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وبحر طام ، قال : وما ذاك ؟ قال : جئتك بقريش على قادتها وسادتها أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه ، فقال كعب : جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شىء ، ويحك يا حيى فدعنى وما أنا عليه فإنى لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا .

وقد تكلم عمرو بن سعد القرظى فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره وقال : إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه .

قال ابن إسحاق : فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له ـ يعنى فى نقض عهد رسول الله ﷺ وفى محاربته مع الأحزاب ـ على أن أعطاه حيى عهد الله وميثاقة لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد العهد وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ ، قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيى بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمدا ، قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم ، فنازلهم حيى على ذلك ، فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد ، إلا بنى سعنة : أسد وأسيد وثعلبة فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما

عبـد الله ابن رواحة وخوات بن جبير وقال : انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد المسلمين ، وإن كانوا على الـوفـاء فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم . قال موسى بن عقبة : فدخلوا معهم حصنهم فدعـوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم - يريدون بنى النضير - ونالوا من رسول الله ﷺ ، فجعل سعد بن عبادة يشـاتمهم فأغضبـوه ، فقـال له سعد بن معاذ : إنا والله ما جئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشاتمة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذى بيننا وبينكم يا بنى قريظة وأنـا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير أو أمرّ منه . فقالوا : أكلت أير أبيك . فقال : غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق : نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، لما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحـابه ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين ، قال موسى بن عقبة : ثم تقنع رسول الله ﷺ بثوبة حين جاءه الخبر عن بنى قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا أنه لم يأته عن بنى قريظة خير . ثم إنه رفع رأسه وقال : أبشروا بفتح الله ونصره ، فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالنبل والحجارة ، قال سعيد بن المسيب : قال رسول الله ﷺ : اللهم إنى أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد .

قال ابن إسحاق : وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغـائط . وحتى قال أوس بن قيظى : يا رسـول الله إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملإ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة .

قلت : هؤلاء وأمثـالهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاغرورا . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام

لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ (١)

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ مرابطاً وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرمى بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن الزهرى ، إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المرى ، وهما قائدا غطفان ، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : بل شىء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبى ﷺ : أنت وذاك ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال : فأقام النبى ﷺ وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش ـ منهم : عمرو بن عبد ود بن أبى قيس ، أحد بنى عامر بن لؤى ، وعكرمة بن أبى جهل ، وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب بن مرداس ، أحد بنى محارب بن فهر ـ تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا : تهيأوا يا بنى كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج على بن أبى طالب فى نفر معه من

---

(١) آيتا : ١٢ ، ١٣ من سورة الأحزاب .

المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له على بن أبى طالب رضى الله عنـه ، فقال له : يا عمرو ، إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال : أجل ، قال له على : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لى بذلك ، قال : فإنى أدعوك إلى النزال ، قال له : لم يا بن أخى ، فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له على : لكنى والله أحب أن أقتلك . فحمى عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبـل على علىّ فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة . قال ابن إسحاق وقال على بن أبى طالب فى ذلك :

نَصَـرَ الـحـجـارةَ من سفـاهـةِ رأيهِ ... ونـصـرتُ ربَّ محمـدٍ بصـوابِ
فصـدرتُ حين تركـتُـهُ متجـدّلا ... كالـجـذع بين دكـادكٍ وروابـى
وعـفـفـتُ عن أثـوابـه ولَـوَ آنـنـى ... كنـتُ الـمـقـطرَ بزنى أثـوابـى
لا تحـسـبـنّ الله خاذلَ دينـهِ ... ونـبـيّهُ يا معـشـرَ الأحـزابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى . قال ابن هشام : وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

فَرّ وألـقـى لنـا رمـحَـهُ ... لعـلـك عكـرم لم تفـعـلِ
ولـيتَ تعـدو كَعَـدْوِ الـظليم ... ما أن يحـور عن الـمـعـدلِ
ولـم تَلْوِ ظهـركَ مسـتـأنـسـاً ... كأنّ قفـاك قفـا فرعـلِ

قال ابن هشام : الفراعل صغار الضباع ، وذكر الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة عن ابن إسحاق فى موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنـادى : من يبـارز ؟ فقام على بن أبى طالب فقال : أنا لها يا نبى الله ، فقال : إنه عمرو ، اجلس ، ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تبرزون إلىّ رجلا ؟ فقام علىّ فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس ، ثم نادى الثالثة فقال :

ولـقـد بحـحـتُ من الـنـد ... اء لجـمـعـهـم هل من مبـارز

ووقفتُ إذ جَبُنَ المشـ ـجع موقف القرن المناجز
ولذاك أنى لم أزل متسرعاً قبل الهزاهز
إن الشجاعةَ فى الفتى والجودَ من خيرِ الغرائز

قال : فقام على رضى الله عنه فقال : يا رسول الله أنا ، فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان عمراً ، فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيبُ صوتِك غيرَ عاجز
فى نيَّةٍ وبصيرةٍ والصدقُ منجى كلِّ فائز
إنى لأرجو أن أقيمَ عليك نائحةَ الجنائز
من ضربةٍ نجلاء يبقى ذكرُها عند الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، فقال : يا بن أخى من أعمامك من هو أسن منك ، فإنى أكره أن أهريق دمك ، فقال له على : لكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علىّ مغضباً واستقبله علىّ بدرقته فضربه عمرو فى درقته فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علىٌّ على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج ، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرفنا أن علياً قد قتله ، فثَمّ يقول على :

أعَلَىّ تقتحم الفوارس هكذا عنى وعنهم أخروا أصحابى
اليوم يمنعنى الفرار حفيظتى ومصمم فى الرأس ليس بنابى

إلى أن قال :

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدتُ ربَّ محمد بصواب

إلى آخرها ، قال : ثم أقبل علىّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلا استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقانى بسوءته فاستحييت ابن عمى أن أسلبه ، قال : وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق .

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عن البيهقى أن علياً طعنه فى ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات فى الخندق ، وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : هو لكم ، لانأكل ثمن الموتى ، وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب

حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلا من المشركين فأعطوا بجيفته مالا ، فقال رسول الله ﷺ : ادفعوا إليهم جيفته فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية ، فلم يقبل منهم شيئاً ، وقد رواه البيهقى من حديث حماد بن سلمة عن حجاج ، وهو ابن أرطاة ، عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قتل يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم اثنى عشرا ألفا ، فقال رسول الله ﷺ : « لا خير فى جسده ولا فى ثمنه » ، وقد رواه الترمذى من حديث سفيان الثورى عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب ، وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومى ، حين قتل ، وعرضوا عليه الدية ، فقال : « إنه خبيث ، خبيث الدية ، فلعنه الله ولعن ديته ، فلا أرب لنا فى ديته ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى فسأل المبارزة فخرج إليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنتين حتى فل فى سيفه فلاً ، وانصرف وهو يقول :

إنى امرؤ أحمى وأحتمى [1] عن النبى المصطفى الأمى

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قِتْلَةً أحسن من هذه يا معشر العرب ، فنزل إليه علىّ فقتله ، وطلب المشركون رمته من رسول الله ﷺ بالثمن ، فأبى أن يأخذ منهم شيئاً ومكنهم من أخذه إليهم ، وهذا غريب من وجهين ، وقد روى البيهقى من طريق حماد بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان فى الأطم ومعى عمر بن أبى سلمة فجعل يطأطىء لى فأصعد على ظهره فأنظر قال : فنظرت إلى أبى وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا فما يرتفع له شىء إلا أتاه ، فلما أمسى جاءنا إلى الأطم قلت : يا أبة رأيتك اليوم وما تصنع ، قال : ورأيتنى يا بنى ؟ قلت : نعم ، قال : فدى لك أبى وأمى ، قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصارى ، أخو بنى حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة ، قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن ، قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، قالت : فمر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربته يرفل بها ويقول :

---

(١) كذا بالنسـخ .

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل   لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه ، الحقْ بنى فقد والله أخرت ، قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى ، قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل ، قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة قال : رماه حبَّان بن قيس بن العَرِقة ، أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلىّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمى ، حليف بنى مخزوم ، وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبى جهل :

أعكرم هلا لمتنى إذ تقول لى   فداك بآطام المدينة خالدُ
ألستَ الذى ألزمتَ سعداً مريشة   لها بين أثناء المرافق عاندُ
قضى نحبه منها سعيدٌ فأعولتْ   عليه مع الشمط العذارى النواهدُ
وأنت الذى دافعتَ عنه وقد دعا   عبيدةُ جمعاً منهم إذ يكابدُ
على حين رماهم جائر عن طريقه   وآخر مرعوب عن القصد قاصدُ

قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان ، قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك ، كما سيأتى بيانه ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ، حتى قال له رسول الله ﷺ : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو

---

(١) الأرقعة : السماوات ، وهى جمع رقيع ، وفى الصحيح سبع سموات .

قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذ أتانا آت فقلت : يا حسان إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شُغِلَ رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان انزل فاستلبه ، فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى بسلبه يا بنت عبد المطلب .

قال موسى بن عقبة : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم فى مثل الحصن من كتائبهم فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدرى أتم أم لا ، قال : ووجهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فقاتلوهم يوما إلى الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبى ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفأت الكتيبة مع الليل فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم ناراً، وفى رواية وقبورهم ناراً، فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول : « والذى نفسى بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة وإنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله إلىَّ مفاتيح الكعبة ، وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » .

وقد قال البخارى : حدثنا اسحاق حدثنا رَوْح حدثنا هشام عن محمد عن عَبيدة عن علىّ عن النبى ﷺ أنه قال يوم الخندق : « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » وهكذا رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن على به ، ورواه مسلم والترمذى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أبى حسان الأعرج عن عبيدة عن على به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . ثم قال البخارى : حدثنا المكى بن إبراهيم حدثنا هشام عن يحيى عن أبى سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال : يا رسول الله ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب ، قال النبى ﷺ : والله ما صليتها ، فنزلنا مع رسول الله ﷺ

بُطْحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى المغرب . وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس قال : قاتل النبى ﷺ عدواً فلم يفرغ منهم حتى أخر العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك قال : « اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملأ بيوتهم ناراً ، واملأ قبورهم ناراً » ونحو ذلك ، تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدى الكوفى وهو ثقة يصحح له الترمذى وغيره . وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هى صلاة العصر كما هو منصوص عليه فى هذه الأحاديث ، وألزم القاضى الماوردى مذهب الشافعى بهذا لصحة الحديث ، وقد حررنا ذلك نقلا واستدلالا عند قوله تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ (١) وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعى ، وقد بوب البخارى ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب إلى بنى قريظة ـ كما سيأتى ـ « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » وكان من الناس من صلى العصر فى الطريق ومنهم من لم يصلّ إلا فى بنى قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين ، استدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم فى حصار تستر سنة عشرين فى زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقتراب فتح الحصن .

وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور ، منهم الشافعى : هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك ، فلهذا أخروها يومئذ ، وهو مشكل ، قال ابن إسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبى ﷺ صلى صلاة الخوف بعسفان وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام فى المغازى قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالله أعلم ، وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً ، كما حكاه بعض شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع فى وقت العشاء من رواية أبى هريرة وأبى سعيد .

---

(١) الآية : ٢٣٨ من سورة البقرة .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد وحجاج قالا حدثنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال : حُبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوىً من الليل حتى كفينا ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً ﴾ [1] قال : فدعا رسول الله ﷺ بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصليها فى وقتها ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك ، وذلك قبل أن ينزل ، قال الحجاج فى صلاة الخوف ﴿ فإن خفتم فرجالا أو ركباناً ﴾ [2] وقد رواه النسائى عن الفلاس عن يحيى القطان عن ابن أبى ذئب به قال : شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره ، وقال أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا أبو الزبير عن نافع بن جبير عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله ، قال : فأمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن معمر حدثنا مؤمل ، يعنى ابن إسماعيل ، حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن عبد الكريم يعنى ابن أبى المخارق عن مجاهد عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء ، ثم قال : « ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله فى هذه الساعة غيركم » تفرد به البزار وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبى عبيدة عن عبد الله .

---

(١) الآية : ٢٥ من سورة الأحزاب .

(٢) الآية : ٢٣٩ من سورة البقرة .

فصـــــــل

في دعائه ﷺ على الأحزاب ، وكيف صرفهم الله بحوله وقوته استجابة لرسوله ﷺ ، وصيانة لحوزته الشريفة ، فزلزل قلوبهم ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا الزبير- يعنى ابن عبد الله - حدثنا ربيح بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول الله هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال : « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال : فضرب الله وجوه أعدائه بالريح . وقد رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن أبى عامر - وهو العقدى - عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى سعيد فذكره وهذا هو الصواب . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين عن ابن أبى ذئب عن رجل من بنى سلمة عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدًّا يدعو عليهم ولم يصل ، قال ثم جاء ودعا عليهم وصلى ، وثبت فى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى قال : دعـا رسـول الله ﷺ على الأحـزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفى رواية ، « اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم » وروى البخارى عن قتيبة عن الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شىء بعده » .

وقال ابن إسحاق : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خَلاَوَه بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنى قد أسلمت وإن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فَخَذِّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة » ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديماً فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم

وخاصة ما بينى وبينكم . قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رَهْنًا من أشرافهم يكون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً ، وأنه قد بلغنى أمر قد رأيت علىّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عنى قالوا: نفعل قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلىّ ولا أراكم تتهموننى . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، قال : فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم ، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنيع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقال لهم : إنا لسنا بدار مقام ، هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى

بلادهم وخلو بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنّا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح فى ليلة شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم .

وهـذا الـذى ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة ، وقد أورده عنه البيهقى فى الدلائل ، فإنه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله ﷺ ذات يوم عشاء ، فأشار إليه أن تعـال ، فجاء فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخـرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت قريظة : نعم ، فأرسلوا إلينا بالرهن ، وقد ذكر فيما تقدم : أنهم إنما نقضوا العهد على يدى حيى بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : إنى مُسِر إليك شيئاً فلا تذكره ، قال : إنهم قد أرسلوا إلىّ يدعوننى إلى الصلح وأرد بنى النضير إلى دورهم وأموالهم ؛ فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان ، وقال رسول الله ﷺ : « الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا » ، فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا إلى بنى قريظة عكرمة وجماعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله ﷺ يريدون منه الصلح على أن يرد بنى النضير إلى المدينة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جمعهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا ، قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة ابن اليمان : يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخى قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجتهد ، قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخى ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويا من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة ـ أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة ، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يقم أحد دعانى ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ، فقال : يا حذيفة اذهب فى القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان ،

فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت : من أنت ؟ قال : فلان ابن فلان ؛ ثم قال : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلىَّ لا تحدث شيئاً حتى تأتينى لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه مرحل ، فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه وطرح علىّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإنى لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم ، وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج فى صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمى عن أبيه قال : كنا عند حذيفة ، فقال له رجل : لو أدركت رسول الله ﷺ لقاتلت معه ولأبليت ، فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله ﷺ : ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بدًا إذ دعانى باسمى أن أقوم ، فقال : ائتنى بخبر القوم ولا تذعرهم علىّ ، قال : فمضيت كأنما أمشى فى حَمّام حتى أتيتهم فإذا أبو سفيان يُصْلى ظهره بالنار ، فوضعت سهماً فى كبد قوسى وأردت أن أرميه ، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ : لا تذعرهم علىّ ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشى فى حمام فأتيت رسول الله ﷺ فأصابنى البرد حين رجعت وقررت ، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسنى من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أبرح نائما حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : قم يا نومان ! .

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقى فى الدلائل هذا الحديث مبسوطا من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلى عن عبد العزيز ، ابن أخى حذيفة ، قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ ، فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا ، فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود ، وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها فى أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبى ﷺ ويقولون : إن بيوتنا عورة ،

وماهى بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلا رجلا حتى أتى علىّ وما علىّ جُنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى ، قال : فأتانى وأنا جاثٍ على ركبتى ، فقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة ، فقال : حذيفة ؟ فتقاصرت للأرض فقلت : بلى يارسول الله ، كراهية أن أقوم ، فقمت فقال : إنه كائن فى القوم خبر فأتنى بخبر القوم ، قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قراً قال : فخرجت فقال رسول الله ﷺ . « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » قال : فوالله ماخلق الله فزعا ولا قرا فى جوفى إلا خرج من جوفى ، فلم أجد فيه شيئاً ، قال : فلما وليت قال : يا حذيفة ، لا تحدثن فى القوم شيئاً حتى تأتينى ، قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل ، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميه به فى ضوء النار، فذكرت قول رسول الله ﷺ : لا تحدثن فيهم شيئاً حتى تأتينى ، فأمسكت ورددت سهمى إلى كنانتى ، ثم إنى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم ، وإذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا ، فوالله إنى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم وفرشهم الريح تضرب بها ، ثم إنى خرجت نحو رسول الله ﷺ ، فلما انتصفت بى الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين ، فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه ، قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل فى شملة يصلى ، فوالله ما عدا أن رجعت راجعنى القرُّ وجعلت أُقَرْقِفُ ، فأومأ إلىّ رسول الله ﷺ بيده وهو يصلى فدنوت منه فأسبل علىّ شملته ؛ وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أنى تركتهم يرحلون ، قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا** ﴾ يعنى الآيات كلها إلى قوله : ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا** ﴾ (١) أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى بعثها الله إليهم ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾ أى لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته .

---

(١) الآيات : ٩ ـ ٢٥ من سورة الأحزاب .

لهذا ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقول : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شىء بعده . وفى قوله تعالى : ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم وهكذا وقع ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين كما قال محمد بن إسحاق رحمه الله ، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم ، قال : فلم تَغْزُ قريش بعد ذلك وكان يغزوهم ، ذلك حتى فتح الله عليه مكة ، وهذا بلاغ من ابن إسحاق ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن سفيان حدثنى أبو اسحاق سمعت سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثورى كلاهما عن أبى اسحاق السبيعى عن سليمان بن صرد به .

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الأشهل وهم : سعد بن معاذ ـ وستأتى وفاته مبسوطة ـ وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة الجشميان السلميان وكعب بن زيد النجارى ، أصابه سهم غرب فقتله ، قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله ابن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمن كبير كما تقدم ، وعمرو بن عبدود العامرى قتله على بن أبى طالب قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدث عن الزهرى أنه قال : قتل على يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو ، قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد ود ويقال : عمرو بن عبد .

فصـــــــل
فى غـــزوة بنى قريظـــــة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعد الله لهم فى الآخرة من العذاب الأليم وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ وممالأتهم الأحزاب عليه ، فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وباءوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة ، وقد قال تعالى : ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم**

أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ (١) قال البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا عبد الله حدثنا موسى بن عقبة عن سالم ونافع عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيكبر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير ، آيبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلون ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ ، كما حدثني الزهري ، معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسيرة إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم ، فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس : من كان سامعاً مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وقال البخاري : حدثني عبد الله بن أبي شيبة حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح ، والله ما وضعناه فاخرج إليهم ، قال : فإلى أين ؟ قال : هاهنا ، وأشار إلى بني قريظة ، فخرج النبي ﷺ . وقال أحمد : وحدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاء جبريل فرأيته من خلل البيت قد عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال : وضعنا أسلحتنا ، فقال : إنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهد إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري : حدثنا موسى حدثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك قال : كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة . ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بلى نصلي ، فذكر ذلك

---

(١) الآيات : ٢٥ ـ ٢٧ من سورة الأحزاب .

للنبى ﷺ فلم يعنف واحداً منهم ، وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به . وقـال الحافظ البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر بن الحسن القاضى قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن خالد بن على حدثنا بشر بن حرب عن أبيه حدثنا الزهرى أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستحم ، فتبدى له جبريل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد ، قال : فوثب النبى ﷺ فزعاً ، فعزم على الناس أن لايصلوا صلاة العصر إلا فى بنى قريظة . قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنى قريظة حتى غربت الشمس فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلى حتى نأتى بنى قريظة ، فإنما نحن فى عزيمة رسول الله ﷺ فليس علينـا إثم ، وصـلى طائفـة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بنى قريظة احتساباً ، فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقى من طريق عبد الله العمرى عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان عندها فسلم علينا رجل ونحن فى البيت ، فقام رسول الله ﷺ فزعاً وقمت فى أثره فإذا بدحية الكلبى ، فقال : هذا جبريل أمرنى أن أذهب إلى بنى قريظة وقال : قد وضعتم السلاح لكنّا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسـد ، وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، فقام رسول الله ﷺ فزعاً وقال لأصحـابـه : عزمت عليكم أن لاتصلوا صلاة العصـر حتى تأتوا بنى قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله ﷺ لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا ، وقالت طائفة : والله إنا لفى عزيمة رسول الله ﷺ وما علينا من إثم ، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ولم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين ، وخرج رسول الله ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بنى قريظة فقال : هل مر بكم أحد ؟ فقالوا : مر علينا دحية الكلبى على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال : ذلـك جبـريل أرسـل إلى بنى قريظة ليزلـزلهم ويقـذف فى قلوبهم الرعب فحاصرهم النبى ﷺ وأمـر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم ، فناداهم : يا إخوة القـردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحاشا ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعـد بن معاذ ، وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم . ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها .

وقد اختلف العلماء فى المصيب من الصحابة يومئذ من هو؟ بل الإجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف ، فقالت طائفة من العلماء : الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها فى بنى قريظة هم المصيبون ، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها فى وقتها المقدر لها شرعاً ، قال أبو محمد بن حزم الظاهرى فى كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا فى بنى قريظة ولو بعد أيام ، وهذا القول منه ماش على قاعدته الأصلية فى الأخذ بالظاهر ، وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلوا الصلاة فى وقتها لما أدركتهم وهم فى مسيرهم هم المصيبون ، لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بنى قريظة لا تأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الأدلة على أفضلية الصلاة فى أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة فى وقتها التى حولت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخروا فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه ، وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البخارى حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم فى هذا فلا إشكال على من أخر ولا على من قدم أيضاً ، والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وقدم رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ومعه رايته وابتدرها الناس . وقال موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى : فبينما رسول الله ﷺ فى مغتسله كما يزعمون قد رَجَّل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأْمَتُهُ حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له جبريل : غفر الله لك ، أوقد وضعت السلاح ؟ قال نعم . فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدو وما زلت فى طلبهم حتى هزمهم الله - ويقولون : إن على وجه جبريل لأثر الغبار - فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بنى قريظة فأنا عامد إليهم بمن معى من الملائكة نزلزل بهم الحصون فاخرج بالناس ، فخرج رسول الله ﷺ فى أثر جبريل فمر على مجلس بنى غنم وهم ينتظرون رسول الله ﷺ فسألهم فقال : مر عليكم فارس آنفاً ؟ فالوا : مر علينا دحية الكلبى على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه اللأمة ، فذكروا أن رسول الله ﷺ قال : ذاك جبريل ، وكان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبى بجبريل ، فقال : الحقونى ببنى قريظة فصلوا فيهم العصر ، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا إلى بنى قريظة فحانت صلاة العصر وهم بالطريق فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر فى بنى قريظة . وقال آخرون : هى الصلاة ،

فصلى منهم قوم ، وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوها فى بنى قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله ﷺ من عجل منهم الصلاة ومن أخرها فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعنف واحدامن الفريقين ، قال فلما رأى على بن أبى طالب رسول الله ﷺ مقبلا تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود ؛ وكان علىّ قد سمع منهم قولا سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه رضى الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : لم تأمرنى بالرجوع ؟ فكتمه ما سمع منهم ، فقال : أظنك سمعت فىَّ منهم أذى ، فامض فإن أعداء الله لو رأونى لم يقولوا شيئاً مما سمعت .

فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم وكانوا فى أعلاه نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيبوا يا معشر يهود يا إخوة القردة ، قد نزل بكم خزى الله عز وجل ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حيى بن أخطب حتى دخل حصن بنى قريظة وقذف الله فى قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبى لبابة بن عبد المنذر ـ وكانوا حلفاء الأنصار ـ فقال أبو لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : قد أذنتُ لك ، فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه فقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فإنه لا طاقة لنا بالقتال ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه وأمر عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بهم القتل ، فلما انصرف أبو لبابة سقط فى يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة ، فقال : والله لا أنظر فى وجه رسول الله ﷺ حتى أُحدث لله توبة نصوحا يعلمها الله من نفسى ، فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد ، وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله ﷺ ، حين غاب عليه أبو لبابة : أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ؟ فذكر له ما فعل ، فقال : لقد أصابته بعدى فتنة ، ولو جاءنى لاستغفرت له ، وإذ قد فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء . وهكذا رواه ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة وكذا ذكره محمد بن إسحاق فى مغازيه فى مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ومثل رواية أبى الأسود عن عروة .

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بنى قريظة من ناحية أموالهم يقال لها : بئر أَنّى ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف فى قلوبهم الرعب ، وقد كان حيى بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما

ترون وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثاً فخذوا بما شئتم منها ، قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل وأنه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره قال : فإذا أبيتم علىَّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء . قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم علىَّ هذه فالليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ، قالوا : أنفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه مالم يخف عنك من المسخ ، فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً .

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو ابن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، نستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله ﷺ فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرقّ لهم وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح ، قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده وقال : لا أبرح مكانى حتى يتوبَ الله علىّ مما صنعت ، وأُعاهد الله أن لاأطأ بنى قريظة أبداً ولا أُرَى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى قتادة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ [١] . قال ابن هشام : أقام مرتبطاً ست ليال تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلى ثم يرتبط حتى نزلت توبته فى قوله تعالى : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** ﴾ [٢] ، وقول موسى بن عقبة إنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به والله أعلم . وذكر

---

(١) الآية : ٢٧ من سورة الأنفال .

(٢) الآية : ١٠٢ من سورة التوبة .

ابن إسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو فى بيت أم سلمة ، فجعل يبتسم ، فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبى لبابة ، فاستأذنته أن تبشره ، فأذن لها ، فخرجت فبشرته ، فثار الناس إليه يبشرونه ، وأرادوا أن يحلوه من رباطه فقال : والله لا يحلنى منه إلا رسول الله ﷺ ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حله من رباطه رضى الله عنه وأرضاه .

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَة وأُسَيِّد بن سعية وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بنى هدل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير نسبهم ، فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أسلموا فى تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ ، وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد ابن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب لم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه ، قال : وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة فأصبحت رمته ملقاة ولم يدر أين ذهب ، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله ، إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت ، يعنون عفوه عن بنى قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن أبىّ كما تقدم .

قال ابن إسحاق : فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذلك إلى سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها : رفيدة فى مسجده وكانت تداوى الجرحى ، فلما حكّمه فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل

إليهم سعد عن كلمته التى سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم ، فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار ، وأما الأنصار فيقولون : قد عم رسول الله ﷺ المسلمين ، فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا نعم ، قال : وعلى من هاهنا ، فى الناحية التى فيها رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء ، قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثى قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

وقال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم أن على بن أبى طالب صاح وهم محاصرو بنى قريظة يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزة وأقتحم حصنهم ، فقالوا : يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم سمعت أبا أمامة بن سهل سمعت أبا سعيد الخدرى قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ ، قال : فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار ، فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله ﷺ : قوموا لسيدكم أو خيركم . ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك ، قال : نقتل مقاتلتهم ونسبى ذريتهم ، قال : فقال رسول الله ﷺ : قضيت بحكم الله . وربما قال : قضيت بحكم الملك ، وفى رواية الملك أخرجاه فى الصحيحين من طرق عن شعبة ، وقال الإمام أحمد : حدثنا حجين ويونس قالا : حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال : رُمِى يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده فنزفه فحسمه أخرى فانتفخت يده فنزفه ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم يستعين بهم المسلمون ، فقال رسول الله ﷺ : أصبت حكم الله فيهم ، وكانوا أربعمائة ، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات ، وقد رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن الليث به وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير عن هشام أخبرنى أبى عن عائشة قالت : لما رجع

رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها ، اخرج إليهم ، قال رسول الله ﷺ : فأين ؟ قال : هاهنا ، وأشار إلى بنى قريظة ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم . قال هشام : فأخبرنى أبى أنهم نزلوا على حكم النبى ﷺ ، فرد الحكم فيهم إلى سعد ، قال : فإنى أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم . قال هشام : قال أبى : فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال : لقد حكمت فيهم بحكم الله ، وقال البخارى : حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له : حبان بن العرقة ، رماه فى الأكحل ، فضرب النبى ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح ، والله ما وضعته اخرج إليهم . قال النبى ﷺ : فأين ؟ فأشار إلى بنى قريظة ، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه ، فرد الحكم إلى سعد ، قال : فإنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم ، قال هشام : فأخبرنى أبى عن عائشة أن سعداً قال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحبَّ إلىّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقى من حرب قريش شىء فأبقنى له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها . فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفى المسجد خيمة من بنى غفار إلا الدم يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ، ما هذا الذى يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها . وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نمير به .

قلت : كان دعا أولا بهذا الدعاء قبل أن يحكم فى بنى قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أىَّ قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه . وسيأتى ذكر وفاته قريباً إن شاء الله . وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولا جداً وفيه فوائد فقال : حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرتنى عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الأرض ورائى فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه ، قالت : فجلست إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول :

لبث قليلا يدرك الهيجا جمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فإذا نفر من المسلمين ، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة له ، تعنى المغفر ، فقال عمر : ما جاء بك ؟ والله إنك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تَحَوُّز ؟ فما زال يلومنى حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها ، فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر ، ويحك ، إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل ؟ قالت : ويرمى سعداً رجل من قريش يقال له : ابن العرقة وقال : خذها وأنا ابن العرقة ، فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد فقال : اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية ، قالت : فرقأ كلمه وبعث الله الريح على المشركين ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ (١) فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا فى صياصيهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد فى المسجد .

قالت : فجاء جبريل وإن على ثناياه لنقع الغبار فقال : أقد وضعت السلاح ؟ لا والله ماوضعت الملائكة السلاح بعد ، اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن فى الناس بالرحيل أن يخرجوا ، فمر على بنى غنم ، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مر بكم ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلبى - وكان دحية الكلبى تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام - فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح ، قالوا : ننزل على حكم سعد ابن معاذ ، فقال رسول الله ﷺ : انزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت ، قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لى أن لاأبالى فى الله لومة لائم ، قالت : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم فأنزلوه ، قال عمر : سيدنا الله ، قال : أنزلوه ، فأنزلوه ، قال رسول الله ﷺ : احكم فيهم ، فقال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ، ثم دعا سعد فقال : اللهم إن كنت

---

(١) الآية : ٢٥ من سورة الأحزاب .

أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك ، قالت : فانفجر كَلْمُهُ وكان قد برىء حتى لا يرى منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبته التى ضرب عليه رسول الله ﷺ .

قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت : فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى وكانوا كما قال الله ﴿ رحماء بينهم ﴾ [1] قال علقمة : فقلت : يا أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته . وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمه فى بنى قريظة ومرة بعد ذلك ، كما قلناه أولا ، ولله الحمد والمنة ، وسنذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله فى ذلك رضى الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصة .

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث ، امرأة من بنى النجار .

قلت : هى نسيبة بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز .

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، فخرج بهم إليه أرسالا وفيهم عدو الله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة . والمكثر لهم يقول كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبى الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لا تعقلون ، ألا ترون الداعى لا ينزع ومن ذهب به منكم لا يرجع ، هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم وأتى بحيى بن أخطب وعليه حلة له فقاحية [2] قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة

---

(١) الآية : ٢٩ من سورة الفتح .

(٢) قال ابن هشام : « فقاحية : ضرب من الوشى » .

لئلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخْذَلِ . ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبى :

لعمرك مالام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذلِ
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يبغى العز كل مقلقلِ

وذكر ابن إسحاق قصة الزبير بن باطا ، وكان شيخا كبيراً قد عمى ، وكان قد من يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته ، فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفنى يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك ؟ فقال له ثابت : أريد أن أكافئك ، فقال : إن الكريم يجزى الكريم ، فذهب ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلقه فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة ؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده فأطلقهم له ، ثم جاءه فقال أهل بيت بالحجاز : لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزبير بن باطا فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره فقال له : يا ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى حى كعب بن أسد ؟ قال : قتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حيى بن أخطب ؟ قال قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا : عزال بن شموال ؟ قال : قتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ - يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة - قال : ذهبوا ، قتلوا ، قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَيلة دَلْو ناضح حتى أَلْقى الأحبة ، فقدمه ثابت فضربت عنقه ، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : « ألقى الأحبة » قال : « يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلداً » قال ابن إسحاق : « فيلة » بالفاء والياء المثناة من أسفل ، وقال ابن هشام : بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح البعير الذى يستقى عليه الماء لسقى النخل ، وقال عبيدة : معناه إفراغة دلو .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم . فحدثنى شعبة ابن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاماً فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى

نحوه ، وقد استدل به من ذهب من العلماء إلى أن إنبات الشعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ بل هو بلوغ فى أصح قولى الشافعى ، ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغاً فى حقهم دون غيرهم ، لأن المسلم يتأذى بذلك لمقصد ، وقد روى إسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله إن رفاعة يزعم أنه سَيُصلى ويأكل لحم الجمل ، فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندى تحدث معى تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله ﷺ يقتل رجالها فى السوق إذ هتف هاتف باسمها ، أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قلت لها : ويلك ، مالك ؟ قالت : قالت : أقتل ! قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها فضربت عنقها ، وكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل ، وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن إسحاق به ، قال ابن إسحاق : هى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ، يعنى فقتلها رسول الله ﷺ به ، قال ابن إسحاق : فى موضع آخر وسماها نباتة امرأة الحكم القرظى .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعدما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ، سهمين للفرس وسهماً لراكبه ، وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين ، قال : وكان أول فىء وقعت فيه السهمان وخمس ، قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ سعيد بن زيد بسبايا من بنى قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا ، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، وكان عليها حتى توفى عنها وهى فى ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الإسلام فامتنعت ، ثم أسلمت بعد ذلك فسُرّ رسول الله ﷺ بإسلامها ، وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها ، فلم تزل عنده حتى توفى عليه الصلاة والسلام .

ثم تكلم ابن اسحاق على مانزل من الآيات فى قصة الخندق من أول سورة الأحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى تفسيرها ولله الحمد والمنة ، وقد قال

ابن إسحـاق : واستشهـد من المسلمـين يوم بنى قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبـة بن عمـرو الخزرجى طرحت عليه رحا فشدخته شدخاً شديداً فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : إن له لأجر شهيدين .

قلت : كان الـذى ألقى عليه الرحى تلك المرأة التى لم يقتل من بنى قريظة امرأة غيرها ، كما تقدم والله أعلم .

قال ابن إسحـاق : ومـات أبو سنان بن محصن بن حرثان من بنى أسد بن خزيمة ورسول الله ﷺ محاصر بنى قريظة فدفن فى مقبرتهم اليوم .

وفاة سـعد بن معـاذ رضى الله عنه

قد تقدم أن حبان بن العَرقة ، لعنه الله ، رماه بسهم أصاب أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ كياً بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد دعا الله أن لايميته حتى يقر عينه من بنى قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة وسار إليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم ، كما تقدم ، فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما أراده الله فرد الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاءهم فى الجاهلية ، وهو سعد بن معاذ ، فرضوا بذلك ، ويقال : بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لمـا يرجـون من حنـوه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة إيمانه وصديقيته ، رضى الله عنه وأرضاه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، وكان فى خيمة فى المسجد النبوى فجىء به على حمار تحته إكاف قد وطىء تحته لمرضه ، ولما قارب خيمة رسول الله ﷺ أمر ﷺ من هناك بالقيام له ، قيل : لينزل من شدة مرضه ، وقيل : توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ فى نفوذ حكمه ، والله أعلم ، فلما حكم فيهم بالقتل والسبى وأقر الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوى صحبة رسول الله ﷺ دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه

شهيداً ، حدثنى معـاذ بن رفاعة الزرقى قال : حدثنى من شئت من رجال قومى : أن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبـرق ، فقـال : يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضى الله عنه ، هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله ، وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبى وشعيب بن الليث قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله ، قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : من هذا العبد الصالح الذى مات ، فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟ قال : فخرج رسول الله ﷺ ، فإذا سعد بن معاذ ، قال : فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال : « الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم ، ثم قال رسول الله ﷺ : « عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه فى قبره حتى كان هذا حين فرج له » .

وروى الإمام أحمد والنسائى من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن : سبحان الله لهذا العبد الصالح الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، شدد عليه ، ثم فرج الله عنه ، وقال محمد بن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة عن محمود ابن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ثم كبر فكبرالناس معه ، فقالوا : يا رسـول الله مم سبحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه ، وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق به ، قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله ﷺ : إن للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن عائشة عن النبى ﷺ ، قال : إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ ، وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين إلا أن الإمام أحمد رواه عن غندر عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن إنسان عن عائشة به ، ورواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر قال : حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا داود عن عبد الرحمن حدثنا

عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ولقد ضمه القبر ضمة ، ثم بكى نافع ، وهذا إسناد جيد لكن قال البزار : رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلا ، ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف عن أبى عتاب عن سكين بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها ، وقال حين دفن : سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد .

وقال البزار : حدثنا إسماعيل بن حفص عن محمد بن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ فقيل : إنما يعنى السرير ، قال تعالى : ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾[1] قال : تفتحت أعواده ، قال : ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبس ، فلما خرج قيل له ، يا رسول الله ، ما حبسك ؟ قال : ضُمّ سعد فى القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه ، قال البزار : تفرد به عطاء بن السائب .

قلت : وهو متكلم فيه ، وقد ذكر البيهقى رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضى الله عنه فى القبر أثراً غريبا ، فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد ابن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثنى أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ فى هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال : كان يقصر فى بعض الطهور من البول .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الفضل بن مساور حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : سمعت النبى ﷺ يقول : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ، وعن الأعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبى ﷺ مثله فقال رجل : لجابر ، فإن البراء بن عازب يقول : اهتز السرير فقال : إنه كان بين هذين الحيين ضغائن ، سمعت النبى ﷺ يقول : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ، ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن إدريس وابن ماجه عن على بن محمد عن أبى معاوية كليهما عن الأعمش به ، وليس عندهما زيادة قول الأعمش عن أبى صالح عن جابر ، وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : اهتز

---

(١) الآية : ١٠٠ من سورة يوسف .

لها عرش الرحمن ، ورواه مسلم عن عبد بن حميد ، والترمذى عن محمود بن غَيْلان كليهما عن عبد الرزاق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أبو نضرة سمعت أبا سعيد عن النبى ﷺ : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ . ورواه النسائى عن يعقوب بن إبراهيم عن يحيى به ، وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب عن سعيد ، قال قتادة : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ، وجنازته موضوعة : اهتز لها عرش الرحمن ، ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الأزدى عن عبد الوهاب به ، وقد روى البيهقى من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصرى قال : اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البزار : حدثنا زهير بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال : لما حملت جنازة سعد قال المنافقون : ما أخف جنازته ، وذلك لحكمه فى بنى قريظة ، فسئل رسول الله ﷺ فقال : لا ، ولكن الملائكة تحملته ، إسناد جيد .

وقال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت البراء بن عازب يقول : أُهدِيَت للنبى ﷺ حُلة حرير ، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها ، فقال : أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين ، ثم قال : رواه قتادة والزهرى سمعنا أنساً عن النبى ﷺ ، وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب عن سعيد ، هو ابن أبى عروبة ، عن قتادة عن أنس بن مالك أن أكيدر دومة أهدى إلى رسول الله ﷺ جبة ، وذلك قبل أن ينهى عن الحرير ، فلبسها ، فعجب الناس منها ، فقال : والذى نفسى بيده لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذه ، وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه ، وإنما ذكره البخارى تعليقاً .

وقال أحمد : حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو حدثنى واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ، قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ، قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ، فقال : إنك بسعد لشبيه ثم بكى وأكثر البكاء وقال : رحمة الله على سعد ، كان من أعظم الناس وأطولهم ، ثم قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى دومة ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله ﷺ ، فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ، ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون إليها ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن مما ترون . وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عمرو به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . قال ابن إسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن مِعاذ : وفى ذلك يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرشُ الله من موت هالكٍ ... سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

قال : وقالت أمه ، يعنى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية ، حين احتمل سعد على نعشه تندبه :

ويل أم سعد سعدا ... صرامة وحدّا
وسؤدداً ومجدا ... وفارساً معدّا
سد به مسدا ... يقدّها ما قدّا

قال : يقول رسول الله ﷺ : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » .

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، إذ كان قدوم الأحزاب فى شوال سنة خمس ، كما تقدم ، فأقاموا قريباً من شهر ، ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بنى قريظة ، فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد ، فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك فى أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس ، والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق : إن فتح بنى قريظة كان فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة ، قال : وولى تلك الحجة المشركون .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ رضى الله عنه :

لقد سجمتْ من دمع عينى عبرةٌ ... وحقَّ لعينى أن تفيض على سعدِ
قتيل ثوى فى معرك فجعتْ به ... عيون ذوارى الدمع دائمة الوجدِ
على ملة الرحمن وارث جنةٍ ... مع الشهداء وفدها أكرمُ الوفدِ
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا ... وأمسيتَ فى غبراء مظلمة اللحدِ
فأنت الذى يا سعد أُبتَ بمشهدٍ ... كريم وأثواب المكارم والمجدِ
بحكمك فى حيى قريظة بالذى ... قضى الله فيهم ما قضيتَ على عمدِ
فوافق حكمَ الله حكمُكَ فيهم ... ولم تعفُ إذ ذكرتَ ما كان من عهدِ
فإن كان ريب الدهر أمضاك فى الألى ... شرَوْا هذه الدنيا بجناتها الخلدِ
فنعم مصيرُ الصادقين إذا دعوا ... إلى الله يوماً للوجاهةِ والقصدِ

فصـــــــل

فيما قيل من الأشعار فى الخنــدق وبنى قريظة

قال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة حدثنا عدى بن ثابت أنه سمع البراء بن عازب قال : قال النبى ﷺ لحسان : اهجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخارى : وزاد إبراهيم بن طهمان عن الشيبانى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : قال النبى ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت : اهجُ المشركين فإن جبريل معك . وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والنسائى من طرق عن شعبة بدون الزيادة التى ذكرها البخارى يوم بنى قريظة . قال ابن إسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر فى يوم الخندق :

قلت : وذلك قبل إسلامه :

ومـشـفـقـةٍ تظن بنـا الـظنـونـا ... وقـد قدنـا عرنـدسـة طحـونـا
كأنّ زهـاءهـا أحـد إذا ما ... بدت أركـانُـهُ للنـاظـرينـا
ترى الأبـدان فيهـا مُسْبَـغـاتٍ ... على الأبـطال واليلب الحصينـا
وجـرداً كالـقـداح مسوَّمـاتٍ ... نؤمّ به الـغـواة الـخـاطئينـا
كأنـهـم إذا صالـوا وصُلْنـا ... ببـاب الـخنـدقين مصافحـونـا
أُنـاسٌ لا ترى فيهـم رشـيداً ... وقـد قالـوا ألـسنـا راشـدينـا
فأحـجـرنـاهـم شهـراً كريتـاً ... وكـنـا فوقـهـم كالـقـاهـرينـا
نراوحهـم ونـغـدو كل يومٍ ... عليهـم فى الـسلاح مدجّجينـا
بأيدينـا صوارمُ مرهـفـاتٌ ... نقـدُّ بهـا الـمفـارق والشئـونـا
كأنّ ومـيضَـهـنّ معـرياتٌ ... إذا لاحـت بأيدى مصلـتـينـا
ومـيض عقـيقـة لمـعـت بليلٍ ... ترى فيهـا الـعقـائق مستبينـا
فلولا خـنـدق كانـوا لديه ... لدمّـرنـا عليهـم أجـمـعـينـا
ولـكـن حال دونـهـم وكـانـوا ... به من خوفـنـا متـعـوّذينـا
فإن نرحـلْ فإنّـا قد تركـنـا ... لدى أبيـاتِـكـم سعـداً رهـينـا
إذا جنّ الـظلام سمـعـت نَوْحًـا ... على سعـد يرجِّـعـن الـحـنينـا
وسـوف نزوركـم عمّـا قريب ... كمـا زرنـاكـم متـوازرينـا
بجـمـعٍ من كنـانـة غير عزلٍ ... كأُسْـدِ الغـابِ إذ حمتِ العـرينـا

قال : فأجابه كعب بن مالك ، أخو بنى سلمة رضى الله عنه ، فقال :

وسائلةٍ تسائل ما لقينا ولو شهدتْ رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلا على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبىُّ وزيرَ صدقٍ به نعلو البريةَ أجمعينا
نقاتل معشراً ظلموا وعقّوا وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعالجهم إذا نهضوا إلينا بضربٍ يعجل المتسرعينا
ترانا فى فضافضَ سابغاتٍ كغدران الملا متسربلينا
وفى أيماننا بيضٌ خفافٌ بها نشفى مراح الشاغبينا
بباب الخندقين كأن أُسْداً شوابكهن يحمين العرينا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا على الأعداءِ شوساً معلمينا
لننصرَ أحمداً والله حتى نكون عبادَ صدقٍ مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا وأحزابٌ أتوا متحزبينا
بأن الله ليس له شريكٌ وأن الله مولى المؤمنينا
فإمّا تقتلوا سعداً سفاهاً فإن الله خير القادرينا
سيدخله جناناً طيباتٍ تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فَلًّا شريداً بغيظكم ، خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثَمَّ خيراً وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريحٍ عاصفٍ هبتْ عليكمْ فكنتم تحتها متكمّهينا

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمى فى يوم الخندق .

قلت : وذلك قبل أن يسلم :

حى الديار محىَا معارفَ رسمِها طولُ البِلى وتراوحُ الأحقابِ
فكأنما كتب اليهودُ رسومَها إلا الكنيف ومعقد الأطنابِ
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها فى نعمةٍ بأوانس أترابِ
فاترك تذكر ما مضى من عيشة ومحلة خلق المقام يبابِ
واذكر بلاء معاشر واشكرهم ساروا بأجمعهم من الأنصابِ
أنصابِ مكةَ عامدين ليثرب فى ذى غياطل جحفل جبجابِ
يدع الحزون مناهجاً معلومةً فى كل نشز ظاهرٍ وشعابِ
فيها الجياد شوازب مجنوبة قب البطون لواحق الأقرابِ

من كل سلهبةٍ وأجردَ سلهبٍ كالسيد بادرَ غفلة الرقابِ
جيش عيينة قاصدٌ بلوائه فيه ، وصخرٌ قائدُ الأحزابِ
قرمان كالبدرين أصبح فيهما غيث الفقير ومعقل الهرابِ
حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا للموتِ كل مجرب قَضّابِ
شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصحابُهُ فى الحرب خير صحابِ
نادوا برحلتهم صبيحة قلتمُ كدنا نكون بها مع الخيابِ
لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطير سغب وذئابِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب ؟ متكلم لمحاورٍ بجوابِ
قفر عفا رهم السحاب رسومَهُ وهبوب كل مطلة مربابِ
ولقد رأيتُ بها الحلولَ يزينهم بيض الوجوه ثواقب الأحسابِ
فدع الديارَ وذِكْرَ كلِّ خريدةٍ بيضاء آنسة الحديث كعابِ
واشكُ الهمومَ إلى الإله وما ترى من معشرٍ ظَلَموا الرسولَ غضابِ
ساروا بأجمعهم إليه وألّبوا أهلَ القرى وبوادى الأعرابِ
جيش عيينة وابن حرب فيهمُ متخمطون بحلبة الأحزابِ
حتى إذا وردوا المدينةَ وارتجوا قتلَ الرسولِ ومغنمَ الأسلابِ
وغدوا علينا قادرين بأيدهم رُدُّوا بغيظهم على الأعقابِ
بهبوب معصفة تفرق جمعهم وجنود ربك سيد الأربابِ
فكفى الإله المؤمنين قتالهم وأثابهم فى الأجر خيرَ ثوابِ
من بعد ما قنطوا ففرّق جمعهم تنزيل نصر مليكنا الوهابِ
وأقرَّ عين محمد وصحابهِ وأذلَّ كلَّ مكذّب مرتابِ
عاتى الفؤاد ، موقع ، ذى ريبة فى الكفر ليس بطاهر الأثوابِ
علق الشقاءُ بقلبِهِ ، ففؤاده فى الكفر آخر هذه الأحقابِ

قال : وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقيةً من خير نحلة ربِّنا الوهابِ
بيضاء مشرفة الذرى ومعاطناً حم الجزوعِ غزيرة الأحلابِ

كاللوب يبذل جمها وحفيلها — للجار ، وابن العمِّ ، والمنتابَ
ونزائعاً مثل السراج نمى بها — علف الشعير وجزة المقضابَ
عرى الشوى منها وأردف نحضها — جرد المتون وسائر الآرابَ
قوداً تراح إلى الصياح إذا غدتْ — فعل الضراء تراح للكلابَ
وتحوط سائمة الديار وتارةً — تردى العدى وتئوب بالأسلابَ
حوش الوحوش مطارةً عند الوغى — عبس اللقاء مبينة الإنجابَ
علفتْ على دعة فصارت بدَّنا — دخس البضيع خفيفة الأقصابَ
يغدون بالزغف المضاعف شكَّهُ — وبمترصات فى الثقاف صيابَ
وصوارم نزع الصياقل علبها — وبكل أروع ماجد الأنسابَ
يصل اليمين بمارن متقارب — وكلت وقيعته إلى خبابَ
وأغرّ أزرق فى القناة كأنه — فى طخية الظلماء ضوءُ شهابَ
وكتيبة ينفى القران قتيرها — وترد حد قواحز النشابَ
جاوى ململمة كأنّ رماحَها — فى كلّ مجمعة صريمةُ غابَ
تأوى إلى ظل اللواء كأنّهُ — فى صعدة الخطى فىء عقابَ
أعيت أبا كربٍ وأعيت تبّعاً — وأبت بسالتها على الأعرابَ
ومواعظ من ربنا نهدى بها — بلسانِ أزهرَ طيّب الأثوابَ
عرضت علينا فاشتهينا ذكرَها — من بعد ما عرضتْ علَى الأحزابَ
حكما يراها المجرمون بزعمهم — حرجاً ويفهمها ذوو الألبابَ
جاءت سخينة كى تغالبَ ربّها — فليُغلبنّ مغالب الغلّابَ

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير أن رسول الله ﷺ قال له لما سمع منه هذا البيت : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

قلت : ومراده بسخينة قريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذى لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادى ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

مَنْ سَرّهُ ضربٌ يمعمع بعضُهُ — بعضاً كمعمعةِ الأباء المحرقِ
فليأت مأسدة تُسَنّ سيوفها — بين المذاد وبين جذع الخندقِ
دربوا بضرب المعلمين وأسلموا — مهجاتِ أنفسهم لرب المشرقِ

في عصبة نصر الإله نبيه · بهم وكان بعبده ذا مرفق
في كل سابغة تخط فضولها · كالنهي هبت ريحه المترقرقِ
بيضاء محكمة كأنّ قتيرَها · حدق الجنادب ذات شكّ موثقِ
جدلاء يحفزها نجادُ مهنّد · صافي الحديدة صارم ذي رونقِ
تِلْكُم مع التقوى تكونُ لباسَنا · يومَ الهياج وكل ساعة مصدقَ
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا · قدماً ونلحقها إذا لم تلحقِ
فترى الجماجم ضاحياً هاماتها · بُلْه الأكفّ كأنها لم تخلقِ
نلقى العدوّ بفخمةٍ ملمومةٍ · تنفي الجموع كقصد رأس المشرقِ
ونعدّ للأعداءِ كل مُقلص · ورد ومحجول القوائم أبلقِ
تردي بفرسان كأن كماتِهم · عند الهياج أسودُ طل ملثقِ
صدق يعاطون الكماة حتوفَهم · تحت العماية بالوشيج المزهقِ
أمر الإله بربطها لعدوّه · في الحرب إن الله خير موفقِ
لتكون غيظاً للعدو وحيطاً · للدار إن دلفت خيول النزّقِ
ويعيننا الله العزيز بقوةٍ · منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
ونطيعُ أمر نبينا ونجيبُهُ · وإذا دعا لكريهةٍ لم نُسْبَقِ
ومتي يُنادى للشدائدِ نأتِها · ومتى نرى الحومات فيها نعنقِ
من يتبع قول النبي فإنّهُ · فينا مطاعُ الأمر حقُّ مصدّقِ
فبذاك ينصرنا ويظهر عزّنا · ويصيبنا من نيل ذاك بمرفقِ
إن الذين يكذبون محمّداً · كفروا وضلوا عن سبيل المتقي

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد علمَ الأحزابُ حين تألّبوا · علينا وراموا دينَنا ما نوادعُ
أضاميم من قيس بن عيلان أصفقتْ · وخندف لم يدروا بما هو واقعُ
يذودوننا عن ديننا ونذودهمْ · عن الكفر والرحمن راءٍ وسامعُ
إذا غايظونا في مُقام أعاننا · على غيظهم نصرٌ من الله واسعُ
وذلك حفظُ الله فينا وفضلُهُ · علينا ومن لم يحفظِ الله ضائعُ
هدانا لدين الحق واختاره لنا · ولله فوق الصانعين صنائعُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له ـ يعني طويلة ـ قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة :

لقد لقيتْ قريظةُ ما ساءها ... وما وجدتْ لذلٍّ من نصيرِ
أصابهم بلاءٌ كان فيه ... سوى ما قد أصاب بنى النضيرِ
غداةَ أتاهم يهوى إليهم ... رسول الله كالقمر المنيرِ
له خيلٌ مجنَّبةٌ تعادى ... بفرسانٍ عليها كالصقورِ
تركناهم وما ظفروا بشىءٍ ... دماؤهم عليها كالعبيرِ
فهم صرعى تحومُ الطير فيهمْ ... كذاك يدان ذو العند الفجورَ
فأنذرْ مثلها نصحاً قريشاً ... من الرحمن إن قبلت نذيرى

قال : وقال حسان بن ثابت أيضاً فى بنى قريظة :

تعاقد معشرٌ نصروا قريشاً ... وليس لهم ببلدتهم نصيرُ
همُ أوتوا الكتاب فضيعوه ... وهم عمىٌ من التوراة بورُ
كفرتم بالقران وقد أتيتم ... بتصديق الذى قال النذيرُ
فهان على سراة بنى لؤى ... حريقٌ بالبويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

أدام الله ذلك من صنيعٍ ... وحرق فى طوائفها السعيرُ
ستعلم أيّنا منها بنزهٍ ... وتعلم أى أرضينا نضيرُ
فلو كان النخيلُ بها ركابا ... لقالوا لامُقام لكم فسيروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم فى صحيح البخارى بعض هذه الأبيات . وذكر ابن إسحاق جواب حسان فى ذلك لجبل بن جوال الثعلبى ، تركناه قصداً . قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت ، أيضاً ، يبكى سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بنى قريظة :

ألا لِقومى هل لِما حمَّ دافعٌ ... وهل مامضى من صالح العيش راجعُ
تذكرتُ عصراً قد مضى فتهافتت ... بناتُ الحشا وانهلَّ منى المدامعُ
صبابةُ وجدٍ ذكّرتنى إخوةً ... وقتلَى مضى فيها طفيل ورافعُ
وسعد فأضحوا فى الجنان وأوحشتْ ... منازلُهم فالأرض منهم بلاقعُ
وَفَوْا يومَ بدرٍ للرسولِ وفوقهم ... ظلالُ المنايا والسيوفُ اللوامعُ
دعا فأجابوه بحقٍّ وكلُّهم ... مطيعٌ له فى كلِّ أمرٍ وسامعُ
فما نكلوا حتى توالوا جماعةً ... ولا يقطع الآجالَ إلاَّ المصارعُ

لأنهم يرجون منه شفاعةً ... إذا لم يكن إلا النبيون شافعُ
فذلك يا خيرَ العبادِ بلاؤنا ... إجابتُنا لله والموتُ ناقعُ
لنا القدمُ الأولى إليكَ وخلفنا ... لأوّلنا فى ملة الله تابعُ
ونعلمُ أن الملك لله وحده ... وأن قضاء الله لابدَّ واقعُ

مقتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق اليهودى لعنه الله فى قصر له فى أرض خيبر وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بنى قريظة وكان سلام بن أبى الحقيق ـ وهو أبو رافع ـ فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ وكانت الأوس قبل أُحُد قد قتلت كعب بن الأشرف فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم . قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن عبد الله ابن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا وقالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ ، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

قال : ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا . قال : فتذاكروا مَنْ رجل لرسول الله ﷺ فى العداوة كابن الأشرف فذكروا ابن أبى الحقيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا الرسول ﷺ فى قتله فأذن لهم ، فخرج من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أُنَيس وأبو قتادة الحارث بن ربعى وخزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم ، فخرجوا وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتاً فى الدار حتى أغلقوه على أهله قال : وكان فى علية له إليها عجلة ، قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته ، قالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا

أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفاً أن يكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه ، قال : فصاحت امرأته فنوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاه .

قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل ، قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطنى قطنى ، أى : حسبى حسبى . قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر قال : فوقع من الدرجة فوثبت يده وثباً شديداً وحملناه حتى نأتى به منهراً من عيونهم فندخل فيه ، فأوقدوا النيران واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه وهو يقضى ، قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل فى الناس قال : فوجدتها - يعنى امرأته - ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتحدثهم وتقول : أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسى وقلت : أنّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه فقالت : فاظ وإله يهود ، فما سمعت كلمة كانت ألذ على نفسى منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله كلنا يدعيه . قال : فقال ﷺ : هاتوا أسيافكم . فجئنا بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لله در عصابة لاقيتهمْ ... يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرفِ
يسرون بالبيض الخفاف إليكم ... مرحاً كأسد فى عرين مغرفِ
حتى أتوكم فى محل بلادكم ... فسَقَوْكم حتفاً ببيضٍ ذفّفِ
مستبصرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكل أمرٍ مجحفِ

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله . وقد قال الإمام أبو عبد الله البخارى : حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن أبى زائدة عن أبيه عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب قال : بعث النبى ﷺ رهطا إلى أبى رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله . قال البخارى : حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبى رافع اليهودى رجالا من الأنصار وأمّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى

رسول الله ﷺ ويعين عليه ، وكان فى حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فإنى منطلق متلطف للبواب لعلّى أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وَد ، قال : فقمت إلى الأقاليد وأخذتها وفتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر عنده وكان فى علالى له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علىّ من داخل فقلت : إن القوم نَذَرُوا لى لم يخلصوا إلىّ حتى أقتله . فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت ؟ قلت : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئا وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأُمِّكَ الويل ، إن رجلا فى البيت ضربنى قَبْلُ بالسيف . قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت صبيب السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت أنى قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له ، فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة حتى انطلقتُ حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلتُه ؟ فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع ناصر أهل الحجاز ، فانطلقت إلى أصحابى فقلت : النجاء ، فقد قتلَ الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبى ﷺ فحدثته فقال : ابسط رجلك ، فبسطت رجلى فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

قال البخارى : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى حدثنا شريح حدثنا إبراهيم ابن يوسف عن أبيه عن أبى إسحاق سمعت البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبى رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة فى ناس معهما فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله بن عتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر ، قال : فتلطفت حتى أدخل الحصن ففقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه ، قال : فخشيت أن أُعْرَف قال : فغطيت رأسى وجلست كأنى أقضى حاجة فقال : من أراد أن يدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن ، فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا إلى بيوتهم ، فلما هدأت الأصوات ولا أسمع حركة خرجت ، قال : ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن فى كوة فأخذته ففتحت

به باب الحصن ، قال : قلت : إن نذر بى القوم انطلقت على مهل ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت إلى أبى رافع فى سلم ، فإذا البيت مظلم قد طفىء سراجه فلم أدر أين الرجل ، فقلت : يا أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح فلم تغن شيئاً ، ثم جئته كأنى أُغيثه فقلت : مالك يا أبا رافع ، وغيّرت صوتى ، قال : لا أعجبك ، لأمك الويل ، دخل علىّ رجل فضربنى بالسيف ، قال : فعمدت إليه أيضاً فأضربه أخرى ، فلم تغن شيئاً فصاح وقام أهله ثم جئت ، وغيرت صوتى كهيئة المغيث ، فإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيف فى بطنه ثم أنكفىء عليه حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه فانخلعت رجلى فعصبتها ثم أتيت أصحابى أحجل فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ فإنى لا أبرح حتى أسمع الناعية ، فلما كان وجه الصبح صعد الناعية فقال : أنعى أبا رافع ، قال : فقمت أمشى مابى قَلبَة فأدركت أصحابى قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشرته . تفرد به البخارى بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة ثم قال : قال الزهرى : قال أبى بن كعب : فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال : أفلحت الوجوه ، قال : أفلح وجهك يا رسول الله ، قال أَقْتَلْتُمُوه ؟ قالوا : نعم ، قال : ناولنى السيف ، فسله فقال : أجل ، هذا طعامه فى ذباب السيف .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثبت رجله فلما عصبها استكن ما به لما هو من الأمر الباهر ، ولما أراد المشى أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرت نفسه ثاوره الوجع فى رجله فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ذهب ما كان بها من بأس فى الماضى ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله فى المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتى تقدمت والله أعلم .

هذا وقد ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه مثل سياق محمد بن إسحاق وسمى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن اسحاق وإبراهيم وأبو عبيد .

مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى

ذكره الحافظ البيهقى فى الدلائل تلو أبى رافع ، قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس

عن أبيه ، قال : دعانى رسول الله ﷺ . فقال : إنه بلغنى أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى وهو بِعُرَنَةَ فَأْتِهِ فاقتله ، قال : قلت : يا رسول الله ، فانعتـه لى حتى أعرفه ، قال : إذا رأيته وجدت له قشعريرة ، قال : فخرجت متوشحاً سيفى حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلا وحين كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما وصف لى رسول الله ﷺ من القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بينى وبينـه مجاولة تشغلنى عن الصلاة فصليت وأنا أمشى نحوه أومىء برأسى للركوع والسجـود ، فلمـا انتهيت إليه قال : من الـرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك ، قال : أجل ، أنا فى ذلك ، قال : فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكننى حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآنى قال : أفلح الوجه ، قال : قلت : قتلته يا رسول الله ، قال : صدقت ، قال : ثم قام معى رسول الله ﷺ فدخل فى بيته فأعطانى عصا ، فقال : أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس ، قال : فخرجت بها على الناس فقـالـوا : ما هذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرنى أن أمسكها ، قالـوا ، أولا ترجـع إلى رسـول الله ﷺ فتسـأله عن ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسـول الله لم أعـطيتنى هذه العصا ؟ قال : آية بينى وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخصرون يومئذ ، قال : فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن أنيس ـ أو قال : عن عبد الله ابن عبد الله بن أنيس ـ عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه ، وهكذا رواه أبو داود عن أبى معمر عن عبد الوارث عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر عن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكر نحوه ، ورواه الحافظ البيهقى من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكره ، وقد ذكر قصته عروة بن الزبير وموسى بن عقبة فى مغازيهما مرسلة فالله أعلم ، قال ابن هشام ، وقال عبد الله بن أنيس فى قتله خالد بن سفيان :

تركـتُ ابـنَ ثورٍ كالحـوارِ وحـولَـهُ ... نوائـح تفـرى كلّ جيبٍ معـدّدِ
تنـاولتُـهُ والـظعنُ خلفى وخلفَـهُ ... بأبـيضَ من ماءِ الحـديدِ المـهنّـدِ
عجـوم لهـام الـدارعـين كأنّـهُ ... شهـابٌ غضـى من ملهـب متـوقّـدِ

أقــول له والســيفُ يعـجـمُ رأسَــهُ أنــا ابــن أنــيس فارسٌ غير قُعْــددِ
أنــا ابن الــذى لم يُنـزلِ الـدهـرُ قدرَهُ رحـيبُ فنـاء الــدار غير مزنّــدِ
وقــلتُ له خذهــا بضــربــةِ ماجــدٍ خفــيفٍ على دين الــنبى محــمّــدِ
وكـنــت إذا همّ الــنبـى بكـافــرٍ سبـقــتُ إلـيه بالــلســان وبــالــيدِ

قلت : عبد الله بن أنيس بن حرام ، أبو يحيى الجهنى ، مشهور كبير القدر كان فيمن شهد العقبة وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور وقيل : توفى سنة أربع وخمسين والله أعلم ، وقد فرق على بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس ، أبى عيسى الأنصارى ، الذى روى عن النبى ﷺ أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء فحل فمها وشرب منها كما رواه أبو داود والترمذى من طريق عبد الله العمرى عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه ، ثم قال الترمذى : وليس إسناده يصح وعبد الله العمرى ضعيف من قبل حفظه .

قصة عمــــرو بن العاص مع النجاشى
بعد وقعة الخنـــــدق وإسلامه

قال محمد بن إسحاق ، بعد مقتل أبى رافع : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن راشد ، مولى حبيب بن أوس الثقفى ، عن حبيب بن أوس حدثنى عمرو بن العاص مِنْ فيه قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون ويسمعون منى فقلت لهم : تعلمون والله إنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنى لقد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده ، فإذا ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى ، فإنا إن نكن تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأى ، قلت : فاجمعوا لنا ما نهدى له ، فكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم ، فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه ، قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده ، قال : فقلت لأصحابى : هذا عمرو ابن أمية لو قد دخلت على النجاشى فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت رأت قريش أنى قد أجزأتُ عنها حين قتلت رسول محمد ، قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقى ، هل أهديت لى من بلادك شيئاً ؟ قال :

قلت : نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً ، قال : ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقا ، ثم قلت : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألْتكَه ، قال : أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى فتقتله ؟ قال : قلت : أيها الملك : أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ، أطعنى واتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ، قال : نعم ، فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت على أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمت أصحابى إسلامى ، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت ، أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبى ، أذهب والله أسلم فحتى متى ! قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم ، قال : فقدمنا المدينة على النبى ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله إنى أبايعك على أن تغفر لى ما تقدم من ذنبى ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ﷺ : يا عمرو بايع فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها ، قال : فبايعته ثم انصرفت ، قال ابن إسحاق : وقد حدثنى من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبى الزبعرى السهمى :

أنشد عثمان بن طلحة خلفنا ... وملقى نعال القوم عند المقبلِ
وما عقد الأباء من كل حلفة ... وما خالدٌ من مثلها بمحللِ
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغى ... وما تبتغى من بيت مجد مُؤثلِ
فلا تأمننَّ خالداً بعد هذه ... وعثمان جاءا بالدهيم المعضلِ

قلت : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ فى خيل المشركين كما سيأتى بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل فى إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى ، لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشى كان بعد وقعة الخندق ، والظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس ، والله أعلم .

فصـــــل
فى تزويج النبى ﷺ بأم حبيبة بنت أبى سـفيان

ذكر البيهقى بعد وقعة الخندق من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة** ﴾ (١) قال : هو تزويج النبى ﷺ بأم حبيبة بنت أبى سفيان فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين . ثم قال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن نجدة حدثنا يحيى ابن عبد الحميد أنبأنا ابن المبارك عن معمر عن الزهرى عن عروة عن أم حبيبة أنها كانت عند عبد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشى ، فمات ، وأن رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة وهى بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشى ومهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهزها من عنده وما بعث رسول الله ﷺ بشىء ، قال : وكان مهور أزواج النبى ﷺ أربعمائة .

قلت : والصحيح أن مهور أزواج النبى ﷺ كانت ثنتى عشرة أوقية ونشًا ، والأوقية أربعون درهما والنش النصف ، وذلك يعدل خمسمائة درهم .

ثم روى البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله ﷺ زوجها منه عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قلت : أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة استزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله ، وكان يعير المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم ، وقد تقدم شرح ذلك فى هجرة الحبشة .

وأما قول عروة : إن عثمان زوجها منه فغريب لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية ، كما تقدم والله أعلم . والصحيح ما ذكره يونس عن محمد بن إسحاق قال : بلغنى أن الذى ولى نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد ابن العاص .

---

(١) الآية : ٧ من سورة الممتحنة .

قلت : وكان وكيل رسول الله ﷺ فى قبول العقد أصحمة النجاشى ملك الحبشة ، كما قال يونس عن محمد بن إسحاق : حدثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فزوجه بنت أبى سفيان وساق عنه أربعمائة دينار .

وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن إسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة بنت أبى سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى جارية يقال لها : أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستأذنت علىَّ فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلىَّ أن أزوجَكه ، فقلت : بشرك الله بالخير وقالت : يقول لك الملك ، وكّلى من يزوجك ، قالت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين من فضة كانتا علىَّ وخواتيم من فضة فى كل أصابع رجلى سروراً بما بشرتنى به ، فلما أن كان من العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا وخطب النجاشى وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم ، أما بعد ، فإن رسول الله ﷺ طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد أصدقها أربعمائة دينار ، ثم سكب الدنانير بين يدى القوم ، فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أما بعد ، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ ، ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال : اجلسوا ، فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجا من عند النجاشى بعد الخندق إنما كان فى قضية أم حبيبة فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقى ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه ﷺ بأم حبيبة كان فى سنة ست وأن تزويجه بأم سلمة كان فى سنة أربع .

قلت : وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المثنى وابن البرقى وأن تزويج أم حبيبة كان فى سنة ست ، وقال بعض الناس : سنة سبع ، قال البيهقى : هو أشبه .

قلت : قد تقدم تزويجه ﷺ بأم سلمة فى أواخر سنة أربع ، وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ويحتمل أن يكون بعده وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو ابن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشى فهو فى قضيتها والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير فى أُسْدِ الغابة عن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها . وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليمانى عن أبى زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ثلاث أعطنيهن قال : نعم ، قال : تؤمرنى على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال : نعم ، قال : ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك ، قال : نعم ، قال : وعندى أحسن العرب وأجمله ، أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها ، الحديث بتمامه ، قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أنكر على مسلم ، لأن أبا سفيان لما جاء يجدد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبى ﷺ ، فقال : والله ما أدرى أرغبتِ بى عنه أو به عنى ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك ؟ فقال : والله لقد أصابك بعدى ـ يا بنية ـ شر .

وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لا يتابع عليه ، وقال آخرون : أراد أن يجدد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه ، وقال بعضهم : لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه ، وهذه كلها ضعيفة ، والأحسن فى هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى عرة لما رأى فى ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما فى الصحيحين ، وإنما وهم الراوى فى تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً ، قال أبو عبيد القاسم بن سلام : توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : توفيت قبل معاوية بسنة وكانت وفاة معاوية فى رجب سنة ستين .

تزويجه ﷺ بزينب بنت جحش

ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدية ، أم المؤمنين ، وهى بنت أميمة بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه ، قال قتادة والواقدى وبعض أهل المدينة : تزوجها ﷺ سنة خمس ، زاد بعضهم فى ذى القعدة ، قال الحافظ البيهقى : تزوجها بعد بنى قريظة ، وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده :

تزوجها سنة ثلاث ، والأول أشهر ، وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ فى سبب تزويجه إياها ﷺ حديثا ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده تركنا إيراده قصداً لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه ، وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا . ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً** ﴾ (١) .

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية ، فالمراد بالذى أنعم الله عليه هاهنا : زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق وزوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش ، قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهما وخماراً وملحفة ودرعاً وخمسين مُدًّا (٢) وعشرة أمداد من تمر ، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال الله : ﴿ **وتخفى فى نفسك ما الله مبديه** ﴾ قال على بن الحسين زين العابدين والسدى : كان رسول الله ﷺ قد علم أنها ستكون من أزواجه فهو الذى كان فى نفسه ﷺ ، وقد تكلم كثير من السلف هاهنا بآثار غريبة وبعضها فيه نظر فتركناها . قال الله تعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾ ، ذلك أن زيداً طلقها ، فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله ﷺ يخطبها إلى نفسها ثم تزوجها ، وكان الذى زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى كما ثبت فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ فتقول : زوجكن أهلوكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات .

وفى رواية من طريق عيسى به طهمان عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبى ﷺ وتقول : أنكحنى الله من السماء ، وفيها أنزلت آية الحجاب : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه** ﴾ (٣) الأية ، وروى البيهقى من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب فجعل

---

(١) آيتا : ٣٧ ، ٣٨ من سورة الأحزاب .
(٢) هكذا بالأصول .
(٣) الآية : ٥٣ من سورة الأحزاب .

رسول الله ﷺ يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال أنس : فلو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، فكانت تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول : زوجكن أهلوكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات ، ثم قال : رواه البخارى عن أحمد عن محمد بن أبى بكر المقدمى عن حماد بن زيد ، ثم روى البيهقى من طريق عفان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش فقال ﷺ : أمسك عليك أهلك ، فنزلت ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ ثم قال : رواه البخارى عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن محمد مختصراً .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال : كانت زينب تقول للنبى ﷺ : إنى لأدلُّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن : إن جدى وجدك واحد ، تعنى عبد المطلب فإنه أبو أبى النبى ﷺ وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وإنى أَنْكَحنيك الله عز وجل من السماء وأن السفير جبريل عليه السلام ، وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم يعنى ابن القاسم ـ حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبى ﷺ لزيد : اذهب فاذكرها علىّ ، فانطلق حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى ، وقلت : يا زينب أبشرى ، أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت ، ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربى عز وجل ، ثم قامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن .

قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته ، فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ، ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أأخبرته والقوم قد خرجوا أو أُخبر .

قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بينى وبينه ، ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿ لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم ﴾ الآية ، وكذا رواه مسلم والنسائى من طريق سليمان بن المغيرة .

ذكر نزول الحجاب صبيحة عرسها الذى ولى الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب فى هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين ، وذلك وفق الرأى العمرى . قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاش حدثنا معتمر ابن سليمان سمعت أبى حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر ، وجاء النبى ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبى ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى وبينه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى** ﴾ (١) الآية ، وقد رواه البخارى فى مواضع أُخَر ، ومسلم والنسائى من طرق عن معتمر ، ثم رواه البخارى منفرداً به من حديث أيوب عن أبى قلابة عن أنس نحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بُنى على النبى ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعياً فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبى الله ما أجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت ، فخرج النبى ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف وجدت أهلك بارك الله لك ؟ فتقرَّى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبى ﷺ ، فإذا رهط ثلاثة فى البيت يتحدثون ، وكان النبى ﷺ شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدرى أَخْبَرته أم أُخبر أن القوم خرجوا ، فخرج حتى إذا وضع رجله فى أُسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بينى وبينه وأنزلت آية الحجاب ، تفرد به البخارى من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن إسحاق ، هو ابن نصر عن عبد الله بن بكير السهمى عن حميد بن أنس بنحو ذلك ، وقال : « رجلان » بدل ثلاثة ، فالله أعلم .

---

(١) الآية : ٥٣ من سورة الأحزاب .

قال البخارى : وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبى عثمان عن أنس فذكر نحوه .
وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبى عثمان اليشكرى عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيساً ثم حطته فى تور فقالت : اذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن هذا منا له قليل . قال أنس : والناس يومئذ فى جهد فجئت به ، فقلت : يا رسول الله ، بعثتْ بهذا أم سليم إليك ، وهى تقرئك السلام وتقول : إن هذا منا له قليل ، فنظر إليه ثم قال : ضعه فى ناحية البيت ، ثم قال : اذهب فادع لى فلاناً وفلاناً ، فسمى رجالا كثيراً . قال : ومن لقيتَ من المسلمين ، فدعوت من قال لى ومن لقيتُ من المسلمين ، فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس ، فقلت : يا أبا عثمان كم كانوا ؟ قال : كانوا زهاء ثلثمائة . قال أنس : فقال لى رسول الله ﷺ : جىء فجئت به إليه فوضع يده ودعا وقال : ما شاء الله ، ثم قال : ليتحلق عشرة عشرة ويسموا وليأكل كل إنسان مما يليه ، فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم ، فقال لى رسول الله ﷺ : ارفعه ، قال : فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فلا أدرى أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته ، قال : وتخلف رجال يتحدثون فى بيت رسول الله ﷺ ، وزوج رسول الله ﷺ التى دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث ، فشقوا على رسول الله ﷺ ، وكان أشد الناس حياء ، ولو علموا لكان ذلك عليهم عزيزاً ، فقام رسول الله ﷺ فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا فى الحجرة ، فمكث رسول الله ﷺ فى بيته يسيرا ، وأنزل الله القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما . إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شىء عليما** ﴾ [١] قال أنس : فقرأهن علىَّ قبل الناس وأنا أحْدَثُ الناس بهن عهداً .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن جعفر بن سليمان عن الجعد

---

(١) آيتا : ٥٣ ، ٥٤ من سورة الأحزاب .

أبى عثمان به ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد أبى عثمان به ، وقد روى هذا الحديث البخارى والترمذى والنسائى من طرق عن أبى بشر الأحمسى الكوفى عن أنس بنحوه ، ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى نضرة العبدى عن أنس بنحوه ولم يخرجوه ، ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهرى عن أنس نحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش رضى الله عنها من المهاجرات الأول ، وكانت كثيرة الخير والصدقة ، وكان اسمها أولا برة ، فسماها النبى ﷺ زينب ، وكانت تكنى بأم الحكم .

قالت عائشة رضى الله عنها : ما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم أمانة وصدقة . وثبت فى الصحيحين ، كما سيأتى ، فى حديث الإفك عن عائشة أنها قالت : وسأل رسول الله ﷺ عنى زينب بنت جحش ، وهى التى كانت تسامينى من نساء النبى ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، فقالت : يا رسول الله ، أحمى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً .

وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا محمود بن غيلان حدثنا الفضل بن موسى الشيبانى حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً ، قالت : فكنا نتطاول أينا أطول يداً ، قالت : فكانت زينب أطولنا يداً ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق ، انفرد به مسلم .

قال الواقدى وغيره من أهل السير والمغازى والتواريخ : توفيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودفنت بالبقيع ، وهى أول امرأة صنع لها النعش .

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقى : كان يقال فى المحرم منها سرية محمد بن مسلمة قِبَل نجد ، وأسروا فيها ثمامة بن أثال اليمامى .

قلت : لكن فى سياق ابن إسحاق عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه شهد ذلك

وهو إنما هاجر بعد خيبر فيؤخر إلى ما بعدها ، والله أعلم . وهى السنة التى كان فى أوائلها غزوة بنى لحيان على الصحيح .

قال ابن إسحاق : وكان فتح بنى قريظة فى ذى القعدة وصدر من ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، يعنى فى سنة خمس ، كما تقدم . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهرى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه فتحصنوا فى رءوس الجبال ، فمال إلى عُسفان فلقى بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف ، وقد تقدم ذكر هذه الغزوة فى سنة أربع ، وهنالك ذكرها البيهقى ، والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق ، وقد ثبت أنه صلى بعسفان يوم بنى لحيان ، فلتكتب هاهنا ، وتحول من هناك اتباعاً لإمام أصحاب المغازى فى زمانه وبعده ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على محمد ابن إسحاق . وقد قال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان :

لو أن بنى لحيان كانوا تناظروا ... لقوا عصباً فى دارهم ذات مصدقِ
لقوا سرعاناً يملأ السرب روعهُ ... أمام طحونٍ كالمجرةِ فيلقِ
ولكنهم كانوا وباراً تتبعتْ ... شعابَ حجازٍ غيرِ ذى متنفّقِ

غـــــزوة ذى قرد

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله ﷺ فلم يقم بها إلا ليالى قلائل حتى أغار عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى فى خيل من غطفان على لقاح النبى ﷺ بالغابة وفيها رجل من بنى غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح . قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ كلٌ قد حدّث فى غزوة ذى قرد بعض الحديث ـ أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سلع ، ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ويقول :

خذها وأنا ابن الأكوع * اليوم يوم الرضع

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمى رمى ، ثم قال :

خذها وأنا ابن الأكوع * اليوم يوم الرضع

قال : فيقول قائلهم : أُوَيكعنا هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع . فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ ، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود ، ثم عباد بن بشر ، وسعد بن زيد ، وأسيد بن ظهير ـ يشك فيه ـ وعكاشة بن محصن ، ومحرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، أخو بنى سلمة ، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت ، أخو بنى زريق . قال : فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمَّر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : أخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس ، وقد قال النبى ﷺ لأبى عياش ، فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبو عياش : فقلت : يا رسول الله أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يعد سلمة بن الأكوع ثامناً ، ويطرح أسيد بن ظهير ، فالله أعلم أى ذلك كان .

قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، وكان يقال له : الأخرم ويقال له : قمير ، وكانت الفرس التى تحته لمحمود بن مسلمة وكان يقال للفرس : ذو اللمة ، فلما انتهى إلى العدو قال لهم : قفوا معشر بنى اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار ، قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية من بنى عبد الأشهل ، أى : رجع إلى مربطه الذى كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره ، قال ابن هشام : وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه معه أيضاً وقاص بن مجزز المدلجى . قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزاً كان على فرس

لعكاشة بن محصن يقال لها : الجناح ، فقتل محرز واستلب جناح فالله أعلم . قال : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيبَ بن عيينة وغشاه بردة ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول والله ﷺ فى المسلمين ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فإذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة فاسترجع [1] الناس وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله ﷺ : ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل لأبى قتادة ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه ، قال : وأدرك عكاشة بن حصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً ، واستنقدوا بعض اللقاح .

قيل : وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس فأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع ، يا رسول الله لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم ، فقال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : إنهم الآن ليغبقون فى غطفان ، فقسم رسول الله ﷺ فى أصحابه فى كل مائة رجل جزوراً وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلا حتى قدم المدنية ، قال : وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة من إبل النبى ﷺ حتى قدمتْ عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله إنى قد نذرت لله أن أنحرها إن نجانى الله عليها ، قال : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بئسما جزيتيها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها ، إنه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقة من إبلى فارجعى إلى أهلك على بركة الله » ، قال ابن إسحاق : والحديث فى ذلك عن أبى الزبير المكى عن الحسن البصرى ، هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكر من الإسناد والسياق .

وقد قال البخارى : رح بعد قصة الحديبية وقبل خيبر غزوة ذى قرد ، وهى الغزوة التى أغاروا على لقاح النبى ﷺ قبل خيبر بثلاث ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد ابن أبى عبيد سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذن بالأولى وكانت لقاح النبى ﷺ ترعى بذى قرد قال : فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخِذت لقاح النبى ﷺ ، فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان ، قال : فصرخت ثلاث صرخات واصباحاه ، قال : فأسمعت ما بين لابتى المدينة ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى وكنت رامياً وأقول : أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع ، وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة ، قال : وجاء النبى ﷺ والناس فقلت : يا رسول الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش

---

(١) الاسترجاع : هو قول : إنا لله وإنا إليه راجعون [دار الغد العربى] .

فابعث إليهم الساعة ، فقال : « يا بن الأكوع ، ملكت فأسجح » ثم رجعنا ويردفنى رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة ، وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ، ورواه البخارى عن أبى عاصم السهلى عن يزيد بن أبى عبيدة عن مولاه سلمة بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثنى إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ فخرجت أنا ورباح ، غلام النبى ﷺ ، بظهر رسول الله ﷺ ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الإبل ، فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ فقتل راعيها وخرج يطردها وأناس معه فى خيل ، فقلت : يا رباح اقعد على هذا الفرس فألحقه بطلحة وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أُغير على سرحه . قال : وقمت على تل فجعلت وجهى من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : « يا صباحاه » ! قال : ثم اتبعت القوم معى سيفى ونبلى فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يكثر الشجر فإذا رجع إلىَّ فارس جلست له فى أصل شجرة ثم رميت فلا يقبل إلىَّ فارس إلا عقرت به فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنـــا ابـن الأكـوع والـيـوم يوم الـرضـع

قال : فألحق برجل منهم فأرميه وهو على راحلته فيقع سهمى فى الرجل حتى انتظم كتفه فقلت :

خذهـا وأنـا ابـن الأكـوع والـيـوم يوم الـرضـع

فإذا كنت فى الشجر أحرقتهم بالنبل فإذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرديتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شأنى وشأنهم ، وأرتجز حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة ، وجمعته على طريق رسول الله ﷺ حتى إذا امتدَّ الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزارى مدداً لهم وهم فى ثنية ضيقة ، ثم علوت الجبل فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شىء بأيدينا وجعله وراء ظهره ، فقال عيينة : لولا أن هذا يرى وراءه طلباً لقد تركلكم ، ليقم إليه نفر منكم ، فقام إليه نفر منهم أربعة فصعدوا فى الجبل فلما أسمعتهم الصوت قلت : أتعرفوننى ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذى كرّم وجه محمد

لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ، ولا أطلبه فيفوتنى ، فقال رجل منهم : إن أظن ، قال : فما برحت مقعدى ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يخللون الشجر ، وإذا أولهم الأخرم الأسدى ، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندى ، فولى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل فآخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخزم ائذن القوم ـ يعنى احذرهم ـ فإنى لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه قال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق فلا تَحُـلْ بينى وبين الشهـادة ، قال : فخليت عنـان فرسه فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة ويعـطف عليه عبـد الـرحمن ، فاختلفا طعنتين فعقر الأخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبى قتادة وقتله أبو قتادة ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم ، ثم إنى خرجت أعدو فى أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبى ﷺ شيئاً ويعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى الشعب فيه ماء يقال له : ذو قرد فأرادوا أن يشربوا منه فأبصرونى أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا فى الثنية ، ثنية ذى بئر ، وغربت الشمس وألحق رجلا فأرميه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع ، قال : فقال : يا ثكل أم أكوع بكرة ، فقلت : نعم أى عدو نفسه ، وكان الذى رميته بكرة وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذى أجليتهم عنه ذو قرد وإذا بنبى الله عليه الصلاة والسلام فى خمسمائة وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفتُ فهو يشوى لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله خلنى فأنتخب من أصحابك مائة فآخذها على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبـر إلا قتلتـه ، فقـال : أكنت فاعـلا ذلـك يا سلمة ؟ قال : قلت : نعم ، والذى أكرمك ، فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه فى ضوء النار ثم قال : إنهم يقرون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزوراً فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هراباً ، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ : خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة ، فأعطانى رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفنى وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة ، فلما كان بيننا وبينهـا قريب من ضحوة ، وفى القوم رجل من الأنصار كان لا يُسْبق جعل ينادى : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفى فقلت له : أمـا تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله ﷺ ، قال : قلت : يا رسـول الله ، بأبى أنت وأمى ، خلنى فلأسـابق الـرجل ، قال : إن

شئت ، قلت : أذهب إليك ، فطفر عن راحلته وثنيت رجلى فطفرت عن الناقة ، ثم إنى ربطت عليه شرفا أو شرفين ، يعنى استبقيت من نفسى ، ثم إنى عدوت حتى ألحقه فأصك بين كتفيه بيدى ، قلت : سبقتك والله ، أو كلمة نحوها ، قال : فضحك وقال : إن أظن ، حتى قدمنا المدينة ، وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده ، فسبقته إلى المدينة فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر ، ولأحمد هذا السياق ، ذكر البخارى والبيهقى هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم . فينبغى تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة فإن خيبر كانت فى صفر منها .

وأما قصة المرأة التى نجت على ناقة النبى ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبى الزبير عن الحسن البصرى مرسلاً ، وقد جاء متصلا من وجوه أخر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن أبى قلابة عن أبى المهلب عن عمران بن حصين قال : كانت العضباء لرجل من بنى عقيل ، وكانت من سوابق الحاج ، فأخذت العضباء معه ، قال : فمر به رسول الله ﷺ وهو فى وثاق ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة فقال : يا محمد ، علام تأخذونى وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله ﷺ : نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف ، قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبى ﷺ ، وقال فيما قال : إنى مسلم ، فقال رسول الله ﷺ : لو قلتها وأنت تملك أمرك لأفلحت كل الفلاح ، قال : ومضى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنى جائع فأطعمنى وإنى ظمآن فاسقنى ، فقال رسول الله ﷺ : هذه حاجتك ، ثم فدى بالرجلين وحبس رسول الله ﷺ العضباء لرحله .

قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به وكانت العضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين ، قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبله بأفنيتهم ، قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعدما نوموا ، فجلعت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء فأتت على ناقة ذلول مجرسة فركبتها ثم وجهتها إلى المدينة ، قال : ونذرت إن الله أنجاها عليها لتنحرنها ، فلما قدمت المدينة عرفت الناقة فقيل : ناقة النبى ﷺ قال : وأُخبر النبى ﷺ بنذرها أو أتته فأخبرته فقال : بئس ما جزيتها ، أو بئس ما جزتها أن أنجاها الله عليها لتنحرنها ، قال : ثم قال رسول الله ﷺ « لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » ورواه مسلم عن أبى الربيع الزهرانى عن حماد بن زيد .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لولا الذي لاقت ومس نسورها بجنوب ساية أمس في التقوادِ
للقينكم يحملن كلَّ مدجّجٍ حامي الحقيقة ماجدِ الأجدادِ
ولسَرَّ أولادُ اللقيطةِ أننا سِلْمٌ غداةَ فوارس المقدادِ
كنا ثمانيةً وكانوا جحفلا لجباً فشكوا بالرماح بدادِ
كنا من القوم الذين يلونهم ويقدمون عنان كل جوادِ
كلا ورب الراقصات إلى منى يقطعن عرض مخارم الأطوادِ
حتى نُبيل الخيل في عرصاتكم ونئوب بالملكات والأولادِ
رهواً بكل مقلص وطمرةٍ في كلِّ مُعْتَرَكٍ عطفن ووادِ
أفنى دوابرَها ولاحَ متونُها يوما تقادُ به ويومَ طرادِ
فكذاك إن جيادنا ملبونةٌ والحربُ مُشْعَلَةٌ بريحٍ غوادِ
وسيوفُنا بيضُ الحدائد تجتلي جُنَنَ الحديد وهامة المرتادِ
أخذ الإله عليهم لحرامه ولعزة الرحمن بالأسدادِ
كانوا بدارٍ ناعمين فَبُدِّلوا أيامَ ذي قردٍ وجوهَ عنادِ

قال ابن إسحاق : فغضب سعد بن زيد ، أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسان وحلف لا يكلمه أبداً وقال : انطلقَ إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروى اسم المقداد ، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد :

إذا أردتمُ الأشدَّ الجلدا أو ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهدُّ هدًا

قال : فلم تقع منه بموقع . وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد :

أظنَّ عيينةُ إذ زارها بأن سوف يهدم فيها قصورا
فأكذبت ما كنت صدقتَهُ وقلتم سنغنم أمراً كبيرا
فعفت المدينةَ إذ زرتَها وآنست للأسْدِ فيها زئيرا
وولَّوْا سراعا كشد النعام ولم يكشفوا عن ملط حصيرا
أميرٌ علينا رسولُ المليكِ أَحْبِبْ بذاك إلينا أميرا
رسول يصدق ما جاءه ويتلو كتاباً مضيئاً منيرا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :

أيحسبُ أولادُ اللقيطةِ أنّنا على الخيلِ لسنا مثلهم فى الفوارسِ
وإنا أناس لا نرى القتل سُبّةً ولا ننثنى عند الرماح المداعسِ
وإنا لنقرى الضيفَ من قمع الذرى ونضربُ رأسَ الأبلج المتشاوسِ
نرد كُماةَ المعلمين إذا انتحوا بضربٍ يسلى نخوةَ المتقاعسِ
بكل فتى حامى الحقيقة ماجدٍ كريم كسرحان العضاهِ مخالسِ
يذودون عن أحسابهم وبلادهم ببيضٍ تقدّ الهامَ تحتَ القوانسِ
فسائل بنى بدرٍ إذا ما لقيتهم بما فعل الإخوانُ يومَ التمارسِ
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتمُ ولا تكتموا أخباركم فى المجالسِ
وقولوا زللنا عن مخالبِ خادرٍ به وحر فى الصدر مالم يمارسِ

غزوة بنى المصطلق من خزاعة

قال البخارى : وهى غزوة المريسيع ، قال محمد بن إسحاق : وذلك سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى : كان حديث الإفك فى غزوة المريسيع ، هكذا رواه البخارى عن مغازى موسى بن عقبة أنها كانت فى سنة أربع والذى حكاه عنه وعن عروة أنها كانت فى شعبان سنة خمس . وقال الواقدى : كانت لليلتين من شعبان سنة خمس فى سبعمائة من أصحابه . وقال محمد بن إسحاق بن يسار بعدما أورد قصة ذى قرد : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال : نميلة بن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبى ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث التى تزوجها رسول الله ﷺ بعد هذا ، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له : المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه ، وقال الواقدى : خرج رسول الله ﷺ لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه إلى بنى المصطلق ، وكانوا حلفاء بنى مدلج ، فلما

انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق ويقال : إلى عمار بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى فى الناس أن قولوا : لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد .

وثبت فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال : كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله ﷺ على بنى المصطلق وهم غارون فى أنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه قال - جويرية بنت الحارث وأخبرنى عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش ، قال ابن إسحاق : وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له : هشام بن صبابة ، أصابه رجل من الأنصار وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ .

وذكر ابن إسحاق أن أخاه مقيس بن صبابة قدم من مكة مظهراً للإسلام فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ لأنه قتل خطأ فأعطاه ديته ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع مرتداً إلى مكة وقال فى ذلك :

شفى النفسَ أن قد بات بالقاع مُسْنَدا ... يضرجُ ثوبيهِ دماءُ الأخادعِ
وكانت همومِ النفس من قبلِ قتلهِ ... تُلِمُّ فتحمينى وطاء المضاجعِ
حللتُ به وِتْرِي وأدركتُ ثُؤرتى ... وكنتُ إلى الأوثانِ أولَ راجعِ
ثأرتُ به فهراً وحملتُ عقلهُ ... سراةَ بنى النجار أربابِ فارعِ

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم وإن وجدوا معلقين بأستار الكعبة .

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم وسنان ابن وبر الجهنى ، حليف بنى عوف بن الخزرج ، على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبيّ ابن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدُّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأوَلُ : سمن كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل

على من حضـره من قومـه فقـال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتمـوهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُرْ به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن آذن بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبىّ ابن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به ، وكان فى قومه شريفاً عظيما ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدباً على ابن أبى ودفعا عنه ، فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد ابن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يا رسول الله ، والله لقد رحتَ فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : أى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبى . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل ، قال : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال : يا رسول الله ارفق ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا . ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما .

وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له : بقعاء ، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله ﷺ : لا تخوفوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت ، أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين مات ذلك اليوم ، وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدى ، وروى مسلم من طريق الأعمش عن أبى سفيان عن جابر نحو هذه القصة إلا إنه لم يسَمِّ الذى مات من المنافقين ، قال : هبت ريح شديدة والنبى ﷺ فى بعض أسفاره ، فقال : هذه لموت منافق ، فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين ، قال ابن اسحاق ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبىّ ومَنْ كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ، وقال : هذا الذى أوفى الله بأذنه .

قلت : وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن إعادته وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ولله الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن أبىّ ابن سلول أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمر لى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال : رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا ، وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لى لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى .

وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبد الله ، رضى الله عنه ، وقف لأبيه عبد الله بن أبىّ ابن سلول عند مضيق المدينة ، فقال : قف ، فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ فى ذلك ، فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه فى ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة ، قال ابن إسحاق : وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناس وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين : مالكا وابنه ، قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين : يا منصور أمِت أمِت .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً فقسمهم فى المسلمين ، وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنى إسماعيل بن جعفر عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز أنه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدرى فجلست إليه فسألته عن العزل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة بنى المصطلق فأصبنا سبياً من سبى العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزوبة وأحببنا العزل وقلنا : نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله ، فسألناه عن ذلك فقال : ما عليكم أن لا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا كائنة ، وهكذا رواه مسلم .

قال ابن إسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى

ضرار ، فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة مُلاّحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه فى كتابتها ، قالت : فوالله ماهو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابنى من البلاء مالم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وماهو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت . قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارثة ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أُعتِقَ بتزويجه إياها مائةُ أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن اسحاق قصة الإفك بتمامها فى هذه الغزوة وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله فى تفسير سورة النور بكماله إلى هاهنا وبالله المستعان .

وقال الواقدى : حدثنا حرام عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبى ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ ، فلما سبينا رجوت الرؤيا ، قالت : فأعتقنى رسول الله ﷺ وتزوجنى ، والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم ، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر فحمدت الله تعالى ، قال الواقدى : ويقال : إن رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق أربعين من بنى المصطلق ، وذكر موسى بن عقبة عن بنى المصطلق أن أباها طلبها وافتداها ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوجه إياها .

قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن إسحاق فى حديث الإفك : قال ابن اسحاق : حدثنى الزهرى عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة ،

قال الزهرى : وكلٌّ قد حدثنى بهذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل الذى حدثنى القوم ، قال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر عن عمْرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكلٌّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه وكلٌّ كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كان غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه فخرج بى رسول الله ﷺ .

قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رحل لى بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين كانوا يرحلون لى فيحملوننى ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون فينطلقون به ، قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجّه قافلا حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ، ثم أذّن مؤذن فى الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون لى البعير ، وقد كانوا فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به فرجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس .

قالت : فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى وعرفت أن لو افتُقِدت لرجع الناس إلىّ ، قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى ، وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف علىّ ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله ﷺ ؟ وأنا متلففة فى ثيابى ، قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّب إلىّ البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنى ، قالت : فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال : أهل الإفك ما قالوا وارتج العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوىَّ لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى ، كنت إذا اشتكيت رحمنى ولطف بى فلم يفعل ذلك بى فى شكواى ذلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىَّ وعندى أمى [١] تمرضنى قال : كيف تِيكُم ؟ لا يزيد على ذلك ، قالت : حتى وجدت فى نفسى فقلت يا رسـول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفـائـه لى : لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فمرضتنى ، قال : لا عليك ، قالت : فانقلبت إلى أمى ولا علم لى بشىء مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنما كنا نخرج فى فسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن فى كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح ابنة أبى رهم بن المطلب ، قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها فقالت : تعس مسطح ـ ومسطح لقب واسمه عوف ـ قالت : فقلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهـاجـرين وقد شهد بدراً ، قالت : أوما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قلت : أوقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله ، لقد كان ، قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت ، فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى ، قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً ، قالت : أى بنية خففى عليك الشأن ، فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون : ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى ، قالت : وكان كِبْرُ ذلك عند عبد الله بن أبىّ ابن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عنـد رسـول الله ﷺ ولم تكن امرأة من نسائه تناصينى فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمنة فأشاعت من ذلك

---

(١) فى سيرة ابن هشام : وهى أم رومان واسمها زينب بنت عبد دهمان ، أحد بنى فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة .

ما أشاعت تضارني لأختها ، فشقيت بذلك ، فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفيكهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، قالت : فقام سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحاً فقال : كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد بن حضير : كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت : وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر .

ونزل رسول ﷺ فدخل عليَّ فدعا عليَّ بن أبى طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله أهْلُكَ وما نعلم منهم إلا خيرا وهذا الكذب والباطل . وأما عليّ فإنه قال : يا رسول الله ، إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها ، قالت : فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ويقول : اصدقي رسول الله ﷺ . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله ! قالت : ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندى أبواى وعندى امرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقى الله وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده .

قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبويّ أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ فلم يتكلما . قالت وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأناً من أن ينزل الله فيّ قرآناً يُقرَأ به ويُصلَّى به ، ولكنى كنت أرجو أن يرى النبى ﷺ فى نومه شيئاً يكذب الله به عنى ، لما يعلم من براءتى ، ويخبر خبراً ، وأما قرآناً ينزل فيّ فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك ، قالت : فلما لم أر أبويّ يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ فقالا : والله ما ندرى بما نجيبه . قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما استعجما عليّ استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتَ أبداً ، والله إنى لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم إنى منه بريئة ، لأقولن مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى ، قالت : ثم التمستُ اسم يعقوب

فما أذكره فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾ (١) .

قالت : فوالله ما برح رسـول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت ، قد عرفت أنى بريئة وأن الله غير ظالمى ، وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ماسرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سرى عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدر من وجهه مثل الجمان فى يوم شات فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشرى يا عائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك ، قالت : قلت : الحمد لله ، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم .

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين عن الزهرى . وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حد القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود فى سننه . قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاق حسانُ الذى كان أهلَهُ ... وحمنةُ إذ قالوا هجيراً ومسطحُ
تعاطوا برجم الغيب زوجَ نبيهمْ ... وسخطةَ ذى العرشِ الكريمِ فأُتْرِحوا
وآذَوْا رسول الله فيها فجلّلوا ... مخازى تبقى عمموها وفُضّحوا
وصُبّتْ عليهم مُحصِداتٌ كأنّها ... شآبيبُ قطرٍ فى ذرا المزن تسفحُ

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء من أصحاب جهجهاه كما تقدم أوله وهى :

أمسى الجلابيبُ قد عزوا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضةَ البلدِ
قد ثكلتْ أُمُّهُ من كنتُ صاحبَهُ ... أو كان منتشباً فى برثن الأُسْدِ
ما لقتيلى الذى أعدو فآخذهُ ... من ديةٍ فيه يعطاها ولا قَوْدِ
ما البحر حين تهب الريح شامية ... فيغطئلّ ويرمى العبر بالزبدِ
يوماً بأغلب منى حين تبصرنى ... ملغيظٍ أفرى كفرى العارض البردِ
أما قريش فإنى لا أسالمها ... حتى يُنيبوا من الغيّات للرشدِ

---

(١) الآية : ١٨ من سورة يوسف .

ويتـركـوا الـلاتَ والعـزى بمعـزلـةٍ ويسجـدوا كلُّهم للواحـدِ الصمـدِ
ويشهـدوا أن ما قال الـرسـول لهـم حق فيوفـوا بحـق الله والـوكـدِ

قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تلق ذبـاب الـسـيف عنـى فإنـنـى غلام إذا هوجـيت لست بشـاعـر

وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله : هل علم رسول الله ﷺ بشىء من ذلك؟ قال: لا، قالوا فأطلقه، ثم أتوا كلهم رسول الله ﷺ فقال ابن المعطل : يا رسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته . فقال رسول الله ﷺ : يا حسان ، أتشوهت على قومى إذ هداهم الله . ثم قال : أحسن يا حسان فيما أصابك فقال : هى لك يا رسول الله . فعوضه منها بيرحاء التى تصدق بها أبو طلحة وجارية قبطية يقال لها : سيرين ، جاءه منها ابنه عبد الرحمن . قال : وكانت عائشة تقول : سئل عن ابن المعطل فوجد رجلا حصورا ما يأتى النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه ، قال ابن إسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة :

حَصـان رزان ما تُزنُّ بريبـةٍ وتصبح غَرْثى من لحوم الغـوافـلِ
عقـيلة حىّ من لؤىّ بن غالـب كرام المسـاعى مجدُهم غيرُ زائلِ
وإن الـذى قد قيل ليس بلائطٍ بكِ الدهرَ بل قيل امرىء بى مَاحلِ
فإن كنتُ قد قلتُ الـذى قد زعمتم فلا رفـعـتْ سوطى إلـى أنـاملى
فكـيف وودّى ما حييتُ ونـصـرتـى لآل رسـول الله زين الـمحـافـلِ
وإنّ لهـم عزّا ترى الـنـاس دونَـهُ قصـاراً وطـال العزُّ كلَّ الـتطـاولَ

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهى من قوله تعالى ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم** ﴾ إلى ﴿ . . . **مغفرة ورزق كريم** ﴾ (١) وما أوردنا هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق .

---

(١) الآيات : ١١ ـ ٢٦ من سورة النور .

غزوة الحديبيـــــــــة

وقد كانت فى ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . وممن نص على ذلك الزهرى ونافع ، مولى ابن عمر ، وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذى رواه ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة أنها كانت فى ذى القعدة سنة ست . وقال يعقوب ابن سفيان : حدثنا إسماعيل بن الخليل عن عليٍّ بن مُسهر أخبرنى هشام بن عروة عن أبيه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية فى رمضان ، وكانت الحديبية فى شوال . وهذا غريب جداً عن عروة . وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن هدبة عن همام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر فى ذى القعدة إلا العمرة التى مع حجته عمرة من الحديبية فى ذى القعدة وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ومن الجعرانة فى ذى القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ البخارى ، وقال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوال وخرج فى ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ، قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن شهاب الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لايريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل ، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغنى يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة ، قال الزهرى : وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر [1] بن سفيان الكعبى ، فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموا إلى

---

(١) قال ابن هشام : ويقال : « بسـر » .

كراع الغميم . قال : فقـال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ، ثم قال : مَن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبى بكر أن رجلا من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فأفضـوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ، قال رسول الله ﷺ : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها لَلحِطَّة التى عرضت على بنى إسرائيل ، فلم يقولوها . قال ابن شهاب : فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض فى طريق يخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس : خلأتْ ، فقال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس : انزلوا ، قيل له : يا رسول الله ما بالوادى ماء ينزل عليه . فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه ، فنزل به فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه ، فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب [1] سائق بدن رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله ﷺ ، فالله أعلم أى ذلك كان . ثم استدل ابن إسحاق للأول أن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية أسفله يميح فقالت :

يا أيهـا المـائـح دلـوى دونـكـا　　　إنـى رأيت النـاس يحـمـدونكـا

يثنون خيراً ويمجدونكـــا

---

(١) تمامه عند ابن هشام : ناجية بن جندب بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة .

فأجابها فقال :

قد علمت جارية يمانيهْ أنى أنا المائح واسمى ناجيهْ
وطعنة ذات رشاش واهيهْ طعنتها عند صدور العاديهْ

قال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظما لحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، وإن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم وقالوا : وإن جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب . قال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحوا مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ، ثم بعثوا بحليس ابن علقمة ، أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابى لاعلم بك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم ، أَيُصَدُّ عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذى نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمد وما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مَهْ ، كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به . قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفى فقال : يا معشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد وأنى ولد ، وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس ، وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسَيْتكم بنفسى . فقالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم

قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبوبكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله ﷺ فقال : امصص بظر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بهذه ، قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فى الحديد ، قال : فجعل يقرع يده إذ يتناول لحية رسول الله ﷺ ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك ، قال : فيقول عروة : ويحك ما أفظك وأغلظك ؛ قال : فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أى غُدَر ، وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ، قال الزهرى : فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا ، فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إنى قد جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشىء أبداً فَرَوْا رأيكم .

قال : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له : الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأُخِذوا فأُتِىَ بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رَموا فى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل ، ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إنى أخاف قريشاً على نفسى وليس بمكة من بنى عدى أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياهم وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى : عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته ، فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول

الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسلهم به ، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله ﷺ : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر ، فبايع رسول الله ﷺ الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس ، أخو بنى سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد ضبأ إليها يستتر من الناس ، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى ، قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسناد له عن أبى مليكة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه الأخرى ، وهذا الحديث الذى ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف لكنه ثابت فى الصحيحين ، قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لؤى ، إلى رسول الله ﷺ وقالوا : آئت محمداً وصالحه ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً ، فأتاه سهيل ابن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم غَرْزَه ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعنى ، وكان عمر رضى الله عنه يقول : ما زلت أصوم

وأتصدق وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً .

قال : ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، قال : فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخلِ علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب : السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها .

قال : فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد قد انفلتَ إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا وهم لايشكُّون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه وقال : يا محمد قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ، يعنى يردُّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أُرَدُّ إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وأنا لا نغدر بهم » قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم

أحدهم دم كلب ، قال : ويدنى قائم السيف منه ، قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب أباه ، قال : فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد ابن أبى وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب وكتب وكان هو كاتب الصحيفة .

وكان رسول الله ﷺ مضطربا فى الحل وكان يصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه فى ذلك اليوم خراش ابن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس رسول الله ﷺ قد نحر وحلق ، تواثبوا ينحرون ويحلقون ، قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصَّر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله المحلقين » ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال « والمقصرين » ، قالوا : يا رسول الله ، فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال ﷺ : « لم يشكُّوا » . وقال عبد الله بن أبى نجيح : حدثنى مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين .

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفى سياق البخارى ، كما سيأتى ، مخالفة فى بعض الأماكن لهذا السياق ، كما ستراها إن شاء الله وبه الثقة ، ولنوردها بتمامها ونذكر فى الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه غناء ، إن شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان .

قال البخارى : حدثنا خالد بن مَخْلد حدثنا سليمان بن بلال حدثنا صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » فقلنا : الله ورسوله أعلم ، فقال : « قال الله تعالى : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى ، فأما من قال : مُطِرْنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال مُطِرْنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بى »

وهكذا رواه فى غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهرى ، وقد روى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة .

وقال البخارى : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء ، قال : تعدون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبى ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدَرتنا ما شئنا نحن وركابنا ، انفرد به البخارى .

وقال ابن إسحاق فى قوله تعالى : ﴿ **فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً** ﴾ [1] صلح الحديبية ، قال الزهرى : فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد فى الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان دخل فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر ، قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربع مائة رجل فى قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

وقال البخارى : حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا ابن فُضَيل حدثنا حُصين عن سالم عن جابر ، قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناسُ نحوه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم ؟ » « قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا ما فى ركوتك ، فوضع النبى ﷺ يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، قال : فشربنا وتوضأنا ، فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة ، وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر به .

وقال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب : بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة ، فقال لى سعيد : حدثنى جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبى ﷺ يوم الحديبية ، تابعه أبو داود حدثنا قُرَّة عن قتادة ، تفرد به البخارى .

---

(١) الآية : ٢٧ من سورة الفتح .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو : سمعت جابراً قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض » ، وكنا ألفاً وأربعمائة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة ، وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به ، وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر ، قال : إن عبداً لحاطب جاء يشكوه ، فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : « كذبت لا يدخلها ، شهد بدراً والحديبية » رواه مسلم ، وعند مسلم أيضاً من طرق عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول : أخبرتنى أم ميسر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » ، فقالت حفصة : بلى ، يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ (١) ، فقال رسول الله ﷺ : قد قال تعالى : ﴿ **ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** ﴾ (٢) .

قال البخارى : وقال عبيد الله بن معاذ : حدثنا أبى حدثنا شعبة عن عمرو بن مُرَّة حدثنى عبد الله بن أبى أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين ، تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة ، هكذا رواه البخارى معلقاً عن عبد الله ، وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به ، وعن محمد بن المثنى عن أبى داود عن إسحاق بن إبراهيم عن النضر بن شميل كلاهما عن شعبة به . ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن مروان والمِسْوَر بن مَخْرَمة قالا : خرج النبى ﷺ عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بذى الحليفة قلّد الهدى وأشعر وأحرم منها ، تفرد به البخارى وسيأتى هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن اسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة ، وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه من حيث أن البُدن كنّ سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره فيكون المهلون سبع مائة ، ولا يلزم أن يهدى كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضاً ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يحرم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشى فأكل منه هو

---

(١) الآية : ٧١ من سورة مريم .

(٢) الآية : ٧٢ من سورة مريم .

وأصحابه وحملوا منه إلى رسول الله ﷺ فى أثناء الطريق ، فقال : هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها ؟ قالوا : لا ، قال : فكلوا ما بقى من الحمار ، وقد قال البخارى : حدثنا شعبة بن الربيع حدثنا على بن المبارك عن يحيى عن عبد الله بن أبى قتادة أن أباه حدثه ، قال : انطلقنا مع النبى ﷺ عام الحديبية فأحرم أصحابى ولم أحرم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن رافع حدثنا شبابة بن سوار الفزارى حدثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها ، حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا طارق عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا ، وقال البخارى ، أيضاً : حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقت حاجًّا فمررت بقوم يصلون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبى ﷺ بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته ، فقال سعيد : حدثنى أبى أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها ، ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يعلموها ، وعلمتموها أنتم ، فأنتم أعلم ؟ ورواه البخارى ومسلم من حديث الثورى وأبى عوانة وشبابة عن طارق .

وقال البخارى : حدثنا سعيد حدثنى أخى عن سليمان عن عمرو بن يحيى عن عباد ابن تميم ، قال : لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : علامَ يبايع ابن حنظلة الناس ؟ قيل له : على الموت ، فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ ، وكان شهد معه الحديبية ، وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به ، وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد ابن أبى عبيد قلت لسلمة بن الأكوع : على أى شىء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال : على الموت ، ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبى عبيد ، وفى صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات فى أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم ، وفى الصحيح عن معقل ابن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس ، وكان أول من بايع رسول الله ﷺ يومئذ أبو سنان ، وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن ، وقيل : سنان بن أبى سنان .

وقال البخارى : حدثنى شجاع بن الوليد سمع النَّضْر بن محمد حدثنا صخر بن الربيع عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك ، ولكن عمر

يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتى به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدرى بذلك . فبايعه عبد الله . فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ ، وهى التى تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمرى أخبرنى نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبى ﷺ يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجرة فإذا الناس محدقون بالنبى ﷺ فقال : يا عبد الله ، أنظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع ، تفرد به البخارى من هذين الوجهين .

ذكر سياق البخارى لعمرة الحديبية

قال فى كتاب المغازى : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان سمعت الزهرى حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتنى معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبى ﷺ عام الحديبية فى بعض عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلّد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة ، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال : إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك ، فقال : أشيروا أيها الناس علىّ ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين ، قال أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه ، قال : امضوا على اسم الله ، هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال فى كتاب الشهادات (١) : حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرنى الزهرى أخبرنا عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ﷺ : إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض

---

(١) هو فى (كتاب الشروط) .

نذيراً لقريش ، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حل حل ، فألحت . فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء ، فقال رسول الله ﷺ : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ، ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشُكِىَ إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذا جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة ـ فقال : إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال النبى ﷺ إنا لم نجىء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا ، وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن أمر الله ، قال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ، فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشىء ، وقال ذوو الرأى منهم : هات ما سمعته ، يقول : قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ .

فقام عروة بن مسعود فقال : أىْ قوم ، ألست بالوالد ؟ قالوا : بلى ، قال : أولستم بالولد ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل تتهموننى؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه ، فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبى ﷺ فقال النبى ﷺ نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوها وإنى لأرى أوشاباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر : امصص بظر اللات ، أنحن نفر عنه وندعه ؟ قال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر ، قال : أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك ، قال وجعل يكلم النبى ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم

على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ، فقال : أى غُدَر ، ألستُ أسعى فى غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً فى الجاهلية فقتلهم وأخذا أموالهم ثم جاء فأسلم ، فقال النبى ﷺ : أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شىء ، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنخم رسول الله نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر ، تعظيما له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قيصر وكسر والنجاشى ، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بنى كنانة : دعونى آتيه . قالوا : ائته ، فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البُدْن فابعثوها له ، فَبُعِثَتْ له واستقبله الناس يلبّون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله . ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البيت ، فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البُدْن قد قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ ، فما أرى أن يُصَدُّوا عن البيت ، فقام رجل منهم يقال له : مكرز بن حفص فقال : دعونى آتيه ، قالوا : ائته ، فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ : هذا مكرز ، وهو رجل فاجر ، فجعل يكلم النبى ﷺ ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو ، قال معمر : فأخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : لقد سهل من أمركم .

قال معمر : قال الزهرى فى حديثه : فجاء سهيل فقال : هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً ، فدعا النبى ﷺ الكاتب فقال النبى ﷺ : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبى ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله ،

فقال رسول الله ﷺ : والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى ، اكتب محمد بن عبد الله ، قال الزهرى : وذلك لقوله : لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ، فقال النبى ﷺ : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ، قال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أُخِذْنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب ، فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، قال المسلمون : سبحان الله . كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلما ، فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلىّ ، فقال النبى ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد ، قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شىء أبداً ، قال النبى ﷺ : فأجزه لى ، قال : ما أنا بمجيزه لك ، قال : بلى ، فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ، قال مكرز : بلى ، قد أجزناه لك ، قال أبو جندل : أى معشر المسلمين ، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ . ألا ترون ما قد لقيت - وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله - فقال عمر رضى الله عنه : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألست نبى الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ قال : إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى ، قلت : أولستَ كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به ، قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبى الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قال : قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق ، قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ فقلت : لا ، قال : فإنك آتيه ومطوف به .

قال الزهرى : قال عمر : فعملت لذلك أعمالا ، قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا ، قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبى الله ، أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق

بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن** ﴾ حتى بلغ ﴿ **بعصم الكوافر** ﴾ (١) فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا فى الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير ، رجل من قريش ، وهو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا : العهد الذى جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنى لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا ، فاستله الآخر فقال : أجل ، والله إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت ، فقال أبو بصير : أرنى أنظر إليه ، فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : « لقد رأى هذا ذعراً » فلما انتهى إلى النبى ﷺ قال : قُتِل والله صاحبى وإنى لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يا نبى الله ، قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتنى إليهم ثم أنجانى الله منهم ، فقال النبى ﷺ : « ويل امه مُسْعَر حرب لو كان له أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير ، فجعل لايخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبى ﷺ تناشده بالله والرحم لما أرسل إليهم ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبى ﷺ إليهم ، فأنزل الله تعالى ﴿ **وهو الذى كفَّ أيديهم عنكم وأيديَكُم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾ حتى بلغ ﴿ **الحميَّة حمية الجاهلية** ﴾ (٢) وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبى ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست فى رواية ابن إسحاق عن الزهرى ، فقد رواه عن الزهرى عن جماعة ، منهم : سفيان بن عيينة ، ومعمر ، ومحمد بن إسحاق : كلهم عن الزهرى عن عروة عن مروان ، ومسور ، فذكر القصة .

وقد رواه البخارى فى أول كتاب الشروط عن يحيى بن بُكير عن الليث بن سعد عُقيل عن الزهرى عن عروة (٣) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة عن أصحاب رسول

---

(١) الآية : ١٠ من سورة الممتحنة .

(٢) الآيات : ٢٤ ـ ٢٦ من سورة الفتح .

(٣) فى صحيح البخارى عقيل عن ابن شهاب عن عروة .

الله ﷺ ، فذكر القصة ، وهذا هو الأشبه ، فإن مروان ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مِغْوَل سمعت أبا حُصين ، قال : قال أبو وائل : لما قدم سُهيل بن حُنيف من صِفّين أتيناه نستخبره ، فقال : اتهموا الرأى ، فلقد رأيتُنى يوم أبى جندل ولو أستطيع أن أردَّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيافنا عن عواتقنا لأمر يُفْظِعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه ، قبل هذا الأمر ما نَسُدُّ منها خُصْماً إلا انفجر علينا خُصم ما ندرى كيف نأتى له (١) .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير فى بعض أسفاره ، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلا ، فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلتك أمك يا عمر نَزَرْت رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين ، وخشيت أن ينزل فىَّ قرآن ، فما نَشِبْتُ أن سمعت يصرُخ صارخا بى . قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فىَّ قرآن ، فجئت رسول الله ﷺ ، فسلمت عليه ، فقال : « لقد أنزلت علىَّ الليلة سورة لهى أحبُّ إلىّ مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ (٢) .

قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكمالها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل .

---

(١) كان جماعة اتهموا سهل بن حنيف بأنه قصر فى القتال يوم صفين فقال لهم : اتهموا رأيكم ولا تتهمونى ، فإنى لا أقصر وقت الحاجة ، كنا زمن النبى ﷺ لانلبس السلاح لأمر يشتد علينا إلا أفضى بنا سلاحنا إلى سهولة ، وأما أمر صفين فنحن لانسير منه جانبا حتى ينفجر علينا منه جانب آخر فلا يمكننا إصلاحه وتلافيه .

(٢) الآية : ١ من سورة الفتح .

فصـــل فى ذكر الســـــرايا والبعوث
التى كانت فى سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقى عن الواقدى :

فى ربيع الأول منها أو الآخر بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن فى أربعين رجلا إلى غزو مرزوق فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث فى آثارهم وأخذ منهم مائتى بعير فاستاقها إلى المدينة .

وفيها كان بعث أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة بأربعين رجلا ، أيضاً ، فساروا إليهم مشاة حتى أتوها فى عماية الصبح فهربوا منه فى رءوس الجبال فأسر منهم رجلا فقدم به على رسول الله ﷺ وبعثه محمد بن مسلمة فى عشرة نفر وكمن القوم لهم حتى باتوا فَقُتِل أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وأفلت هو جريحا .

وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالجموم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها : حليمة ، فدلتهم على محلة من محـال بنى سليم فأصـابـوا منهـا نعما وشاء وأسروا جماعة من المشركين ، وكان فيهم زوج حليمة هذه فوهبها رسول الله ﷺ لزوجها وأطلقهما .

وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضا فى جمادى الأول إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فهربت منه الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال .

وفيها خرج زيد بن حارثة فى جمادى الأولى إلى العيص .

قال : وفيها أخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع فاستجار بزينب ، بنت رسول الله ﷺ ، فأجارته ، وقد ذكر ابن إسحاق قصته حين أخذت العير التى كانت معه وقتل أصحابه وفر هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب ، بنت رسول الله ﷺ ، قد هاجرت بعد بدر ، فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح فأجاره لها رسول الله ﷺ وأمر الناس برد ما أخذوا من عيره فردوا كل شىء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها إلى مكة وأدى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم وخرج من مكة راجعا إلى المدينة فرد عليه رسول الله ﷺ زوجته بالنكاح الأول ولم يحدث نكاحا ولا عقداً ، كما تقدم بيان ذلك ، وكان بين إسلامه وهجرتها ست سنين ويروى سنتين ، وقد بينّا أنه لا منافاة بين الروايتين وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم

المؤمنات على الكفار بسنتين وكان إسلامه فى سنة ثمان فى سنة الفتح لا كما تقدم فى كلام الواقدى من أنه سنة ست فالله أعلم .

وذكر الواقدى فى هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبى أقبل من عند قيصر قد أجازه بأموال وخلع ، فلما كان بحسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً رضى الله عنه .

قال الواقدى : حدثنى عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال : خرج علىّ رضى الله عنه فى مائة رجل إلى أن نزل إلى حى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار إليهم بالليل وكمن بالنهار وأصاب عيناً لهم فأقر له أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

قال الواقدى رحمه الله تعالى : وفى سنة ست فى شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل ، وقال له رسول الله ﷺ : إن هم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الأصبع الكلبية ، وهى أم أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقدى : فى شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر إلى العُرنيين الذين قتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم كرز بن جابر فى عشرين فارسا فردوهم ، وكان من أمرهم ما أخرجه البخارى ومسلم من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رهطاً من عُكْل وعُرَينة ـ وفى رواية من عكل أو عرينة ـ أتَوْا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا أناس أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة ، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة قتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبى ﷺ فى طلبهم فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم فى الحرة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حض على الصدقة ونهى عن المُثْلَة . وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ، ورواه جماعة عن أنس بن مالك .

وفى رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس أن نفراً من عرينة أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع فى المدينة الموم ـ وهو البرسام ـ فقالوا : هذا الموم قد وقع يا رسول الله ، لو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : نعم ، فاخرجوا فكونوا فيها .

فخرجوا فقتلوا الراعيْن وذهبوا بالإبل ، وعنده سار من الأنصار قريب عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قافياً يقتص أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم . وفى صحيح البخارى من طريق أيوب عن أبى قلابة عن أنس أنه قال : قدم رهط من عكل فأسلموا واجتووا المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال : الحقوا بالإبل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعى واستاقوا الإبل ، فجاء الصريخ إلى رسول الله ﷺ فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحميت فكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم وألقاهم فى الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحمهم . وفى رواية عن أنس قال : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش . قال أبو قلابة : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ﷺ . وقد روى البيهقى من طريق عثمان بن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان عن محمد بن عبيد الله عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ لما بعث فى آثارهم قال : « اللهم عمّ عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مسك جمل » قال : فعمى الله عليهم السبيل فأُدْركوا فأُتِىَ بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ، وفى صحيح مسلم : إنما سملهم لأنهم سملوا أعين الرعاء .

فصل فيما وقع من الحوادث فى هذه السنة

أعنى سنة ست من الهجرة ، فيها نزل فرض الحج كما قرره الشافعى رحمه الله زمن الحديبية فى قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ (١) ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخى لا على الفور ، لأنه ﷺ لم يحج إلا فى سنة عشر . وخالفه الثلاثة : مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ وإنما فى هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة بما فيه كفاية .

وفى هذه السنة حرمت المسلمات على المشركين تخصيصا لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا ، فنزل قوله

---

(١) الآية : ١٩٦ من سورة البقرة .

تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن** ﴾ [1] الآية .

وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الإفك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، كما تقدم .

وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صد المشركين رسول الله ﷺ وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمن الناس فيهن بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال ، وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أماكنه ، ولله الحمد والمنة ، وولي الحج في هذه السنة المشركون .

قال الواقدي : وفيها في ذي الحجة منها بعث رسول الله ﷺ ستة نفر مصطحبين خاطب بن أبي بلعتة إلى المقوقس ، صاحب الإسكندية ، وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة ، شهد بدراً ، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، يعني ملك عرب النصارى ، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي ، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، ملك النصارى بالحبشة ، وهو أصحمة بن الحر .

بسم الله الرحمن الرحيم
سنة سبع من الهجرة
غزوة خيبر في أولها

قال شعبة عن الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله تعالى : ﴿ **وأثابهم فتحاً قريباً** ﴾ [2] قال خيبر . وقال موسى بن عقبة : لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج إلى خيبر ، وهي التي وعده الله إياها . وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست ، والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدمنا ، قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية

---

(١) الآية : ١٠ من سورة الممتحنة .

(٢) الآية : ١٨ من سورة الفتح .

ذا الحجة وبعض المحرم ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر ، وقال يونس بن بكير : عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عروة عن مروان والمسور قالا : انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة فى ذى الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فنزل بالرجيع ، واد بين خيبر وغطفان ، فتخوف أن تمدهم غطفان حتى أصبح فغدا عليهم ، قال البيهقى : وبمعناه رواه الواقدى عن شيوخه في خروجه أول سنة سبع من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس عن إسحٰق حدثنى عبد الله بن أبى بكر قال : لما كان افتتاح خيبر فى عقيب المحرم وقدم النبى ﷺ فى آخر صفر ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خيثم ، يعنى ابن عراك ، عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة فى رهط من قومه والنبى ﷺ فى خيبر ، وقد استخلف سباع بن عرفطة ، يعنى الغطفانى على المدينة قال : فانتهيت إليه وهو يقرأ فى صلاة الصبح فى الركعة الأولى ﴿ **كهيعٓصٓ** ﴾ (١) وفى الثانية ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ (٢) فقلت فى نفسى : ويل لفلان إذا اكتال اكتال بالوافى وإذا كال كال بالناقص ، قال : فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر ، وقد افتتح النبى ﷺ خيبر ، قال : فكلم المسلمين فأشركونا فى سهامهم ، وقد رواه البيهقى من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خيثم بن عراك عن أبيه عن نفر من بنى غفار قال : إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر وبنى له فيها مسجداً ثم على الصهباء ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له : الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ ، فبلغنى أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسًّا ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أموالهم وأهليهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وخيبر ، وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى ابن سعيد عن بشير أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء - وهى من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلمْ يُؤْتَ إلا

---

(١) الآية : ١ من سورة مريم .

(٢) الآية : ١ من سورة المطففين .

بالسويق فأمر به فثرى فأكل وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلى ولم يتوضأ .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع : قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ، ألا تسمعنا من هنيهاتك ـ وكان عامر رجلا شاعراً ـ فنزل يحدو بالقوم يقول :

لاهـمَّ لولا أنـت ما اهـتـدينـا ولا تـصـدقـنـا ولا صلينـا

فاغـفـر فداءً لك ما أبـقـينـا وألـقـينْ سكـينـةً علينـا

وثـبـتِ الأقـدامَ إن لاقـينـا إنـا إذا صيح بنـا أبـينـا

وبالصيـاح عَوَّلوا علينـا

فقال رسول الله ﷺ : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع ، قال : يرحمه الله . فقال رجل من القوم وجبت يا نبى الله ، لولا أمتعتنا به . فأتينا خيبرفحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة ، ثم إن الله فتحها عليهم ، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة فقال رسول الله ﷺ : ما هذه النيران ، على أى شىء توقدون؟ قالوا: على لحم، قال: أى لحم؟ قالوا: لحم الحمر الإنسية، قال النبى ﷺ: اهريقوها واكسروها ، فقال رجل : يارسول الله أو نهريقها ونغسلها ؟ فقال : أو ذاك . فلما تصافّ الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه ، فلما قفلوا قال سلمة : رآنى رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدى فقال : مالك ؟ قلت : فداك أبى وأمى ، زعموا أن عامراً حبط عمله فقال النبى ﷺ : « كذب من قاله ، إن له لأجريْن » ـ وجمع بين أصبعيه ـ « إنه لجاهِدٌ مجاهد قَلّ عربى مشى بها مثلهُ » . ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبى عبيد مثله ، ويكون « مثلَهُ » منصوباً على الحالية من نكرة وهو سائغ إذا دلت على تصحيح معنى ، كما جاء فى الحديث فصلى وراءه رجال قياما ، وقد روى ابن إسحاق قصة عامر ابن الأكوع من وجه آخر فقال : حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمى أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : انزل يا بن الأكوع فخذ لنا من هناتك ، فقال : فنزل يرتجز لرسول الله ﷺ :

والله لولا الله ما اهـتـدينـا ولا تـصـدقـنـا ولا صلينـا

إنـا إذا قوم بغـوا علينـا وإن أرادوا فتـنـة أبـينـا

فأنــزلــنْ سكــينــة علينــا وثبــت الأقــدام إن لاقــينــا

فقال رسول الله ﷺ : يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب : وجبت يا رسول الله ، لو أمتعتنا به . فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخارى . قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى مروان الأسلمى عن أبيه عن أبى معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا باسم الله . وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . وقد رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن العطاردى عن يونس بن بكير عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن صالح بن كيسان عن أبى مروان الأسلمى عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر حتى إذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ للناس ، قفوا ، فوقف الناس فقال : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله ﷺ حتى أصبح فلم يسمع أذانا فركب وركبنا معه وركبت خلف أبى طلحة ، وإن قدمى لتمس قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا : محمد والخميس معه ! فأدبروا هرابا ، فقال رسول الله : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، قال ابن إسحاق : حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا مالك عن حميد الطويل عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلا وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغر بهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله ﷺ : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا أبو عيينة حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال : صبّحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحى فلما بصروا بالنبى ﷺ قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال : فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادى النبى ﷺ : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس . تفرد به البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال : لما أتى النبى ﷺ خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساحيهم فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبى ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال صلى رسول الله ﷺ: الصبح قريبا من خيبر بغلس، ثم قال: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبى ﷺ المقاتلة وسبى الذرية ، وكان فى السبى صفية فصارت إلى دحية الكلبى ثم صارت إلى النبى ﷺ فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد أأنت قلت لأنس : ما أصدقها ؟ فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخارى ومسلم النهى عن لحوم الحمر الأهلية من طرق تذكر فى كتاب الأحكام .

وقد قال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو طاهر الفقيه أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسى حدثنا محمد بن حميد الأبيوردى حدثنا محمد بن الفضل عن مسلم الأعور الملائى عن أنس ابن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بنى قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف وتحته إكاف من ليف . وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذى عن على بن حجر عن على بن مسهر ، وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان وعن عمر بن رافع عن جريج كلهم عن مسلم ، وهو ابن كيسان الملائى الأعور الكوفى عن أنس به . وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من حديثه وهو يضعف .

قلت : والذى ثبت فى الصحيح عند البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ أجرى فى زقاق خيبر حتى انحسر الإزار عن فخذه ، فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على

حمار . ولعل هذا الحديث ، إن كان صحيحا ، محمول على أنه ركبه فى بعض الأيام وهو محاصرها والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن سعيد الخزاعى حدثنا زياد بن الربيع عن أبى عمران الجونى قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة فقال : كأنهم الساعة يهود خيبر ، وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : كان على بن أبى طالب تخلف عن رسول الله ﷺ فى خيبر ، وكان رمداً ، فقال : أنا أتخلف عن النبى ﷺ ؟ فلحق به ، فلما بتنا الليلة التى فتحت خيبر قال ﷺ : لأعطين الراية غداً أو ليأخذن الراية غداً ، رجل يحبه الله ورسوله يفتح عليه ، فنحن نرجوها ، فقيل : هذا على فأعطاه ففتح عليه ، وروى البخارى أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به .

ثم قال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبى حازم قال : أخبرنى سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على النبى ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقالوا : هو يا رسول الله يشتكى عينيه ، قال : فأرسل إليه فأتى فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال على : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال ﷺ : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم ، وقد رواه مسلم والنسائى جميعاً عن قتيبة به .

وفى صحيح مسلم والبيهقى من حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه ، قال عمر : فما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، فدعا عليًّا فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت ، قال علىّ : علام أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله ، لفظ البخارى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المثنى قالا : حدثنا

إسرائيل حدثنا عبد الله بن عصمة العجلى سمعت أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول : إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال : أنا ، قال : امض ، ثم جاء رجل آخر فقال : امض ، ثم قال النبى ﷺ : والذى كرم وجه محمد لأعطينها رجلا لا يفر ، فقال : هاك يا على ، فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها ، تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة ، وعبد الله بن عصمة ويقال : ابن أعصم وهكذا يكنى بأبى علوان العجلى وأصله من اليمامة سكن الكوفة ، وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به ، وقال أبو حاتم : شيخ ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : يخطىء كثيراً وذكره فى الضعفاء ، وقال : يحدّث عن الأثبات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة موضوعة .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، رضى الله عنه ، قال : بعث النبى ﷺ أبا بكر ، رضى الله عنه ، إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر ، رضى الله عنه ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه وليس بفرّار ، قال سلمة : فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ، رضى الله عنه وهو يومئذ أرمد فتفل فى عينيه ثم قال : خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك ، فخرج بها والله يصول (١) يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، فقال اليهودى : غلبتم وما أُنزِل على موسى ، فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا العطاردى عن يونس بن بكير عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة أخبرنى أبى قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : لأدفعن لوائى غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح له ، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً ، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ثم دعا باللواء وقام قائما فما منا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل

---

(١) فى نسخة يساج .

حتى تطاولت أنا لها ورفعت رأسى لمنزلة كانت لى منه ، فدعا على بن أبى طالب وهو يشتكى عينيه قال: فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبد الله بن بريدة يقول : حدثنى أبى أنه كان صاحب مرحب [١] .

قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه رحى منه فقتلته ، ثم روى البيهقى عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلمة الأزدى حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة [٢] فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فقال : لأعطينّها غداً رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة . وليس ثمَّ عليٌّ ، فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح وجاء على بن أبى طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطرى ، فقال رسول الله ﷺ : مالك ؟ قال : رمدتُ بعدك ، قال : ادنُ منى ، فتفل فى عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرْحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ خيبرُ أنّى مرْحبُ ... شاكٍ سلاحى بطلٌ مجربُ
إذا الليوثُ أقبلتْ تلهبُ ... وأحجمت عن صولة المغلبُ

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرهْ ... كليث غاباتٍ شديدِ القسورهْ
أكيلكم بالصاع كيلَ السندرهْ [٣]

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره علىّ بضربة فقدّ الحجر والمغفر ورأسه ووقع فى الأضراس ، وأخذ المدينة .

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب عن عبد الله بن بكر عن حكيم بن جبير

---

(١) مرْحب : هو صاحب حصن خيبر [دار الغد] .
(٢) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه .
(٣) السندرة : مكيال واسع ، أراد : أقتلكم قتلا واسعا ذريعا .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قصة بعث أبى بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث عليّ فكان الفتح على يديه . وفى سياقه غرابة ونكارة وفى إسناده من هو متهم بالتشيع ، والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلا وذكر فيه رجوعهم من غزوة بنى فزارة قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن من فضلك ما استغنينا فأنزلن سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

قال : فقال رسول الله ﷺ : من هذا القائل ؟ فقالوا : عامر . فقال : غفر لك ربك . قال : وما خصَّ رسول الله ﷺ قط أحداً به إلا استشهد . فقال عمر ، وهو على جمل : لولا متعتنا بعامر ، قال : فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال : فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال : فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر فذهب يسعل له فرجع على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه ، قال سلمة ، فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : بطل عمل عامر قتل نفسه . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقال : مالك ؟ فقلت : قالوا : إن عامراً بطل عمله . فقال : من قال ذلك ؟ فقلت : نفر من أصحابك . فقال : كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين ، قال : وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ ، رضى الله عنه ، يدعوه وهو أرمد وقال : لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله . قال : فجئت به أقوده قال : فبصق رسول الله ﷺ فى عينه فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحبُ شاكى السلاح بطل مجربُ

إذا الحروب أقبلت تلهبُ

قال : فبرز له عليّ يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرهْ كليث غابات كريه المنظرهْ
أوفيهم بالصاع كيل السندرهْ

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله ، وكان الفتح . هكذا وقع فى هذا السياق أن عليًّا هو الذى قتل مرحباً اليهودى ، لعنه الله .

وقال أحمد : حدثنا حسين بن حسن الأشقر حدثنى قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن جده عن علىّ قال : لما قتلت مرحباً جئت برأسه إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أن الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة ، وكذلك قال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن سهل ، أحد بنى حارثة ، عن جابر ابن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحبُ شاكى السلاح بطل مجربُ
أطعن أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوث أقبلت تلهبُ
إن حمايَ للْحمى لا يقربُ

قال : فأجابه كعب بن مالك :

قد علمت خيبر أنى كعبُ مفرج الغماء جرى صلبُ
إذا شبت الحرب وثار الحربُ معى حسام كالعقيق عضبُ
يطأكمو حتى يذل الصعبُ بكفٍّ ماض ليس فيه عيبُ

قال : وجعل مرحب يرتجز ويقول : هل من مبارز ؟ فقال رسول الله ﷺ : مَنْ لهذا ، فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله الموتور والثائر ، قتلوا أخى بالأمس ، فقال : قم إليه ، اللهم أعنه عليه ، قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمْرية (١) من شجر العُشَر (٢) المسد فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت به فاستله وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

وقد رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه .

---

(١) هى الشجرة العظيمة القديمة التى أتى عليها عمر طويل .

(٢) هو شجر له صمغ يقال له : سكر العشر .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن محمد بن مسلمة ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خيبر أنى ماضٍ حلوٌ إذا شئتُ وسمٌّ قاضٍ

وهكذا رواه الواقدى عن جابر وغيره من السلف أن محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحبا ثم ذكر الواقدى أن محمداً قطع رجلىْ مرحب فقال له : أجهز علىَّ ، فقال : لا ، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة ، فمر به على وقطع رأسه فاختصما فى سلبه إلى رسول الله ﷺ فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته ، قال وكان مكتوبا على سيفه :

هذا سيف مرحب من يذقه يعطب

ثم ذكر ابن إسحاق أن أخا مرحب ، وهو ياسر ، خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز ، فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له فقالت أم صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يا رسول الله ؟ فقال : بل ابنك يقتله إن شاء الله ، فالتقيا فقتله الزبير ، قال : فكان الزبير إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ صارماً يقول : والله ما كان بصارم ولكنى أكرهته .

وقال يونس عن ابن إسحاق عن بعض أهله عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ قال : خرجنا مع على إلى خيبر ، بعثه رسول الله ﷺ برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول علىّ باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه ، وفى هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . ولكن روى الحافظ البيهقى والحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث ، أبى سليم ، عن أبى جعفر الباقر عن جابر أن عليًّا حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا . وفيه ضعف أيضاً . وفى رواية ضعيفة عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم أن أعادوا الباب .

وقال البخارى : حدثنا مكى بن إبراهيم حدثنا يزيد بن أبى عبيد قال : رأيت أثر ضربة فى ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة فأتيت النبى ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة .

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا ابن أبى حازم عن أبيه عن سهل قال : التقى النبى ﷺ والمشركون فى بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال كل قوم إلى عسكرهم ، وفى المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه ، فقيل : يا رسول الله ما أجزأ منا أحد ما أجزأ فلان . قال : إنه من أهل النار . فقالوا : أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لأتبعنّه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل إلى النبى ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : وما ذاك ؟ فأخبره فقال : إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار ، فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل الجنة ، رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب أبى حازم عن سهل فذكره مثله أو نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه ، يدعى الإسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب ، فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه ، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله صدّق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال : قم يا فلان فأذّن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى قصة العبد الأسود الذى رزقه الله الإيمان والشهادة فى ساعة واحدة ، وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة قالا : وجاء عبد حبشى أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم فقال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ، فوقع فى نفسه ذكر النبى فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله ﷺ فقال : إلامَ تدعو؟ قال : أدعوك إلى الإسلام وإلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن لا تعبد إلا الله ، قال : فقال العبد : فماذا يكون لى إن شهدت بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله ﷺ : الجنة ، إن مت على ذلك ، فأسلم العبد فقال : يا نبى الله إن هذه الغنم عندى أمانة ، فقال رسول الله ﷺ : أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك ، ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها فعرف اليهودى أن غلامه قد أسلم ، فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس فذكر الحديث فى إعطائه الراية عليًا ودنوه من حصن اليهود وقتله مرحباً وقُتِلَ مع عليّ ذلك العبد الأسود فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم فأدخل فى الفسطاط ، فزعموا

أن رسول الله ﷺ اطلع فى الفسطاط ثم اطلع على أصحابه ، فقال : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام فى قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين .

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها ، فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود ، وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة .

ثم قال البيهقى : حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه حدثنا أبو بكر القطان حدثنا أبو الأزهر حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنى رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لى ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أُقتَل أدخل الجنة ؟ قال : نعم ، فتقدم فقاتل حتى قتل ، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول ، فقال : لقد حسّن الله وجهك وطيّب ريحك وكثّر مالك ، وقال : لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته ، ثم روى البيهقى من طريق ابن جريج : أخبرنى عكرمة بن خالد عن ابن أبى عمار عن شداد بن الهاد أن رجلا من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتبعه فقال : أهاجر معك ، فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ فقسمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله ﷺ ، فقال : ما على هذا اتبعتك ، ولكنى اتبعتك على أن أُرْمَى هاهنا ، وأشار إلى حلقه بسهم ، فأموت فأدخل الجنة ، فقال : إن تَصْدقِ اللهَ يَصْدُقْكَ ، ثم نهضوا إلى قتال العدو فأُتِىَ به رسول الله ﷺ يُحمَل وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبى ﷺ ، هو هو؟ قالوا : نعم ، قال : صدق الله فصدقه ، وكفنه النبى ﷺ فى جبة النبى ﷺ ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فى سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد ، وقد رواه النسائى عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه .

فصـــــــل

قال ابن إسحاق : وتدنى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ويفتتحها حصناً حصناً ، وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، ألقيت

عليه رحى منه فقتلته ، ثم القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهن صفية بنت حيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وبنتى عم لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، قال : وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين وأكل الناس لحوم الحمر ، فذكر نهى رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها ، وقد اعتنى البخارى بهذا الفصل فأورد النهى عنها من طرق جيدة وتحريمها ومذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة ، وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس إلى إباحتها وتنوعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة فى النهى عنها فقيل : لأنها كانت ظهراً يستعينون بها فى الحمولة ، وقيل : لأنها لم تكن خمست بعد ، وقيل : لأنها كانت تأكل العذرة يعنى : جلالة ، والصحيح أنه نهى عنها لذاتها ، فإن فى الأثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله ﷺ إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس ، فأكفأوها والقدور تفور بها ، وموضع تقرير ذلك فى كتاب الأحكام .

قال ابن إسحاق : حدثنى سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله ، ولم يشهد جابر خيبر ، أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم فى لحوم الخيل ، وهذا الحديث أصله ثابت فى الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن على عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص فى الخيل ، لفظ البخارى .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبى نجيح عن مكحول أن النبى ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السبع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم ، وهذا مرسل ، وقال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى مرزوق مولى نجيب عن حنش الصنعانى قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها : جربة ، فقام فينا خطيباً فقال : أيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ ، يقول فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله ﷺ ، فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبى ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم

الآخـر أن يلبس يومـا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقـه رده فيه ، وهكذا روى هذا الحـديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق ، ورواه الترمذى عن حفص بن عمرو الشيبانى عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ربيعة بن سليم عن بشر بن عبيد الله عن رويفع بن ثابت مختصراً وقال : حسن .

وفى صحيح البخارى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم ، وقد حكى ابن حزم عن على وشريك بن الْحُنبل أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم النيىء ، والذى نقله الترمذى عنهما الكراهة ، فالله أعلم ، وقـد تكلم النـاس فى الحـديث الوارد فى الصحيحين من طريق الزهرى عن عبد الله والحسن ابنى محمدابن الحنفية عن أبيهما عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ نهى عن نكـاح المتعـة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية ، هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره عن الزهرى وهو يقتضى تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين :

الأول : أن يوم خيبر لم يكن ثَمَّ نساء يتمتعون بهن إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسباء عن نكاح المتعة .

الثانى : أنه قد ثبت فى صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة عن مَعْبد عن أبيه أن رسول الله ﷺ أذن لهم فى المتعة زمن الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : إن الله قد حرمها إلى يوم القيامة .

فعلى هذه يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد ، ومع هذا فقد نص الشافعى على أنه لا يعلم شيئاً أبيح ثم حرم ثم أبيح ثم حرم غير نكاح المتعة وما حداه على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه [١] .

وقد حكى السهيلى وغيره عن بعضهم أنه ادعى أنها أبيحت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات وقال آخرون : أربع مرات ، وهذا بعيد جداً ، والله أعلم ، واختلفوا أى وقت أول مَّا حرمت ، فقيل : فى خيبر ، وقيل : فى عمرة القضاء ، قيل : فى عام الفتح ، وهذا أظهر ، وقيل : فى أوطاس ، وهو قريب من الذى قبله ، وقيل : فى تبوك ، وقيل : فى حجة الوداع ، رواه أبو داود .

---

(١) بياض بالأصل بمقدار سطر .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علىّ رضى الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير ، وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهرى عن الحسن وعبد الله ابنى محمد عن أبيهما ـ وكان حسن أرضاهما فى أنفسهما ـ أن عليًّا قال لابن عباس : إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر ، قالوا : فاعتقد الراوى أن قوله : خيبر ظرف للمنهى عنهما وليس كذلك إنما هو ظرف للنهى عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً وإنما جمعه معه لأن عليًّا رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، فجمع له النهى ليرجع عما كان يعتقده فى ذلك من الإباحة ، وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى تغمده الله برحمته آمين ، ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب إليه من إباحة الحمر والمتعة ، أما النهى عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولتهم وأما المتعة فإنما كان يبيحها عند الضرورة فى الأسفار ، وحمل النهى على ذلك فى حال الرفاهية والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جريج وبعده ، وقد حكى عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس وهى ضعيفة وحاول بعض من صنف فى الحلال نقل رواية عن الإمام بمثل ذلك ولا يصح أيضاً والله أعلم ، وموضع تحرير ذلك فى كتاب الأحكام وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال فحدثنى عبد الله ابن أبى بكر أنه حدثه بعض من أسلم أن بنى سهم مِنْ أَسْلم (١) أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شىء ، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غَناء وأكثرها طعاماً وودكا ، فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكا منه (٢) .

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلالم وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم

---

(١) أسلم : قبيلة من قبائل العرب [دار الغـد] .

(٢) الودك : دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه .

رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة ، قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر يا منصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان الأسدى الأسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو قال : إنى لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ : من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فافعل ، قال : فخرجت أشتد مثل الظليم ، فلما نظر إلىّ رسول الله ﷺ مولياً قال : اللهم أمتعنا به ، قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن فأخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدى ثم جئت بهما أشتد كأنه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتا ، وكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال : أمتعوا بى لعمرى حتى كنت من آخرهم .

وقال الحافظ البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانى حدثنا أبو سعيد بن الأعرابى حدثنا سعدان بن نصر حدثنا أبو معاوية عن عاصم الأحول عن أبى عثمان النهدى ، أو عن أبى قلابة قال : لما قدم النبى ﷺ خيبر قدم والثمرة خضرة قال : فأسرع الناس إليها فحموا فشكوا ذلك إليه فأمرهم أن يقرّسوا الماء فى الشنان (١) ثم يجرونه عليهم إذا أتى الفجر ويذكرون اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عقل ، قال البيهقى : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولا وعنه بين صلاتى المغرب والعشاء ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى وبهز قالا ، حدثنا سليمان ابن المغيرة حدثنا حميد بن هلال حدثنا عبد الله بن مغفل قال : دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت : لا أعطى أحداً منه شيئاً ، قال : فالتفت فإذا رسول الله ﷺ يتبسم .

وقال أحمد : حدثنا عفان حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال : كنا نحاصر قصر خيبر فألقى إلينا جراب فيه شحم فذهبت فأخذته فرأيت النبى ﷺ فاستحييت ، وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة ، ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ عن عثمان بن المغيرة .

---

(١) الشنان : الأسقية الخلقة ، وهى أشد تبريدا للماء من الجدد .

وقال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال : أصبت من فيء خيبر جراب شحم ، قال : فاحتملته على عنقي إلى رحلي وأصحابي ، قال : فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها فأخذ بناحيته ، وقال : هلم حتى نقسمه بين المسلمين ، قال : وقلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : وجعل يجاذبني الجراب ، قال : فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : خل بينه وبينه ، قال : فأرسله فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه .

وقد استدل الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال : ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ (١) « فالله تعالى قال : ﴿ لكم ﴾ قال الإمام مالك : وليس هذا من طعامهم ، فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر ، وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالا لهم والله أعلم ، وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لايخمس ، ويعضد ذلك ما رواه الإمام أبو داود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية حدثنا إسحاق الشيباني عن محمد بن أبي مجالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلت : كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ فقال : أصبنا طعاما يوم خيبر وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف ، تفرد به أبو داود وهو حسن .

ذكر قصة صفية بنت حيي بن أخطب النضرية رضي الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة ، كما تقدم ، فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي الحقيق ، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم ، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ، ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها فلما زفت إليه وأدخلت إليه بني عليها ومضى على ذلك ليال رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها ، فقصت رؤياها على ابن عمها فلطم وجهها وقال : أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك ؟ فما كان إلا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إياهم ، فكانت صفية في جملة السبي وكان زوجها في جملة القتلى ، ولما اصطفاها رسول الله ﷺ وصارت في حوزه وملكه ، كما سيأتي ، وبنى عليها بعد

---

(١) الآية : ٥ من سورة المائدة .

استبرائها وحلّها وجد أثر تلك اللطمة فى خدها فسألها ما شأنها ؟ فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها .

قال البخارى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال صلى النبى ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلس ثم قال : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنْذَرين ، فخرجوا يسعون فى السكك فقتل النبى ﷺ المقاتلة وسبى الذرية ، وكان فى السبى صفية فصارت إلى دِحْية الكلبى ثم صارت إلى النبى ﷺ فجعل عتقها صداقها ، ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن زيد وله طرق عن أنس . وقال البخارى : حدثنا آدم عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سبى النبى ﷺ صفية فأعتقها وتزوجها ، قال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فأعتقها ، تفرد به البخارى من هذا الوجه .

قال البخارى : حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، وحدثنا أحمد بن عيسى حدثنا ابن وهب أخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن عمرو ، مولى المطلب ، عن أنس بن مالك قال : قدمنا خيبر ، فلما فتح رسول الله ﷺ الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيى بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروساً فاصطفاها النبى ﷺ لنفسه فخرج بها حتى بلغ بها سُدَّ الصهباء فحلت فبنى عليها رسول الله ﷺ ثم صنع حيساً فى نِطَع صغير ثم قال لى : آذن من حولك ، فكانت تلك وليمته على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبى ﷺ يحوِّى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب ، تفرد به دون مسلم ، وقال البخارى : حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير أخبرنى حميد أنه سمع أنساً يقول : أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبنى عليه بصفية فدعوت المسلمين إلى وليمته وما كان فيها من خبز ولحم وما كان فيها إلا أن أمر بلالا بالأنطاع فبُسِطَت فألقى عليها التمر والأقط والسمن فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجبها فهى إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهى مما ملكت يمينه ، فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب . انفرد به البخارى .

وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس ابن مالك قال : صارت صفية لدحية الكلبى ثم صارت لرسول الله ﷺ ، وقال أبو داود : حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : جمع السبى - يعنى بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله ، أعطنى جارية من السبى ،

قال : اذهب فخذ جارية ، فأخذ صفية بنت حيى ، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله أعطيت دحية ـ قال يعقوب ـ صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير ، ما تصلح إلا لك ، قال : ادعوا بها ، فلما نظر إليها النبى ﷺ قال : خذ جارية من السبى غيرها ، وأن رسـول الله ﷺ أعتقها وتزوجها ، وأخرجاه من حديث ابن علية ، وقال أبو داود : حدثنا محمد بن خلاد الباهلى حدثنا بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس قال : وقع فى سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ثم دفعها إلى أم سلمة تصنعها وتهيئها ، قال حماد : وأحسبه قال : وتعتد فى بيتها صفية بنت حيى ، تفرد به أبو داود .

قال ابن إسحاق : فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص حصن بنى أبى الحقيق أتى بصفية بنت حيى بن أخطب وأخرى معها ، فمر بهما بلال ـ وهو الذى جاء بهما ـ على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : أغربوا عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه . وقال رسـول الله ﷺ لبـلال ، فيمـا بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أَنُزِعَتْ منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق أن قمراً وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجهـا فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها ، فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هذا ؟ فأخبرته الخبر .

قال ابن اسحاق : وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ، فقال رسول الله ﷺ لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ، أقتلك ؟ قال : نعم ، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله ﷺ الزبير ابن العوام فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، وكان الزبير يقدح بزنده فى صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

فصـــــــــل

قال ابن إسحاق : وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر فى حصنيْهم : الوطيح والسلالم حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل ، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع بهم أهل فَدَك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل ، وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك محيِّصة بن مسعود ، أخو بنى حارثة ، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، وعامل أهل فَدَك بمثل ذلك .

فصـــــــل فى فتح حصونها وقسمة أرضها

قال الواقدى : لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال : يا أبا القاسم ، تؤمننى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة وتخرج إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك ، قال : فأمنه رسول الله ﷺ على أهله وماله ، فقال له اليهودى : إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك ، إن لهم تحت الأرض دبولا يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع دبولهم فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة وافتتحه رسول الله ﷺ ، وكان آخر حصون النطاة ، وتحول إلى الشق وكان به حصون ذوات عدد فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبىّ ، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها : سموان فقاتل عليها أشد القتال فخرج منهم رجل يقال له : عزول فدعا إلى البراز فبرز إليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده وفر اليهودى راجعاً فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه ، وبرز منهم آخر فقام إليه رجل من المسلمين فقتله اليهودى فنهض إليه أبو دجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا عَلَى الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجانة فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعا وغنما وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتقحموا الجزر كأنهم الضباب حتى

صاروا إلى حصن البـزاة بالشق وتمنعـوا أشـد الامتنـاع ، فزحف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة حتى أصاب نبلهم بنانه عليه الصلاة والسلام فأخذ ﷺ كفاً من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساخ فى الأرض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

قال الواقدى : ثم تحول رسول الله ﷺ إلى أهل الأخبية والوطيح والسلالم : حصنىْ أبى الحقيق وتحصنوا أشد التحصن وجاء إليهم كل من كان انهزم من النطاة إلى الشق فتحصنوا معهم فى القموص وفى الكتيبة ، وكان حصناً منيعاً ، وفى الوطيح والسلالم ، وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى هَمّ رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم ، فلمـا أيقنوا بالهلكة ، وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوما ، نزل إليه ابن أبى الحقيق فصالحه على حقن دمائهم ويسيّرهم ويخلون بين رسول الله ﷺ وما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة ، وعلى البز إلا ما كان على ظهر إنسان ، يعنى لباسهم ، فقال رسول الله ﷺ : وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتم شيئاً ، فصالحوه على ذلك .

قلت : ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذى كان فيه أموال جزيلة تبين أنه لا عهد لهم فقتل ابنى أبى الحقيق وطائفة من أهله بسبب نقض العهود منهم والمواثيق .

وقال الحافظ البيهقى : حدثنا أبو الحسن على بن محمد المقرى الإسفراينى حدثنا الحسن بن محمد بن إسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبيد الله بن عمر ، فيما يحسب أبو سلمة ، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم فغلب على الأرض والزرع والنخل فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء ويخرجون منها ، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد ، فغيبوا مسكا فيه مال وحلى لحيى بن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير ، فقال رسول الله ﷺ حينئذ : ما فعل مسك حيى الذى جاء به من النضير ، فقال : أذهبته النفقات والحروب ، فقال : العهد قريب والمال أكثر من ذلك ، فدفعـه رسـول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب ، وقد كان حيى قبل ذلك دخل خربة فقـال رجـل : قد رأيت حيياً يطوف فى خربـة هاهنـا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك فى الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابنى أبى الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيى بن أخطب وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنكث الذى نكثوا ، وأراد إجلاءهم منها

فقالوا : يا محمد دعنا نكون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلال يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشىء ، ما بدا لرسول الله ﷺ ، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرصها عليهم ، ثم يضمنهم الشطر فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه فقال [1] : يا أعداء الله ، تطعمونى السحت ، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلىّ ولأنتم أبغض إلىّ من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملنى بغضى إياكم وحبى إياه على أن لا أعدل عليكم ، فقالوا بهذا قامت السموات والأرض .

قال : فرأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة فقال : يا صفية ، ما هذه الخضرة ؟ فقالت : كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قمراً وقع فى حجرى ، فأخبرته بذلك فلطمنى وقال : تتمنين مَلِكَ يثرب ، قالت : وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إلىّ قتل زوجى وأبى فما زال يعتذر إلىّ ويقول : إن أباك ألّب علىّ العرب وفعل ما فعل حتى ذهب ذلك من نفسى ، وكان رسول الله ﷺ يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير ، فلما كان فى زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه ، فقال عمر : من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها ، فقسمها بينهم ، فقال رئيسهم : لاتخرجنا ، دعنا نكون فيها ، كما أقرنا رسول الله وأبو بكر ، فقال عمر : أترانى سقط على قول رسول الله ﷺ ؟ كيف بك إذا وقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً ، وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية ، وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد ابن سلمة ، قال البيهقى وعلقه البخارى فى كتابه ، فقال : ورواه حماد بن سلمة .

قلت : ولم أره فى الأطراف فالله أعلم .

وقال أبو داود المهرى حدثنا ابن وهب أخبرنى أسامة بن زيد الليثى عن نافع عن عبد الله بن عمر قال : لما فتحت خيبر سألت يهود رسول الله ﷺ أن يقرهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها ، فقال رسول الله ﷺ : أقركم فيها على ذلك ما شئنا ، فكانوا على ذلك ، وكان التمر يقسم على السُّهمان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس ، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقا

---

(١) أى : عبد الله بن رواحة [دار الغد]

من شعير ، فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبى ﷺ فقال لهن : من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا ، ومن أحب أن نعزل الذى لها فى الخمس كما هو فعلنا .

وقد روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق حدثنى نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر قال : أيها الناس إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مال فليلحق به فإنى مخرج يهود ، فأخرجهم ، وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره ، قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك ، فقال : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد ، قال جبير بن مطعم : ولم يقسم النبى ﷺ لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئاً ، تفرد به دون مسلم ، وفى لفظٍ أن رسول الله ﷺ قال : إن بنى هاشم وبنى عبد المطلب شىء واحد ، إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام ، قال الشافعى : دخلوا معهم فى الشعب وناصروهم فى إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذم أبو طالب بنى عبد شمس ونوفلا حيث يقول :

جزى الله عنا عبد شمسٍ ونوفلا   عقوبةَ شرٍّ عاجلا غيرَ آجلِ

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا محمد بن ثابت حدثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما ، قال : فسره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس فله سهم ، وقال البخارى : حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرنى زيد عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذى نفسى بيده لولا أن أترك آخر الناس ببّاناً (١) ليس لهم شىء ما فُتِحَتْ علىّ قرية إلا قسمتها كما قسم النبى ﷺ خيبر ، ولكنى أتركها خزانة لهم يقتسمونها ، وقد رواه البخارى أيضاً من حديث مالك وأبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدى عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر به . وهذا السياق يقتضى أن خيبر بكمالها قسِّمت بين الغانمين ، وقد قال أبو داود حدثنا ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها على الجلاء بعد القتال .

---

(١) بتشديد الباء الثانية كما فى النهاية والمصباح .

وبهذا قال الزهرى : خمّس رسول الله ﷺ خيبر ثم قسم سائرها على من شهدها ، وفيما قاله الزهرى نظر ، فإن الصحيح أن خيبر جميعاً لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الناس ، كما سيأتى بيانه ، وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخير فى الأراضى المغنومة ، إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضا لما ينوبه فى الحاجات والمصالح (١) .

قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا حدثنى سفيان عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبى حثمة قال : قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين ؛ نصفا لنوائبه ، ونصفا بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما ، تفرد به أبو داود ، ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلا فعيّن نصف النوائب : الوطيح والكتيبة والسلالم وما حيز معها ، ونصف المسلمين : الشق والنطاة وما حيز معهما ، وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهما ، وقال أيضاً : حدثنا حسين بن على حدثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار ، مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر فقسمها على ستة وثلاثين سهما ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثانى لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس . تفرد به أبو داود .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصارى سمعت أبى يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصارى عن عمه مجمع بن حارثة الأنصارى ـ وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن ـ قال : قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهما ، وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما ، تفرد به أبو داود ، وقال مالك : عن الزهرى أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبى ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة ، ورواه أبو داود ، ثم قال أبو داود : قرىء على الحارث بن مسكين ، وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب حدثنى مالك بن أنس عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة وبعضها صلحاً ، والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : أرض خيبر وهى أربعون ألف عَذْق ، قال أبو داود : والعَذْق النخلة ، والعِذْق

(١) فى التيمورية : إن شاء قسمها وإن شاء قسم بعضها كما فعل رسول الله ﷺ فى خيبر فإنه خمسها ثم قسم نصفها فى الغانمين وأرصد نصفها لما ينوبه فى الحاجات والمصالح .

العرجون ، ولهذا قال البخارى : حدثنا محمد بن بشار حدثنا حرمى حدثنا شعبة حدثنا عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا ، الآن نشبع من التمر ، حدثنا الحسن حدثنا قرة بن حبيب حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال : ما شبعنا ـ يعنى من التمر ـ حتى فتحنا خيبر .

وقال محمد بن اسحاق : كانت الشق والنطاة فى سهمان المسلمين ، الشق ثلاثة عشر سهما والنطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ودفع ذلك إلى من شهد الحديبية : من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله فضرب له بسهمه ، قال : وكان أهل الحديبية ألفا وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل سهمان ، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزيد المائتا فارس أربعمائة سهم لخيولهم ، وهكذا رواه البيهقى من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن صالح بن كيسان أنهم كانوا ألفا وأربعمائة معهم مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم ، وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن عدى .

قال ابن إسحاق : وكانت الكتيبة خمسا لله تعالى وسهم للنبى ﷺ وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وطعمة أزواج النبى ﷺ وطعمة أقوام مشوا فى صلح فدك ، منهم محيصة بن مسعود أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير ، قال : وكان واديها اللذان قسمت عليه يقال لهما : وادى السرير ، ووادى خاص ، ثم ذكر ابن اسحاق تفاصيل الإقطاعات منها فأجاد وأفاد ، رحمه الله ، قال : وكان الذى ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، وزيد بن ثابت رضى الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خرص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم لما قتل رضى الله عنه ، كما سيأتى فى يوم مؤتة ، ولى بعده جبار بن صخر رضى الله عنه .

وقد قال البخارى : حدثنا إسماعيل حدثنى مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد ابن المسيب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرةأن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمر جنيب ، فقال رسول الله ﷺ : « أَكُلُّ تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة ، فقال : « لا تفعل ،

بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيباً » . قال البخارى : وقال الدراوردى : عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله ﷺ بعث أخا بنى عدى من الأنصار إلى خيبر وأمَّره عليها ، وعن عبد المجيد عن أبى صالح السمان عن أبى سعيد وأبى هريرة مثله .

قلت : كان سهم النبى ﷺ الذى أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها وهى طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بنى النضير ، المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة ، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ثم يجعل ما بقى مجعل مال الله يصرفه فى الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبى ﷺ ـ أو أكثرهن ـ أن هذه الأراضى تكون موروثة عنه ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ : « نحن معشر الأنبياء لانورث ، ما تركناه صدقة » ولما طلبت فاطمة وأزواج النبى ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه إليهم ، ذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « . . . لانورث ، ما تركناه صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ ، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلىَّ أن أصل من قرابتى ، وصدق رضى الله عنه وأرضاه ، فإنه البار الراشد فى ذلك التابع للحق .

وطلب العباس وعلىّ عَلَى لسان فاطمة ، إذ فاتهم الميراث ، أن ينظرا فى هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك فى المصارف التى كان النبى ﷺ يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ، ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ وأن لايخرج عن مسلكه ولا عن سننه ، فتغضبت فاطمة رضى الله عنها عليه فى ذلك ووجدت فى نفسها بعض الموجدة ، ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هى والمسلمون محله ومنزلته من رسول الله ﷺ وقيامه فى نصرة النبى ﷺ فى حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيه وعن الإسلام وأهله خيراً .

وتوفيت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر ، ثم جدد علىّ البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى علىّ والعباس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضى الله عنه ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته ، فتغلب علىّ على عمه العباس فيها ثم تساوقا يختصمان إلى عمر وقدّما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها فينظر كل منهما فيما لا ينظر

فيه الآخر ، فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع ، وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث وقال : انظر فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلىّ ، والذى تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضى فيها قضاء غير هذا ، فاستمرا فيها ، ومن بعدهما إلى ولدهما ، إلى أيام بنى العباس تصرف فى المصارف التى كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها ، أموال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله ﷺ من خيبر .

فصـــــل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ [١] لهم رسول الله ﷺ شيئاً من الغنيمة ولم يسهم لهم . قال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا بشر بن المفضل عن محمد ابن زيد حدثنى عمير مولى آبى اللحم قال : شهدت خيبر مع سادتى فكلموا فىَّ رسول الله ﷺ فأمر بى فقلدت سيفاً ، فإذا أنا أجره ، فأخبر أنى مملوك فأمر لى بشىء من طريق المتاع ، ورواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن بشر بن المفضل به وقال الترمذى : حسن صحيح ، ورواه ابن ماجه عن على بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر عن منقذ عن عمير به .

وقال محمد بن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء فرضخ لهن من الفىء ولم يضرب لهن بسهم ، حدثنى سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبى الصلت عن امرأة من بنى غفار قد سماها لى قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : « على بركة الله » قالت : فخرجنا معه ، قالت : وكنت جارية حدثة السن فأردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ، قالت : وإذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول الله ﷺ مابى ورأى الدم قال : « مالك ؟ لعلك نَفِسْتِ » قالت : قلت : نعم ، قال : «فأصلحى من نفسك ثم خذى إناء من ماء فاطرحى فيه ملحاً ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك » قالت : فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفىء ، وأخذ هذه

---

(١) قال السهيلى : أصل الرضخ (بالمعجمة) أن تكسر من الشىء الرطب كسرة فتعطيها ، وأما الرضح (بالمهملة) فكسر اليابس .

القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها وعلقها بيده فى عنقى ، فوالله لا تفارقنى أبداً ، وكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها ، قالت : وكانت لاتطهر من حيضها إلا جعلت فى طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن إسحاق به . قال شيخنا أبو الحجاج المزى فى أطرافه : ورواه الواقدى عن أبى بكر بن أبى سبرة عن سليمان بن سحيم عن أم على بنت أبى الحكم عن أمية [1] بنت أبى الصلت عن النبى ﷺ به .

وقال الإمام : أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا رافع بن سلمة الأشجعى حدثنى حشرج بن زياد عن جدته ، أم أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبى ﷺ أن معه نساء ، قالت : فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا فى وجهه الغضب فقال : « ما أخرجكن وبأمر مَن خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا نناول السهام ونسقى السويق ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشعر فنعين به فى سبيل الله قال : فأمرنا فانصرفنا ، قالت : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها : يا جدة ، وما الذى أخرج لكن ؟ قالت : تمراً .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن فى الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : وفى كتابى عن أبى عبد الله الحافظ أن عبد الله الأصبهانى أخبره حدثنا الحسين بن الجهم حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا الواقدى حدثنى عبد السلام بن موسى بن جبير عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ومعى زوجتى وهى حبلى فَنَفِسَتْ فى الطريق ، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال له : « انقع لها تمراً فإذا انغمر فأمر به لتشربه » ففعلت فما رأت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجدى النساء ، ولم يسهم لهن ، فأجدى زوجتى وولدى الذى ولد . قال عبد السلام : لست أدرى غلام أو جارية .

---

(١) وفى الإصابة : أن اسمها أمة أو أمامة أو أمينة أو أمية وقال فى موضع : أميمة بنت قيس بن أبى الصلت .

ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن كان بقى بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ومن انضم إليهم من أهل اليمن على رسول الله ﷺ وهو مخيم بخيبـــــــر

قال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى قال : بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى ، أنا أصغرهم ، أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهم ، إما قال : فى بضع ، وإما قال فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومى ، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبى طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعنى لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة ، ودخلت أسماء بنت عميس ـ وهى ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها ، فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء ابنة عميس ، قال عمر : آلحبشية هذه ؟ آلبحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم ! قال : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا فى دار ـ أو فى أرض ـ البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك فى الله وفى رسول الله ﷺ ، وايم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت للنبى ﷺ وأسأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ عليه ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبى ﷺ قالت : يا نبى الله إن عمر قال كذا كذا ، قالت : قال : « فما قلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا ، قال : « ليس بأحق بى منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتونى أرسالا يسألونى عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شىء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبى ﷺ ، قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى .

وقال أبو بردة : عن أبى موسى قال النبى ﷺ : « إنى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقى العدو ـ أو قال الخيل ـ قال

لهم : إن أصحابى يأمرونكم أن تنظروهم » ، وهكذا رواه مسلم عن أبى كُرَيب وعبد الله ابن براد عن أبى أسامة به ، ثم قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا حفص ابن غياث حدثنا بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن أبى موسى قال : قدمنا على النبى ﷺ بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ، تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث بريد به ، وقد ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى يطلب منه من بقى من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبى ﷺ خيبر ، قال : وقد ذكر سفيان ابن عيينة عن الأجلح عن الشعبى أن جعفر بن أبى طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر فقبّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال : « ما أدرى بأيها أنا أُسَرُّ ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » وهكذا رواه سفيان الثورى عن الأجلح عن الشعبى مرسلا .

وأسند البيهقى من طريق حسن بن حسين العرزمى عن الأجلح عن الشعبى عن جابر قال : لما قدم رسول الله ﷺ من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقاه وقبّل جبهته وقال : « والله ما أدرى بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » ثم قال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا الحسين بن أبى إسماعيل العلوى حدثنا أحمد بن محمد البيروتى حدثنا محمد بن أحمد بن أبى طَيْبة حدثنى مكى بن إبراهيم الرعينى حدثنا سفيان الثورى عن أبى الزبير عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله ﷺ ، فلما نظر جعفر إليه حجل - قال مكى : يعنى مشى على رجل واحدة - إعظاما لرسول الله ﷺ ، فقبّل رسول الله ﷺ بين عينيه ثم قال البيهقى : فى إسناده من لا يعرف إلى الثورى .

قال ابن إسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلا ، وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبى طالب الهاشمى ، وامرأته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامرأته أمينة [١] بنت خلف بن أسعد ، وولداه سعيد ، وأمة بنت خالد ، ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومعيقيب بن أبى فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص ، قال : وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدى ، وجهم بن قيس

---

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى الإصابة أميمة بنت خلف بن أسعد . . الخ ، وقال : يقال : أمينة وهمية

ابن عبد شرحبيل العبدرى ، وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة وابنه عمرو ، وابنته خزيمة ، ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبى وقاص الزهرى ، وعتبة ابن مسعود ، حليف لهم من هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمى ، وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت الحارث رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجمحى ، ومحمية ابن جزء الزبيدى ، حليف بنى سهم ، ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدوى ، وأبو حاطب ابن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدى ، والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهرى .

قلت : ولم يذكر ابن اسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبى موسى الأشعرى وأخويْه أبا بردة وأبـارهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبى موسى ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه ، كما تقدم فى صحيح البخارى ، وكأن ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبى موسى فى ذلك والله أعلم .

قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك ، وقـد حرر هاهنا شيئاً كثيراً حسنا ، قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان سمعت الزهرى وسأله إسماعيل بن أمية ، قال : أخبرنى عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة أتى رسـول الله ﷺ وسـألـه ـ يعنى أن يقسم له ـ فقال بعض بني سعيد بن العاص : لاتعـطه ، فقال أبو هريرة : هذا قاتل ابن قوقل ، فقال : واعجباً لوبر تدلى من قدوم الضأل ، تفرد به دون مسلم ، قال البخارى : ويذكر عن الزبيدى عن الزهرى أخبرنى عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبانا على سرية من المدينة قبل نجد ، قال أبو هريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبى ﷺ بخيبر بعدما افتتحها ، وإن حزم خيلهم لليف ، قال أبو هريرة : فقلت : يا رسول الله لا تقسم لهم ، فقال : أبان وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضأل ، وقال النبى ﷺ : « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم ، وقد أسند أبو داود هذا الحديث عن سعيد بن منصور عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدى به نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرنى جدى وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبى ﷺ فسلم عليه ، فقال أبو هريرة : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل ، فقال أبان لأبى هريرة : واعجبا لك ياوبر تردى من قدوم ضأل ، تنعى على امرءاً أكرمه الله بيدى ، ومنعه أن يهيننى بيده ؟ هكذا رواه منفرداً به هاهنا وقـال فى الجهاد بعد حديث الحميدى عن سفيان عن الزهرى

عن عنبسة بن سعيد عن أبى هريرة ، قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحها ، فقلت : يا رسول الله أسهم لى ، فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له ، فقلت : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قوقل الحديث ، قال سفيان : حدثنيه السعيدى - يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبى هريرة بهذا ، ففى هذا الحديث التصريح من أبى هريرة بأنه لم يشهد خيبر ، وتقدم فى أول هذه الغزوة ، رواه الإمام أحمد من طريق عراك بن مالك عن أبى هريرة وأنه قدم على رسول الله ﷺ بعدما افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا فى أسهامهم ، وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمار بن أبى عمار قال : ما شهدت مع رسول الله ﷺ مغنما قط إلا قسم لى ، إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بين الحديبية وخيبر ، وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن مالك بن أنس حدثنى ثور حدثنى سالم ، مولى عبد الله بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادى القرى ، ومعه عبد له يقال له : مدعم أهداه له بعض بنى الضبيب ، فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال : الناس هنيئاً له الشهادة ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا والذى نفسى بيده ، إن الشملة التى أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » ، فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين ، فقال : هذا شىء كنت أصبته ، فقال رسول الله ﷺ : « شراك أو شراكين من نار » .

ذكر قصة الشاة المسمومة وما كان من أمر البرهان الذى ظهر عندها والحجة البالغة فيها

قال البخارى : رواه عروة عن عائشة عن النبى ﷺ ، ثم قال : حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم ، هكذا أورده هاهنا مختصراً ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج حدثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة ، قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبى ﷺ شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ : « اجمعوا لى من كان هاهنا من يهود »

فجمعوا له ، فقال رسول الله ﷺ : « إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقى عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان فقال رسول الله ﷺ : « كذبتم ، بل أبوكم فلان » ، قالوا : صدقت وبررت ، فقال : « هل أنتم صادقى عن شىء إذا سألتكم عنه ؟ » ، قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا ، فقال رسول الله ﷺ : « من أهل النار ؟ » ، فقالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « والله لا نخلفكم فيها أبداً » ، ثم قال لهم : « هل أنتم صادقى عن شىء إذا سألتكم ؟ » ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال : « هل جعلتم فى هذه الشاة سما » ، فقالوا : نعم ! قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك ، وقد رواه البخارى فى الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفى المغازى أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث به .

وقال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فقال لأصحابه : « أمسكوا فإنها مسمومة » ، وقال لها : « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه ، وإن كنت كاذبا أريح الناس منك ، قال : فما عرض لها رسول الله ﷺ ، رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله عن سليمان به ، ثم روى البيهقى عن طريق عبد الملك بن أبى نضرة عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك ، وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا عباد عن هلال ـ هو ابن خباب ـ عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فأرسل إليها ، فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أحببت ـ أو أردت ـ إن كنت نبياً فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك ، قال : فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم ، قال : فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم ، تفرد به أحمد وإسناده حسن .

وفى الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، فجىء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك ؟ قالت : أردت لأقتلك ، فقال : « ما كان الله ليسلطك علىّ » أو قال : « على ذلك » قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : « لا » قال أنس : فما زلت أعرفها فى لهوات رسول

الله ﷺ ، وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهرى حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية [١] ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « ارفعو أيديكم » وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها ، فقال لها : « أسممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال ـ: « أخبرتنى هذه التى فى يدى » وهى الذراع ، قالت ؟ نعم قال : فما أردت بذلك ؟ » قالت : إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك ، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبى ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة ، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة ، وهو مولى لبنى بياضة من الأنصار .

ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن محمد بن عمر عن أبى سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر ، قال : فمات بشر ابن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال : « ما حملك على الذى صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله ﷺ فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة ، قال البيهقى : ورويناه من حديث حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، قال : ويحتمل أنه لم يقتلها فى الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها . وروى البيهقى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال : « ما هذه ؟ » قالت ، هدية ، وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل ، قال : فأكل وأصحابه ثم قال : « أمسكوا » ثم قال للمرأة : « هل سممت ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العظم » لساقها وهو فى يده ، قالت : نعم ، قال : « لم ؟ قالت : أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك ، قال : فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا ، ومات بعضهم . قال الزهرى فأسلمت فتركها النبى ﷺ ، قال البيهقى : هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر عن عبد الله (رض) .

وذكر ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهرى قالوا :

---

(١) صلى اللحم يصليه صليا : شواه فى النار كأصلاه وصلاه ، عن القاموس .

لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية ، وهى ابنة أخى مرحب ، لصفية شاة مصلية وسمتها ، وأكثرت فى الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ ، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور ، وهو أحد بنى سلمة ، فقدمت إليهم الشاة المصلية ، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منه ، وتناول بشر عظما فانتهش منه فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما فى فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم ، فإن كتف هذه الشاة يخبرنى أنى نعيت (١) فيها » فقال بشر بن البراء : والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها إلا أنى أعظمتك أن أبغضك طعامك ، فلما أسغت ما فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعيى ، فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول .

قال الزهرى : قال جابر : واحتجم رسول الله ﷺ يومئذ ، حجمه مولى بنى بياضة بالقرن والشفرة ، وبقى رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى فيه فقالوا : « ما زلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً حتى كأن هذا أوان انقطاع أبهرى » فتوفى رسول الله ﷺ شهيداً .

وقال محمد بن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ، ثم قال : « إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم » ، ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : بلغتَ من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان كذابا استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيُخْبَر . قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى قال : كان رسول الله ﷺ قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ـ ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن

---

(١) نعاه له نعيا : أخبرَه بموته ، والنعِيّ : الناعي . قاموس .

معرور - « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر » قال ابن هشام : الأبهر العرق المعلق بالقلب ، قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة . وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحرانى قالا حدثنا أبو غياث سهل بن حماد حدثنا عبد الملك بن أبى نضرة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سميطاً ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله ﷺ : « أمسكو فإن عضوا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة » فأرسل إلى صاحبتها : « أسممت طعامك ؟ » قالت : نعم ، قال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : إن كنت كذاباً أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه ، فبسط يده وقال : «كلوا باسم الله » قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحداً منا ، ثم قال : لا يروى عن عبد الملك بن أبى نضيرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم .

وذكر الواقدى أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى فى منامه رؤيا ، ورسول الله ﷺ محاصر خيبر ، فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد ، أعطنى ما غنمت من حلفائى - يعنى أهل خيبر - فقال له رسول الله ﷺ : « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع فى غير شىء ، والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام ابن أبى الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بنى هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعنى على هذا ، ولنا منه ذبحان : واحد بيثرب وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام : يملك الأرض ؟ قال : نعم والتوراة التى أنزلت على موسى ، وما أحب أن تعلم يهود بقولى فيه .

فصل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادى القرى فحاصر أهلها ليال ثم انصرف راجعاً إلى المدينة ، ثم ذكر من قصة مِدْعم وكيف جاءه سهم غرب فقتله ، وقال الناس : هنيئاً له الشهادة ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا ، والذى نفسى

بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » وقد تقدم فى صحيح البخارى نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم وسيأتى ذكر قتاله ﷺ بوادى القرى .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبى عمرة عن زيد بن خالد الجهنى أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفى يوم خيبر فذكر للنبى ﷺ فقال : « صلوا على صاحبكم » فتغير وجوه الناس من ذلك فقال : «إن صاحبكم غَلّ فى سبيل الله » ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوى درهمين ، وهكذا رواه أبوداود والنسائى من حديث يحيى بن سعيد القطان ، ورواه أبو داود وبشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى به ، وقد ذكر البيهقى أن بنى فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ ، مرجعه من خيبر ، وتجمعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعا معينا فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ، وذهبوا من طريقه كل مذهب .

وتقدم أن رسول الله ﷺ لما حلت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له : سد الصهباء فى أثناء طريقه إلى المدينة ، وأولم عليها بحيس ، وأقام ثلاثة أيام يبنى عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها ، وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضى الله عنها . وذكر محمد ابن إسحاق فى السيرة قال : لما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التى جَمَّلتها إلى رسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله ﷺ فى قبة له وبات أبو أيوب متوشحا بسيفه يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانه قال : « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » .

ثم قال : حدثنى الزهرى عن سعيدبن المسيب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر ، وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظا ، فقال : « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : « صدقت » ثم اقتاد ناقته غير كثير ، ثم نزل فتوضأ وصلى ، كما كان يصليها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهرى عن سعيد مرسلا ، وهذا مرسل من هذا الوجه ، وقد قال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح

حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة حتى إذا أدركنا الكرى عرس وقال لبلال : « اكلأ لنا الليل » قال : فغلبت بلالا عيناه وهو مستند إلى راحلته ، فلم يستيقظ النبى ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظا ، ففزع رسول الله ﷺ وقال : « يا بلال » قال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، قال : فاقتادوا رواحلهم شيئاً ، ثم توضأ رسول الله ﷺ فأمر بلالا فأقام الصلاة وصلى لهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال : « من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى يقول : ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ [1] .

قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها كذلك . وهكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به ، وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر . وفى حديث شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبى علقمة عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففى رواية عنه أن بلالا هو الذى كان يكلؤهم ، وفى رواية عنه أنه هو الذى كان يكلؤهم . قال الحافظ البيهقى : فيحتمل أن ذلك كان مرتين ، قال : وفى حديث عمران بن حصين وأبى قتادة نومهم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضأة ، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة ، قال : وذكر الواقدى فى حديث أبى قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك ، قال : وروى زافر بن سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك ، فالله أعلم .

ثم أورد البيهقى ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الأعرابى عن أبى رجاء عن عمران بن حصين فى قصة نومهم عن الصلاة ، وقصة المرأة صاحبة السطيحتين وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله ولم ينقص ذلك منهما شيئاً ، ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البنانى عن عبد الله بن رباح عن أبى قتادة وهو حديث طويل ، وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضأة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبى عثمان عن أبى موسى الأشعرى قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبراً ، وقال : لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا

---

(١) الآية : ١٤ من سورة طـه .

الله ، فقال رسول الله ﷺ : « اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ ، فسمعنى وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال : « يا عبد الله بن قيس » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى ، يا رسول الله ، فداك أبى وأمى ، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرحمن بن مل ، أبى عثمان النهدى ، عن أبى موسى الأشعرى ، والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ، فإن أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنى ـ قد أعطى ابن لقيم العبسى حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لقيم فى فتح خيبر :

رُميت نطاة من الرسول بفيلق ... شهباءَ ذات مناكبٍ وفقارِ[1]
واستيقنت بالذل لما شُيِّعتْ ... ورجال أسلم وسطهَا وغفارِ
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوةً ... والشق أظلم أهلهُ بنهارِ
جرَّت بأبطحها الذيولَ فلم تدعْ ... إلا الدجاجَ تصيح بالأسحارِ
ولكلِّ حصنٍ شاغلٌ من خيلهمْ ... من عبد الاشهل أو بنى النجارِ
ومهاجرين قدْ أعلموا سيماهمْ ... فوقَ المغافرِ لم يَنُوا لفرارِ
ولقد علمت لَيَغْلِبنَّ محمدٌ ... وليثوين بها إلى أصفارِ
فرّتْ يهودُ عند ذلك فى الوغى ... تحت العجاج غمائم الأبصارِ

---

(١) سماه فى الإصابة ، لقيم الدجاج ، وأورد له هذا البيت الأول هكذا :

رميت نطاه من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مناكب وفقار

ونطاة : حصن بخيبر ، وقيل : عين ماء بقرية منها ، وقيل : هو اسم لأرض خيبر . وقد تقدم ذكره .

فصــــــــل

فى ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة رضى الله عنهم على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغـــــازى

فمن خير المهاجرين : ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدى ، مولى بنى أمية ، وثقيف ابن عمرو ، ورفاعة بن مسروح ، حلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهبيب بن أُهيب بن سحيم بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم ، ومن الأنصار : بشر بن البراء بن معرور ، من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله ﷺ ، كما تقدم ، وفضيل بن النعمان السلميّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزرقى ، ومحمود بن مسلمة الأشهلى ، وأبو ضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمرى ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس بن الفائد (١) ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة ، وطلحة ، وعمارة بن عقبة ، رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، أصابه طرف سيفه فى ركبته فقتله رحمه الله ، كما تقدم ، والأسود الراعى . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته ، وقد أسلفناها فى أوائل الغزوة ، ولله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : وممن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة : مسعود ابن ربيعة ، حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ، ثم من بنى عمرو بن عوف : أوس ابن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

خبر الحجـــاج بن علاط البهزى رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما فتحت خيبر كلم رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى فقال : يا رسول الله إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة ـ وكانت عنده له منها معوض بن الحجاج ـ ومالا متفرقاً فى تجار أهل مكة ، فَأْذَنْ لى يا رسول الله ، فَأَذِنَ له ، فقال : إنه لا بدلى يا رسول الله من أن أقول ، قال : قل ، قال

---

(١) قال فى الإصابة : أوس بن فائد ، وقيل : ابن فاتك ، وقيل : ابن الفاتك . وفى الأصل الفارض .

الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط ـ قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى ـ عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون : إيه يا حجاج ؟ قال : قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقد قتل أصحابه قتـلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسراً ، قالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم ، قال : فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا : قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَمَ به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك ، قال : فقاموا فجمعوا لى ما كان لى كأحث جمع سمعت به ، قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وكان لى عندها مال موضوع ، فلعلى ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما جاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيم التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الذى جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم ، قال : قلت : فاستأخر حتى ألقاك على خلاء فإنى فى جمع مال لى ، كما ترى ، فانصرفْ حتى أفرغ ، قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ، ثلاثا ثم قل ما شئت ، قال : أفعل ، قلت : فإنى والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم ـ يعنى صفية بنت حيى ـ وقد افتتـح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه ، قال : ما تقول يا حجاج ؟ ! قال : قلت : أى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقا عليه من أن أغلب عليه ، فإن مضت ثلاث فأظهر أمرك والله على ما تحب ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلّق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال : كلا ، والله الذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر ونزول عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها وأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، فقالوا :

يا لعباد الله انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك : هكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر سمعت ثابتا يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط : يا رسول الله ﷺ إن لى بمكة مالا وإن لى بها أهلا ، وإنى أريد أن آتيهم ، أفأنا فى حل إن أنا نلتُ منك أو قلت شيئاً ؟ فأذنَ له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعى لى ما كان عندك فإنى أريد أشترى من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم ، قال : وفشى ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسروراً ، قال : وبلغ الخبر العباس فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم ، قال معمر : فأخبرنى عثمان الخزرجى عن مقسم قال : فأخذ ابنا يقال له : قثم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول :

حبى قثم شبه ذى الأنف الأشم بنى ذى النعم برغم من زعم

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى حجاج بن علاط فقال : ويلك ، ما جئت به وماذا تقول : فما وعد الله خير مما جئت به ، فقال حجاج بن علاط : اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له فَلْيَخْلُ لى فى بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على ما يسره ، فجاء غلامه ، فلما بلغ الدار قال : أبشر يا أبا الفضل ، قال : فوثب العباس فرحا حتى قَبَّلَ بين عينيه ، فأخبره ما قال حجاج فأعتقه ، قال : ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله فى أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيى واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجه أو نلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ، قال : ولكنى جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لى أن أقول ما شئت ، فَأَخْفِ علىّ ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك ، قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعته ودفعته إليه ثم انشمر به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال : ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا كذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل ، لقد شق علينا الذى بلغك ، قال : أجل لا يحزننى الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله صفية لنفسه ، فان كانت لك حاجة فى زوجك فالحقى به ، قالت : أظنك والله صادقاً ؟ قال : فإنى صادق والأمر على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون ، إذا مر بهم : لا يصيبك إلا

خير يا أبا الفضل ، قال : لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرنى الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألنى أن أخفى عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شىء هاهنا ثم ذهب ، قال : فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون ورد ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائى عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق به نحوه ، ورواه الحافظ البيهقى من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق ، ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه ، وكذلك ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، ومنهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول : يظهر الحليفان ويهود خيبر ، وكان الحجاج بن علاط السُّلمى ثم البهزى قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خيبر ، وكان تحته أم شيبة ، أخت عبد الدار بن قصى ، وكان الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له معادن أرض بنى سليم ، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خيبر استأذن الحجاج رسول الله ﷺ فى الذهاب إلى مكة ليجمع أمواله فأذن له نحو ما تقدم ، والله أعلم .

قال السهيلى رحمه الله : وروينا فى سبب إسلام الحجاج هذا أمراً عجيبا مع الجن ، قال : وهو والد نصر بن حجاج الذى نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة بسبب افتتان بعض جوارى المدينة ، وفيه تقول الفريعة بنت همام ، أم الحجاج بن يوسف الثقفى :

ألا سبيل إلى خمر فأشربها ... ولا سبيل إلى نصر بن حجاج

قال : فلما ذهب إلى الشام فهوى امرأة ابن الأسود السلمى وأضنى من حبها ، وكان يقال له : الضنى ، ومات بذلك . قال ابن اسحاق : ومما قيل من الشعر فى غزوة خيبر قول حسان :

بئس ما قاتلت خيابر عمّا ... جمعوا من مزارع ونخيلِ
كرهوا الموت فاستبيح حماهم ... وأقروا فعل الذميمِ الذليلِ
أمن الموت يهربون فإن المو ... تَ موت الهزالِ غير جميلِ

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى :

ونحن وردنا خيبراً وفروضَهُ … بكل فتى عارى الأشاجع مزودِ
جواد لدى الغاياتِ لا واهنَ القوى … جرىء على الأعداء فى كل مشهدِ
عظيم رماد القدر فى كل شتوة … ضروب بنصل المشرفى المهندِ
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادةً … من الله يرجوها وفوزاً بأحمدِ
يصدق بالأنباءِ بالغيب مُخلِصا … يريد بذاك العزّ والفوز فى غدِ
يذود ويحمى عن ذمار محمدٍ … ويدفع عنه باللسان وباليدِ
وينصره من كل أمر يريبهُ … يجود بنفسٍ دون نفس محمدِ

فصل فى مروره ﷺ بوادى القرى ومحاصرته قوما من اليهود ومصالحته يهود على ما ذكره الواقدى وغيره

قال الواقدى : حدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادى القرى وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامى قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له : مدعم ، فكان يرحل لرسول الله ﷺ ، فلما نزلنا بوادى القرى انتهينا إلى يهود وقدم إليها ناس من العرب ، فبينا مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ وقد استقبلتنا يهود بالرمى حين نزلنا ولم نكن على تعبية ، وهم يصيحون فى آطامهم ، فيقبل سهم عاثر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس : هنيئا له بالجنة ، فقال النبى ﷺ : « كلا ، والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين ، فقال النبى ﷺ : « شراك من نار ، أو شراكان من نار » ، وهذا الحديث فى الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبى الغيث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه .

قال الواقدى : فعبى رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم : إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله ، قال : فبرز رجل منهم فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه علىّ فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا كلما قتل منهم رجلا دعا من بقى

منهم إلى الإسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيراً وأقام رسول الله ﷺ بوادى القرى أربعة أيام فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل فى أيدى اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطىء به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادى القرى صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى لأنهما داخلتان فى أرض الشام ، ويرى أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز ، ومن رواء ذلك من الشام ، قال : ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادى القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدى : حدثنى يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة عن الحارث بن عبد الله بن كعب عن أم عمارة قالت : سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت : فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلى سبيلها ولم يهجر وضن بزوجته أن يفارقها ، وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله ﷺ فرأى ما يكره .

فصـــــــل

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع ، وقد ورد فى بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالهم ، وقال لهم النبى ﷺ : « نقركم ما شئنا » ، وفى السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمنهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم ، وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرنى أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ ، فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم فأُقرُّكم على ما أقركم الله » فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ،

وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفى الله نبيه ﷺ أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفى ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذى قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله أذن لى فى إجلائكم ، وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمعن فى جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتنى به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ .

قلت : قد ادعى يهود خيبر فى أزمان متأخرة بعد الثلثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله ﷺ فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغتر بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو على بن خيرون وهو كتاب مزور مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة فى كتاب مفرد ، وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب فى كتبهم كابن الصباغ فى مسائله ، والشيخ أبى حامد فى تعليقته ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تحركوا به بعد السبعمائة وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب فى كتبهم ، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفى آخره وكتبه على بن أبى طالب وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران ، وذكروا أنهم وفدوا حدود سنة تسع ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر ، قال : خرجت أنا والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فَعُدِى علىّ تحت الليل وأنا نائم على فراش ففدعت (١) يداى من مرفقى ، فلما استصرخت على صاحبىّ فأتيانى فسألانى : مَنْ صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، فأصلحا من يدى ثم قدما بى على عمر ، فقال : هذا عمل يهود خيبر . ثم قام فى الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عاملَ يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما

---

(١) الفدع محركة : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم إلى انسيها .

بلغكم ، مع عدوتهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به فإنى مخرج يهود ، فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذى بخيبر ، وقد كان وقفه فى سبيل الله ، وشرط فى الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ ، كما هو ثابت فى الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : جماع أبواب السرايا التى تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازى .

سرية أبى بكر الصديق إلى بنى فــــزارة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا إياس بن سلمة حدثنى أبى قال : خرجنا مع أبى بكر بن أبى قحافة وأمّره رسول الله ﷺ علينا فغزونا بنى فزارة ، فلما دنونا من المساء أمرنا أبو بكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مرَّ قبلنا ، قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو فى آثارهم فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل ، قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبى بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال : فنفلنى أبو بكر بنتها ، قال : فما كشف لها ثوبا حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوبا ، قال : فلقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال لى : « يا سلمة هب لى المرأة » قال : فقلت : والله يا رسول الله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوبا ، قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركنى ، حتى إذا كان من الغد لقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال : « يا سلمة هب لى المرأة » قال . فقلت : يا رسول الله والله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوبا ، قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركنى ، حتى إذا كان من الغد لقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال . « يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك » قال : قلت : يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهى لك يا رسول الله ، قال فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفى أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة . وقد رواه مسلم والبيهقى من حديث عكرمة بن عمار به .

سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة من أرض هوازن وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقى من طريق الواقدى بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثلاثين راكبا ومعه دليل من بنى هلال ، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعاً إلى المدينة ، فقيل له : هل لك فى قتال خثعم ؟ فقال إن رسول الله ﷺ لم يأمرنى إلا بقتال هوازن فى أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير (١) بن رزام اليهودى

ثم أورد من طريق إبراهيم بن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهرى أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة فى ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودى حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتى تبعهم فى ثلاثين رجلا مع كل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار ، وهى من خيبر على ستة أميال ، ندم يسير بن رزام فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى إذا استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يسير وفى يده مخراش من شوحط فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة ، وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين أحد ، وبصق رسول الله ﷺ فى شجة عبد الله بن رواحة فلم تِقحْ ولم تؤذه حتى مات .

ســـــــرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدى بإسناده أن رسول الله ﷺ بعث بشير بن سعد فى ثلاثين راكباً إلى بنى مرة من أرض فدك فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ

---

(١) وفى بعض السير وفى الإصابة : أُسَير بضم الهمزة وفتح السين المهملة .

صبراً عظيماً ، وقاتل قتالا شديداً ، ثم لجأ إلى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كر راجعاً إلى المدينة .

قال الواقدى : ثم بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة فذكر منهم : أسامة بن زيد . وأبا مسعود البدرى ، وكعب بن عجرة . ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك ، حليف بني مرة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سُقِط في يده وندم على ما فعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن بن إسحاق عن شيخ من بنى سلمة عن رجال من قومه أن رسول الله ﷺ بعث غالبَ بن عبد الله الكلبى إلى أرض بنى مرة فأصاب مرداس بن نهيك حليفا لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعنى مرداس بن نهيك - فلما شهرنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت : يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل ، قال : « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » فوالذى بعثه بالحق مازال يرددها علىّ حتى تمنيت أن ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى أسلمت يومئذ ولم أقتله ، فقلت : إنى أعطى الله عهداً أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً ، فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت : بعدك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم بن بشير أنبأنا حصين عن أبى ظبيان قال : سمعت أسامة بن زيد يحدث قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة ، قال : فصبحناهم ، وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، وإذا أدبروا كان حاميتهم ، قال : فغشيته أنا ورجل من الأنصار فلما تغشيناه قال : لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ » قال : فقلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل ، قال : فكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ ، وأخرجه البخارى ومسلم من حديث هشيم به نحوه .

وقال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهنى عن جندب ابن مكيث الجهنى قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب ليث ، إلى بنى الملوّح بالكديد وأمره أن يغير عليهم وكنت فى سريته ، فمضينا حتى إذا كنا

بالقـديد [1] لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثى فأخذناه فقال : إنى إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله ، إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك ، قال : فأوثقه رباطا وخلف عليه رويجلا أسود كان معنا وقال : امكث معه حتى نمر عليك فإن نازعك فاحتز رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكديد فنزلنا عشية بعد العصر ، فبعثنى أصحابى إليه فعمدت إلى تل يطلعنى على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآنى منبطحا على التل فقال لامرأته : إنى لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته فى أول النهار فانظرى لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت : والله ما أفقد منها شيئاً ، قال : فناولينى قوسى وسهمين من نبلى ، فناولته فرمانى فى جنبى أو قال : فى جبينى فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، ثم رمانى بالآخر فوضعه فى رأس منكبى فنزعته ولم أتحرك ، فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سهماى ولو كان ربيئة لتحرك ، فإذا أصبحتِ فابتغى سهمىّ فخذيهما لاتمضغهما على الكلاب ، قال : فأمهلنا حتى إذا راحت روائحهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ؛ شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به ، وخرج صريخ القوم إلى قومهم بقربنا ، قال : وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادى من قديد بعث الله من حيث شاء ماء ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالا ، وجاء بما لايقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجذبها أو نحدوها ـ شك النفيلى ـ فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها فى المسلك ، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما فى أيدينا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق وفى روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم ، وذكر الواقدى هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا ، ثم ذكر البيهقى من طريق الواقدى سرية بشير ابن سعد أيضا إلى ناحية خيبر فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعما كثيراً ، وكان بعثه فى هذه السرية بإشارة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حسيل بن نويرة وهو الذى كان دليل النبى ﷺ إلى خيبر ، قاله الواقدى .

---

(١) كذا فى الأصل والحلبية ، وهو اسم مكان قريب من مكة .

ســــــرية أبى حَدْرَد إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن اسحاق : كان من حديث قصة أبى حدرد وغزوته إلى الغابة ما حدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبى حدرد ، قال : تزوجت امرأة من قومى فأصدقتها مائتى درهم ، قال : فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحى ، فقـال : «كم أصدقت ؟ » فقلت : مائتى درهم ، فقال : « سبحان الله ، والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتم ، والله ما عندى ما أعينك به » فلبثت أياما ، ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية ، يقال له : رفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - فى بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم وشرف فى جشم ، قال : فدعانى رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقـال : «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلغوا على هذه » فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس ، فكمنت فى ناحية وأمرت صاحبىّ فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى العسكر فكبرا وشدا معى ، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً ، وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمـة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح فى ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله فى عنقة فقال : والله لأتيقنن أمر راعينا ولقد أصابه شر ، فقال نفر ممن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ، فقال : لا ، إلا أنا ، قالوا : نحن معك ، فقال : والله لا يتبعنى منكم أحد ، وخرج حتى مرَّ بى ، فلمـا أمكننى نفحتـه بسهم فوضعته فى فؤاده ، فوالله ما تكلم ، فوثبت إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددت ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباى وكبرا ، فوالله ما كان إلا النجا ممن كان فيه عنداء [1] بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم ، واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ ، وجئت برأسه أحمله معى ، فأعطانى من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً فى صداقى فجمعت إلىّ أهلى .

---

(١) كذا فى الأصول ، والذى فى ابن هشام : فوالله ماكان إلا النجاء ممن فيه عندك . . إلخ .

السرية التى قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبى حَدْرد عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم فى نفر من المسلمين منهم : أبو قتادة الحارث بن ربعى ، ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعى على قعود له معه متيع له ووطب من لبن ، فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشىء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر ، فنزل فينا القرآن ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلامَ لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعلمون خبيراً** ﴾ [١] هكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد ابن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد عن أبيه فذكره .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمرى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وعن جده ـ وكانا شهدا حنينا ـ قالا : فصلى رسول الله ﷺ صلاة الظهر ، فقام إلى ظل شجرة فقعد فيه ، فقام إليه عيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعى ، وهو سيد عامر ، فقال ﷺ : « هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائى ، فقام رجل من بنى ليث يقال له : ابن مكيتل وهو قصير من الرجال فقال : يا رسول الله ما أجد لهذا القتيل شبها فى غرة الإسلام إلا كغنم وردت فشربت [٢] أولاها فنفرت أخراها ، استن اليوم وغير غدا ، فقال رسول الله ﷺ : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن وخمسين إذا رجعنا المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محلم بن جثامة ائتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ ، قال : فجاء رجل طوال ضرب اللحم فى حلة قد تهيأ فيها للقتل ، فقام بين يدى رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ : « اللهم لا تغفر لمحلم » قالها ثلاثاً ، فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه .

---

(١) الآية : ٩٤ من سورة النساء .
(٢) فى ابن هشام : فرميت .

قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك ، وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى خالد الأحمر عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه ، والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة [1] عن أبيه وعن جده وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد وعن عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن إسحاق : حدثنى سالم أبو النضر أنه قال : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع ابن حابس فخلا بهم وقال : يا معشر قيس ، سألكم رسول الله ﷺ قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ فيغضب الله لغضبه ؟ ويلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم ؟لتسلمنّه إلى رسول الله ﷺ أو لآتين بخمسين من بنى تميم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ما صلى قط فلا يطلبن دمه ، فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية . وهذا منقطع معضل وقد روى ابن إسحاق عمن لا يتهم عن الحسن البصرى أن محلما لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له : « أمَّنته ثم قتلته ؟ » ثم دعا عليه ، قال الحسن : فوالله ما مكث محلم إلا سبعاً حتى مات فلفظته الأرض ، ثم دفنوه فلفظته الأرض ، ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله ﷺ فقال : « إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم لما أراكم منه » .

وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا جرير عن ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ محلم بن جثامة مبعثاً فلقيهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام ـ وكانت بينهم هنة فى الجاهلية ـ فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فتكلم فيه عيينة والأقرع فقال الأقرع : يا رسول الله ، سُنَّ اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائى ، فجاء محلم فى بردين فجلس بين يدى رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال رسول الله ﷺ : « لا غفر الله لك » فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له سابعة حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض ، فجاءوا النبى ﷺ فذكروا ذلك له فقال : « إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله

---

(١) كذا فى الأصل والخلاصة ، وفى ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه فى جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا** ﴾ (١) الآية . وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهرى ورواه شعيب عن الزهرى عن عبد الله بن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة إلا أنه لم يسم محلم بن جثامة ولا عامر بن الأضبط وكذلك رواه البيهقى عن الحسن البصرى بنحو هذه القصة ، وقال : وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا** ﴾ الآية .

قلت : وقد تكلمنا فى سبب نزول هذه الآية ومعناها فى التفسير بما فيه الكفاية ولله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حذافة السـهمى

ثبت فى الصحيحين من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن على بن أبى طالب قال : استعمل النبى ﷺ . رجلا من الأنصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال : فأغضبوه فى شىء فقال : اجمعوا لى حطباً فجمعوا ، فقال : أوقدوا ناراً فأوقدوا ، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا : بلى ، قال : فادخلوها ، قال : فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار ، قال : فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبى ﷺ ذكروا ذلك له فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة فى المعروف » وهذه القصة ثابتة أيضاً فى الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية فى التفسير ولله الحمد والمنة .

---

(١) الآية : ٩٤ من سورة النساء .

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

عمـــرة القضـــــــاء

ويقال : القصاص ورجحه السهيلى ، ويقال : عمرة القضية ، فالأولى قضاء عما كان أُحصر عام الحديبية والثانى من قوله تعالى : ﴿ والحرمات قِصَاص ﴾ (١) والثالث من المقاضاة التى كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتى فى العام القابل ولا يدخل مكة إلا فى جلبان (٢) السلاح وأن يقيم أكثر من ثلاثة أيام ، وهذه العمرة هى المـذكور فى قوله تعالى فى سورة الفتح المباركة ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتـدخلن المسجـد الحـرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصـرين لا تخـافـون ﴾ (٣) الأية وقد تكلمنا عليها مستقصى فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية وهى الموعود بها فى قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا»؟ قال : لا ، قال : « فإنـك آتيه ومـطوف به » وهى المشار إليها فى قول عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدى رسول الله ﷺ إلى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خلّوا بنـى الـكـفـار عن سبيلهِ ... اليومَ نضـربـكـمْ على تأويلهِ

كما ضربناكم على تنـــزيلهِ

أى هذا تأويل الرؤيا التى كان رآها رسول الله ﷺ جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة أقام بها شهرى ربيع وجماديْن ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك سراياه ، ثم خرج من ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الدؤلى ، ويقال لها : عمرة القصاص ، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست فاقتص رسول الله ﷺ منهم فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى

---

(١) الآية : ١٩٤ من سورة البقرة .

(٢) الجلبان : بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الأدم يوضع فيه السيف ، وقيل : القوس والسيف ونحوه .

(٣) الآية : ٢٧ من سورة الفتح .

صدوه فيه من سنة سبع ، بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى فى ذلك ﴿ والحرمات قصاص ﴾ [1] وقال معتمر بن سليمان عن أبيه فى مغازيه : لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذو القعدة فنادى فى الناس أن تجهزوا للعمرة فتجهزوا وخرجوا إلى مكة .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً فى عسر وجهد وشدة . قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن عباس قال : صفّوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : « رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها ، فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد ـ هو ابن زيد ـ عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب ، فأمرهم النبى ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ، قال أبو عبد الله : وزاد ابن سلمة ـ يعنى حماد بن سلمة ـ عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس ، قال : لما قدم النبى ﷺ لعامهم الذى استأمن قال : « أرملوا ليرى المشركون قوتكم » والمشركون من قبل قُعَيْقِعان ، ورواه مسلم عن أبى الربيع الزهرانى عن حماد بن زيد ، وأسند البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا إسماعيل بن أبى خالد سمع ابن أبى أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ ، وسيأتى بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

---

(١) الآية : ١٩٤ من سورة البقرة .

خلّوا بنى الكفارِ عن سبيلهِ ... خلّوا فكل الخير فى رسوله
يا ربِّ إنى مؤمن بقيلهِ ... أعرفُ حقَّ الله فى قبوله
نحن قتلناكم على تأويلهِ ... كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يُزيل الهامَ عن مقيلهِ ... ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم - يعنى يوم صفين - قاله السهيلى - قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقروا بالتنزيل ، وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، وفيما قاله ابن هشام نظر ، فإن الحافظ البيهقى روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس قال : لما دخل النبى ﷺ مكة فى عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ، وفى رواية : وهو آخذ بغرزه وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيلهِ ... قد نزّل الرحمٰنُ فى تنزيله
بأن خيرَ القتلِ فى سبيلهِ ... نحن قتلناكم على تأويله

وفى رواية بهذا الإسناد بعينه :

خلوا بنى الكفارِ عن سبيلهِ ... اليومَ نضربكم على تنزيلهِ
ضرباً يُزيل الهامَ عن مقيلهِ ... ويُذهِل الخليلَ عن خليلهِ
يا ربِّ إنى مؤمن بقيلــه

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم : أن رسول الله ﷺ دخل عام القضية مكة ، فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمحجنه. قال ابن هشام : من غير علة ، والمسلمون يشتدون حوله وعبد الله بن رواحة يقول :

باسم الذى لا دين إلا دينه ... باسم الذى محمد رسوله
خلوا بنى الكفار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحديبية معتمراً فى ذى القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذى صده المشركون فيه عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يأجج وضع الأداة كلها : الحجف والمجان والرماح والنبل ودخلوا بسلاح الراكب : السيوف ، وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبى طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس ، وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحارث فزوجها العباس رسول الله ﷺ ، فلما قدم رسول

الله ﷺ أمر الصحابه فقال : « اكشفوا عن المناكب واسعوا فى الطواف » ليرى المشركون جَلَدَهم وقوتَهم وكان يكايدهم بكل ما استطاع ، فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدى رسول الله ﷺ متوشحا بالسيف وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيلهْ ... أنا الشهيدُ أنه رسولهْ
قد أنزل الرحمن فى تنزيلهْ ... فى صحفٍ تُتلَى على رسولهْ
فاليوم نضربكم على تأويلهْ ... كما ضربناكم على تنزيلهْ
ضربا يزيل الهام عن مقيلهْ ... ويذهل الخليل عن خليلهْ

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ غيظاً وحنقاً ، ونفاسة وحسداً ، وخرجوا إلى الخندمة ، فقام رسول الله ﷺ بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ، ورسول الله ﷺ فى مجلس الأنصار يتحدث مع سعد ابن عبادة ، فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد بن عبادة : كذبت ، لا أم لك ، ليس بأرضك ولا بأرض آبائك ، والله لا يخرج ، ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلا وحويطباً فقال : « إنى قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا » فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون ، وخلّف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف فبنى عليها ثم أدلج فسار حتى أتى المدينة ، وقد قدَّر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى عليها رسول الله ﷺ ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل فى تلك العمرة ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ﴾ (١) فاعتمر رسول الله ﷺ فى الشهر الحرام الذى صُدّ فيه .

وقد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ، ففى صحيح البخارى من طريق فليح بن

---

(١) الآية : ١٩٤ من سورة البقرة .

سليمان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبُّوا ، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج . وقال الواقدى : حدثنى عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء ، وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل ، فى الشهر الذى صدهم فيه المشركون ، وقال أبو داود : حدثنا النفيلى حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن ميمون سمعت أبا حاضر الخميرى يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة وبعث معى رجالا من قومى بهدى ، قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال : فنحرت الهدى مكانى ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضى عمرتى فأتيت ابن عباس فسألته فقال : أَبْدِلِ الهدى ، فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدى الذى نحروا عام الحديبية فى عمرة القضاء ، تفرد به أبو داود من حديث أبى حاضر عثمان بن حاضر الحميرى عن ابن عباس فذكره .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى عمرو بن ميمون قال : كان أبى يسأل كثيراً هل كان رسول الله ﷺ أبدل هديه الذى نحر حين صده المشركون عن البيت ؟ ولا يجد فى ذلـك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر الحميرى عن ذلك فقال له : على الخبير سقـطت ، حججت عام ابن الـزبير فى الحصر الأول فأهديت هديا فحالوا بيننا وبين البيت ، فنحرت فى الحرم ورجعت إلى اليمن ، وقلت : لى برسول الله ﷺ أسوة ، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحرت عليّ بدله أم لا ؟ قال : نعم ، فأبدل ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدى الذى نحروا عام صدهم المشركون فأبدلوا ذلك فى عمرة القضاء ، فعزت الإبل عليهم فرخص لهم رسول الله ﷺ فى البقر .

وقال الواقدى : حدثنى غانم بن أبى غانم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : جعل رسول الله ﷺ ناجية بنَ جُنْدب الأسلمى على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعى فى الشجر معه أربعة فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله ﷺ فى عمرة القضية ستين بدنة ، فحدثنى محمد بن نعيم المجمر عن أبيه عن أبى هريرة قال : كنت مع صاحب

البدن أسوقها ، قال الواقدى : وسار رسول الله ﷺ يلبى والمسلمون معه يلبون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيل إلى مر الظهران فيجد بها نفراً من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة ؟ فقال هذا رسول الله ﷺ يصبّح هذا المنزل غدا ، إن شاء الله ، ورأوا سلاحا كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فأخبروهم بالذى رأوا من السلاح والخيل ، ففزعت قريش ، وقالوا : والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا وهدنتنا ، ففيم يغزونا محمد فى أصحابه ؟ ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران ، وقدم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرز بن حفص ابن الأحنف فى نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج ، ورسول الله ﷺ فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يامحمد ، ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر ، السيوف فى القرب ، فقال النبى ﷺ : « إنى لا أدخل عليهم السلاح » ، فقال مكرز ابن حفص : هذا الذى تُعْرَفُ به : البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة ، فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبى ﷺ خرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال وخلّوْا مكة وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه ، فأمر رسول الله ﷺ بالهدى أمامه حتى حبس بذى طوى ، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء ، وهم محدقون به يلبون ، وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة آخذ بزمامها وهو يرتجز بشعر ويقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله . . . . إلى آخره

وفى الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعنى من ذى القعدة سنة سبع - فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب ، فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ، قال الإمام أحمد : حدثنا محمد ابن الصباح حدثنا إسماعيل بن زكريا عن عبد الله بن عثمان عن أبى الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل مر الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشا تقول : ما يتباعثون من العجف ، فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحومه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة ، فقال : « لا تفعلوا ولكن اجمعوا لى من أزوادكم ، فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشى كل واحد منهم فى جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد وقعدت

قريش نحو الحجر ، فاضطبع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غميزة » فاستلم الركن ثم رمل ، حتى إذا تغيب بالركن اليمانى مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالمشى أما إنهم لينفرون نفر الظباء ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سُنَّةً ، قال أبو الطفيل : وأخبرنى ابن عباس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك فى حجة الوداع ، تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود : حدثنا أبو سلمة موسى حدثنا حماد - يعنى ابن سلمة - أنبأنا أبو عاصم الغنوى عن أبى الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك سُنَّة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا ، قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رمل رسول الله ﷺ ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قِبَل قعيقعان ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثا » قال : وليس بسنة ، وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريرى وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ثلاثتهم عن أبى الطفيل عامر بن واثلة عن ابن عباس به نحوه .

وكون الرمل فى الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله ﷺ رمل فى عمرة القضاء وفى عمرة الجعرانة ، أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبى الطفيل عن ابن عباس فذكره ، وثبت فى حديث جابر عند مسلم وغيره أنه ﷺ رمل فى حجة الوداع فى الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرملان وقد أطال الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ ، وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام ، وكان ابن عباس فى المشهور عنه لا يرى ذلك سنة ، كما ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال : إنما سعى النبى ﷺ بالبيت وبالصفا والمروة لِيُرِىَ المشركين قوته ، لفظ البخارى .

وقال الواقدى : لما قضى رسول الله ﷺ نسكه فى القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك ، فقال عكرمة ابن أبى جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول !! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذى أذهب أبى قبل أن يرى هذا ، وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم ، حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت ، وأما

سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم ، قال الحافظ البيهقى : قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقى من طريق الواقدى أن هذا كان فى عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان فى عام الفتح والله أعلم .

قصة تزويجه ﷺ بميمونة

قال ابن إسحاق : حدثنى أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك وهو حرام (١) وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة درهم ، وذكر السهيلى أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله ﷺ لها وهى راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ ، قال وفيها نزلت الآية ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ (٢) وقد روى البخارى من طريق أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم ، وبنى عليها وهو حلال ، وماتت بسرف ، قال البيهقى (٣) : وروى الدارقطنى من طريق أبى الأسود يتيم عروة ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ، قال : وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرما ، أى فى شهر حرام كما قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ... فدعا فلم أر مثله مخذولا

أى فى شهر حرام .

قلت : وفى هذا التأويل نظر ، لأن الرواية متضافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ولا سيما من قوله : تزوجها وهو محرم وبنى عليها وهو حلال ، وقد كان فى شهر ذى القعدة أيضا وهو شهر حرام .

---

(١) أى : وهو مُحْرِمٌ ﷺ [دار الغد] .

(٢) الآية : ٥ من سورة الأحزاب .

(٣) كذا فى المصرية والتيمورية وفى الحلبية السهيلى .

وقال محمد بن يحيى الذهلى : حدثنا عبد الرزاق قال : قال لى الثورى : لا يلتفت إلى قول أهل المدينة ، أخبرنى عمرو عن أبى الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج وهو محرم ، قال أبو عبد الله : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جمعاً عن عمرو عن أبى الشعثاء عن ابن عباس وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؟ قال : نعم ، أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا ـ يعنى باليمن ـ وأما حديث عمرو فحدثنا ثَمَّ ـ يعنى بمكة ـ وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به ، وفى صحيح البخارى من طريق الأوزاعى : أنبأنا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم ، فقال سعيد بن المسيب : وهم ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعدما أحل ، وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثنى بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته ، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فكان الحل والنكاح جميعاً فشبه ذلك على ابن عباس .

وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامرى عن خالته ، ميمونة ابنة الحارث ، قالت : تزوجنى رسول الله ﷺ ونحن حلان بسرف . لكن قال الترمذى : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلا أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة ، وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهانى الزاهد حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا مطر الوراق عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سليمان بن يسار عن أبى رافع قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال وبنى عليها وهو حلال وكنت الرسول بينهما وهكذا رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذى : حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلا ، ورواه سليمان بن بلالا عن ربيعة مرسلا .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ويقال : سنة ستين ، رضى الله عنها .

ذكر خروجه ﷺ من مكة بعد قضـــاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حويطب بن عبد العزى بعد مضى أربعة أيام ليرحل عنهم ، كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم ، وإنما أراد تأليفهم بذلك فأبوا عليه وقالوا : بل اخرج عنا ، فخرج ،

وكذلك ذكره ابن إسحاق ، وقال البخارى : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء قال : اعتمر النبى ﷺ فى ذى القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قالوا : لا نقر بهذا ، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله ، فقال : « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلى بن أبى طالب : « امح رسول الله » قال : لا والله ، لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح إلا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه . وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها ، فلما دخل ومضى الأجل أتوا عليًّا فقالوا : قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبى ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادى يا عمّ يا عمّ ، فتناولها علىّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك ، فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر ، فقال على : أنا أخذتها وهى ابنة عمى ، وقال جعفر : ابنة عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخى ، فقضى بها النبى ﷺ لخالتها وقال : « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلى : « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر : « أشبهت خَلْقى وخُلُقى » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » ، قال على : ألا تتزوج ابنة حمزة ؟ قال : « إنها ابنة أخى من الرضاعة » تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقد روى الواقدى قصة ابنة حمزة فقال : حدثنى ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب وأمها سلمى بنت عميس كانت بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كلم على بن أبى طالب رسول الله ﷺ فقال : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين ؟ فلم ينه النبى ﷺ عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلم زيد بن حارثة وكان وصى حمزة ، وكان النبى ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين والأنصار ، فقال : أنا أحق بها ، ابنة أخى ، فلما سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة وأنا أحق بها لمكان خالتها عندى أسماء بنت عميس ، وقال على : ألا أراكم تختصمون هى ابنة عمى وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين . وليس لكم إليها سبب دونى وأنا أحق بها منكم ، فقال النبى ﷺ : « أنا أحكم بينكم ، أما أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خَلْقِى وخُلُقى ، وأنت يا جعفر أولى بها ، تحتك خالتها ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها » فقضى بها لجعفر.
قال الواقدى : فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله ﷺ ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله كان النجاشى إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله ،

فقال للنبى ﷺ : تزوجها ، فقال : « ابنة أخى من الرضاعة » فزوجها رسول الله ﷺ سلمة بن أبى سلمة ، فكان النبى ﷺ يقول : « هل جُزِيتَ أبا سلمة » .

قلت : لأنه ذكر الواقدى وغيره أنه هو الذى زوج رسول الله ﷺ بأمه أم سلمة ، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبى سلمة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة ، وتولى المشركون تلك الحجة ، قال ابن هشام : وأنزل الله فى هذه العمرة ، فيما حدثنى أبو عبيدة ، قوله تعالى ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرُّؤيا بالحق لتدخلنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا** ﴾ [1] يعنى خيبر .

فصـــــــل

ذكر البيهقى هاهنا سرية ابن أبى العوجاء السلمى إلى بنى سليم ، ثم ساق بسنده عن الواقدى حدثنى محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهرى قال : لما رجع رسول الله ﷺ من عُمرة القضية رجع فى ذى الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبى العوجاء السلمى فى خمسين فارسا ، فخرج العين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيراً وجاءهم ابن أبى العوجاء والقوم معدون ، فلما أن رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم ، وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه ، فرموهم ساعة وجعلت الأمداد تأتى حتى أحدقوا بهم من كل جانب ، فقاتل القوم قتالا شديداً حتى قتل عامتهم ، وأصيب ابن أبى العوجاء بجراحات كثيرة فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقى معه من أصحابه فى أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصـــــــل

قال الواقدى : فى الحجة من هذه السنة ـ يعنى سنة سبع ـ رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبى العاص بن الربيع ، وقد قدمنا الكلام على ذلك ، وفيها قدم حاطب بن أبى بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلمتا فى الطريق ، وغلام خصى ، قال الواقدى : وفيها اتخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعدة ، قال : والثابت عندنا أنه عمل فى سنة ثمان .

---

(١) الآية : ٢٧ من سورة الفتح .

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

رب يَسِّـــرْ وأَعِنْ بحولك وقوتـــك

ســـنة ثمان من الهجـــرة النبـــوية

فصـــــــل

فى إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبى طلحة رضى الله عنهم وكان قدومهم فى أوائل ســـــنة ثمان

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبى رافع اليهودى وذلك فى سنة خمس من الهجرة ، وإنما ذكره الحافظ البيهقى هاهنا بعد عمرة القضاء ، فروى من طريق الواقدى أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أُحداً فنجوت ، ثم حضرت الخندق فنجوت ، قال : فقلت فى نفسى : كم أوضع ؟ والله لَيُظْهِرَنَّ محمداً على قريش ، فلحقت بمـالى بالرهط وأقللت من الناس ـ أى من لقائهم ـ فلما حضر الحـديبية ، وانصـرف رسول الله ﷺ فى الصلح ، ورجعت قريش إلى مكة ، جعلت أقول : يدخل محمد قابلا مكة بأصحابه ، ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج ، وأنا بعدُ ناءٍ عن الإسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم .

فقدمت مكة ، وجمعت رجالا من قومى ، وكانوا يرون رأيى ويسمعون منى ويقدموننى فيما نابهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ فقالوا : ذو رأينا ومُدْرَهُنا فى يُمْنِ نقيبة وبركة أمرٍ ، قال : قلت : تعلمون أنى ـ والله ـ لأرى أمر محمد أمراً يعلو الأمور عَلوًّا منكراً ، وإنى قد رأيت رأيا ، قالوا : وما هو ؟ قلت : نلحق بالنجاشى فنكون معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشى ، فإنا إن نكون تحت يد النجاشى أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا ، قالوا : هذا الرأى ، قال : قلت : فاجمعوا ما نهديه له ـ وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم ـ فجمعنا له أدما كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشى ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمرى ،

وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كتبه بزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان (١) ، فدخل عليه ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أمية الضمرى ولو قد دخلت على النجاشى فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سُرَّتْ قريش ، وكنت قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت على النجاشى فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى ، أهديت لى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدما كثيراً ، ثم قدمته فأعجبه وفرق منه شيئاً بين بطارقته وأمر بسائره ، فأدخل فى موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت : أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله ، فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراى فجعلت أتلقى الدم بثيابى ، فأصابنى من الذل ما لو انشقت بى الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت : أيها الملك ، لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك ، قال : فاستحيا وقال يا عمرو تسألنى أن أعطيك رسول مَنْ يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى والذى كان يأتى عيسى لتقتله ؟ .

قال عمرو : فغيّر الله قلبى عما كنت عليه ، وقلت فى نفسى : عرف هذا الحقَّ العربُ والعجمُ وتخالف أنت ، ثم قلت : أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال : نعم ، أشهد به عند الله يا عمرو ، فأطعنى واتبعه ، فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت : أتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده فبايعنى على الإسلام ، ثم دعا بطست فغسل عنى الدم وكسانى ثياباً ـ وكانت ثيابى قد امتلأت بالدم فألقيتها ـ ثم خرجت على أصحابى ، فلما رأوا كسوة النجاشى سروا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلمه فى أول مرة وقلت أعود إليه ، فقالوا : الرأى ما رأيت ، قال : ففارقتهم وكأنى أعمد إلى حاجة ، فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد شحنت تدفع ، قال : فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعبة ، وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مر الظهران .

---

(١) هكذا فى الأصل ، وفى ابن هشام : كان قد جاء فى شأن جعفر وأصحابه ، وفى السهيلى : أنه جاء بكتاب النبى ﷺ وكان فيه دعوته إلى الإسلام .

ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة ، فإذا رجلان قد سبقانى بغير كثير يريدان منزلا ، وأحدهما داخل فى الخيمة والآخر يمسك الراحلتين ، قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد ، قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ، دخل الناس فى الإسلام فلم يبق أحد به طعم ، و الله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع فى مغارتها ، قلت : و أنا والله قد أردت محمداً و أردت الإسلام ، فخرج عثمان بن طلحة فرحب بى فنزلنا جميعاً فى المنزل ، ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبى عتبة يصيح : يا رباح ، يا رباح ، يا رباح ، فتفاءلنا بقوله وسرنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقادة بعد هذين ، فظننت أنه يعنينى و يعنى خالد بن الوليد ، وولّى مدبراً إلى المسجد سريعا ، فظننت أنه بشر رسول الله ﷺ بقدومنا فكان كما ظننت .

وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطّلعنا عليه ، و إن لوجهه تهللاً و المسلمون حوله قد سروا بإسلامنا ، فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت ، فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفى حياء منه ، قال : فبايعته على أن يُغفَر لى ما تقدم من ذنبى ، لم يحضرنى ما تأخر ، فقال : « إن الإسلام يجب ما كان قبله ، و الهجرة تجب ما كان قبلها » قال : فوالله ما عدل بى رسول الله ﷺ و بخالد بن الوليد أحداً من أصحابه فى أمر حزبه منذ أسلمنا ، و لقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة ، و لقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، و كان عمر على خالد كالعاتب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدى : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب فقال : أخبرنى راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى عن مولاه حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبى حبيب عن راشد عن مولاه حبيب قال : حدثنى عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ما تقدم فى سنة خمس بعد مقتل أبى رافع ، وسياق الواقدى : أبسط وأحسن .

قال الواقدى عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن حبيب : وَقّت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنه قال : قبل الفتح ، قلت : فإن أبى أخبرنى أن عمراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان ، وسيأتى عند وفاة عمرو من صحيح مسلم ما يشهد لسياق إسلامه ، وكيفية حسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته ، وكيف

مات وهو يتأسف على ما كان منه فى مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضى الله عنه .

طريق إســـلام خالد بن الوليـــد

قال الواقدى : حدثنى يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعت أبى يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الإســلام وحضـرنى رشـدى ، فقلت : قد شهـدت هذه المـواطن كلهـا على محمد ﷺ ، فليس فى موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى فى نفسى أنى مُوضَعٌ فى غير شىء ، وأن محمداً سيظهر ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت فى خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله ﷺ فى أصحابه بعسفان ، فقمت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خيرة ـ فاطلع على مافى أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاةالخوف ، فوقع ذلك منا موقعا وقلت : الرجل ممنوع فاعتزلنا ، وعدل عن سنن خيلنا وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته بالرواح قلت فى نفسى ، أى شىء بقى ؟ أين أذهب ؟ إلى النجاشى ! فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون، فأخرج إلى هرقل فأخرج من دينى إلى نصرانية أو يهودية ، فأقيم فى عجم ، فأقيم فى دارى بمن بقى ، فأنا فى ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة فى عمرة القضية فتغيبت ولم أشهد دخوله .

وكـان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبى ﷺ فى عمرة القضية ، فطلبنى فلم يجدنى فكتب إلىّ كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ؛ فإنى لم أر أعجب من ذهـاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك! ومثل جهله الإسلام أحد؟ وقد سألنى رسول الله ﷺ عنك و قال : أين خالد ؟ فقلت : يأتى الله به ، فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ و لو كان جعل نكايته و جده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقـدمناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة ، قال : فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج و زادنى رغبة فى الإسلام وسـرنى سؤال رسول الله ﷺ عنى ، و أرى فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة مجدبة فخرجت فى بلاد خضراء واسعة ،فقلت : إن هذه لرؤيا ، فلما أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنها لأبى بكر ، فقال : مخرجك الذى هداك الله للإسلام ، و الضيق الذى كنت فيه من الشرك .

قال : فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت : مَنْ أُصاحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فلقيت صفوان بن أمية ، فقلت : يا أبا وهب ، أما ترى ما نحن فيه ، إنما نحن كأضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الإباء ، فقال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا ، فافترقنا وقلت : هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبى جهل ، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية ، فقال لى مثل ما قال صفوان بن أمية ، قلت : فاكتم علىّ ، قال : لا أذكره ، فخرجت إلى منزلى فأمرت براحلتى فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة ، فقلت : إن هذا لى صديق فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قُتِل من آبائه فكرهت أن أذكره ، وما علىّ وأنا راحل من ساعتى ، فذكرت له ما صار الأمر إليه ، فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ، وقلت له نحواً مما قلت لصاحبىّ فأسرع الإجابة ، وقلت له ، إنى غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو ، وهذه راحلتى بفج مناخة .

قال : فاتعدت أنا وهو يأجج ، إن سبقنى أقام وإن سبقته أقمت عليه ، قال : فأدلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة فنجد عمرو ابن العاص بها ، قال : مرحباً بالقوم ، فقلنا : وبك ، فقال : إلى أين مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكم؟ قلنا: الدخول فى الإسلام واتباع محمد ﷺ، قال: وذاك الذى أقدمنى ، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فأُخْبِر بنا رسول الله ﷺ فسرَّ بنا ، فلبست من صالح ثيابى ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقينى أخى ، فقال : أسرع فإن رسول الله ﷺ قد أُخْبِر بك فَسُرَّ بقدومك وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال يتبسم إلىّ حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق ، فقلت : إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : « تعال » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذى هداك ، قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » قلت : يا رسول الله ، إنى قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن معانداً للحق فادعُ الله أن يغفرها لى ، فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله » ، قلت : يا رسول الله ، على ذلك ، قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيل الله » قال خالد : وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ ، قال : وكان قدومنا فى صفر سنة ثمان ، قال : والله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بى أحداً من أصحابه فيما حزبه .

سـريـة شجاع بن وهب الأسدى إلى نفر من هوازن

قال الواقدى : حدثنى ابن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن عمر بن الحكم قال : بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب فى أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى جاءهم وهم غارون ، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا تمعنوا فى الطلب ، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا لكل رجل ، وزعم غيره أنهم أصابوا سبياً أيضاً وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة ، ثم قدم أهلوهم مسلمين فشاور النبى ﷺ أميرهم فى ردهن إليهم ، فقال : نعم ، فردوهن وخيّر الجارية التى عنده فاختارت المقام عنده ، وقد تكون هذه السرية هى المذكورة فيما رواه الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سرية قِبَل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال : فأصبنا إبلا كثيراً فبلغت سهامنا اثنىْ عشر بعيراً ونفلَنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً ، أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه .

وقال أبو داود : حدثنا هناد حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى نجد فخرجتُ فيها فأصبنا نعماً كثيراً فنفلَنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا اثنىْ عشر بعيراً بعد الخمس ، وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذى أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله .

سـريـة كعب بن عمير إلى بنى قضاعة من أرض الشام

قال الواقدى : حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهرى قال : بعث رسول الله ﷺ كعب ابن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيرا فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا ، فأُرتُثَّ [١] منهم رجل

---

(١) أى : حُمِل من المعركة جريحا وبه رمق [دار الغـد] .

جريح فى القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

غـــــــزوة مؤتة

وهى سرية زيد بن حارثة فى نحـــو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أطراف الشـــام

قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضية : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذى الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفراً وشهرى ربيع وبعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة ، فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ابن الـزبير قال : بعث رسـول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى من سنة ثمان واستعمـل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على النـاس ، فإن أصيب جعفـر فعبد الله بن رواحة على الناس » فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقـال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان عن عمرو بن الحكم عن أبيه قال : جاء النعمان بن فنحص اليهودى فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « زيد بن حارثة أمير الناس . فإن قتل زيد فجعفر بن أبى طالب ، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحـة ، فإن قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم » ، فقال النعمان : أبا القاسم ، إن كنت نبياً فلو سميت من سميت قليلا أو كثيراً لأصيبوا جميعاً ؛ إن الأنبياء فى بنى إسرائيل كانوا إذا سموا الرجل على القوم ، فقالوا : إن أصيب فلان ففلان ، فلو سموا مائة لأصيبوا جميعاً ، ثم جعل يقول لزيد : اعهد ، فإنك لا ترجع أبدا إن كان محمد نبياً ، فقال زيد : أشهد أنه نبى صادق بار ، ﷺ ، رواه البيهقى .

قال ابن إسحـاق : فلمـا حضـر خروجهم ودع النـاس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم ، فلما وُدِّعَ عبدُ الله بن رواحة مع من وُدِّعَ بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً** ﴾ (١)

---

(١) الآية : ٧١ من سورة مريم .

فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمٰنَ مغفرةً ... وضربةً ذاتَ فرغٍ تقذفُ الزبدا
أو طعنةً بيدى حران مُجْهِزَةً ... بحربةٍ تنفد الأحشاءَ والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جَدَثى ... أَرشدهُ الله من غازٍ وقد رشدا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودعه ثم قال :

فَثَبَّتَ الله ما آتاكَ من حُسْنٍ ... تثبيتَ موسى ونَصْرًا كالذى نُصِروا
إنى تفرستُ فيكَ الخيرَ نافلةً ... الله يعلمُ أنّى ثابتُ البصر
أنتَ الرسولُ فمن يحرم نوافلَهُ ... والوجه منه فقد أزرى به القدرُ (١)

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف ، قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرىء ودعته ... فى النخل خير مشيع وخليل

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو خالد الأحمر عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث إلى مؤتةَ فاستعمل زيدا ، فإن قتل زيد فجعفر فإن قتل جعفر فابن رواحة ، فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبى ﷺ فرآه ، فقال : « ما خلّفك ؟ » فقال : أُجَمِّعُ (١) معك ، قال ﷺ : « لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها » ، وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة ، قال : فقدم أصحابه ، وقال أتخلف فأصلى مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم ، قال : فلما صلى رسول ﷺ رآه ، فقال : « ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟ » فقال : أردت أن أصلى معك الجمعة ثم ألحقهم ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم » ، وهذا الحديث قد رواه الترمذى من حديث أبى معاوية عن الحجاج ـ وهو ابن أرطاة ـ ثم علله الترمذى بما حكاه عن شعبة أنه قال : لم يسمع الحكم عن مقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها .

---

(١) فى الشعر إقواء [دار الغد] .

(٢) أى : أشهد الجمعة [دار الغد] .

قلت : والحجاج بن أرطاة فى روايته نظر ، والله أعلم ، والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضى أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان فى يوم جمعة والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم ، وانضم إليه من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ، ثم أحد أراشة يقال له : مالك بن زافلة ، وفى رواية يونس عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآب فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون فى أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له ، قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم ، والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هى إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة ، قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

جلبنا الخيلَ منْ أجإ وفرع ... تَغُرُّ من الحشيش إلى العكومْ
حدوناها من الصوان سبتاً ... أزلّ كأنّ صفحتهُ أديم
أقامتْ ليلتين على معانٍ ... فأعقبَ بعدَ فترتها جموم
فرحنا والجياد مُسَوَّماتٌ ... تنفّس فى مناخرها سموم
فلا ، وأبى ، مآبَ لنأتينّها ... وإنْ كانت بها عَرَبٌ وروم
فعبَّأنا أعِنَّتَها فجاءت ... عوابسَ والغبارُ لها بريم
بذى لجب كأنّ البيضَ فيهِ ... إذا برزتْ قوانِسُها النجوم
فراضية المعيشةِ طلقتْها ... أسنتُنا (١) فَتُنْكَحُ أو تَئيم

قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال : كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره ،فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلتئذٍ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أدنيتنى وحملت رحلى ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحساءِ
فشأنك أنعم وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلى ورائى

---

(١) فى ابن هشام : أسنتها .

وجـاء الـمـسـلـمـون وغـادرونـى بأرض الشـام مستنهى (١) الثـواءِ
وردك كلُّ ذى نسـب قريبٍ إلى الـرحـمٰـن منقطعِ الإخـاءِ
هنـالـك لا أبـالـى طلْعَ بَعْـلٍ ولا نخـل أسـافـلهـا رواءِ

قال : فلما سمعتهن منه بكيت ، فخفقنى بالدرة وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل ؟ ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيد زيد اليعمـلات الـذبـلِ تطاول الـليل هديت فانـزلِ

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الـروم والعـرب بقـرية من قرى البلقـاء يقال لها : مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمـون إلى قرية يقـال لها : مؤتة ، فالتقى الناس عندها فتعبى لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصـار يقال له : عباية بن مالك . وقال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان عن المقبرى عن أبى هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصرى ، فقال لى ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة ؟ قلت : نعم ! قال : إنك لم تشهد بدراً معنا ، إنا لم ننصر بالكثرة ، رواه البيهقى .

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل ، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام ، وقال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراءَ ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حبَّذا الـجـنـة واقـترابُـهـا طيبـة وبـارد شرابُـهـا
والـروم روم قد دنـا عذابُـهـا كافـرةٌ بعيدةٌ أنـسـابُـهـا
علىّ إن لاقيتهـــا ضرابُها

(١) قال السهيلى : مستنهى الثواء مستفعل من النهاية والانتهاء ، أى حيث انتهى مثواه ، ومن رواه مشتهى الثواء (كما فى الأصل) أى : لا أريد رجوعا .

والحديث قد رواه أبو داود من حديث أبى إسحاق ولم يذكر الشعر ، وقد استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو ، كما يقول أبو حنيفة فى الأغنام : إذا لم تتبع فى السير ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تذبح وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك ، والله أعلم .

قال السهيلى : ولم ينكر أحد على جعفر ، فدل على جوازه إلا إذا أمن أخذ العدو له ، ولا يدخل ذلك فى النهى عن قتل الحيوان عبثا . قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين . قال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مرة بن عوف قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّهْ ... لتنزلنّ أو لتكرهنَّهْ
إنْ أجلبَ الناسُ وشدّوا الرنّهْ ... مالى أراك تكرهينَ الجنّهْ
قد طال ما قد كنتِ مطمئنّهْ ... هل أنتِ إلا نطفةٌ فى شنّهْ

وقال أيضاً :

يا نفسُ إنْ لا تُقْتَلى تموتى ... هذا حمام الموت قد صليتِ
وما تمنيتِ فقد أُعْطيتِ ... إن تفعلى فِعْلَهُما هُديتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً ، ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال : شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة . ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس فقال : وأنت فى الدنيا ؟ ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قُتِل رضى الله عنه . قال : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم ، أخو بنى العجلان . فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا :

أنت ، قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى [(١)] بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

قال ابن إسحٰق : ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنى ـ أخذ الراية زيد ابن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان فى عبد الله ابن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم قال : لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه ، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى ، هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعا ، وقد قال البخارى : حدثنا أحمد بن واقد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ، تفرد به البخارى ورواه فى موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : وما يسرهم أنهم عندنا .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن أبى بكر حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن المخزومى ، وليس بالحزامى ، عن عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر ، قال أمَّر رسول الله ﷺ فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال عبد الله : كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر ابن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى جسمه بضعاً وتسعين من ضربة ورمية ، تفرد به البخارى وقال البخارى ، أيضاً : حدثنا أحمد : حدثنا ابن وهب عن ابن عمرو عن أبى هلال ـ هو سعيد بن أبى هلال الليثى ـ قالا : وأخبرنى نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبى طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شىء فى دبره ، وهذا أيضاً من أفراد البخارى . ووجه الجمع بين هذه الرواية والتى قبلها أن ابن عمر اطلع على هذا العدد ، وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، أو أن هذه

---

(١) فى السهيلى : المخاشاة : المحاجزة وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم . ثم قال : ومن رواه : حاشى ، بالحاء المهملة ، فهو من الحشى ، وهى الناحية ، وقيل : حاشى بهم : انحاز بهم .

التى فى قبله أصيبها قبل أن يقتل ، فلما صرع إلى الأرض ضربوه أيضاً ضربات فى ظهره ، فعد ابن عمر ما كان فى قبله وهو فى وجوه الأعداء قبل أن يقتل رضى الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهى ممسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا عمر بن على عن إسمعيل بن أبى خالد عن عامر قال : كان ابن عمر إذا حيّا ابن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذى الجناحين . ورواه أيضا فى المناقب والنسائى من حديث يزيد بن هرٰون عن إسماعيل بن أبى خالد ، وقال البخارى : حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان بن إسماعيل عن قيس بن أبى حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية . ثم رواه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن إسماعيل حدثنى قيس سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت فى يدى صفيحة ، انفرد به البخارى ، قال الحافظ أبو بكر البيهقى : حدثنا أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو عمرو مطر حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصارى ، وكانت الأنصار تفقهه ، فغشيه الناس ، فغشيته فيمن غشيه ، فقال : حدثنا أبو قتادة ، فارس رسول الله ﷺ ، قال : بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال : عليكم زيد بن حارثة ، وقال : فإن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ما كنت أرغب أن تستعمل زيداً علىَّ ، قال : امض فإنك لا تدرى أى ذلك خير ، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فأمر فنودى : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله ﷺ فقال : أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً ، فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً ، شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيدا ، فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد ابن الوليد ولم يكن من الأمراء ، هو أمَّر نفسه ، ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمى خالد : سيف الله ، ورواه النسائى من حديث عبد الله بن المبارك عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو أنه ﷺ لما اجتمع إليه الناس قال : باب خير وذكر الحديث .

وقال الواقدى حدثنى عبد الجبار بن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو ابن حزم ، قال : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف الله له

ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معتركهم ، فقال : أخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبّب إليه الحياة وكرّه إليه الموت ، وحبّب إليه الدنيا ، فقال : آلان حين استحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين تحبب إلىّ الدنيا ، فمضى قدما حتى استشهد ، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال : استغفروا له فقد دخل الجنة وهو شهيد قال الواقدى : وحدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال : لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبى طالب فجاءه الشيطان فحبّب إليه الحياة وكرّه إليه الموت ومنّاه الدنيا فقال : آلان حين استحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين يمنينى الدنيا ، ثم مضى قدما حتى استشهد فصلى ﷺ وقال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة ، وهو يطير فى الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء فى الجنة ، قال : ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضاً ، فشق ذلك على الأنصار ، فقيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة ، فَسُرِّىَ عن قومه . قال الواقدى : وحدثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله ﷺ : الآن حمى الوطيس . قال الواقدى : فحدثنى العطاف بن خالد قال : لما قُتِل ابن رواحة مساءً بات خالد بن الوليد فلما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة ، قال : فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا : قد جاءهم مدد ، فرُعِبوا وانكشفوا منهزمين ، قال : فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم .

وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة ، رحمه الله ، فى مغازيه فإنه قال بعد عمرة الحديبية : ثم صدر رسول الله ﷺ إلى المدينة فمكث بها ستة أشهر ، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة وأَمَّرَ عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب فجعفر بن أبى طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبى سبرة الغسانى بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فأغلق ابن أبى سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا على زرع أحمر ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزومى فهزم الله العدو وأظهر المسلمين ، قال : وبعثهم رسول الله ﷺ فى جمادى الأولى ـ يعنى من سنة ثمان ـ قال موسى بن عقبة : وزعموا أن رسول الله ﷺ قال : مرَّ علىَّ جعفر فى الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان ، قال : وزعموا ـ والله أعلم ـ أن

يعلى بن أمية قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة فقال رسول الله ﷺ : إن شئت فأخبرنى وإن شئت أخبرك ، قال : أخبرنى يا رسول الله ، قال : فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال : والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله رفع لى الأرض حتى رأيت معتركهم » .

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق وفيه مخالفة لما ذكره ابن اسحاق من أن خالداً إنما حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط ، وموسى بن عقبة والواقدى مصرحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتحْ الله على يديه » . رواه البخارى وهذا هو الذى رجحه ومال إليه الحافظ البيهقى بعد حكاية القولين لما ذكرناه من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين وهو أن خالداً لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدى الكافرين ومن الروم والمستعربة ، فلما أصبح وحوّل الجيش ميمنة وميسرة مقدمة وساقة ، كما ذكره الواقدى ، توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله ، والله أعلم .

وقد قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر عن عروة قال : لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن جعفر ، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه ، فجعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرّار ، فررتم فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل » وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة ، وعندى أن ابن إسحاق قد وهم فى هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نُصِروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين وهو على المنبر فى قوله : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فرارا بعد ذلك ، وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحثى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا يزيد بن أبى زياد عن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنت فى سرية من سرايا رسول

الله ﷺ فحـاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة لقتلنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ ، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : من القوم ؟ قال : قلنا : نحن الفرارون ، فقال : لا ، بل أنتم الكرارون ، أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين ، قال : فأتيناه حتى قبلنا يده ، ثم رواه غندر عن شعبة عن يزيد بن أبى زيادة عن ابن أبى ليلى عن ابن عمر قال : كنا فى سرية ففررنا فأردنا أن نركب البحر فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، نحن الفرارون ، فقال : لا ، بل أنتم العكارون ، ورواه أبو داودوالترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن أبى زياد . وقال الترمذى : حسن ، لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى وأسود بن عامر قالا : حدثنا شريك عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية ، فلما لقينا العدو انهزمنا فى أول غادية ، فقدمنا المدينة فى نفر ليلا ، فاختفينا ثم قلنا : لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه ، فخرجنا إليه ، فلما لقيناه قلنا : نحن الفرارون يا رسول الله ، قال : « بل أنتم العكارون وأنا فئتكم » ، قال الأسود : « وأنا فئة كل مسلم » وقال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن عامر بن عبد الله ابن الزبير أن أم سلمة ، زوج النبى ﷺ ، قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت : ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس : يا فرار ، فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته ما يخرج ، وكان فى غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع الروم وكانوا على أكثر من أضعاف الأضعاف ، فإنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان العدو على ما ذكروه مائتى ألف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدى أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، كما ذكره الواقدى وموسى بن عقبة من قبله ، ومما يؤيد ذلك أيضاً ويزيده قوة ويشهد له بالصحة ما رواه الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعى قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين فى غزوة مؤتة ، ورافقنى مددى من اليمن ليس معه غير سيفه فنحر رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددى طابقة من جلده فأعطاه إياه فاتخذه كهيئة الدرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم

وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومى يغرى بالمسلمين ، وقعد له المددى خلف صخرة فمر به الرومى فعرقبه فخر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد يأخذ منه السلب ، قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد ، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكنى استكثرته ، فقلت : لتردنه إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ ، فأبى أن يرده عليه ، قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المددى وما فعل خالد فقال رسول الله ﷺ : « يا خالد رُدّ عليه ماأخذت منه » قال عوف : فقلت دونك يا خالد ، ألم أفِ لك ؟ فقال رسول الله : « وما ذاك ؟ » فأخبرته فغضب رسول الله ﷺ وقال : « يا خالد لا ترد عليه ، هل أنتم تاركو أمرائى ، لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » .

قال الوليد : سألت ثوراً عن هذا الحديث فحدثنى عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عوف بنحوه . ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه ، وهذا يقتضى أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدم فيما رواه البخارى أن خالداً رضى الله عنه قال : اندقت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت فى يدى إلا صفيحة يمانية ، وهذا يقتضى أنهم أثخنوا فيهم قتلا ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدى والبيهقى وحكاه ابن هشام عن الزهرى ، قال البيهقى رحمه الله : إنه اختلف أهل المغازى فى فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا ، قال : وحديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق أن قطبة بن قتادة العذرى ـ وكان رأس ميمنة المسلمين ـ حمل على مالك بن زافلة ، ويقال : رافلة ، وهو أمير أعراب النصارى فقتله ، وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابنَ زافلة بن الأراش ... برمحٍ مضى فيه ثم انحطمْ
ضربتُ على جيدِهِ ضربةً ... فمال كما مال غُصْنُ السلمْ
وسُقْنا نساءَ بنى عمِّهِ ... غداة رقوقين سوق النعمْ

وهذا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرح

في شعره بأنهم سَبَوْا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه والله أعلم ، وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلص من أيدى الروم وسمى هذا نصراً وفتحاً ، أى باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، وكأن مقتضى العادة أن يصطلموا بالكلية ، فلما تخلصوا منهم وانحازوا منهم كان هذا غاية المرام فى هذا المقام ، وهذا محتمل لكنه خلاف الظاهر من قوله ﷺ : « ففتح الله عليهم » والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال : وقد قال ، فيما كان من أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم، قيس بن المحسر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس ، يقول :

فوالله لا تَنْفَكُّ نفسي تلومنى ... على موقفى والخيلُ قابعةٌ قبلُ
وقفتُ بها لا مستجيزاً فنافذا ... ولا مانعاً من كان حُمّ له القتلُ
على أننى آسيتُ نفسى بخالدٍ ... ألا خالدٌ فى القوم ليس له مثلُ
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر ... بمؤتة إذ لا ينفع النابلَ النبلُ
وضم إلينا حَجْزتيهم كليْهما ... مهاجرة لا مشركون ولا عزلُ

قال ابن إسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه ، قال ابن هشام : وأما الزهرى فقال ـ فيما بلغنا عنه ـ أمّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة .

فصل

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر ابنة محمد بن جعفر بن أبى طالب عن أسماء بنت عميس قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علىّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناً وعجنت عجينى و غسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم ، فقال رسول الله ﷺ « ائتنى ببنى جعفر » فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله بأبى أنت و أمى ما يبكيك ، أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم ، أصيبوا هذا اليوم » قالت : فقمت أصيح ، واجتمع إلىّ النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « لاتغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ورواه

ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبى بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان حدثنا جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : لما جاء نعى جعفر حين قتل قال النبى ﷺ « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم أمر يشغلهم » وهكذا رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة المخزومى المكى عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، وقال الترمذى : حسن ، ثم قال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : لما أتى نعى جعفر عرفنا فى وجه رسول الله ﷺ الحزن ، قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله إن النساء عنيننا وفتننا ، قال : « ارجع إليهن فأسكتهن » قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت : يقول وربما ضر التكلف ـ يعنى أهله ـ قالت : قال : « فاذهب فأسكتهن فإن أبين فاحثوا فى أفواههن التراب » قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ، فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ ، قالت وعرفت أنه لا يقدر يحثى فى أفواههن التراب ، انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه وليس فى شىء من الكتب .

وقال البخارى حدثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرتنى عمرة قالت : سمعت عائشة تقول : لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله ﷺ يعرف فى وجهة الحزن ، قالت عائشة : وأنا أطلع من صاير الباب ـ شق ـ فأتاه رجل فقال : أى رسول الله ، إن نساء جعفر ، وذكر بكاءهن ، فأمره أن ينهاهن قالت : فذهب الرجل ثم أتى فقال : والله لقد غلبتنا ، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال : « فاحث فى أفواهن من التراب » قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : أرغم الله أنفك ، فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله ﷺ من العناء ، وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عمرة عنها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى سمعت محمد بن أبى يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ جيشا استعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه ، و أتى خبرهم النبى ﷺ فخرج إلى الناس

فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبى طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه » قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخى بعد اليوم ، ادعوا لى بنى أخى » قال : فجىء بنا كأننا أفرخ ، فقال : « ادعوا لى الحلاق » فجىء بالحلاق فحلق رءوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيه عمنا أبى طالب ، وأما عبد الله فشبيه خلقى وخُلقى » ثم أخذ بيدى فأشالها وقال : « اللهم أخلف جعفرا فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات ، قال : فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تُفرح [١] له فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة ؟ » .

ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائى فى السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به ، وهذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم فى البكاء ثلاثة أيام ثم نهاهم عنه بعدها ، ولعله معنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله بن شداد عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها لما أصيب جعفر : « تسلبى ثلاثا ثم اصنعى ما شئت » تفرد به أحمد ، فيحتمل أنه أذن لها فى التسلب ، وهو المبالغة فى البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر ، أبى أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة فى الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الإحداد المعتاد ، والله أعلم ، ويروى تسلى ثلاثا ـ أى تصبرى ثلاثا ـ وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا محمد بن طلحة حدثنا الحكم ابن عيينة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس قالت : دخل رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال لا تُحدى بعد يومك هذا ، فإنه من أفراد أحمد أيضا ، وإسناده لا بأس به ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره ، لأنه قد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر و عشراً » فإن كان ما رواه الإمام أحمد محفوظا فتكون

---

(١) فى النهاية تفسيرا لهذا الخبر فهو من أفرحه إذا غمه وأزال عنه الفرح (ثم قال) : وإن كان بالجيم فهو من المفرج الذى لاعشيرة له حتى قال لها النبى ﷺ : أتخافين العيلة وأنا وليهم .

مخصوصة بذلك ، أو هـو أمر بالمبالغة فى الإحداد هذه الثلاثة أيام ، كما تقدم والله أعلم .

قلت : وَرَثَتْ أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فآليت لا تنفـكُّ نفسى حزينـةً عليك و لاينفـكُّ جلدى أغـبـرا
فلله عينـاً من رأى مثـله فتـى أكـر وأحمـى فى الـهياج وأصبـرا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها فخطبها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فتزوجها فأولم ، وجاء الناس للوليمة فكان فيهم على بن أبى طالب ، فلما ذهب الناس استأذن علىٌّ أبا بكر ، رضى الله عنهما ، فى أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها ، فقال لها على :ـ على وجه البسط ـ من القائلة فى شعرها :

فآليت لا تنفـك نفسى حزينـة عليك ولا ينفـك جلدى أغبـرا؟

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن فإنك امرؤ فيك دعابة ، فولدت للصديق محمد بن أبى بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله ﷺ ذاهب إلى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتُهلّ وسيأتى فى موضعه ، ثم لما توفى الصديق تزوجها بعده على بن أبى طالب وولدت له أولاداً رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقـاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن جعفر » فأتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقـولـون : يافرار، فررتم فى سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله ﷺ «ليسوا بالفرار، ولكنهم الكـرار إن شاء الله » وهذا مرسل . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عاصم عن مؤرق العجلى عن عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته ، وأنه قدم من سفر فسبق بى إليه ، قال : فحملنى بين يديه ثم قال : جىء بأحد بنى فاطمة إما حسن وإما حسين ، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة . وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عاصم الأحـول عن مؤرق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح بن جريج ، حدثنا خالد بن سارة أن أباه عبد الله بن جعفر ، قال : لو رأيتنى وقثما وعبيد الله ابنىْ العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبى ﷺ على دابة فقال : « ارفعوا هذا إلىّ » فحملنى أمامه وقال لقثم : « ارفعوا هذا إلىّ » فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قثم فما استحيا من عمه أن حمل قثما وتركه ، قال : ثم مسح على رأسه ثلاثا وقال كلما مسح : « اللهم اخلف جعفراً فى ولده » قال : قلت لعبد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد ، قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير ؟ قال : أجل . ورواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جريج به . [وهذا كان بعد الفتح فإن العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح ، فأما الحديث فرواه الإمام أحمد ، حدثنا إسماعيل حدثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن أبى مليكة قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك وبهذا اللفظ أخرجه البخارى ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد ، وهذا يعد من الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه والله أعلم] (١) .

فصـــــــل

فى فضل هؤلاء الأمـــــراء الثلاثة

زيد وجعفر وعبد الله رضى الله عنهم

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ابن رفيدة بن ثور بن كلب بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبى القضاعى ، فهو مولى رسول الله ﷺ ، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، وقيل : اشتراه رسول الله ﷺ لها فوُهبته من رسول الله ﷺ قبل النبوة ، فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه ، فكان يقال له : زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبه حبًّا شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم** ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند**

---

(١) ما بين المربعين لم يرد فى التيمورية .

(٢) الآية : ٤ من سورة الأحزاب .

الله ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ (٣) الآية ، أجمعوا أن هذة الآيات أنزلت فيه ، ومعنى أنعم الله عليه أى بالاسلام ، وأنعمت عليه أى بالعتق ، وقد تكلمنا عليها فى التفسير .

والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة فى القرآن غيره ، وهداه إلى الإسلام وأعتقه رسول الله ﷺ وزوجه مولاته أم أيمن ، واسمها بركة ، فولدت له أسامة ابن زيد ، فكان يقال له : الحب ابن الحب ، ثم زوجه بابنة عمته ، زينب بنت جحش ، وآخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب ، وقدمه فى الإمرة على ابن عمه جعفر بن أبى طالب يوم مؤتة كما ذكرناه ، وقد قال الإمام أحمد والإمام الحافظ أبو بكر ابن أبى شيبة ـ وهذا لفظه ـ حدثنا محمد بن عبيد عن وائل بن داود سمعت البهى يحدث أن عائشة كانت تقول : ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فى سرية إلا أمّره عليهم ، ولو بقى بعد لاستخلفه ، ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان عن محمد بن عبيد الطنافسى به ، وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ، وهو غريب جداً والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان حدثنا إسماعيل أخبرنى ابن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس فى إمرته ، فقام رسول الله ﷺ فقال : « إن تطعنوا فى إمرته فقد كنتم تطعنون فى إمرأة أبيه من قبل ، وآيم الله إن كان لخليقا للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلىّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » وأخرجاه فى الصحيحين عن قتيبة عن إسماعيل ـ هو ابن جعفر بن أبى كثير المدنى ـ عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره ، ورواه البخارى من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه ، ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمر بن إسماعيل عن مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت : لما أصيب زيد بن حارثة وجىء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدى رسول

---

(١) الآية : ٥ من سورة الأحزاب .
(٢) الآية : ٣٨ من سورة الأحزاب .
(٣) الآية : ٣٧ من سورة الأحزاب .

الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فأخّر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه ، فقال : « ألاقى منك اليوم ما لقيت منك أمس » وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم ، وقد تقدم فى الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو ﷺ فوق المنبر جعل يقول : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » قال : و إن عينيه لتذرفان ، وقال : وما يسرهم أنهم عندنا ، وفى الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة ، وقد قال حسان بن ثابت يرثى زيد بن حارثة وابن رواحة :

عين جودى بدمعك المنزورِ ... واذكرى فى الرخاء أهلَ القبورِ
واذكرى مؤتةَ وما كان فيها ... يومَ راحوا فى وقعةِ التغوير
حين راحوا وغادروا ثم زيداً ... نِعْمَ مأوى الضريك والمأسورِ
حِبّ خير الأنام طراً جميعا ... سيد الناس حبّه فى الصدور
ذاكم أحمد الذى لاسواه ... ذاك حزنى له معاً وسرورى
إن زيداً قد كان منا بأمرٍ ... ليس أمر المكذّب المغرورِ
ثم جودى للخزرجى بدمعٍ ... سيداً كان ثمّ غيرَ نزورِ
قد أتانا من قتلهم ما كفانا ... فبحزنٍ نبيتُ غيرَ سرورِ

وأما جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله ﷺ وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك فى هجرة الحبشة ولله الحمد ، وقد قدم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال ﷺ : « ما أدرى أنا بأيهما أُسَرُّ ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر ؟ » وقام إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية : « أشبهت خَلقى وخُلقى » فيقال : إنه حجل عند ذلك فرحاً ، كما تقدم فى موضعه ولله الحمد والمنة ، ولما بعثه إلى مؤتة جعل فى الإمرة مصلياً ـ أى نائباً ـ لزيد بن حارثة ، ولما قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو فى ذلك كله مقبل غير مدبر ، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء ، فلما فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك ، فيقال : إن رجلا من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين رضى الله عن جعفر ولعن قاتله ، وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد ، فهو ممن يقطع له بالجنة ، وجاء بالأحاديث تسميته بذى الجناحين .

وروى البخارى عن ابن عمر أنه كان إذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا بن ذى الجناحين ، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح مافى الصحيح عن ابن عمر ، قالوا : لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة ، وقد تقدم بعض ما روى فى ذلك ، قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن حجر ، حدثنا عبد الله بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت جعفراً يطير فى الجنة مع الملائكة » وتقدم فى حديث أنه رضى الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، وقال ابن الأثير فى أُسْدِ الغابة : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين ، قال : وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل : إنه كان أسن من علىّ بعشر سنين يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين ، على المشهور، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرين سنة ويوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة والله أعلم ، وقد كان يقال لجعفر بعد قتله : الطيار لما ذكرنا ، وكان كريما جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد : وحدثنا عفان بن وهيب ، حدثنا خالد عن عكرمة عن أبى هريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب ، وهذا إسناد جيد إلى أبى هريرة وكأنه إنما يفضله فى الكرم ، فأما فى الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، وأما أخوه على رضى الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو علىّ أفضل منه ، وإنما أراد أبو هريرة تفضيله فى الكرم بدليل ما رواه البخارى ، حدثنا أحمد بن أبى بكر ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن دينار ، أبو عبد الله الجهنى ، عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، أن الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة ، وإنى كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطنى خبزا ، لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمنى فلان ولا فلانة ، وكنت ألصق بطنى بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لأستقرىء الرجل الآية هى معى كى ينقلب بى فيطعمنى ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبى طالب ، وكان ينقلب فيطعمنا ما كان فى بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العُكة التى ليس فيها شىء فنشقها فنلعق ما فيها ، تفرد به البخارى ، وقال حسان بن ثابت يرثى جعفراً :

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر ... حبُّ النبى على البريةِ كلِّها
ولقد جزعتُ وقلتُ حين نُعيتَ لى ... مَنْ للجلاد لدى العقابِ وظلِّها

بالبيض حين تُسَلُّ من أغمادها ضربا وإنهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر خير البرية كلّها وأجلها
رزءاً وأكرمها جميعا محتداً وأعزها متظلّما وأذلها
للحق حين ينوبُ غير تنحل كذباً وأنداها يداً وأقلها
فُحشاً وأكثرها إذا ما يجتدى فضلا وأنداها يداً وأبلها
بالعرف غير محمد لامثله حيٌّ من احياء البرية كلها

وأما ابن رواحة فهو : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، أبو محمد ، ويقال : أبو رواحة ، ويقال : أبو عمرو الأنصارى الخزرجى ، وهو خال النعمان بن بشير ، أخته عمرة بنت رواحة ، أسلم قديما وشهد العقبة وكان أحد النقباء ليلتئذ لبنى الحارث بن الخزرج ، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والحديبية وخيبر ، وكان يبعثه [1] على خرصها ، كما قدمنا ، وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ وقيل بغرزها - يعنى الركاب - وهو يقول :

* خلوا بنى الكفار عن سبيله *

الأبيات كما تقدم ، وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة ، كما تقدم ، وقد شجع المسلمين للقاء الروم حين اشتَوَروا فى ذلك وشجع نفسه أيضا حتى نزل بعدما قتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ، فهو ممن يقطع له بدخول الجنة ، ويروى أنه لما أنشد النبى ﷺ شعره حين ودعه الذى يقول فيه :

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

قال له رسول الله ﷺ : « وأنت فثبتك الله » قال هشام بن عروة : فثبته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنة ، وروى حماد بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » ، فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » . وقال البخارى فى صحيحه : و قال ابن معاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة . وقد ورد الحديث المرفوع فى ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد عن عمارة عن زيادة النحوى عن أنس ،

---

(١) أى : يبعثه رسول الله ﷺ [دار الغد] .

قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقى الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال : يا رسول الله ، ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ؟ فقال النبى ﷺ : « رحم الله ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » وهذا حديث غريب جداً .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى نؤمن ساعة ، قال : أولسنا بمؤمنين ؟ قال : بلى ولكنا نذكر الله فنزداد إيماناً ، وقد روى الحافظ أبو القاسم اللاكائى (١) من حديث أبى اليمان عن صفوان بن سليم عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا نؤمن ساعة فنجلس فى مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين ، وقد استقصينا الكلام على ذلك فى أول شرح البخارى ولله الحمد والمنة . وفى صحيح البخارى عن أبى الدرداء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فى حر شديد وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، ومما نقله البخارى من شعره فى رسول الله ﷺ :

وفينا رسول الله نتلو كتابَهُ ... إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطعُ
يبيت يجافى جنبَهُ عن فراشِهِ ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ
أتى بالهُدَى بعد العمى فقلوبُنا ... به موقنات أن ما قال واقعُ

وقال البخارى : حدثنا عمران بن ميسرة ، حدثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان بن بشير ، قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى : واجبلاه واكذا واكذا ، تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ماقلتِ شيئا إلا قيل لى : أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ، حدثنا خيثمة عن حصين عن الشعبى عن النعمان بن بشير ، قال : أغمى على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه ، وقد قدمنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره . وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضى الله عنهم :

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى الحلبية : اللاكانى ، والمحفوظ : اللالكائى .

كفى حزناً أنّى رجعتُ وجعفرٌ ... وزيدٌ وعبدُ الله فى رَمْسِ أَقْبُرِ
قضوا نحبهم لمّا مضوْا لسبيلهم ... وخُلِّفْتُ للبلوى مع المتغيِّرِ

وسيأتى إن شاء الله تعالى بقية ما رثى به الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت وكعب ابن مالك رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصل فى ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين

فمن المهاجرين : جعفر بن أبى طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبى ، ومسعود ابن الأسود بن حارثة بن نضلة العدوى ، ووهب بن سعد بن أبى سرح ، فهؤلاء أربعة نفر . ومن الأنصار : عبد الله بن رواحة ، وعباد بن قيس ، الخزرجيان ، والحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة النجارى ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازنى ، أربعة نفر ، فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية على ما ذكره ابن إسحاق ، لكن قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهرى أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المزنيان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى ، فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً ، فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلا ، وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان فى الدين أحدهما وهو الفئة التى تقاتل فى سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، والأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل ، ومن الروم مائة ألف ومن نصارى العرب مائة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلا ، وقد قتل من المشركين خلق كثير ، هذا خالد وحده يقول : لقد اندقت فى يدى يومئذ تسعة أسياف وما صبرت فى يدى إلا صفيحة يمانية ، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها ؟ دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكموا فى عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن فى ذلك الزمان وفى كل أوان ، وهذا مما يدخل فى قوله تعالى : **﴿ قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليْهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾** (١) .

---

(١) الآية ١٣ من سورة آل عمران .

حديث فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السـرية (١)

وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم ، قال الإمام العالم الحافظ أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازى ، نضر الله وجهه ، فى كتابه دلائل النبوة - وهو كتاب جليل - حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى ، حدثنا الوليد حدثنا ابن جابر وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقى حدثنا الوليد وعمرو - يعنى ابن عبد الواحد - قالا : حدثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخبائرى يقول : أخبرنى أبو أمامة الباهلى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا أنا نائم إذ أتانى رجلان فأخذا بضبعى فأتيا بى جبلا وعراً فقالا : اصعد ، فقلت : لا أطيقه ، فقالا : إنا سنسهله لك ، قال : فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عواء أهل النار ، ثم انطلقا بى فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل دما فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم ، فقال : « خابت اليهود والنصارى » قال سليم : سمعه من رسول الله ﷺ أم من رأيه ؟ « ثم انطلقا بى فإذا قوم أشد شىء انتفاخا وأنتن شىء ريحاً كأن ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء قتلى الكفار ، ثم انطلقا بى فإذا بقوم أشد انتفاخا وأنتن شىء ريحـاً كأن ريحهم المـراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء الـزانـون والزوانى ، ثم انطلقا بى فإذا بنساء ينهش ثديهن الحيات فقلت : ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء اللاتى يمنعن أولادهن ألبانهن ، ثم انطلقا بى فإذا بغلمان بين بحرين ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذرارى المؤمنين ، ثم أشرفا بى شرفا فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هذا جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة ، ثم أشرفا بى شرفا آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة فقلت : من هؤلاء ؟ قالا هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

فصـــــل
فيما قيـــل من الأشعار فى غزوة مؤتة

قال ابن اسحاق : وكان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان :

تَأَوّبَـنى ليلٌ بيثـرب أعسـر ... وهـمٌّ إذا ما نوّم الـنـاس مسهـرُ

---

(١) لم يرد هذا الفصل فى نسخة دار الكتب المصرية .

لذكرى حبيبٍ هيّجت لى عبرة سفوحا وأسبابُ البكاء التذكرُ
بلى إنّ فقدانَ الحبيب بليةٌ وكم من كريم يُبْتَلى ثم يصبرُ
رأيتُ خيارَ المسلمين تواردوا شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخرُ
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا (١) بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفرُ
وزيد وعبد الله حين تتابعوا (١) جميعاً ، وأسبابُ المنية تخطرُ
غداةَ مضوا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمون النقيبة أزهرُ
أغر كضوء البدر من آل هاشمٍ أبىٌّ إذا سِيم الظُّلامةَ مجسرُ
فطاعن حتى مال غير موسدٍ بمعترك فيه القنا متكسرُ
فصار مع المستشهدين ثوابُهُ جنانٌ وملتفُّ الحدائق أخضرُ
وكنا نرى فى جعفرٍ من محمدٍ وفاءً وأمراً حازماً حين يأمرُ
وما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائمُ عزٍّ لا يزلنَ ومفخرُ
هُمُو جبلُ الإسلام والناس حولهم رضامٌ إلى طود يروق ويبهرُ
بهاليلُ منهم جعفر وابن أمّهِ علىٌّ ومنهم أحمد المتخيرُ
وحمزةُ والعباسُ منهم ومنهمو عقيل وماء العود من حيث يعصرُ
بهم تفرج اللأواء فى كل مأزقٍ عماس (٢) إذا ما ضاق بالناس مصدرُ
همو أولياءُ الله أنزلَ حكمَهُ عليهمْ وفيهمْ ذا الكتابُ المطهرُ

وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نامَ العيونُ ودمع عينك يهملُ سحًا كما وكف الطباب المخضّلُ (٣)
فى ليلةٍ وردتْ علىّ همومُها طوراً أَحِنُّ وتارةً أتململُ
واعتادنى حزنٌ فبتُّ كأننى ببناتِ نعشٍ والسماكِ موكلُ
وكأنما بين الجوانحِ والحشا مما تأوبنى شهابٌ مدخلُ
وجداً على النفر الذين تتابعوا يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلّى الإله عليهم من فتيةٍ وسقى عظامَهم الغمامُ المسبلُ
صبروا بمؤتة للإله نفوسَهم حذرَ الردى ومخافَةَ أن ينكلوا

---

(١) فى الأصول فى الموضعين : تبايعوا ، والتصحيح من ابن هشام .

(٢) العماس : المظلم ، والأعمس : الضعيف النظر .

(٣) فى الأصل الظباء المخضل وهو تصحيف ، والطباب كما فى السهيلى جمع طبابة وهى سير بين خرزتين فى المزادة فإذا كان غير محكم وكف منه الماء ، وأيضا جمع طبة وهى شقة مستطيلة .

فمضوا أمام المسلمين كأنهم ... فنق عليهن الحديد المرفلُ
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأولُ
حتى تفرجتِ الصفوفُ وجعفرٌ ... حيث التقى وعثُ الصفوف مجدلُ
فتغير القمر المنير لفقده ... والشمس قد كُسِفَتْ وكادت تأفلُ
قرمٍ على بنيانه من هاشم ... فرعا أشم وسؤدداً ما ينقلُ
قومٌ بهم عصم الإله عبادَهُ ... وعليهم نزل الكتابُ المنزلُ
فَضَلُوا المعاشر عزّةً وتكرّمًا ... وتغمدتْ أحلامهم من يجهلُ
لايطلقون إلى السفاه حباهمو ... ويرى خطيبهم بحق يفصلُ
بيض الوجوهِ ترى بطونَ أكُفِّهم ... تَنْدَى إذا اعتذر الزمانُ الممحلُ
وبهديهم رضى الإلهُ لخلقِهِ ... ويجدّهم [١] نُصِرَ النبيُّ المرسلُ

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الدخول فى دين الإسلام

ذكر الواقدى أن ذلك كان فى آخر سنة ست فى ذى الحجة بعد عمرة الحديبية ، وذكر البيهقى هذا الفصل فى هذا الموضع بعد غزوة مؤتة ، والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول أبى سفيان لهرقل حين سأله هل يغدر ؟ فقال : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها . وفى لفظ البخارى : وذلك فى المدة التى مادّ فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ . وقال محمد بن إسحاق : كان ذلك مابين الحديبية ووفاته ﷺ . ونحن نذكر ذلك هاهنا ، وإن كان قول الواقدى محتملا ، والله أعلم . وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المعنى عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كتب قبل مؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشى وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل ، وليس بالنجاشى الذى صلى عليه .

---

(١) كذا فى الأصول وفى ابن هشام : بحدهم ، بالحاء المهملة .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن عبد الله بن عباس حدثنى أبو سفيان من فيه إلى فىّ قال : كنا قوماً تجارا وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة ـ هدنة الحديبية ـ بيننا وبين رسـول الله ﷺ لم نأمن إن وجـدنا أمنا ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلا إلا وقد حمّلنى بضاعة ، وكان وجه متجرنا من الشام غزة من أرض فلسطين ، فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر ، صاحب الروم ، على من فى بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورُدّ عليه صليبه الأعظم ، وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام ، فخرج منها يمشى متشكـراً إلى بيت المقدس ليصلى فيه تبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها ، فأصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء ، فقـالت له بطارقته : أيها الملك ، لقد أصبحت مهموما ؟ فقال : أجل ، فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُريتُ فى هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ، فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن إلا اليهود ، وهم تحت يديك وفى سلطانك ، فإن كان قد وقع ذلك فى نفسك منهم فابعث فى مملكتك كلها فلا يبقى يهودى إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم .

فإنهم فى ذلـك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب ، قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك ، إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن حدث كان ببلاده فتسأله عنه ، فلما انتهى إليه قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذى كان فى بلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبى وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن فخرجت من بلادى وهم على ذلك ، فلما أخبره الخبر قال : جردوه ، فإذا هو مختتن ، فقال : هذا والله الـذى قد أُريت لا ما تقولون ، أعطه ثوبة ، انطلق لشأنك ، ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له : قلب لى الشام ظهرا لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه ، قال أبو سفيان : فوالله إنى وأصحابى لبغزة إذ هجم علينا فسألنه ممن أنتم ؟ فأخبرناه فساقنا إليه جميعا ، فلما انتهينا إليه قال أبو سفيان : فوالله مارأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك إلا الأغلف ـ يريد هرقل .

قال : فلما انتهينا إليه قال أيكم أمسُّ به رحما ؟ فقلت : أنا ، قال : أدنوه منى ، قال : فأجلسنى بين يديه ثم أمر أصحابى فأجلسهم خلفى وقال : إن كذب فردوا عليه ،

قال أبو سفيان : فلقد عرفت أني لو كذبت ماردوا عليّ ولكني كنت امرءاً سيداً أتكرم وأستحيى من الكذب ، وعرفت أن أدنى ما يكون فى ذلك أن يرووه عنى بمكة فلم أكذبه ، فقال : أخبرنى هذا الرجل الذى خرج فيكم ، فزهدت له شأنه وصغرت له أمره ، فوالله ما التفت إلى ذلك منى وقال لى : أخبرنى عما أسألك عنه من أمره ، فقلت سلنى عما بدا لك ؟ قال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت مَحْضٌ من أوسطنا نسبا ، قال فأخبرنى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت : لا ، قال : فأخبرنى هل له مُلْكٌ فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه ؟ فقلت : لا قال : فأخبرنى عن أتباعه من هم ؟ فقلت : الأحداث والضعفاء والمساكين ، فأما أشرافهم وذوو الأنساب منهم فلا ، قال : فأخبرنى عمن صحبه ، أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ قلت : ماصحبه رجل ففارقه ، قال : فأخبرنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت : سجال ، يُدال علينا ونُدال عليه ، قال : فأخبرنى هل يغدر ؟ فلم أجد شئيا أغره به إلا هى ، قلت : لا ، ونحن فى مدة ولا نأمن غدره فيها ، فوالله ما التفت إليها منى ، قال : فأعاد عليّ الحديث فقال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبى لايأخده إلا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت : لا ، وسألتك هل كان له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ فقلت : لا ، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الأحداث والضعفاء والمساكين ، وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان ، وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قلّ من يصحبه فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان ، لا تدخل قلبا فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ؟ فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتدالون عليه ، وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر ، فلئن كنت صدقتنى ليغلبن على ما تحت قدمى هاتين ، ولوددت أنى عنده فأغسل عن قدميه ، ثم قال : الحق بشأنك ، قال : فقمت وأنا أضرب إحدى يدى على الأخرى وأقول : ياعباد الله ، لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبى كبشة ، وأصبح ملوك بنى الأصفر يخافونه فى سلطانهم .

[قال ابن إسحاق : وحدثنى] (١) الزهرى قال : حدثنى أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله ﷺ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع

---

(١) ما بين المربعين سقط من نسخة حلب .

الهدى ، أما بعد ، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أبيت إثم الأكـارين عليك . قال : فلما انتهى إليه كتابه وقرأه أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية مايقرأ يخبره عما جاء من رسول الله ﷺ ، فكتب إليه إنه النبى الذى ينتظر لاشك فيه فاتبعه ، فأمر بعظماء الروم فجمعوا له فى دسكرة ملكه ثم أمر بها فاشرحت [1] عليهم واطلع عليهم من علية له ، وهو منهم خائف ، فقال : يا معشر الروم ، إنه قد جاءنى كتاب أحمد وإنه والله النبى الذى كنا ننتظر ، ومجمل ذكره فى كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه ، فأسلموا واتبعوا تسلم لكم دنياكم وآخرتكم ، فنخروا نخزة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم ، فخافهم وقال : ردوهم علىّ ، فردوهم عليه فقال لهم : يامعشر الروم ، إنى إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم فى دينكم ؟ فلقد رأيت منكم ماسرنى ، فوقعوا له سُجّدا ، ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا .

وقـد روى البخارى قصة أبى سفيان مع هرقل بزيادات أخر أحببنا أن نورد بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم مابين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد .

قال البخـارى قبل كتاب الإيمان من صحيحه: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع أنبأنا شعيب عن الزهرى أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أنَ أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجارا بالشام ، فى المدة التى كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسبا ، قال : ادنوا منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم : إنى سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبنى فكذبوه ، قال : فو الله لولا الحياء من أن يؤثروا عنى كذبا لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان من آبـائه من ملك ؟ قلت : لا ، قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم ، قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال ، فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل

---

(١) كذا بالأصل ولعلها : فأشرجت عليهم .

أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : فهل يغدر ، قلت : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ، قال : ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة ، قال : فهل قاتلتمونه (١) ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لوكان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، فلوكان من آبائه من ملك ، لقلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين و ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ (٢) .

---

(١) هكذا بالأصل الذى بين أيدينا ، والصواب قاتلتموه [دار الغد] .

(٢) الآية : ٦٤ من سورة آل عمران .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخْب وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابى حين خرجنا : لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبى كبشة ، إنه يخافه ملك بنى الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

قال : وكان ابن الناطور ، صاحب إيلياء ، وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوما خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك ، قال ابن الناطور : وكان هرقل حزَّاءً ينظر فى النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إنى رأيت حين نظرت فى النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمم ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ، ولا يهمنك شأنهم ، واكتب إلّى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أُتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان فخبرهم عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال : هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك الأمة قد ظهر ، ثم كتب إلى صاحب له برومية ـ وكان نظيره فى العلم ـ وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبى ﷺ وأنه نبى ، فأذن هرقل لعظماء الروم فى دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يامعشر الروم ، هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم ؟ فتبايعوا لهذ النبى ، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم علىّ ، وقال : إنى إنما قلت مقالتى آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل .

قال البخارى : ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهرى ، وقد رواه البخارى فى مواضع كثيرة فى صحيحة بألفاظ يطول استقصاؤها ، وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهرى ، وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً فى أول شرحنا لصحيح البخارى بما فيه كفاية وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية ولله تعالى الحمد والمنة .

قال ابن لهيعة عن الأسود عن عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً فى نفر من قريش وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى صاحب العرب الذى بالشام فى ملكه يأمره أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلا منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه

فى كنيسة إيلياء التى فى جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبرونى عن هذا الذى بمكة ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب وليس بنبى ، قال فأخبرونى من أعلمكم به وأقربكم منه رحما ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله ، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأخرجوا عنه ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرنى يا أبا سفيان ؟ فقال : هو ساحر كذاب ، فقال هرقل : إنى لا أريد شتمه ، ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش ، قال كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب له رأيا قط ، قال هرقل : هل كان حلافاً كذاباً مخادعا فى أمره ؟ قال : لا ، والله ما كان كذلك ، قال : لعله يطلب ملكا أو شرفا كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان : لا ، ثم قال : من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا ، قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا ، إلا أن يغدر مدته هذه ، فقال هرقل : وما تخاف من مدته هذه ؟ قال : إن قومى أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة ، قال هرقل : إن كنتم بدأتم فأنتم أغدر ، فغضب أبو سفيان ، وقال : لم يغلبنا إلا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب ، وهو يوم بدر ، ثم غزوته مرتين فى بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والفروج ، فقال هرقل : كذابا تراه أم صادقا ؟ فقال : بل هو كاذب ، فقال : إن كان فيكم نبى فلا تقتلوه ، فإن أفعل الناس لذلك اليهود ، ثم رجع أبو سفيان ففى هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخارى ، وقد أورد موسى بن عقبة فى مغازيه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير والله أعلم .

وقال ابن جرير فى تاريخه : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبى ، حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ : والله إنى لأعلم أن صاحبك نبى مرسل ، وأنه الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا ولكنى أخاف الروم على نفسى ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى صغاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله فى الروم أعظم منى وأجوز قولا عندهم منى ، فانظر ماذا يقول لك ، قال : فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل وبما يدعو إليه ، فقال صغاطر : والله صاحبك نبى مرسل نعرفه بصفته ونجده فى كتابنا باسمه ، ثم دخل وألقى ثيابا كانت عليه سوداً ولبس ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم فى الكنيسة ، فقال : يامعشر الروم ، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله ، قال : فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه ، قال : فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ، فصغاطر والله كان أعظم عندهم وأجوز قولا منى .

[وقد روى الطبرانى من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبى قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب ، فقلت : استأذنوا لرسول رسول الله ﷺ ، فأتى قيصر فقيل له : إن على الباب رجلا يزعم أنه رسول رسول الله ، ففزع لذلك وقال : أدخله ، فأدخلنى عليه وعنده بطارقته فأعطيته الكتاب فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم ، فنخر ابن أخ له أحمر أزرق سبط ، فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم فإنه بدأ بنفسه وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال : فقرىء الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ، ثم بعث إلىّ فدخلت عليه فسألنى فأخبرته ، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه ـ وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله ـ فلما قرأ الكتاب قال الأسقف : هو والله الذى بشرنا به موسى وعيسى الذى كنا ننتظر ، قال قيصر فما تأمرنى ؟ قال الأسقف : أما أنا ، فإنى مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ، ولكن لاأستطيع أن أفعل ، إن فعلت ذهب ملكى وقتلنى الروم] (١) .

وبه قال محمد بن إسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء أهل الشام ، قال : لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبى ﷺ جمع الروم فقال : يا معشر الروم ، إنى عارض عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها ؟ قالوا : ماهى ؟ قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبى مرسل نجده ونعرفه بصفته التى وصف لنا ، فهلم فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا ، فقالوا : نحن نكون تحت أيدى العرب ونحن أعظم الناس ملكا ، وأكثره رجالا ، وأقصاه بلداً ؟! قال : فهلم أعطيه الجزية كل سنة أكسر عنى شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه ، قالوا : نحن نعطى العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكا ، وأمنعه بلداً ، لا والله لانفعل هذا أبدا ، قال : فهلم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعنى وأرض الشام ، قال : وكانت أرض سورية ؛ فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب من أرض سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام ، فقالوا : نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها سرة الشام ، لانفعل هذا أبدا ، فلما أبوا عليه قال : أما والله لترون أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه فى مدينتكم ، قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك ياأرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية ، والله أعلم .

---

(١) مابين المربعين لم يرد فى نسخة دار الكتب المصرية .

ذكر إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب ، أخا بنى أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق [(١)] ، قال الواقدى : وكتب معه ؛ سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك ، فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال : ومن ينزع ملكى ؟ إنى سأسير إليه .

ذكر بعثه ﷺ إلى كسـرى ملك الفـرس

روى البخارى من حديث الليث عن يونس عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزقه ، قال : فحسبت أن ابن المسيب ، قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزّقوا كل مُمزَّقٍ .

وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهرى : حدثنى عبد الرحمن بن القارى أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ، ثم قال : « أما بعد ، فإنى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا علىّ ، كما اختلفت بنو إسرائيل علىّ عيسى ابن مريم » فقال المهاجرون : يا رسول الله ، إنا لا نختلف عليك فى شىء أبداً ، فمرنا و ابعثنا ، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى ، فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا ، حتى أدفعه أنا إليك كما أمرنى رسول الله ﷺ ، فقال كسرى : أدنه ، فدنا فناوله الكتاب ، ثم دعا كاتبا له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه : من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس . قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم مافيه وأمر بشجاع بن وهب فأُخرِجَ . فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار

---

(١) كذا بالأصل ، وفى ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن شمر الغسانى ملك تخوم الشام . ثم جاء برواية أخرى أنه بعثه إلى جبلة بن الأيهم الغسانى .

ثم قال : والله ما أبالي على أى الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله ﷺ . قال : ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الحيرة فسبق ، فلما قدم شجاع على النبى ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « مزق ملكه » .

وروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن أبى سلمة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال : « مزق ملكه » .

وقال ابن جرير [1] : حدثنا أحمد بن حميد حدثنا سلمة ، حدثنا ابن إسحاق عن زيد ابن أبى حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . فإن تُسْلم تَسْلم ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك . قال : فلما قرأه شقه وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدى ؟ قال : ثم كتب كسرى إلى باذم وهو نائبه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتيانى به ، فبعث باذم قهرمانه ـ وكان كاتبا حاسباً ـ بكتاب فارس ، وبعث معه رجلا من الفرس يقال له : خرخرة ، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال لأباذويه : آئت بلاد هذا الرجل وكلمه وآئتنى بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش فى أرض الطائف فسألوه عنه فقال : هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف ـ يعنى وقريش بهما ـ وفرحوا . وقال بعضهم لبعض : أبشروا ، فقد نصب له كسرى ملك الروم ، كُفيتم الرجل ، فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه أباذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذم يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثنى إليك لتنطلق معى ، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال : « ويلكما ، مَنْ أمركما بهذا ؟» قالا : أمرنا

(١) فى ابن جرير اختلاف فى الأسماء فإنه سمى باذام أباذويه وخرخرة خرخسرة إلى غير ذلك فراجعه فى السنة السادسة .

ربُنـا ـ يعنيان كسرى ـ فقـال رسول الله ﷺ : « ولكن ربى أمرنى بإعفاء لحيتى وقص شاربى » ثم قال : « ارجعـا حتى تأتيانى غداً » قال : وأتى رسـول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فى شهر كذا وكذا فى ليلة كذا وكذا من الليل ، قال : فدعاهما فأخبرهما فقالا : هل تدرى ماتقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبراه ذاك عنى وقولا له : إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهى إلى الخف والحافر ، وقولا له : إن أسلمت أعـطيتك ماتحت يديك و ملكتك على قومك من الأبناء » ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها إليه بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر فقال : والله ما هذا بكلام ملك وإنى لأرى الرجل نبيا وليكونن ماقد قال ، فلئن كان هذا حقا فهو نبى مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا ، فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ؛ فإنى قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم فى ثغورهم ، فإذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قِبَلَك ، وانطلق إلى الرجل الذى كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه ، فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال : وقد قال باذويه لباذام : ما كلمت أحداً أهيب عندى منه . فقال له باذام هل معه شُرَطٌ ؟ قال : لا .

قال الواقدى رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدى ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها :

قلت : وفى شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان فى شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء :

قتـلوا كسـرى بليل محـرمـا ... فتـولـى لم يمـتـع بكـفـن

وقال بعض شعراء العـــرب :

وكـسـرى إذ تقـاسـمـه بنـوه ... بأسـيافٍ كمـا اقـتسم الـلحـامُ

تمـخـضـت الـمـنـونُ له بيومٍ ... أتـى ولكـلِّ حـامـلةٍ تمـامُ

وروى الحافظ البيهقى من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبى بكرة أن رجلا من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « إن ربى قد قتل الليلة ربك » قال : وقيل له ـ يعنى النبى ﷺ ـ إنه قد استخلف ابنته فقال : « لا يفلح

قوم تملكهم امرأة » قال البيهقى : وروى فى حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفينى أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعونى إلى دينه ، لتكفينّه أو لأفعلن بك ، فبعث إليه فقال لرسله : « أخبروه أن ربى قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال . قال : وروى داود بن أبى هند عن عامر الشعبى نحو هذا ، ثم روى البيهقى من طريق أبى بكر بن عياش عن داود بن أبى هند عن أبيه عن أبى هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ فقال : « إن فى وجه سعد خبراً » فقال : يا رسول الله ، هلك كسرى ، فقال : « لعن الله كسرى ، أول الناس هلاكا فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين ، يعنى الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع فى البلاد ، وكان سعد بن أبى وقاص أول من سمع جاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره ﷺ وهكذا بنحو هذا التقرير ذكره البيهقى رحمه الله .

ثم روى البيهقى من غير وجه عن الزهرى : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الحمن أنه بلغه أن كسرى بينما هو فى دسكرة ملكه بعث له ـ أو قيض له ـ عارض يعرض عليه الحق فلم يُفْجَأ كسرى إلا برجل يمشى وفى يده عصاً فقال : يا كسرى ، هل لك فى الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم ، فلا تكسرها ، فولى الرجل ، فلما ذهب أرسل كسرى إلى حجّابه فقال : من أذن لهذا الرجل علىّ ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحد ، فقال : كذبتم ، قال : فغضب عليم وتهددهم ثم تركهم ، قال : فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا ، فقال : يا كسرى ، هل لك فى الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم ، فلا تكسرها ، فلما انصرف عنه دعا حجابه فقال لهم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل ومعه العصا فقال له : هل لك يا كسرى فى الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها لا تكسرها ، فكسرها ، فأهلك الله كسرى عند ذلك .

وقال الإمام الشافعى :أنبأنا ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » أخرجه مسلم من حديث ابن عيينة وأخرجاه من حديث الزهرى به ، قال الشافعى : ولما أُتِى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزقه فقال رسول الله ﷺ : « يمزق ملكه » وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول

الله ﷺ ووضعه فى مسك ، فقال رسول الله ﷺ : « ثبت ملكه » قال الشافعى وغيره من العلماء : ولما كانت العرب تأتى الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوْا خوفهم من ملكى العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » قال : فباد ملك الأكاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية ، وإن ثبت لهم ملك فى الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ حين عظموا كتابه والله أعلم .

قلت : وفى هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام . وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملك الشام ، وكسرى لمن ملك الفرس ، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، و فرعون لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند ، ولهم أعلام أجناس غير ذلك ،وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع ، والله أعلم .

وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبى عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى فى القصر الأبيض » وروى أسباط عن سماك عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبى فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

بعثه ﷺ إلى المقوقس
صاحب مدينة الإسكندرية واسمه : جريج بن مينا القبطى

قال يونس بن بكير عن إسحاق : حدثنى الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد القادر أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبى بلعتة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فمضى بكتاب رسول الله ﷺ ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه إلى النبى ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين إحداهما أم إبراهيم وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبدى ، رواه البيهقى ، ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه ، حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبى بلتعة قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، قال : فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلنى فى منزله وأقمت عنده ، ثم بعث إلَىّ وقد جمع بطارقته وقال : إنى سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عنى ، قال : قلت : هلم ، قال : أخبرنى عن

صاحبك ، أليس هو نبى ؟ قلت : بلى هو رسول الله ، قال : فما له حيث كان هكذا لم يَدْعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : فقلت : عيسى ابن مريم ، أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى ، قلت : فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لى : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد وأرسل معك ببذرقة يبذرقونك إلى مأمنك ، قال : فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار ، منهن : أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصارى ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم ، وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم ، والأخرى سيرين التى وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قلت : وكان فى جملة الهدية خصى اسمه مأبور ، وخفان ساذجان أسودين ، وبغلة بيضاء اسمها الدلدل ، وكان مأبور هذا خصيا ولم يعلموا بأمره بادىء الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصى حتى قال بعضهم : إنه الذى أمر رسول الله ﷺ على بن أبى طالب بقتله فوجده خصيا فتركه ، والحديث فى صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ سليط بن عمرو بن عبد ود ، أخا بنى عامر ابن لؤى إلى صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمى إلى جيفر بن الجلندى وعمار بن الجلندى الأزديين صاحبى عمان (١) .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقى هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة ابن الزبير قالا : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام فى بَلى وعبد الله ومن يليهم من قضاعة ، قال عروة بن الزبير : وبنو بلى أخوال العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين ، فانتُدِب أبو بكر وعمر فى جماعة

---

(١) ليست هذه الجملة فى التيمورية ، وفى ابن هشام أنه بعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ، وسليط إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن على .

من سراة المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ، قال موسى بن عقبة : فلما قدموا على عمرو قال : أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم ، فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال عمرو : إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك أبو عبيدة ـ وكان رجلا حسن الخلق لين الشكيمة ـ قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلىّ رسول الله ﷺ أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » وإنك إن عصيتنى لأطيعنك ، فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام [1] وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بنى بلى فبعثه رسول الله ﷺ إليهم ، يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له : السلاسل ـ وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ قال : فلما كان عليه وخاف ، بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة حين وجهه : « لا تختلفا » فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مددا لى ، فقال له أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مددى ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد قال لى : « لا تختلفا » وإنك إن عصيتنى أطعتك ، فقال له عمرو : فإنى أمير عليك وإنما أنت مدد لى ، قال : فدونك ، فصلى عمرو بن العاص بالناس .

وقال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان أن أبا عبيدة لما آب إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطىء بلاد بلى ودوخها ، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلى وعُذْرة وبلقين ، ولقى فى آخر ذلك جمعا ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة ، وتراموا بالنبل ساعة ، ورُمِى يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهُزِموا وأعجزوا هربا فى البلاد وتفرقوا ، ودوخ عمرو ماهناك ، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء

---

(١) فى ابن هشام : إلى الشام وأحسبه خطأ .

والنعم فكانوا ينحرون ويذبحون ، ولم يكن فى ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

وقال أبو داود : حدثنا المثنى ، حدثنا ابن وهب بن جرير ، حدثنا أبى سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب عن عمران بن أبى أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، قال فتيممت ثم صليت بأصحابى الصبح ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « يا عمر وصليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال : فأخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقلت : إنى سمعت الله يقول : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ [1] فضحك نبى الله ﷺ ولم يقل شيئا ، حدثنا محمد بن سلمة أخبرنا ابن وهب ، حدثنا ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن أبى حبيب عن عمران بن أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن أبى قيس ، مولى عمرو بن العاص ، وكان على سرية ، فذكر الحديث بنحوه قال : فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم ، فذكر نحوه ولم يذكر التيمم ، قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعى عن حسان ابن عطية وقال : فيه فتيمم .

وقال الواقدى : حدثنى أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رقيش عن أبى بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم فى ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ والله احتلمت ، فإن اغتسلت مت ، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم ، فكان أول من بُعِثَ عوف بن مالك بريداً ، قال عوف : فقدمت على رسول الله ﷺ فى السحر وهو يصلى فى بيته فسلمت عليه فقال رسول الله ﷺ : « عوف بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يا رسول الله ، قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم ، ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئا ثم قال : « أخبرنى » فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين أبى عبيدة وعمرو ومطاوعة أبى عبيدة ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » قال : ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ ، فسكت رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذى بعثك بالحق إنى لو

---

(١) الآية : ٢٩ من سورة النساء .

اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله . وقد قال تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾[1] قال فضحك رسول الله ﷺ و لم يبلغنا أنه قال شيئاً .

وقال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحبت أبا بكر وعمر فمررت بقوم وهم على جزور وهم قد نحروها وهم لايقدرون على أن يبعضوها وكنت امرءاً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عشراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطّبخناه وأكلنا ، فقال أبو بكر وعمر : أنّى لك هذا اللحم ياعوف ؟ فأخبرتهما فقالا : لا والله ، ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما منه ، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ فجئته وهو يصلي في بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم ، بأبي أنت وأمي فقال : « صاحب الجزور ؟ » ولم يزد على ذلك شيئا ، هكذا رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك ، وهو منقطع بل معضل .

قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن زهدم أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال : قد تعجلت أجرك ، ولم يأكله . ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتمامة كنحو ما تقدم ، وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب الأصم ، حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يا رسول الله ، من أحب الناس إليك ؟ قال « عائشة» ، قلت : إني لست أسألك عن أهلك ، قال : « فأبوها » قلت : ثم من ؟ قال « عمر » قلت : ثم من ؟ حتى عدّد رهطاً ، قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق

---

(١) الآية : ٢٩ من سورة النساء .

خالد بن مهران الحذاء عن أبى عثمان النهدى ، واسمه عبد الرحمن بن مُل ، حدثنى عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمر بن الخطاب » فعدد رجالا ، وهذا لفظ البخارى وفى رواية ، قال عمرو : فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم .

سـرية أبى عبيـدة إلى سيف البحـر

قال الإمام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ بعثا قِبَل الساحل وأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وهم ثلثمائة ، قال جابر : وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجُمع كله فكان مزودى تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فنى ، ولم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة ، قال : فقلت : وما تغنى تمرة ؟ فقال : لقد وجدنا فقدها حين فنيت . قال : ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب ، قال : فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ، ثم أمـر أبـو عبيدة بضلعين من أضـلاعه فنصبا ثم أمر براحلته فرحلت ثم مر تحتهما فلم يصبهما ، أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك بنحوه وهو فى الصحيحين أيضا من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى ثلثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط ، قال : ونحر رجل ثلاث جزائر ثم ثلاث جزائر ثم ثلاثا فنهاه أبو عبيدة ، قال : وألقى البحر دابة يقال لها : العنبر فأكلنا منها نصف شهـر وادَّهنّـا حتى ثابت إلينـا أجسـامنا وصلحت ، ثم ذكر قصة الضلع ، فقوله فى الحديث : نرصد عيراً لقريش دليل على أن هذة السرية كانت قبل صلح الحديبية ، والله أعلم ، والرجل الذى نحر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو بكر بن إسحاق حدثنا إسمٰعيل بن قتيبة حدثنا يحيى ابن يحيى حدثنا أبو خيثمة ، وهو زهير بن معاوية ، عن أبى الزبير عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة ، نتلقى عيراً لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمص الصبى ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب

بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر فرُفع لنا على ساحل البحر كهئية الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفى سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا ، قال : فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنّا ، ولقد كنا نغرف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى عينيه ، وأخذ ضلعا من أضلاعة فأقامها ثم رحل أعظم بعير منها فمر تحتها وتزودنا من لحمها وشايق ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شىء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه ، ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس وأبو داود عن النفيلى ثلاثتهم عن أبى خيثمة زهير بن معاوية الجعفى الكوفى عن أبى الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكى عن جابر بن عبد الله الأنصارى به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذة السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها هاهنا تبعا للحافظ البيهقى ، رحمه الله ، فإنه أوردها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح ، والله أعلم .

وقد ذكر البخارى بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة فقال : حدثنا عمرو بن محمد حدثنا هشيم أنبأنا حصين بن جندب حدثنا أبو ظبيان قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبّحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصارى وطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ فقال : « يا أسامة ، أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوذاً ، فمازال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

ثم روى البخارى من حديث يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات و خرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، ثم ذكر الحافظ البيهقى هاهنا موت النجاشى صاحب الحبشة على الإسلام ونعى رسول الله ﷺ له إلى المسلمين وصلاته عليه . فروى من طريق مالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ نعى إلى الناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات ، أخرجاه من حديث مالك وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل

عن الزهرى عن سعيد وأبى سلمة عن أبى هريرة بنحوه . وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصحمة » وقد تقدمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليه ولله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشى كان قبل الفتح بكثير ، فإن فى صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشى وليس هو بالمسلم ، وزعم آخرون كالواقدى أنه هو ، والله أعلم ، وروى الحافظ البهيقى من طريق مسلم بن خالد الزنجى عن موسى بن عقبة عن أبيه عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبى ﷺ أم سلمة قال : « قد أهديت إلى النجاشى أواقى من مسك وحلة وإنى لأراه قد مات ، ولا أرى الهدية إلا سترد علىّ ، فإن رُدَّت علىّ ـ أظنه قال ـ قسمتها بينكن أو فهى لك » قال : فكان كما قال رسول الله ﷺ ، مات النجاشى ورُدَّتِ الهدية ، فلما ردت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية من ذلك المسك ، وأعطى سائره أم سلمة ، وأعطاها الحلة ، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم

غزوة الفتح الأعظم

وكانت فى رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى فى القرآن فى غير موضع فقال تعالى : ﴿ لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ [١] الآية ، وقال تعالى ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفوَاجاً . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توَّاباً ﴾ [٢] .

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ماذكره محمد بن إسحاق حدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعا قالا : كان فى صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل ، فتواثبت خزاعة وقالوا : نحن ندخل فى عقد محمد

---

(١) الآية : ١٠ من سورة الحديد .

(٢) سورة النصر .

وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل فى عقد قريش وعهدهم ، فمكثوا فى تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا ، ثم إن بنى بكر وثبوا على خزاعة ليلا بماء يقال له : الوتير ، وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ ، وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبر الخبر ، وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشدها إياه :

يا ربِّ إنى ناشدٌ محمدا ... حِلْفَ أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتمو وُلْداً وكنّا والدا ... ثُمَّت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصرْ رسولَ الله نصراً أبداً ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجردا ... إنْ سِيمَ خسْفًا وجهُهُ تربّدا
فى فيلقٍ كالبحر يجرى مزبدا ... إن قريشاً أخلفوكَ الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكّدا ... وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا أنْ لستُ أدعو أحداً ... فهم أذلّ وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجّدا ... وقتلونا رُكّعاً وسجّدا

فقال رسول الله ﷺ : « نصرت يا عمرو بن سالم » فما برح حتى مرت بنا عنانة فى السماء فقال رسول الله ﷺ « إن هذة السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى يبغتهم فى بلادهم .

قال ابن إسحاق : وكان السبب الذى هاجهم أن رجلا من بنى الحضرمى اسمه مالك ابن عباد ، من حلفاءالأسود بن رزن ، خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوْا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدتْ بنو بكر على رجل من بنى خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة ، قبيل الإسلام ، على بنى الأسود بن رزن الدئلى ، وهم مفخر بنى كنانة وأشرافهم : سلمى وكلثوم وذؤيب ، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم ، قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من الدئل قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية لفضلهم فينا . قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الإسلام ، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر فى عقد قريش ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وكانت الهدنة اغتنمها بنو الدئل من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة

ثأراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدئلى فى قومه ، وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كل بنى بكر تابعه ، فبيت خزاعة وهم على الوتير - ماء لهم - فأصابوا رجلا منهم وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : إنا قد دخلنا الحرم إلٰهك إلٰهك ، فقال كلمة عظيمة : لا إله اليوم يابنى بكر ، أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم ؟ ولجأت خزاعة إلى دار بُديل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له : رافع ، وقد قال الأخزر بن لغط الدئلى فى ذلك :

ألا هلْ أتى قصوى الأحابيشِ أننا ... رددنا بنى كعب بأفوق ناصلِ
حبسناهم فى دارة العبدِ رافعٍ ... وعند بُديل محبساً غيرَ طائلِ
بدار الذليلِ الآخذِ الضيمَ بعد ما ... شفينا النفوس منهم بالمناصلِ
حبسناهم حتى إذا طال يومهم ... نفحنا لهم من كل شِعْبٍ بوابلِ
نُذبّحهم ذبحَ التيوسِ كأننا ... أُسودَ نبارى فيهم بالقواصلِ
همو ظلمونا واعتدوا فى مسيرهم ... وكانوا لدى الأنصاب أولَ قاتلِ
كأنهم بالجزعِ إذ يطردونهم ... قفا ثورٍ حفان النعام الجوافلِ

قال : فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له : بديل ابن أم أصرم فقال :

تعاقدَ قومٌ يفخرون ولم ندعْ ... لهم سيدا يندوهم غيرَ نافلِ
أمن خيفةِ القومِ الأولى تزدريهم ... تجيز الوتيرَ خائفاً غيرَ آيلِ
وفى كل يوم نحن نحبو حباءنا ... لعقلٍ و لا يحبى لنا فى المعاقلِ
ونحن صبحنا بالتلاعة [1] داركمْ ... بأسيافنا يسبقن لومَ العواذلِ
ونحن منعنا بين بيض وعتودٍ ... إلى خيف رضوى من مجر القبائلِ
ويوم الغميم قد تكفت ساعياً ... عُبَيسٌ فجعناه بجلدٍ حلاحلِ
أئن أجمرتْ فى بيتها أمُّ بعضِكم ... بجعموسها تنزون إن لم نقاتلِ
كذبتم وبيت الله ما إن قتلتمو ... ولكن تركنا أمركم فى بلابلِ

---

(١) فى الأصول : بالبلاغة دارهم . والتصحيح عن ابن هشام ومعجم ياقوت .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبى سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم يشد فى العقد و يزيد فى المدة » قال ابن إسحاق : ثم خرج بديل ابن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا للذى صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بديلا قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، فقال : سرت فى خزاعة فى هذا الساحل فى بطن هذا الوادى ، قال : فعمد أبو سفيان إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته ، فقال : يا بنية ، ما أدرى أرغبتِ بى عن هذا الفراش أو رغبت به عنى ؟ فقالت : هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فما أحب أن تجلس على فراشه ، فقال : يا بنية ، والله لقد أصابك بعدى شر ، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد لكم إلا الذر لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل علىّ علىّ بن أبى طالب وعنده فاطمة ، بنت رسول الله ﷺ ، وعندها حسن غلام يدب بين يديهما ، فقال : ياعلىّ ، إنك أمس القوم بى رحما وأقربهم منى قرابة ، وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ؟ فقال : ويحك أبا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد ، هل لك أن تأمرى بُنَيّك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ ببنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على النبى ﷺ ، فقال : يا أبا الحسن إن الأمور قد اشتدت علىّ فانصحنى ؟ قال : والله ما أعلم شيئا يغنى عنك ، ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، فقال : أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا ؟ قال : لا والله ما أظن ، ولكن لا أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : أيها الناس ، إنى قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما أن قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته فوالله مارد علىّ شيئا ، ثم جئت ابن أبى قحافة فوالله ما وجدت فيه خيرا ، ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو ، ثم جئت عليًّا فوجته ألين القوم وقد أشار علىّ بأمر صنعته ، فوالله

ما أدرى هل يغنى عنا شيئا أم لا ؟ قالوا : بماذا أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت ، قالوا : هل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك ، فما يغنى عنا ما قلت ، فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

[(فائدة) ذكرها السهيل فتكلم على قول فاطمة فى هذا الحديث ؛ وما يجير أحد على رسول الله ﷺ على ما جاء فى الحديث « و يجير على المسلمين أدناهم » قال : وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحدا أو نفرا يسيرا ، وقول فاطمة فمن يجير عددا من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك . قال : كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام ، لقوله لأم هانىء : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » قال : ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد ، وفى قوله ﷺ « ويجير عليهم أدناهم » ما يقتضى دخول العبد والمرأة والله أعلم] [1] .

وقد روى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قالت بنو كعب :

اللهم إنى ناشدٌ محمدًا حلفَ أبينا وأبيه الأتلدا
فانصرْ هداك اللهُ نصراً أعتدا وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا

وقال موسى بن عقبة فى فتح مكة : ثم إن بنى نفاثة من بنى الدئل أغاروا على بنى كعب ، وهم فى المدة التى بين رسول الله ﷺ وقريش ، وكانت بنو كعب فى صلح رسول الله ﷺ ، وكانت بنو نفاثة فى صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بنى نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق واعتزلتهم بنو مدلج ووفوا بالعهد الذى كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ، وفى بنى الدئل رجلان هما سيداهم : سلمى بن الأسود وكلثوم بن الأسود ، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو ، فأغارت بنو الدئل على بنى عمرو ، وعامتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال فألجأوهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بديل بن ورقاء بمكة ، فخرج ركب من بنى كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ فذكروا له الذى أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم فى ذلك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ارجعوا فتفرقوا فى البلدان » وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله ﷺ وتخوف الذى كان ، فقال : يامحمد ، اشدد العقد وزدنا فى المدة ، فقال

---

(١) مابين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية .

رسول الله ﷺ : «ولذلك قدمت، هل كان من حدث قبلكم؟ فقال: معاذ الله ، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل ، فخرج من عند رسول الله ﷺ وأتى أبا بكر فقال : جدد العقد وزدنا فى المدة ؟ فقال أبو بكر : جوارى فى جوار رسول الله ﷺ ، والله لو وجدت الذرّ تقاتلكم لأعنتها عليكم ، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله ، وما كان منه مثبتا فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان : جزيت من ذى رحم شراً ، ثم دخل على عثمان فكلمه فقال عثمان : جوارى فى جوار رسول الله ﷺ ، ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم فكلهم يقول : عقدنا فى عقد رسول الله ﷺ ، فلما يئس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلمها فقالت : إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال لها : فأمرى أحد ابنيك ، فقالت : إنهما صبيان ليس مثلهما يجير ، قال : فكلمى عليًا ، فقالت : أنت فكلمه ، فكلم عليًا فقال له : يا أبا سفيان ، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوار ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها ، فأجر بين عشيرتك ، قال : صدقت وأنا كذلك ، فخرج فصاح : ألا إنى قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ، ثم دخل على النبى ﷺ فقال : يا محمد ، إنى قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ولا يرد جوارى ، فقال : « أنت تقول يا أبا حنظلة » فخرج أبو سفيان على ذلك ، فزعموا ـ والله أعلم ـ أن رسول الله ﷺ ، قال ، حين أدبر أبو سفيان : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعوا بنا إلا فجأة » .

وقدم أبو سفيان مكة فقالت له قريش : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله لقد أبى علىّ و قد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن على بن أبى طالب قد قال لى : التمس جوار الناس عليك ولا تجر أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا تخفر جواره ، فقمت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أنى قد أجرت بين الناس و قلت : ما أظن أن تخفرنى ، فقال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ، فقالوا ـ مجيبين له ـ رضيت بغير رضى ، وجئتنا بما لا يغنى عنا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك على ، لعمر الله ما جوارك بجائز وإن إخفارك عليهم لهين ، ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم ، فما جئت بخير ، قال ورأى رسول الله ﷺ سحابا فقال : « إن هذه السحاب لتبض بنصر بنى كعب » فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج

أبـو سفيان ، ثم أخذ فى الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفى ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى ، فقال لها : يا بنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت ، فقال : أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال : يريد بنى الأصفر ـ وهم الروم ـ ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت ، قال: فلعله يريد قريشا ؟ فصمتت ، قال : فدخل رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ، أتريد أن تخرج مخرجا ؟ قال : نعم ، قال : فلعلك تريد بنى الأصفر ؟ قال : لا ، قال : أتريد أهل نجد ؟ قال : لا ، قال فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : نعم ، قال : أبو بكر : يا رسول الله ، أليس بينك وبينهم مدة ؟ قال : « ألم يبلغـك ما صنعوا ببنى كعب ؟ » قال : وأذن رسول الله ﷺ فى الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب ، وذكر القصة كما سياتى .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخـل على عائشة وهى تغربل حنطة فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت : نعم ، فتجهـز ، قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمى لنا شيئا غير أنه قد أمرنا بالجهاز ، قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمر بالحج والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها » فتجهز الناس ، فقال حسان يحرض الناس و يذكر مصاب خزاعة :

عنـانى ولم أشهـدْ ببطحـاءَ مكـة ... رجـالَ بنـى كعـب تُحـزّ رقـابُهـا
بأيدى رجـالٍ لم يسـلوا سيوفَـهـمْ ... وقـتـلى كثـيرٍ لم تجـن ثيابُـهـا
ألاليت شعـرى هل تنـالنّ نصـرتى ... سهيلَ بن عمـرو حرهـا وعقـابُهـا
وصفـوان عوداً حز من شفـر استـهِ ... فهـذا أوان الحـرب شُدّ عصـابُهـا
فلا تأمـنـنـا يا بن أم مجـالـد ... إذا احتُلِبت صرفـا وأعصـل نابُهـا
ولا تجـزعـوا منهـا فإن سيوفنـا ... لهـا وقعـةٌ بالمـوتِ يُفتَـح بابُهـا

قصـــة حاطب بن أبى بلتعـــة

قال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم

محمد بن جعفر أنها من مُزَينة ، وزعم لى غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير ابن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالحليفة ، حليفة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها فالتمساه فى رحلها فلم يجدا فيه شيئا ، فقال لها على : إنى أحلف ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ، و لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ » فقال : يارسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكننى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعنى فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله فى حاطب ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ (١) إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلة ، وقد ذكر السهيلى أنه كان فى كتاب حاطب أن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده . قال : وفى تفسير ابن سلام أن حاطبا كتب : إن محمداً قد نفر ، فإما إليكم وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذر .

وقد قال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن عمر بن دينار أخبرنى الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبى رافع سمعت عليًّا يقول : بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجى الكتاب ، فقالت : ما معى ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال : « يا حاطب ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله لا تعجل علىّ ، إنى كنت امرءاً ملصقاً (٢) فى قريش ، يقول : كنت حليفاً ، ولم أكن

---

(١) الآية : ١ من سورة الممتحنة .

(٢) كذا فى الأصل . وقال السهيلى : كنت عريرا ، وفسر العرير بالغريب .

من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتى ، ولم أفعله ارتداداً عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال : « إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله سورة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾[1] إلى قوله : ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ ، وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجين ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله أن حاطب بن أبى بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله ﷺ أراد غزوهم ، فَدُلَّ رسول الله ﷺ على المرأة التى معها الكتاب ، فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها وقال : « يا حاطب أفعلت ؟» قال : نعم ، قال : أما إنى لم أفعله غشًا لرسول الله ﷺ ولا نفاقا ، قد علمت أن الله مظهر رسوله ومتم له أمره ، غير أنى كنت غريبا بين ظهرانيهم ، وكانت والدتى معهم فأردت أن أتخذ يدا عندهم ، فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال ﷺ : « أتقتل رجلا من أهل بدر ؟ وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم » تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد و إسناده على شرط مسلم ، ولله الحمد .

فصـــــل

قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر ألفا ، وقال الزهرى وموسى بن عقبة ، فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة ، و فى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم

---

(١) الآية : ١ من سورة الممتحنة .

يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخارى عن محمود عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى نحوه .

وقد روى البيهقى من حديث عاصم بن على عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى أخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح فى رمضان . قال : وسمعت سعيد بن المسيب يقـول مثل ذلك ، لا أدرى أخرج فى ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج فى رمضان بعدما دخل ، غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرنى أن ابن عباس قال : صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكديد ـ الماء الذى بين قديد وعسفان ـ فأفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف عن الليث غير أنه لم يذكر الترديد بين شعبان ورمضان .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله ﷺ فى رمضان ، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فشرب بها نهاراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله ﷺ فى السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس عن ابن إسحـاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح ، واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الكديد بين عسفان وأمج فأفطر ، ودخل مكة مفطراً فكان الناس يرون آخر الأمرين من رسول الله ﷺ الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقى : فقـوله : خرج لعشر من رمضان ، مدرج فى الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق ، ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان عن جابر عن يحيى عن صدقة عن ابن إسحاق أنه قال : خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ، ثم روى البيهقى من حديث أبى إسحاق الفزارى عن محمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان ، قال البيهقى : وهذا الادراج وهم ، إنما هو من كلام الزهرى ، ثم روى من طريق ابن وهب عن الزهرى قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ـ فتح مكة ـ فخرج من المدينة فى رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانى سنين و نصف سنة من مقدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان ، وروى البيهقى من طريق عبـد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن

رسـول الله ﷺ خرج فى رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر ، فقال الزهرى : و إنما يؤخذ بالأحدث ، قال الزهرى : فصبح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، ثم عزاه إلى الصحيحين من طريق عبد الرزاق ، والله أعلم .

وروى البيهقى من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عطية بن قيس عن أبى سعيد الخـدرى قال : آذننـا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صُوّاما حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر فأصبح الناس مرحى منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذى نلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين ، وقد رواه الإمام أحمد عن أبى المغيرة عن سعيد بن عبد العزيز حدثنى عطية بن قيس عمن حدثه عن أبى سعيد الخدرى قال : آذننا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواما حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر حتى إذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو أمرنا فأفطرنا أجمعين .

قلت : فعلى ما ذكره الزهرى من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة فى ثانى شهر رمضان يقتضى أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة فى إحدى عشرة ليلة ، ولكن روى البيهقى عن أبى الحسين بن الفضل عن عبد الله ابن جعفر عن يعقوب بن سفيان عن الحسن بن الربيع عن ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن الزهرى ومحمد بن على بن الحسين وعاصم بن عمر بن قتادة وعمرو بن شعيب وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة فى عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا وهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائما حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركبانا وذلك فى شهر رمضان ، فقيل : يا رسول الله ، إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون فصام بعض الناس وأفطر البعض حتى أخبر النبى ﷺ أن بعضهم صائم ، فقال رسول الله ﷺ : « أولئك العصاة » وقد رواه مسلم من حديث الثقفى والدراوردى عن جعفر بن محمد ، وروى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق حدثنى بشير بن يسار عن ابن عباس ، قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح فى رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكديد دعا بماء فى قعب وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون ، يعلمهم أنه قد أفطر ، فأفطر المسلمون ، تفرد به أحمد .

فصـــــل

فى إسلام العباس بن عبد المطلب ، عم النبى ﷺ وأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبى أمية ابن المغيرة المخزومى ، أخى أم سلمة أم المؤمنين ، وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه فى أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة

قال ابن إسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق ، قال ابن هشام : لقية بالجحفة مهاجراً بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهرى ، قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية قد لقيا رسول الله ﷺ ، أيضا ، بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله ، إن ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : « لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى فهو الذى قال لى بمكة ما قال » (١) ، قال : فلما خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبى سفيان بنىٌّ له فقال : والله ليأذنن لى أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ ذلك النبى ﷺ رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشده أبو سفيان قوله فى إسلامه واعتذر إليه مما كان مضى منه :

لعمرك إنّى يوم أحملُ رايةً ... لتغلبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ
لكالمدلجِ الحيرانِ أظلمَ ليلهُ ... فهذا أوانى حين أُهدى وأهتدى
هدا بى هاد غير نفسى ونالنى ... مع الله من طردت كل مطردِ
أصدُّ وأنأى جاهداً عن محمدٍ ... وأُدعى وإن لم أُنتسبْ من محمدِ
هموا ما هموا من لم يقل بهواهم ... وإن كان ذا رأىٍ يلم ويفندِ
أريد لأرضيهم ولست بلائطٍ ... مع القوم ما لم أُهد فى كل مقعدِ

---

(١) قال السهيلى : يعنى حين قال له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك .

فقــل لثـقـيفٍ لا أريد قتــالهَــا　　وقــل لثقيفٍ تلك غيرى أوعــدى
فما كنتُ فى الجيشِ الذى نال عامرٌ　　ومـا كان عن جرى لسانى ولا يدى
قبــائـلُ جاءت مِن بلادٍ بعيدةٍ　　نزائــعُ جاءت من سهـام وسردِ

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ ونالنى مع الله من طردت كل مطرد ، ضرب رسول الله ﷺ بيده فى صدره وقال : « أنت طردتنى كل مطرد » .

فصـــــــل

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى مر الظهران نزل فيه فأقام كما روى البخارى عن يحيى بن بكير عن الليث ومسلم عن أبى الطاهر عن ابن وهب ، كلاهما عن يونس عن الزهرى عن أبى سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران نجتنى الكباث ، وإن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالأسود منه فإنه أطيب » قالوا : يا رسول الله ، أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبى إلا وقد رعاها » وقال البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن سنان بن إسماعيل عن أبى الوليد سعيد ابن مينا قال : لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله ﷺ بالسير إلى مكة ، فلما انتهى إلى مر الظهران نزل بالعقبة فأرسل الجناة يجتنون الكباث ، فقلت لسعيد : وما هو؟ قال : ثمر الأراك ، قال : فانطلق ابن مسعود فيمن يجتنى ، قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حبة طيبة قذفها فى فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقى ابن مسعود وهو يرقى فى الشجرة فيضحكون ، فقال رسول الله ﷺ : « تعجبون من دقة ساقيه ، فوالذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أُحد » وكان ابن مسعود ما اجتنى من شىء جاء به وخياره فيه إلى رسول الله ﷺ فقال فى ذلك :

هذا جنـــاى وخيـــاره فيه　　إذ كل جانٍ يــــدُهُ إلى فِيهِ

وفى الصحيحين عن أنس قال : أنفجنا أرنبا ونحن بمر الظهران فسعى القوم فلغبوا فأدركتها فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها وفخذيها فقبله ، وقال ابن إسحاق : ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد عُمِّيت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به ، وذكر ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة أن رسول الله ﷺ

بعث بين يديه عيونا خيلا يقتصمون العيون ، وخزاعة لا تدع أحدا يمضى وراءها ، فلما جاء أبـو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين وقام إليه عمر يجأ فى عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب ، وكان صاحباً لأبى سفيان ، قال ابن إسحاق : وقال العباس ، حين نزل رسول الله ﷺ مر الظهران : قلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكـة عنوة ، قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ، قال : فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت : لعلى أجد بعض الحطّابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ حتى يخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة ، قال : فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكراً . قال : يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتهـا الحـرب ، قال : يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل عن أن تكون هذه نيرانها وعسكـرهـا . قال : فعـرفت صوتـه فقلت : يا أبـا حنظلة ؟ فعرف صوتى فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : مالك فدى لك أبى وأمى ؟ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ فى الناس ، فقال : واصباح قريش والله ، فما الحيلة فداك أبى أمى ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفى ورجع صاحباه [١] وقال عروة : بل ذهبا إلى النبى ﷺ فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة . وقال الزهرى وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ .

[قال ابن إسحاق : قال : فجئت به و كلما مررت بنار من نيران المسلمين ، قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسـول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ فى رقبة أبى سفيان وأراد قتله فمنعه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأَزِمَّةِ جمالهم فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : وفد رسول الله ﷺ ، فلقيهم العباس فدخل بهم على رسول الله ﷺ ، فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا ،

---

(١) صاحباه : بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام .

وأن محمدا رسول الله فشهد حكيم وبديل وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ، ثم أسلم بعد الصبح ، ثم سألوه أن يؤمن قريش فقال : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ـ وكانت بأعلا مكة ـ ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ـ وكانت بأسفل مكة ـ ومن أغلق بابه فهو آمن » .

قال العباس :] [1] ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء ، قال : فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى فلأضرب عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت : والله لا يناجيه الليلة دونى رجل ، فلما أكثر عمر فى شأنه قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله : « اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتنى به » قال : فذهبت به إلى رحلى فبات عندى ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئا بعد ، قال : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ » قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال له العباس : ويحك ، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، قال : فشهد شهادة الحق فأسلم ، قال العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئا ، قال : « نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » [زاد عروة « ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهرى] [2] « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها » .

---

(١) مابين المربعين عن المصرية فقط .

(٢) مابين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية .

[وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا سفيان وبديلا وحكيم بن حزام كانوا وقوفا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لأبى سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فشكى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فعزله عن راية الأنصار وأعطاها الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكةوغرزهابالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة فلقيه بنو بكر وهذيل فقتل من بنى بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا فقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد] (١) قال العباس : فخرجت بأبى سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه ، قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالي ولسليم ؟ ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزنية ، فيقول : مالي ولمزينة ؟ حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا سألنى عنها فإذا أخبرته قال : مالي ولبنى فلان ؟ حتى مر رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ، قال ما لأحدٍ بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ! قال : قلت : يا أبا سفيان إنها النبوة ، قال : فنعم إذن ، قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لاقبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس ، قُبِّح من طليعة قوم ، فقال أبو سفيان : ويلكم ، لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم و إلى المسجد .

[وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لما مر بأبى سفيان قال له : إنى لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه علي ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك ، إن هؤلاء صدقونى إذ كذبتمونى ونصرونى إذ أخرجتمونى » ثم شكى إليه قول سعد بن عبادة حين مر عليه فقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . فقال رسول الله : « كذب سعد ، بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تُكْسَى فيه الكعبة » وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التى كان عند العباس

---

(١) مابين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية .

ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون فى استعمال الطهارة خاف وقال للعباس : مابالهم ؟ قال : إنهم قد سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة ، فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ، ما يأمرهم بشىء إلا فعلوه ؟ قال : نعم ، والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه . وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أنه لما توضأ رسول الله ﷺ جعلوا يتكففون فقال : يا عباس ، ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصر] (١) .

وقد روى الحافظ البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس ، فذكر هذه القصة بتمامها ، كما أوردها زياد البكائى عن ابن إسحاق منقطعة فالله أعلم . على أنه قد روى البيهقى من طريق أبى بلال الأشعرى عن زياد البكائى عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبى سفيان إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذكر القصة إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدى رسول الله ﷺ ، وأنه لما قال رسول الله ﷺ : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان : وما تسع دارى ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال : « و من دخل المسجد فهو آمن » قال : وما يسع المسجد فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان هذه واسعة .

وقال البخارى : حدثنا عبيد بن إسمعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ! فقال بديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو ، فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان ، فلما سار قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر مع رسول الله ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبى سفيان ، فمرت كتيبة فقال : يا عباس ، من هذه ؟ قال : هذه غفار ، قال : مالى ولغفار ؟ ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت

---

(١) مابين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية ولا التيمورية .

سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : ياعباس ، حبذا يوم الذمار ، ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله ﷺ بأبى سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : ما قال ؟ قال : قال : كذا وكذا ، فقال ﷺ : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون .

قال عروة : أخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : هاهنا أمر رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : نعم ، قال : وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، ودخل رسول الله ﷺ من كُدَى ، فَقُتِل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان : حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهرى . وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا يحيى بن آدم حدثنا إدريس عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبى سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس : يا رسول ، الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئا ؟ قال : « نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله ﷺ مكـــــــة

ثبت فى الصحيحين من حديث مالك عن الزهرى عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ، فقال : « اقتلوه » قال مالك : ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى ، والله أعلم ، محرما . وقال أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء ، ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهنى عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، من غير إحرام . وروى مسلم من حديث أبى أسامة عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو ابن حريث عن أبيه قال : كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية

سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه . وروى مسلم فى صحيحه والترمذى والنسائى من حديث عمار عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وروى أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم عن شريك القاضى عن عمار الدهنى عن أبى الزبير عن جابر قال : كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة أبيض . وقال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عائشة : كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من مِرْط مُرَجَّل .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن عبد الله بن قرة قال : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يُرجِّع [1] ، وقال : لولا أن يجتمع الناس حولى لرجَّعتُ كما رجَّع ، وقال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل. وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا دعلج بن أحمد حدثنا أحمد بن على الأبار حدثنا عبد الله بن أبى بكر المقدسى حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا .

وقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر بن بالويه حدثنا أحمد بن صاعد حدثنا إسماعيل بن أبى الحارث حدثنا جعفر بن عون حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن ابن مسعود أن رجلا كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة ، فقال : « هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان ابن فارس وأحمد بن يحيى بن زهير عن إسمٰعيل بن أبى الحارث موصولا . ثم رواه عن أبى زكريا المزكى عن أبى عبد الله محمد بن يعقوب عن محمد بن عبد الوهاب عن جعفر ابن عون عن إسمٰعيل بن قيس مرسلا وهو المحفوظ ، وهذا التواضع فى هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكة فى مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم بخلاف ما اعتمده سفهاءُ بنى إسرائيل حين أُمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود ـ أى ركع ـ يقولون حطة فدخلوا يزحفون على آستاههم وهم يقولون : حنطة فى شعرة .

وقال البخاري : حدثنا القاسم بن خارجة حدثنا حفص بن ميسرة عن هشام بن عروة

---

(١) أى يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون [دار الغد] .

عن أبيه أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كداء التى بأعلى مكة ، تابعه أبو أسامة ووهب فى كداء . حدثنا عبيد بن إسمعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كداء ، وهو أصح ، إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكداء بالمد هى المذكورة فى الروايتين وهى فى أعلى مكة ، وكُدَى مقصور فى أسفل مكة ، وهذا المشهور والأنسب ، وقد تقدم أنه ﷺ بعث خالد بن الوليد من أعلى مكة ودخل هو ﷺ من أسفلها من كدى وهو فى صحيح البخارى والله أعلم . وقد قال البيهقى : أنبأنا أبو الحسين بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الخزامى حدثنا معن حدثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن نافع عن ابن عمر قال : لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم إلى أبى بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشده أبو بكر رضى الله عنه :

عدمتُ بُنَيتى إنْ لم تَرَوْها ... تثيرُ النقعَ من كتفىْ كداء
ينازعن الأعنةَ مُسرجاتٍ ... يلطمهنّ بالخُمُرِ النساء

فقال رسول الله ﷺ : « ادخلوها من حيث قال حسان » وقال محمد بن اسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته ، أسماء بنت أبى بكر قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أى بنية ، اظهرى بى على أبى قبيس ، قالت : وقد كُفَّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه فقال : أى بنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك السواد مقبلا و مدبراً ، قال : أى بنية ذلك الوازع - يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ » قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه ، فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال أسلم فأسلم ، قالت : ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة بياضاً ، فقال رسول الله ﷺ : « غيروا هذا من شعره » ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ؟ فلم يجبه أحد ، قال : فقال : أى أُخية ، احتسبى طوقك ،

فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل ، يعنى به الصديق ذلك اليوم على التعيين لأن الجيش فيه كثرة ، ولا يكاد أحد يلوى على أحد مع انتشار الناس ، ولعل الذى أخذه تأول أنه من حربى والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا عبد الله الحافظ أنبانا أبو العباس الأصم أنبأنا بحر بن نصر أنبأنا ابن وهب أخبرنى ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قحافة فأتى به النبى ﷺ ، فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال : « غيروه ولا تقربوه سواداً » قال ابن وهب : وأخبرنى عمر بن محمد عن زيد بن أسلم أن رسول الله هنأ أبا بكر بإسلام أبيه . قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كداء وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى ، قال ابن إسحاق [من المهاجرين] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجل ، قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله أتسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما نأمن أن يكون له فى قريش صوله ، فقال رسول الله ﷺ لعلىّ : « أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مر به ، وقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ـ يعنى الكعبة ـ فقال النبى ﷺ : « بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة » وأمر بالراية ـ راية الأنصار ـ أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دفعت إلى ابنه قيس ابن سعد ، وقال موسى بن عقبة الزهرى : دفعها إلى الزبير بن العوام والله أعلم .

[وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار : حدثنا عبد الله بن السرى الأنطاكى حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد ، وحدثنى موسى بن عقبة عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة فجعل يهزها ويقول : اليوم يوم الملحمة ، يوم تستحل الحرمة ، قال فشق ذلك على قريش وكبر فى نفوسهم ، قال : فعارضت امرأة رسول الله ﷺ فى مسيرة وأنشأت تقول :

يا نبى الـهـدى إلـيك لجاحـ ـىُّ قريش ولاتَ حينَ لجـاءِ
حين ضاقـت عليهـم سعـة الأر ض وعـاداهـم إلـه السـمـاءِ

[والتقت حلقتا البطان على القو ... م ونودوا بالصيلم الصلعاءِ[1]]
إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ... ـر بأهل الحجونِ والبطحاءِ
خزرجى لو يستطيع من الغيـ ... ـظ رمانا بالنسر والعواءِ
[فانهينّه فإنه الأسد الأسـ ... ـود والليث والغٌ فى الدماءِ]
فلئن أقحمَ اللواءَ ونادى ... يا حماةَ اللواءِ أهلَ اللواءِ
لتكوننّ بالبطاح قريش ... بقعة القاع فى أكف الإماءِ
[إنه مصلت يريد لها الرأ ... ى صموت كالحية الصماءِ]

قال : فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد ، قال : فيروى أنه ﷺ أحب أن لا يخيبها إذ رغبت إليه واستغاثت به ، وأحب أن لا يغضب سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه ، قال ابن إسحاق][2] : وذكر ابن أبى نجيح فى حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط ، أسفل مكة ، فى بعض الناس ، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها : أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لأهل مكة بين يدى رسول الله ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة فضربت له هنالك قبته .

وروى البخارى من حديث الزهرى عن على بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال : « لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر » ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزبير عن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله ، الخيف حيث تقاسموا على الكفر » وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس حدثنا إبراهيم - يعنى ابن سعد - عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر » ورواه البخارى من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه ، وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا ، وكان

---

(١) هذا البيت لم يرد فى الأصل وإنما أورده السهيلى فى الروض الأنف ونسب الشعر إلى ضرار بن الخطاب . ولم يورد البيتين المشار إليهما بعد هذا بمربعين . مع تحرير بعض ألفاظ منها .
(٢) ما بين المربعين المروى عن ابن عساكر لم يرد فى نسخة دار الكتب المصرية .

حماس بن قيس بن خالد ، أخو بنى بكر ، يعد سلاحا قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء قال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فما لى عله ... هذا سلاح كامل وأله
وذو غرارين سريع السله

قال : ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئا من قتال فقتل كرز بن جابر ، أحد بنى محارب بن فهر ، وحبيش [١] ابن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى منقذ ، وكانا فى جيش خالد ، فشذا عنه فسلكا غير طريقه فقتلا جميعا ، وكان قتل كرز قبل حبيش [٢] قالا : وقتل من خيل خالد أيضا سلمة بن الميلاء الجهنى ، وأصيب من المشركين قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنّكِ لو شهدتِ يومَ الخندمهْ ... إذ فر صفوانُ وفر عِكرمهْ
وأبو يزيدٍ قائمٌ كالمؤتمهْ ... واستقبلتهم بالسيوفِ المسلمهْ
يقطعن كل ساعد وجمجمهْ ... ضرباً فلا يُسمع إلا غمغمهْ
لهم نهيت خلفنا وهمهمهْ ... لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمهْ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات للرعاش الهذلى ، قال : وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عبيد الله ، وقال الطبرانى : حدثنا على بن سعيد الرازى حدثنا أبو حسان الزيادى حدثنا شعيب بن صفوان عن عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر ، وما حياله من السماء حرام ، وإنه لا يحل لأحد قبلى وإنما حل لى ساعة من نهار ثم عاد كما كان » فقيل له : هذا خالد بن الوليد يقتل ؟ فقال : « قم يا فلان فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل » فأتاه الرجل فقال : إن النبى ﷺ يقول أقتل من قدرت عليه ، فقتل سبعين إنسانا فأتى النبى ﷺ فذُكِر له ذلك ، فأرسل إلى خالد فقال : « ألم أنهك عن القتل ؟» فقال : جاءنى فلان فأمرنى

(١) فى الأصل حنيش وفى ابن هشام والتيمورية خنيس وقال السهيلى إن الصواب حبيش .

(٢) وفى ابن هشام : أن خنيس بن خالد قتل فأخذه كرز فجعله بين رجليه ثم قاتل عنه حتى قتل .

أن أقتل من قدرت عليه ، فأرسل إليه « ألم آمرك ؟ » قال : أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذى كان ، فسكت عنه النبى ﷺ فما رد عليه شيئاً .

قال ابن اسحاق : و قد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دم نفر سماهم ، و إن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم : عبد الله بن سعد ابن أبى سرح ، كان قد أسلم وكتب الوحى ثم ارتد ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلا ثم قال : « نعم » فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى قد صمت فيقتله » فقالوا : يا رسول الله ، هلا أومأت إلينا ؟ فقال : « إن النبى لا يقتل بالإشارة » وفى رواية «إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين » قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد فى صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها فى بيته كما سيأتى بيانه .

قال ابن اسحاق : وعبد الله بن خطل ، رجل من بنى تيم بن غالب .

قلت : ويقال : إن اسمه عبد العزى بن خطل ، ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمى عبد الله [1] ، ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله ، ثم ارتد مشركا ، وكان له قينتان فَرْتنى وصاحبتها فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه ، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك فى قتله أبو برزة الأسلمى وسعيد بن حريث المخزومى ، وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للأخرى .

قال : والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى ، وكان ممن يؤذى رسول الله ﷺ بمكة ، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة نخس بهما الحويرث هذا الجمل الذى هما عليه فسقطتا إلى الأرض ، فلما أهدر دمه قتله على بن أبى طالب .

---

(١) وقال السهيلى : وقد قيل فى اسمه هلال وقيل إن هلالا كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان .

قال : ومقيس بن صبابة لأنه قتل قاتل أخيه خطأً بعدما أخذ الدية ثم ارتد مشركا ، قتله رجل من قومه يقال له : نميلة بن عبد الله .

قال : وسارة ، مولاة لبنى عبد المطلب ولعكرمة بن أبى جهل ، لأنها كانت تؤذى رسول الله ﷺ وهى بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التى تحملت الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة وكأنها عفى عنها أو هربت ثم أهدر دمها والله أعلم ، فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمنها فعاشت إلى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت ، وذكر السهيلى أن فرتنى أسلمت أيضاً .

قال ابن إسحاق : وأما عكرمة بن أبى جهل فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم ابنة الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه ، فذهبت فى طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمس الفقيه أنبأنا أبو بكر محمد ابن الحسين القطان أنبأنا أحمد بن يوسف السلمى حدثنا أحمد بن المفضل حدثنا أسباط ابن نصر الهمدانى قال : زعم السدى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » وهم عكرمة بن أبى جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح .

فأما عبد الله بن خطل فأُدرِك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله ، وأما مقيس فأدركه الناس فى السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف فقال أهل السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم شيئا هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم يُنجِ فى البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجى فى البر غيره ، اللهم إن لك على عهداً إن أنت عافيتنى مما أنا فيه أن آتى محمداً حتى أضع يدى فى يده فلأجدنه عفوًا كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبى سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، بايع عبد الله ، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا ، كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى كففت يدى

عن بيعتـه فيقتله ؟ » فقـالـوا : ما يدرينا يا رسول الله ما فى نفسك ، هلا أومأت إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين » . ورواه أبو داود والنسائى من حديث أحمد بن المفضل به نحوه .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم أبو زرعة الدمشقى حدثنا الحسن بن بشر الكوفى حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك قال : أمّن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة إلا أربعة ، عبد العزى بن خطل ، ومقيس ابن صبابة . وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وأم سارة ، فأما عبد العزى بن خطل فإنه قتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، قال ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبى سرح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة ، فأتى به رسول الله ﷺ ليشفع له ، فلما أبصر به الأنصارى اشتمل على السيف ثم أتاه فوجده فى حلقة رسول الله ﷺ فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبى ﷺ فبايعه ، ثم قال للأنصارى : « قد انتظرتك أن توفى بنذرك ؟ » قال : يا رسول الله هبتك ، أفلا أومضت إلىّ ؟ قال : « إنه ليس للنبى أن يومض » . وأمـا مقيس بن صبابة فذكر قصته فى قتله رجلا مسلما بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك ، قال : وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش فأتت النبى ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئا ، ثم بعث معها رجل بكتاب إلى أهل مكة ، فذكر قصة حاطب ابن أبى بلتعة . وروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم أن مقيس بن صبابة قُتِل أخوه هشام يوم بنى المصطلق ، قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركا ، فقدم مقيس مظهراً للإسلام ليطلب دية أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركا ، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قتل وهو بين الصفا والمروة ، وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقى شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شفى النفس من قد بات بالقاع مسندا ... يضـرج ثوبـيه دمـاءُ الأخـادعِ
وكـانت همـوم النفس من قبـل قتلهِ ... تلمّ وتـنـسينى وطـاءَ المضـاجـعِ
قتـلت به فهـرا وغـرمـت عقـله ... سراة بنـى الـنجـار أربـاب فارعِ
حللت به نذرى وأدركـتُ ثورتـى ... وكـنـتُ إلـى الأوثـان أولَ راجـعِ

قلت : وقيل إن القينتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابة هذا وأن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضى الله عنه .

قال ابن إسحـاق : حدثنى سعيد بن أبى هنـد عن أبى مرة ، مولى عقيل بن أبى

طالب ، أن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إلىّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم ـ قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية بن المغيرة ـ قال ابن إسحاق : وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل علىّ أخى على بن أبى طالب فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىّ فقال : « مرحباً وأهلا بأم هانىء ، ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال : « قد أجرنا من أجرت وأمّنا من أمنت فلا نقتلهما » .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبى ليلى قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبى ﷺ يصلى الضحى غير أم هانىء ، فإنها ذكرت يوم فتح مكة أن النبى ﷺ اغتسل فى بيتها ثم صلى ثمانى ركعات ، قالت : ولم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود . وفى صحيح مسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن سعد بن أبى هند أن أبا مرة ، مولى عقيل ، حدثه أن أم هانىء بنت أبى طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فر إليها رجلان من بنى مخزوم فأجارتهما ، قالت : فدخل علىَّ علىٌّ فقال : أقتلهما ، فلما سمعته أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، فلما رآنى رحب وقال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يانبى الله ، كنت أمنت رجلين من أحمائى فأراد علىّ قتلهما ، فقال رسول الله ﷺ : « قد أجرنا من أجريت يا أم هانىء » ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوبا فالتحف به ثم صلى ثمانى ركعـات سُبْحـة الضحى ، وفى رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال : « من هذه ؟» قالت : أم هانىء ، قال : « مرحبا بأم هانى » قالت : يا رسول الله زعم ابن أمّى، على بن أبى طالب ، أنه قاتل رجلين قد أجرتهما ، فقال : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » قالت : ثم صلى ثمانى ركعات وذلك ضحى ، فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى ، وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح ، وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين ، وهو يرد على السهيلى وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانيا بتسليمة واحدة وقد صلى سعد بن أبى وقاص يوم فتح المدائن فى إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين ولله الحمد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى

جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده ، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد] [١] وقال موسى بن عقبة : ثم سجد سجدتين ثم انصرف إلى زمزم ، فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ ، والناس يبتدرون وضوءه ، والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون : ما رأينا ملكا قط ولا سمعنا به ـ يعنى مثل هذا ـ وأخّر المقام إلى مكانه اليوم ، وكان ملصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم مال يدعى فهو موضوع تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل : أربعون منها فى بطونها أولادها ، يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتَعَظُّمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾ [٢] الآية كلها ثم قال : « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد ، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر قال : قال : رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ، وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده و هزم الأحزاب وحده ، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أوالعصا فيه مائة من الإبل» وقال مرة أخرى : « مغلظة فيها أربعون خلفة فى بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت فى الجاهلية ودم ودعوى» وقال مرة : « ومال تحت قدمى هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فإنهما أمضيتهما لأهلهما على ما كانت » وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة

---

(١) ما بين المربعين لم يرد فى نسخة دار الكتب المصرية .

(٢) الآية : ١٣ من سورة الحجرات .

ابن جوشن الغطفانى عن ابن عمر به . قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها فقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ؟ ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين** ﴾ (١) ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان أنبأنا عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن أبى الزبير عن جابر قال : كان فى الكعبة صور فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يمحوها فَبَلَّ عمر ثوبا ومحاها به . فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شىء . وقال البخارى : حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل** ﴾ (٢) جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) (٣) . وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة . وروى البيهقى عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن على بن عبد الله ابن عباس عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلثمائة صنم فأخذ قضيبه فجعل يهوى إلى الصنم وهو يهوى حتى مر عليها كلها ، ثم يروى من طريق سويد بن سعيد عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنما فأشار إلى كل صنم بعصا وقال : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾ (٤) فكان لا يشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه ، ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفا فالذى قبله يؤكده . وقال حنبل بن إسحاق : أنبأنا أبو الربيع عن يعقوب القمىّ حدثنا جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أَبْزَى قال : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جاءت عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله ﷺ : « تلك نائلة أيِسَتْ أن تعبد ببلدكم هذا أبداً » .

وقال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل الرواية فى إسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح

---

(١) الآية : ٦٧ من سورة آل عمران .
(٢) الآية : ٨١ من من سورة الإسراء .
(٣) الآية : ٤٩ من سورة سبأ .
(٤) الاية : ٨١ من سورة الإسـراء .

على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبى ﷺ يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعى :

وفـى الأصـنـام معـتـبر وعلم لمـن يرجـو الـثـواب أو العقـابـا

وفى صحيح مسلم عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله ابن رباح عن أبى هريرة فى حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفى يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسيتها ، فلما أتى على الصنم فجعل يطعن فى عينه ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾ فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو ، وقال البخارى : حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الصمد حدثنا أبى حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفى أيديهما الأزلام ، فقال : « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط » ثم دخل البيت فكبر فى نواحى البيت وخرج ولم يصل . تفرد به البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سوارى ، فقام إلى كل سارية ودعا ولم يصلّ فيه ، ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بن يحيى العوذى عن عطاء به ، وقال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن بكيراً حدثه عن كريب عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال : « أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوراً فما باله يستقسم ؟ » . وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرنى عثمان الخزرجى أنه سمع مقسما يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا فى نواحيه ثم خرج فصلى ركعتين ، تفرد به أحمد . وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل أنبأنا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى فى البيت ركعتين .

قال البخارى : وقال الليث حدثنا يونس أخبرنى نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول

الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ فى المسجد فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهاراً طويلا ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما ، فسأله أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذى صلى فيه ، قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة ، ورواه الإمام أحمد عن هشيم حدثنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأمر بلالا فأجاف عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج ، قال ابن عمر : فكان أول من لقيت منهم بلالا فقلت : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ قال : هاهنا بين الاسطوانتين .

قلت : وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره أنه ﷺ صلى فى الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع .

[وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل أنبأنا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى فى البيت ركعتين [1]] قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعتاب ابن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « قد علمت الذى قلتم » ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ! ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : حدثنى والدى حدثنى بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أمر بلالا فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة .

---

(١) مابين المربعين لم يرد فى نسخة دار الكتب المصرية .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال : قال ابن أبى مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالا فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه ، فإن يكن الله يكرهه فسيغيره . وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه إن رسول الله ﷺ أمر بلالا عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين . وقال محمد بن سعد عن الواقدى عن محمد بن حرب عن إسماعيل بن أبى إسحاق إن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالسا فقال فى نفسه : لو جمعت لمحمد جمعاً ؟ فإنه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال : « إذاً يخزيك الله » قال : فرفع رأسه فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبى حتى الساعة . قال البيهقى : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ـ إجازة ـ أنبأنا أبو حامد أحمد بن الحسن المقرى أنبأنا أحمد بن يوسف السلمى حدثنا محمد بن يوسف الفريابى حدثنا يونس بن إسحاق عن أبى السفر عن أبى عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشى والناس يطئون عقبيه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال ؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده فى صدره فقال : « إذاً يخزيك الله » فقال : أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به .

ثم روى البيهقى من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبى حامد بن الشرقى عن أبى محمد ابن يحيى الذهلى حدثنا موسى بن أعين الجزرى حدثنا أبى عن إسحاق بن راشد عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا فى تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترىْ هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله ، قال : ثم أصبح أبو سفيان فغدا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « قلت لهند أترى هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله ؟ » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذى يُحلَف به ما سمع قولى هذا أحد من الناس غير هند . وقال البخارى حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج أخبرنى حسن بن مسلم عن مجاهد أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لا تحل لأحد قبلى ، ولا تحل لأحد بعدى ، ولم تحلل لى إلا ساعة من الدهر ، لا ينفر صيدها ولا يعضد شوكها ولا يختلى خلاؤها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ، فإنه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال : « إلا الإذخر فإنه حلال » وعن ابن جريج أخبرنى عبد الكريم ـ هو ابن مالك الجزرى ـ عن عكرمة عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبى ﷺ ، تفرد به البخارى من هذا الوجه الأول وهو مرسل ، ومن هذا

الوجه الثانى أيضاً وبهذا وأمثاله استدل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوه ، وللوقعة التى كانت فى الخندمة كما تقدم وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهى ظاهرة فى ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء ، والمشهور عن الشافعى أنها فتحت صلحاً لأنها لم تقسم ، ولقوله ﷺ ليلة الفتح : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » وموضع تقرير هذه المسألة فى كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن شرحبيل حدثنا الليث عن المقبرى عن أبى شريح الخزاعى أنه قال لعمرو بن سعيد ، وهو يبعث البعوث إلى مكة : آئذن لى أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناى ووعاه قلبى وأبصرته عيناى حين تكلم به ، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجراً ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لأبى شريح : ماذا قال لك عمرو؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لايعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بجزية . وروى البخارى أيضا ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق أن رجلا يقال له : ابن الأثوع قتل رجلا فى الجاهلية من خزاعة يقال له : أحمر باسا ، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثْوَع وهو بمكة قتله خِرَاش بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ : « يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلا لأدينّه » قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال : إن خراشاً لقتّال، وقال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن أبى سعد المقبرى عن أبى شريح الخزاعى قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عَدَتْ خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه ، وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا فقال : « يا أيها الناس ، إن الله قد حرم مكة يوم خلق السمٰوات والأرض فهى حرام من حرام الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم

تحل لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها ، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينه ، فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين إن شاءوا فدم قاتله وإن شاءوا فعقله » ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبى شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إنى كنتُ شاهداً وكنتَ غائباً وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك فأنت وشأنك .

قال ابن هشام : وبلغنى أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جنيدب بن الأكوع قتلته بنو كعب ، فوداه رسول الله ﷺ بمائة ناقة ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال : « كفوا السلاح إلا خزاعة من بنى بكر » فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال : « كفوا السلاح » فلقى رجل من خزاعة رجلا من بنى بكر من غد بالزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال ـ فرأيته وهو مسند ظهره إلى الكعبة قال ـ « إن أعدى الناس على الله من قتل فى الحرم أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية » وذكر تمام الحديث وهذا غريب جداً . وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث ، فأما ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بنى بكر إلى العصر من يوم الفتح فلم أره إلا فى هذا الحديث ، وكأنه ، إن صح ، من باب الاختصاص لهم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير والله أعلم . وروى الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن هرون ومحمد بن عبيد ، كلهم عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى عن الحارث ابن مالك بن البرصا الخزاعى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة : « لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة » ورواه الترمذى عن بندار عن يحيى بن سعيد القطان وقال : حسن صحيح .

قلت : فإن كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفياً فقال البيهقى : معناه على كفر أهلها ، وفى صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى عن عبد الله ابن مطيع عن أبيه مطيع بن الأسود العدوى قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « لا يقتل قرشى صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة » والكلام عليه كالأول سواء .

قال ابن هشام : وبلغنى أن رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائة قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شىء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذ الله ، المحيا محياكم والممات مماتكم » وهذا الذى علقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده فقال : حدثنا بهز وهاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت . وقال هاشم : حدثنى ثابت البنانى ، حدثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك فى رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال : وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ، قال هاشم : يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال : فقلت : ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلى ؟ قال : فأمرت بطعام يصنع ، فلقيت أبا هريرة من العشاء ، قال : قلت : يا أبا هريرة ، الدعوى عندى الليلة قال : استبقنى [1] قال هاشم : قلت : نعم ، فدعوتهم فهم عندى ، فقال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ فقال : فذكر فتح مكة قال :

أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة فبعث الزبير على أحد المجنبتين وبعث خالدا على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر وأخذوا بطن الوادى ، ورسول الله ﷺ فى كتيبته وقد وبشت قريش أوباشها ، قال : قالوا : نقدم هؤلاء فإن كان لهم شىء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطيناه الذى سألنا ، قال أبو هريرة : فنظر فرآنى ، فقال : « يا أبا هريرة » فقلت : لبيك رسول الله ، فقال : « اهتف لى بالأنصار ولا يأتينى إلا أنصارى » فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله ﷺ قال : فقال رسول الله ﷺ : « أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : « أحصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا » قال : فقال أبو هريرة : فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحدهم منهم يوجه إلينا منهم شيئا ، قال : فقال أبو سفيان : يا رسول الله ، أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال : فغلّق الناس أبوابهم ، قال : وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت ، قال : وفى يده قوس آخذ بسية القوس ، قال : فأتى فى طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه ، قال : فجعل يطعن بها فى عينه ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ [2] قال :

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب « أسبقتنى أو اسبقنى » .

(٢) الآية : ٨١ من سورة الإسراء .

ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه ، قال : والأنصار تحت ، قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته .

قال أبو هريرة : وجاء الوحى ، وكان إذا جاء الوحى لم يَخْفَ علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى ، قال هاشم : فلما قضى الوحى رفع رأسه ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أقلتم : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله ، قال : « فما أُسمّى إذاً ؟ كلا ، إنى عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم والممات مماتكم » قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله ورسوله ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة ، زاد النسائى وسلام بن مسكين ورواه مسلم من حديث حماد ابن سلمة ثلاثتهم عن ثابت عن عبد الله بن رباح الأنصارى ، نزيل البصرة ، عن أبى هريرة به نحوه .

وقال ابن هشام : وحدثنى ـ يعنى بعض أهل العلم ـ أن فضالة بن عمير الملوَّح ـ يعنى الليثى ـ أراد قتل النبى ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : « أفضالة ؟ » قال : نعم ، فضالة يا رسول الله ، قال : « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شىء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبى ﷺ ثم قال : « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب إلىّ منه ، قال فضالة : فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت : هلم إلى الحديث ؟ فقال : لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا ... يأْبى عليك الله والإسلامُ
لوما رأيتِ محمداً وقبيلهُ ... بالفتحِ يومَ تُكسر الأصنامُ
لرأيتِ دينَ اللهِ أضحى بيّناً ... و الشركَ يغشى و جهَهُ الإظلامُ

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا نبى الله ، إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر ، فأمّنه

يا رسول الله صلى الله عليك فقال : « هو آمن » فقال : يا رسول الله فأعطنى آية يعرف بها أمانك ؟ فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب فى البحر فقال : يا صفوان فداك أبى و أمى ، الله الله فى نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله ﷺ ، وقد جئتك به ، قال : ويلك ، آغرب عنى فلا تكلمنى ، قال : أى صفوان ، فداك أبى وأمى ، أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك ، عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ، قال : إنى أخافه على نفسى ، قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ، فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمّنتنى ، قال : « صدق » قال : فاجعلنى بالخيار فيه شهرين ؟ قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » ثم حكى ابن إسحاق عن الزهرى أن فاختة بنت الوليد ، امرأة صفوان ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، امرأة عكرمة ابن أبى جهل ، وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم ، فلما أسلم أقرهما رسول الله ﷺ تحتهما بالنكاح الأول ، قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسان بن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه :

لا تعدمن رجلا أحلك بغضه ... نجران فى عيش أحَذَّ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال حين أسلم :

يا رسول المليك إن لسانى ... راتق ما فتقت إذ أنا بورُ
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغـ ... ـى ومن مال ميله مثبورُ
آمن اللحم والعظام لربى ... ثم قلبى الشهيد أنت النذيرُ
إننى عنكَ زاجر ثم حيًّا ... من لؤى وكلهم مغرورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضاً حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهموم ... والليل معتلجُ الرواق بهيمُ
مما أتانى أن أحمدَ لامنى ... فيه فبتّ كأننى محمومُ
يا خيرَ مَن حملت على أوصالها ... عيرانة سرحُ اليدين غشومُ
إنى لمعتذرٌ إليك منَ الذى ... أسديتُ إذْ أنا فى الضلالِ أهيمُ
أيام تأمرنى بأغوى خطة ... سهم وتأمرنى بها مخزومُ
وأمد أسباب الردى ويقودنى ... أمر الغواة وأمرهم مشئومُ
فاليومَ آمنَ بالنبى محمدٍ ... قلبى ومخطىء هذه محرومُ

مضتِ العـداوةُ وانقضتْ أسبـابهـا ... ودعـتْ أواصـرُ بينـنـا وحـلومُ
فاغفـر فدًى لك والـدىّ كلاهمـا ... زلـلى فإنـك راحـمٌ مرحـومُ
وعـليك مِنْ علم الـمليك علامـةٌ ... نورٌ أغـرُّ وخـاتـمُ مختـومُ
أعـطاك بعـد محبـةٍ برهـانَـهُ ... شرفًـا وبـرهـانُ الإلـه عظيمُ
ولـقـد شهـدتُ بأن دينـك صادقٌ ... حق وأنـكَ فى الـمـعـادِ جسيمُ
والله يشهـدُ أن أحمـد مصـطفى ... مستـقبـل فى الصـالحين كريمُ
قرم علا بنـيانـه من هاشـمٍ ... فرع تمـكـن فى الـذرى وأرومُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبعرى السهمى من أكبر أعداء الإسلام ، ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم فى هجاء المسلمين ، ثم مَنّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه .

فصـــــــل

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف : من بنى سليم سبعمائة ، ويقول بعضهم ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عروة والزهرى وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله ﷺ اثنى عشر ألفاً ، فالله أعلم . قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الأصابـع فالجواء [١] ... إلـى عذراء منـزلـهـا خلاءُ
ديارٌ من بنى الـحسـجـاس قَفْـرٌ ... تعـفيهـا الـروامسُ و السـمـاءُ
وكـانـت لا يزال بهـا أنـيسٌ ... خلالَ مروجـهـا نَعَـمٌ وشـاءُ
فدع هذا ولـكـن مَنْ لِطَيْفٍ ... يؤرّقـنـى إذا ذهـب الـعـشـاءُ
لشعـثـاءَ الـتى [٢] قد تيّمـتْـهُ ... فليس لقـلبـهِ منـهـا شفـاءُ
كأنّ خبيئـةً من بيتِ رأس ... يكـون مزاجَـهـا عسـلٌ ومـاءُ

---

(١) مواضع بالشام وعذراء قرية عند دمشق .

(٢) شعثاء بنت سلام بن مشكم اليهودى .

إذا ما الأشْرُبات ذكرن يوماً … فهن لطيّب الراح الفداءُ
نوليها الملامة أن ألمنا[1] … إذا ما كان مغث أو لحاءُ[2]
ونشربها فتتركنا ملوكا … وأُسْداً ما ينهنهها اللقاءُ
عُدِمنا خيلَنا إن لم تروها … تثيرُ النقعَ موعدها كداءُ
ينازعن الأعنّة مصغياتٍ … على أكتافها الأسلُ الظماءُ
تظل جيادُنا متمطراتٍ … يلطمهنّ بالخُمُر النساءُ
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا … وكان الفتح و انكشفَ الغطاءُ
وإلا فاصبروا لجلادِ يومٍ … يُعز[3] الله فيه من يشاءُ
وجبريل رسول الله فينا … وروح القدس ليس له كفاءُ
وقال الله قد أرسلتُ عبداً … يقول الحقّ إن نفع البلاءُ
شهدتُ به فقوموا صدّقوه … فقلتمْ لا نقومُ و لا نشاءُ
وقال الله قد سيّرتُ جندا … هم الأنصارُ عرضتها اللقاءُ
لنا في كل يومٍ من مَعد … سبابٌ أو قتالٌ أو هجاءُ
فنحكمُ بالقوافي من هجانا … ونضربُ حين تختلط الدماءُ
ألا أبلغِ أبا سفيان عني … مغلغلةً فقد برح الخفاءُ
بأن سيوفَنا تركتك عبداً … وعبد الدار سادتها الإماءُ
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه … وعند الله في ذاك الجزاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفء … فشرّكما لخيركما الفداءُ
هجوتَ مباركا برًّا حنيفاً … أمين الله شيمتُهُ الوفاءُ
أمن يهجو رسول الله منكم … ويمدحُهُ وينصرهُ سواءُ
فإن أبي ووالده وعرضي … لعرض محمد منكم وقاءُ
لساني صارمٌ لا عيب فيه … وبحري لا تكدره الدلاءُ[4]

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجه لما في أثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك ، وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

---

(١) قال السهيلي : أتينا بها نلام عليه صرفناه إلى الخمر .
(٢) المغث الضرب باليد واللحاء الملاحاة باللسان .
(٣) وفي رواية يعين الله .
(٤) وقد زاد السهيلي على هذه القصيدة أربعة أبيات .

قال ابن هشام : ويلغنى عن الزهرى أنه قال: لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخُمر تبسم إلى أبى بكر رضى الله عنه . قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زنيم الدؤلى ، يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى ـ يعنى لما جاء يستنصر عليهم ـ كما تقدم :

أأنت الذى تهدى معد بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك اشهدِ
وما حملتْ من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمدِ
أَحثُّ على خير وأسبغ نائلا ... إذا راح كالسيف الصقيل المُهنَّدِ
وأكسى لبرد الخال (١) قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابق المتجردِ
تعلم رسولَ الله أنك مدركى ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليدِ
تعلم رسولَ الله أنك قادرٌ ... على كل صرم متهمين ومنجدِ
تعلم أن الركب ركب عويمر ... هم الكاذبون المخلوف كل موعدِ
ونبوا رسول الله أنى هجوته ... فلا حملت سوطى إلىّ إذن يدى
سوى أننى قد قلت ويل ام فتية ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعدِ
أصابهمو من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزتْ عَبْرتى وتبلّدى
وإنك قد أخبرت أنك ساعياً ... بعبد بن عبد الله وابنة مهودِ
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعاً فإن لا تدمع العين أُكمدِ
وسلمى و سلمى ليس حى كمثلة ... وإخوته وهل ملوك كأَعْبُدِ
فإنى لا ذنباً فتقتُ ولا دماً ... هرقتُ تبين عالم الحق واقصدِ

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :

نفى أهل الحبلق (٢) كل فج ... مزينة غدوة وبنو خفافِ
ضربناهم بمكة يوم فتح النـ ... ـبى الخير بالبيض الخفافِ
صبحناهم بسبع من سليم ... و ألف من بنى عثمان وافِ
نطا أكتافهم ضرباً وطعناً ... ورشقاً بالمريشة اللطافِ
ترى بين الصفوف لها حفيفاً ... كما انصاع الفواق من الرصافِ

---

(١) الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب ولعله سمى بالخال من الخيلاء أ هـ عن السهيلى .

(٢) الحبلق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحبلق الغنم الصغار ولعله آراد أصحاب الغنم . قاله السهيلى .

فرحـنـا والـجـياد تجـول فيهـم ... بأرمـاح مقـوّمـة الـثـقـافِ
فأُبـنـا غـانـمين بمـا اشـتـهيـنا ... وآبـوا نـادمـين على الـخـلافِ
وأعـطينـا رسـولَ الله منّـا ... مواثـقـنـا على حسنِ التـصـافى
وقـد سمعـوا مقـالتنـا فهمـو ... غداة الـروع منـا بانـصـرافِ

وقال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة :

منـا بمـكـة يوم فتـح محـمـدٍ ... ألـفٌ تسيل به الـبـطاح مسـوّمُ
نصـروا الـرسول و شاهـدوا آياتـه ... وشـعـارهـم يوم الـلقـاء مقـدّمُ
فى منـزل ثبـتـت به أقـدامـهـم ... ضنـك كأن الـهـام فيه الـحـنتـمُ
جرت سنـابكـهـا بنجـد قبلهـا ... حتى استقـام لهـا الحجـاز الأدهمُ
الله مكّـنـه له وأذلّـه ... حكـم الـسيوف لنـا وجـد مزحـمُ
عود الـرياسـة شامـخـاً عرنينـه ... متـطلع ثغـر الـمكـارم خضـرمُ

وذكر ابن هشام فى سبب إسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنما من حجارة يقال له : ضمار ، فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوما يخدمه إذ سمع صوتا من جوفه وهو يقول :

قل للقـبـائـل من سليم كلّهـا ... أودى ضمـار وعـاش أهـلُ المسجدِ
إن الـذى ورث الـنـبـوة والهـدى ... بعـد ابن مريم من قريشٍ مهتـدى
أودى ضمـار وكـان يعـبـد مدة ... قبـل الـكـتـابِ إلى النبى محمـدِ

قال : فحرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكمالها فى باب هواتف الجان مع أمثالها وأشكالها ، ولله الحمد والمنة .

بعثه عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب وسليم ين منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة ابن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد

أسلموا : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا ، يقال له : جحدم : ويلكم يا بنى جذيمة ، إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً ، قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا ؟! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن الناس ، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد ، قال ابن إسحاق : فقال حكيم بن حكيم : عن أبى جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « هل أنكر عليه أحد ؟ » فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم ، مولى أبى حذيفة ، قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن أبى جعفر قال : ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال : « يا على ، آخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدى ميلغة الكلب ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال وداه بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علىّ ، حين فرغ منهم : هل بقى لكم دم أومال لم يود لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون ، ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال : « أصبت وأحسنت » ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهراً يديه ، حتى إنه ليرَى ما تحت منكبيه يقول : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات ، قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعـذر خالـداً : إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدينى : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صبأنا صبأنا وهذه مرسلات ومنقطعات ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن

الـوليد إلى بنى ـ أحسبـه قال ـ جذيمـة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلا ، قال : ودفع إلى كل رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ، قال ابن عمر : فقلت : والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابى أسيره ، قال : فقدموا على النبى ﷺ فذكروا صنيع خالد فقال النبى ﷺ ، ورفع يديه : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين ، ورواه البخارى والنسائى من حديث عبد الرزاق به نحوه ، قال ابن إسحاق : وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد : يا بنى جذيمة ، ضاعْ الضرب ، قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه .

قال ابن إسحاق : وقد كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف ـ فيما بلغنى ـ كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام ؟ فقال : إنما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه ابن المغيرة ، حتى كان بينهما شر ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهبا ثم أنفقتَه فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته » ثم ذكر ابن اسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله ابن عمـر بن مخـزوم ، عم خالد بن الوليد ، فى خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان فى تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بنى جذيمة كان هلك باليمن فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له : خالد بن هاشم ولقيهم بأرض بنى جذيمة فطلبه منهم ، قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه فقاتلهم حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما ، وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هاشم وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة فبعث بنو جذيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملإ منهم وودوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم ، يعنى فلهذا قال خالد لعبد الرحمن : إنما ثأرت بأبيك ، يعنى حين قتلته بنو جذيمة ، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، ورد عليه بأنه إنما ثأر بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله .

والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئا من ذلك وإنما يقال هذا فى وقت المخاصمة ، فإنمـا أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله وإن كان قد أخطأ فى أمر واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم صبأنا صبأنا ، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا فقتل طائفة كثيرة

منهم وأسر بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ بل استمر به أميرا ، وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك وودى ما كان جناه خطأ فى دم أو مال ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء فى أن خطأ الإمام يكون فى بيت المال لا فى ماله والله أعلم ، ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فإن فى سيفه رهقا ، فقال الصديق : لا أغمد سيفا سله الله على المشركين .

وقال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الزهرى عن ابن أبى حدود الأسلمى قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بنى جذيمة : وهو فى سنى وقد جمعت يداه إلى عنقه برُمَّة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ، قلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ما طلبت ، فأخذت برمته فقدته بها حتى وقفته عليهن فقال : اسلمى حبيش على نفد العيش :

أَريتـكِ إذ طالبتكم فوجدتكمْ ... بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يكُ أهلا أن ينولَ عاشقٌ ... تكلّف إدلاجَ السرى والودائق
فلا ذنبَ لى قد قلتُ إذ أهلُنا معاً ... أثيبى بودٍّ قبل إحدى الصفائق
أثيبى بود قبل أن يشحط النوى ... وينأى الأميرُ بالحبيب المفارق
فإنى لا ضيعتُ سرَّ أمانةٍ ... ولا راق عينى عنكِ بعدك رائق
سوى أنّ ما نال العشيرة شاغلٌ ... عن الودّ إلا أن يكون التوامق

قالت : وأنت فحييت عشراً وتسعاً وتراً وثمانيا تترى ، قال : ثم انصرفتُ به فضربت عنقه ، قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى عن أشياخ منهم عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه فمازالت تقبله حتى ماتت عنده ، وروى الحافظ البيهقى من طريق الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق أنه سمع رجلا من مزينة يقال له : ابن عصام عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحداً » قال : فبعثنا رسول الله ﷺ فى سرية وأمرنا بذلك ، فخرجنا قبل تهامة فأدركنا رجلا يسوق بظعائن فقلنا له : أسلم ، فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه به . فإذا

هو لا يعرفه ، قال : أفرأيتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا : نقتلك ، فقال : فهل أنتم منظرىّ حتى أدرك الظعائن ؟ قال : قلنا : نعم ، ونحن مدركوك ، قال : فأدرك الظعائن ، فقال : اسلمى حبيش قبل نفاد العيش ، فقالت الأخرى : أسلم عشراً وتسعاً وتراً وثمانياً تترى ، ثم ذكر الشعر المتقدم إلى قوله : وينأى الأمير بالحبيب المفارق ، ثم رجع إلينا فقال : شأنكم ، قال : فقدمناه فضربنا عنقه ، قال : فانحدرت الأخرى من هودجها فجثت عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقى من طريق أبى عبد الرحمن النسائى حدثنا محمد بن على بن حرب المروزى حدثنا على بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إنى لست منهم ، إنى عشقت امرأة فلحقتها فدعونى أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بى ما بدا لكم ، قال : فإذا امرأة أدماء طويلة ، فقال لها : اسلمى حبيش قبل نفاد العيش ، ثم ذكر البيتين بمعناهما ، قال : فقالت : نعم ، فديتك ، قال : فقدموه فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فقال : « أما كان فيكم رجل رحيم » .

بعث خالد بن الوليد لهدم العزى

قال ابن جرير : وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ [1] قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بيتا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر ، وكان سدنتها وحجابها من بنى شيبان من بنى سليم ، حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع حاجبها السلمى بمسير خالد بن الوليد إليها علق سيفه عليها ثم اشتد فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عزّ شدّى شدة لا شوى لها ... على خالدٍ ألقى القناعَ و شمّرى
أيا عزّ إن لم تقتلى المرءَ خالداً ... فبوئى بإثمٍ عاجلٍ أو تنصّرى

قال : فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ، وقد روى الواقدى وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله ﷺ ،

---

(١) أى : عام فتح مكة [دار الغد] .

فقال : « ما رأيت ؟ » قال : لم أر شيئاً ، فأمره بالرجوع ، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول :

يا عُزَّى كفرانكِ لا سبحانكِ إنى رأيتُ الله قد أهانكِ

ثم خرب ذلك البيت الذى كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال : « تلك العزى ولا تعبد أبداً » وقال البيهقى : أنبأنا محمد بن أبى بكر الفقيه أنبأنا محمد بن أبى جعفر أنبأنا أحمد بن على حدثنا أبو كريب عن ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبى الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى ، فأتاها ، وكانت على ثلاث سمرات ، فقطع السمرات وهدم البيت الذى كان عليها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئاً » فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة ، وهم حجابها ، أمعنوا هربا فى الجبل وهم يقولون : ياعزى خَبِّليه ، ياعزى عَوِّريه وإلا فموتى برغم ، قال : فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبى ﷺ فأخبره ، فقال : « تلك العزى » .

فصل فى مدة إقامته ﷺ بمكة

لاخلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر ، وهذا دليل من قال من العلماء : إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يقصر ويفطر إلى ثمانية عشر يوما فى أحد القولين ، وفى القول الآخر كما هو مقرر فى موضعه ، قال البخارى : حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان ح وحدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن يحيى بن أبى إسحاق عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ عشراً يقصر الصلاة ، وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبى إسحاق الحضرمى البصرى عن أنس به نحوه . ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله أنبأنا عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ تسعة عشر يوما يصلى ركعتين ، ورواه البخارى أيضاً من وجه آخر ، زاد البخارى وأبو حصين ، كلاهما ، وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عاصم بن سليمان الأحول عن عكرمة عن ابن عباس به ، وفى لفظ لأبى داود سبعة عشر يوما .

وحدثنا أحمد بن يونس حدثنا أحمد بن شهاب عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ فى سفر تسع عشرة نقصر الصلاة ، قال ابن عباس : فنحن

نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة ، فإذا زدنا أتممنا . وقال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن علية حدثنا على بن زيد عن أبى نضرة عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح فأقام ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين يقول : « يا أهل البلد ، صلوا أربعاً فإنا سَفْر » وهكذا رواه الترمذى من حديث على بن زيد بن جدعان وقال : هذا حديث حسن ، ثم روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ، ثم قال : رواه غير واحد عن ابن إسحاق لم يذكروا ابن عباس ، وقال ابن إدريس : عن محمد بن إسحاق عن الزهرى ومحمد بن على بن الحسين وعاصم بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل فى الأحكام التى حكمها رسول الله ﷺ بمكة

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك بن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبى ﷺ ، وقال الليث : حدثنى يونس عن ابن شهاب أخبرنى عُروة بن الزبير أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبى وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة ، وقال عتبة : إنه ابنى ، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة فى الفتح أخذ سعد بن أبى وقاص ابن وليدة زمعة فأقبل به إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه عبد بن زمعة ، فقال سعد بن أبى وقاص هذا ابن أخى عهد إلىّ أنه ابنه ، قال عبد بن زمعة : يا رسول الله ، هذا أخى ، هذا ابن زمعة ولد على فراشه ، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة فإذا هو أشبة الناس بعتبة بن أبى وقاص ، فقال رسول الله ﷺ : « هو لك ، هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراشه » وقال رسول الله ﷺ : « احتجبى منه يا سودة » لما رأى من شبه عتبة بن أبى وقاص ، قال ابن شهاب : قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « الوَلَد للفراش وللعاهر الحجر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرح بذلك ، وقد رواه البخارى أيضا ومسلم وأبو داود والترمذى ، جميعا عن قتيبة عن الليث به ، وابن ماجه من حديثه ، وانفرد بروايته له من حديث مالك عن الزهرى .

ثم قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا عبد الله أنبأنا يونس عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أن امرأة سرقت فى عهد رسول الله ﷺ فى غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه ، قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ

وقال : « أتكلمنى فى حد من حدود الله ؟ » فقال أسامة : استغفر لى يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، قالت عائشة : كانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ وقد رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة به .

وفى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى قال : أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهى عنها ، وفى رواية فقال : « ألا إنها حرام ، حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة » وفى رواية فى مسند أحمد والسنن أن ذلك كان فى حجة الوداع ، فالله أعلم ، وفى صحيح مسلم عن أبى بكر بن شيبة عن يونس ابن محمد عن عبد الواحد بن زياد عن أبى العميس عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : رخص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس فى متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه ، قال البيهقى : وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبت النهى عنها فى غزوة خيبر قال : إنها أبيحت مرتين ، وحرمت مرتين ، وقد نص على ذلك الشافعى وغيره ، وقد قيل : إنها أبيحت وحرمت أكثر من مرتين فالله أعلم ، وقيل : إنها إنما حرمت مرة واحدة وهى هذه المرة فى غزوة الفتح ، وقيل : إنها إنما أبيحت للضرورة ، فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت وهذا رواية عن الإمام أحمد ، وقيل : بل لم تحرم مطلقاً وهى على الإباحة ، هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحرير ذلك فى الأحكام .

فصـــــــل

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا ابن جريج أنبأنا عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح ، قال : جلس عند قرن مستقبله فبايع الناس على الإسلام والشهادة ، قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرنى محمد بن الأسود بن خلف أنه بايعهم على الإيمان بالله

وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، تفرد به أحمد ، وعند البيهقى ، فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام والشهادة . وقال ابن جرير : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ فجلس لهم - فيما بلغنى - على الصفا ، وعمر ابن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها لما كان من صنيعها بحمزة [فهى تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك ، فلما دنون من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال : « بايعننى على أن لا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال ، قال : « ولا تسرقن » فقالت : والله إنى كنت أصبت من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أكان ذلك علينا حلالا أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهدا لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل ، فقال رسول الله ﷺ : « وإنك لهند بنت عتبة ؟ » قالت : نعم ، فاعف عما سلف عفا الله عنك ، ثم قال « ولا يزنين » فقالت : يا رسول الله ، وهل تزنى الحرة ؟ ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربيناهم صغاراً حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كباراً (١) فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق ، ثم قال ﷺ : « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل ، ثم قال : « ولا يعصيننى » فقالت : فى معروف ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : « بايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » فبايعهن عمر ، و كان رسول الله ﷺ لايصافح النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه .

وثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لا والله ما مستْ يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، وفى رواية ، ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول : « إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة » وفى الصحيحين عن عائشة أن هند بنت عتبة ، امرأة أبى سفيان ، أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنىّ ، فهل علىّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال : خذى من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفى بنيك (٢)] [وروى البيهقى من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت : يارسول الله ، ما كان مما على وجه الأرض أهل أخباء أو خباء - الشك من

---

(١) هذه رواية السهيلى وفى الأصول : أفتقتلهم كباراً فأنت وهم أعلم .

(٢) ما بين المربعين لم يرد فى نسخة دار الكتب المصرية .

أبى بكر ـ أحبَّ إلىّ من أن يذلوا من أهل أخبائك ـ أو خبائك ـ ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك ، فقال رسول الله ﷺ : « وأيضا والذى نفس محمد بيده » قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح فهل علىّ حرج أن أطعم من الذى له ؟ قال : « لا ، بالمعروف » ورواه البخارى عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق بإسلام أبى سفيان] [1] .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ، يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم ألا فانفروا » ورواه البخارى عن عثمان بن أبى شيبة ومسلم عن يحيى بن يحيى عن جرير . وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا وهب حدثنا ابن طاوس عن أبيه عن صفوان بن أمية أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر ، فقلت له : لا أدخل منزلى حتى أسأل رسول الله ﷺ ما سأله ، فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » تفرد به أحمد ، وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر : حدثنا الفضيل بن سليمان حدثنا عاصم عن أبى عثمان النهدى عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبى معبد إلى النبى ﷺ ليبايعه على الهجرة فقال : « مضت الهجرة لأهلها ، أبايعه على الإسلام والجهاد » فلقيت أبا معبد فسألته ، فقال : صدق مجاشع . وقال خالد : عن أبى عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد .

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا عاصم عن أبى عثمان قال : حدثنى مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخى بعد يوم الفتح فقلت : يا رسول الله جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة قال : « ذهب أهل الهجرة بما فيها » فقلت : على أى شىء تبايعه ؟ قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد » فلقيت أبا معبد بعد وكان أكبرهما سناً فسألته فقال : صدق مجاشع ، وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام ؟ فقال : لا هجرة ، ولكن انطلق فاعرض نفسك فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت . وقال أبو النضر : أنبأنا أبو بشر سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر فقال : لاهجرة اليوم ـ أو بعد رسول الله ﷺ ـ مثله ، حدثنا إسحاق بن يزيد حدثنا يحيى بن حمزة حدثنى أبو

---

(١) ما بين المربعين عن النسخة التيمورية ولم يرد فى غيرها .

عمرو الأوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد بن جبير أن عبد الله بن عمر قال : لاهجرة بعد الفتح ، وقال البخارى : حدثنا إسحاق بن يزيد أنبأنا يحيى بن حمزة أنبأنا الأوزاعى عن عطاء بن أبى رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، وكان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله عز وجل وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ، ولكن جهاد ونية .

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الكاملة أو مطلقا قد انقطعت بعد فتح مكة ، لأن الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه فلم تبق هجرة ، اللهم إلا أن يعرض حال يقتضى الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم فتجب الهجرة إلى دار الإسلام ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ، ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلا من الجهاد والإنفاق فى سبيل الله مشروع ورغب فيه إلى يوم القيامة وليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح ، فتح مكة ، قال الله تعالى : ﴿ **لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى** ﴾ [(١)] الآية . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى الطائى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال ، لما نزلت هذة السورة : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ [(٢)] قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ، وقال : « الناس خير وأنا وأصحابى خير » وقال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت ، وعنده] [(٣)] رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق ، تفرد به أحمد .

وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم ، فدعاهم ذات

---

(١) الآية : ١٠ من سورة الحديد .

(٢) الآية : ١ من سورة النصر .

(٣) مابين المربعين لم يرد فى الحلبية ، وفى نسخة دار الكتب والتيمورية بهذا السياق .

يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فقال بعضهم : أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾ [1] قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما يقول . تفرد به البخاري ، وهكذا روي من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنعي رسول الله ﷺ في أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد ، كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد ابن جُبَير عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ قال رسول الله ﷺ : « نُعِيت إليَّ نفسي » بأنه مقبوض في تلك السنة ، تفرد به الإمام أحمد وفي إسناده عطاء ابن أبي مسلم الخراساني وفيه ضعف ، تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، وفي لفظه نكارة شديدة وهو قوله : بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل ، فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها ، كما تقدم بيانه ، وهذا ما لا خلاف فيه ، وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضا ، وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني ، رحمه الله ، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن أبي العُميس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعا ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فيه نكارة أيضا وفي إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جمعها كما قال والله أعلم . وقد تكلمنا على تفسير هذه السورةالكريمة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وقال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو بن سلمة ـ قال لي أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله ؟ فلقيته فسألته ـ قال : كنا بماء ممرَّ الناس ، وكان يمرّ بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا ، فكنت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنما يغرى

---

(١) الآية : ٣ من سورة النصر .

فى صدرى ، وكانت العرب تلوَّم بإسلامهم الفتح فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبى صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبى قومى بإسلامه ، فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبى حقًّا ، قال : صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً ، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدّمونى بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة إذا سجدت تقلصت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تغطون عنا آست قارئكم ؟! فاشتروا فقطعوا لى قميصا ، فما فرحت بشىء فرحى بذلك القميص ، تفرد به البخارى دون مسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى : ﴿ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾ [1] وقد ذكر محمد ابن إسحاق بن يسار فى كتابه أن خروج رسول الله ﷺ إلى هوزان بعد الفتح فى خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه ﷺ إليهم بخمس عشرة ليلة ، وهكذا روى عن ابن مسعود ، وبه قال عروة بن الزبير ، واختاره أحمد وابن جرير فى تاريخه ، وقال الواقدى : خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لست خلون من شوال فانتهى إلى حنين فى عاشره ، وقال أبو بكر الصديق : لن نغلب اليوم من قلة ، فانهزموا فكان أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها ، مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ولم يشهدها منهم أحد له اسم وفى بنى جشم دريد بن الصمة ، شيخ كبير ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته

---

(١) الأيات : ٢٥ ـ ٢٧ من سورة التوبة .

بالحرب ، وكان شيخا مجربا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، وفى الأحلاف قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى ، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ أحضر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فى شجار له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال : أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك ، ودعى له ، قال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال : فانقض به ، ثم قال : راعى ضأنٍ والله ، هل يرد المنهزم شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحد والجد ، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف ابن عامر ، قال : ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران ، ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ثم قال دريد لمالك بن عوف : ارفعوهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم ثم الْقَ الصباء على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ، ثم قال مالك : والله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ـ وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى ـ فقالوا : أطعناك ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

يا ليتنى فيها جذعْ ... أخب فيها وأضعْ
أقود وطفاء الزمع ... كأنها شاة صدعْ

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد ، قال ابن إسحاق : وحدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدِّث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ، ما

شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ماروه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد ، قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس فيقيم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحا فأرسل إليه ، وهو يومئذ مشرك ، فقال : « يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا » فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : « بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك » قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد .

وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الأدراع ، كما تقدم ، وفيه أن ابن أبى حدرد لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبى حدرد: لئن كذبتنى يا عمر فربما كذبت بالحق ، فقال عمر : ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ﷺ ؟ فقال : « قد كنت ضالا فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك بن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار من أمية يوم حنين أدراعاً فقال : أغصباً يا محمد ؟ فقال : « بل عارية مضمونة » قال : فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له فقال : أنا اليوم يا رسول الله فى الإسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائى من حديث يزيد بن هرٰون به . وأخرجه النسائى من رواية إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبى مليكة عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعا فذكره . ورواه من حديث هُشيم عن حجاج عن عطاء أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث . وقال أبو داود : وحدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة ، حدثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ قال: «ياصفوان هل عندك من سلاح؟» قال: عارية أم غصباً؟ قال: « بل عارية » فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما

هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعٌ ، فقال رسول الله ﷺ لصفوان : « قد فقدنا من أدارعك أدراعاً فهل نغرم لك ؟ » قال : لا يارسول الله ، إن فى قلبى ما لم يكن فيه يومئذ . وهذا مرسل أيضاً . قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثنى عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذيْن سار بهما إلى هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدم باثنى عشر ألفاً إلى مكة على قولهم وأضيف ألفان من الطلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة فى خامس شوال ، قال : واستخلف على مكة عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس الأموى .

قلت : وكان عمره إذ ذاك قريبا من عشرين سنة .

قال : ومضى رسول الله ﷺ يريد لقاء هوازن ثم ذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمى فى ذلك (1) منها قوله :

أبلغ هوازنَ أعلاها وأسفلَها ... منى رسالةَ نُصْحٍ فيه تبيانُ
إنى أظنّ رسولَ الله صابحكم ... جيشاً له فى فضاءِ الأرض أركانُ
فيهم سليمٌ أخوكم غير تارككم ... والمسلمون عباد الله غسّانُ
وفى عضادته اليمنى بنو أسدٍ ... والأجربان بنو عبس وذبيانُ
تكاد ترجف منه الأرض رهبتهُ ... وفى مقدمه أوس وعثمانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قبيلا مزينة ، قال : وحدثنى الزهرى عن سنان بن أبى سنان الدئلى عن أبى واقد الليثى أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها : ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً ، قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ،

---

(١) أولهـا : أصابت العام رعلا غول قومهم ... وسط البيوت ولون الغول ألوان

قلتم ، والذى نفسى بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون ، إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم » ، وقد روى هذا الحديث الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان والنسائى عن محمد ابن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهرى ، كما رواه ابن إسحاق عنه ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعاً .

وقال أبو داود : حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلومى أنه حدثه سهل ابن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا السير حتى كان العشية ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس ، فقال : يا رسول الله ، إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم وبنعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال : « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبى مرثد : أنا يا رسول الله ، قال فاركب فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ولا نغرن من قِبَلِكَ الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال : « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ما أحسسناه ، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلى ويلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال : « أبشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر إلى خلال الشجر فى الشعب وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : إنى انطلقت حتى إذا كنت فى أعلى هذا الشعب حيث أمرنى رسول الله ﷺ فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصليا أو قاضى حاجة ، فقال له رسول الله ﷺ : « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » وهكذا رواه النسائى عن محمد بن يحيى عن محمد بن كثير الحرانى عن أبى توبة الربيع بن نافع به .

فصل فى كيفية الوقعة وما كان فى أول الأمر من الفرار ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين

فسبق رسول الله ﷺ فأعدوا وتهيئوا فى مضايق الوادى وأنحائه وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحط بهم الوادى فى عماية الصبح ، فلما انحط الناس ثارت فى وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لايقبل أحد على أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلموا إلىّ أنا رسول الله ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » قال : فلا شىء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ، ومعه رهط من أهل بيته : على بن أبى طالب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقيل : الفضيل بن أبى سفيان ، وأيمن ابن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم : قثم بن العباس ، ورهط من المهاجرين منهم : أبو بكر وعمر والعباس آخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه ، إذا أُدرك طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه ، قال : فبينما هو كذلك إذ هوى له على بن أبى طالب ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتى علىّ من خلفه فضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصارى على الرجل فضربه ضربه أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ . ورواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهرى عن أبيه عن محمد بن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذ ، وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو آخذ بثَفَرِ بغلة رسول الله ﷺ فقال : « من هذا ؟ » قال : ابن أمك يا رسول الله ، قال ابنَ إسحاق : ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الأعراب بما فى أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعنى وكان إسلامه بعد مدخولا وكانت الأزلام بعد معه يومئذ - قال : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان ابن أمية - يعنى لأمه - وهو مشرك فى المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم ، فقال له صفوان : آسكت ، فض الله فاك ، فوالله لئن يَرُبَّنى رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازنَ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان

والإبل والنعم فجعلوها صفوفاً يكثرون على رسول الله ﷺ ، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين ، كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » ثم قال : « يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله » قال : فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح ، قال : وقال : رسول الله ﷺ يومئذ : « من قتل كافراً فله سلبه » قال : فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم ، وقال أبو قتادة : يا رسول الله إنى ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له فأُجهضت عنه ، فانظر من أخذها ؟ قال : فقام رجل فقال : أنا أخذتها فأرضه منها وأعطنيها ، قال : وكان رسول الله ﷺ ، لايسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت ، فسكت رسول الله ﷺ فقال عمر : والله لا يفئها الله على أسد من أُسْدِ الله ويعطيكها ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق عمر » .

قال : ولقى أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا منى بعض المشركين أن أبعج فى بطنه ، فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم » وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله ﷺ : « من قتل قتيلا فله سلبه » كلاهما من حديث حماد بن سلمة به ، وقول عمر فى هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا أبى حدثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال للعلاء بن زياد العدوى : يا أبا حمزة ، بسنّ أى الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة ، قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه ، قال بسن أى الرجال هو يومئذ ؟ قال : كأشب الرجال وأحسنه و أجمله وألحمه ، قال : يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غزوت معه يوم حنين ، فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا ، وفى المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح فجعل يجاء بهم أسارى رجل رجل فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب النبى ﷺ إن علىّ نذراً لئن جىء بالرجل الذى كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه ، قال : فسكت رسول الله ﷺ وجىء بالرجل ، فلما رأى نبى الله ﷺ قال : يا نبى الله تبت إلى الله ؟ قال : وأمسك نبى الله ﷺ أن يبايعه ليوفي الآخر نذره ، قال : وجعل

ينظر إلى النبى ﷺ ليأمره بقتله ، ويهاب رسول الله ﷺ فلما رأى النبى ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بايعه فقال : يا نبى الله نذرى ؟ قال : « لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفى نذرك » فقال يا رسول الله : ألا أومأت إلىّ ؟ قال « إنه ليس لنبى أن يُومِى » تفرد به أحمد .

وقال أحمد : حدثنا يزيد حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين « اللهم إنك إن تشاء لا تعبد فى الأرض بعد اليوم » إسناده ثلاثى على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى إسحاق سمع البراء ابن عازب ـ وسأله رجل من قيس ـ أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال : لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام . ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان آخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبى لا كذب ، ورواه البخارى عن أبى الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

قال البخارى : وقال إسرائيل وزهير عن أبى إسحاق عن البراء ثم نزل عن بغلته . ورواه مسلم والنسائى عن بندار ، زاد مسلم ؛ وأبى موسى ، كلاهما عن غندر به ، وروى مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق عن البراء قال : ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

« اللهم نزّل نصرك » ، قال البراء : ولقد كنا إذا حمى البأس نتقى برسول الله ﷺ ، وإن الشجاع الذى يحاذى به ، وروى البيهقى من طرق أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : « أنا ابن العواتك » .

وقال الطبرانى : حدثنا عباس بن الفضل الأسفاطى حدثنا عمرو بن عوف الواسطى حدثنا هشيم أنبأنا يحيى بن سعيد عن عمرو بن سعيد بن العاص عن شبابة عن ابن عاصم السلمى أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : « أنا ابن العواتك »] [1] وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير

---

(١) لم ترد هذه الجملة فى نسخة دار الكتب المصرية ووردت فى التيمورية .

ابن أفلح عن أبى محمد ، مولى أبى قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع ، وأقبل علىّ فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلنى فلحقت عمر ، فقلت : ما بال الناس ؟ فقال : أمر الله ، ورجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال : « من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » فقمت فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست ، ثم قال رسول الله ﷺ مثله فقمت فقال : « مالك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته ، فقال رجل : صدق ، سلبه عندى فأرضه منى ، فقال أبو بكر : لا ها الله ، إذاً تعمد إلى أسد من أُسْد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟! فقال النبى ﷺ : « صدق فأعطه » فأعطانيه فابتعت به مِخْرَفاً [1] فى بنى سلمة فإنه لأول مال تأثلته فى الإسلام . ورواه بقية الجماعة إلا النسائى من حديث يحيى بن سعيد به .

قال البخارى : وقال الليث بن سعد : حدثنى يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبى محمد ، مولى أبى قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله ، فأسرعت إلى الذى يختله فرفع يده ليضربنى فأضرب يده فقطعتها ، ثم أخذنى فضمنى ضما شديدا حتى تخوفت ثم ترك فتحلل فدفعته ثم قتلته ، وانهزم المسلمون فانهزمت معهم ، فاذا بعمر بن الخطاب فى الناس فقلت له : ما شأن الناس ؟ قال : أمر الله ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله ﷺ « من أقام بينة على قتيل فله سلبه » فقمت لألتمس بينة على قتيلى فلم أر أحدا يشهد لى فجلست ، ثم بدا لى فذكرت أمره لرسول الله ﷺ فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذى يذكر عندى ، فأرضه منى . فقال أبو بكر : كلا ، لا يعطيه أُضَيْبع من قريش ويدع أسدا من أُسْد الله يقاتل عن رسول الله ﷺ . قال : فقام رسول الله ﷺ فأداه إلىّ فاشتريت به مخرافا ، فكان أول مال تأثلته . وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم ، كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، وقد تقدم من رواية نافع أبى غالب عن أنس أن القائل لذلك : عمر بن الخطاب ، فلعله قاله متابعة لأبى بكر الصديق ومساعدة وموافقة له ، أو قد اشتبه على الراوى والله أعلم .

---

(١) المخرف : الممر بين صفين من النخل .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين ، حين رأى من الناس ما رأى : « يا عباس نادِ : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة » فأجابوه لبيك لبيك ، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت ، حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جعلت آخراً للخزرج وكانوا صُبُراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله ﷺ فى ركايبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال : « الآن حمى الوطيس » قال : فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسول الله ﷺ أموالهم وأبناءهم .

وقال ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة : وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقر بها عينه ، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاة حتى خرج النساء يمشين على غير دين نظّاراً ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه ، قالوا : وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك ، لم يفرق بينهما ، قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذ : مالك بن عوف النصرى ومعه دريد بن الصمة يرعش من الكبر ، ومعه النساء والذرارى والنعم ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله ابن أبى حدرد عيناً فبات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا أغماد سيوفكم واجعلوا مواشيكم صفًّا ونساءكم صفًّا ، فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ؟ وصُفّ الناس بعضهم لبعض ، وركب رسول الله ﷺ بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد فجال المسلمون جولة ثم ولوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرت من بقى مع رسول الله ﷺ ، حين أدبر الناس ، فقلت : مائة رجل ، قالوا : ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً ، فقال له صفوان : تبشرنى بظهور الأعراب ، فوالله لرب من قريش أحب إلىّ من رب من الأعراب ، وغضب صفوان لذلك .

قال عروة : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال : سمعتهم يقولون : يا بنى عبد الرحمن ، يا بنى عبد الله ، يا بنى عبيد الله ، فقال : ظهر محمد ، وكان ذلك شعارهم فى الحرب . قالوا : وكان رسول الله ﷺ لما غشيه القتال قام فى الركابين ، وهو على البغلة ، فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول : « اللهم إنى أنشدك ما وعدتنى ، اللهم لا ينبغى لهم أن يظهروا علينا » ونادى أصحابه وزمرهم « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، الله الله ، الكرّة على نبيكم » ويقال حضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بنى الخزرج ، يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادى بذلك ، قالوا : وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : « شاهت الوجوه » وأقبل أصحابه إليه سراعا يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « الآن حمى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنّمهم الله نساءهم وذراريهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله ﷺ وإعزازه دينه . رواه البيهقى .

وقال ابن وهب : أخبرنى يونس عن الزهرى أخبرنى كثير بن العباس بن عبد المطلب ، قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى ، فلما التقى الناس ولّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَل الكفار ، قال العباس : وأنا آخذ بلجمها أكفها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ . وقال رسول الله ﷺ : « أى عباس ، ناد أصحاب السمرة » قال : فوالله لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها يالَبَّيْكاه يالبيكاه ، قال : فاقتتلوا هم والكفار والدعوة فى الأنصار وهم يقولون : يا معشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بنى الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال : « هذا حين حمى الوطيس » ثم أخذ حصيات فرمى بهن فى وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا ورب محمد » قال : فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فوالله ماهو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا ، وأمرهم مدبراً . ورواه مسلم عن أبى الطاهر عن ابن وهب به نحوه . ورواه أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى نحوه .

وروى مسلم من حديث عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلنى رجل من المشركين فأرميه بسهم وتوارى عنى فما دريت ماصنع ، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ فولّى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزما وعلىّ بردتان : متزرا بإحداهما مرتديا بالأخرى ، قال : فاستطلق إزارى فجمعتهما جميعاً ومررت على النبى ﷺ وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء ، فقال : « لقد رأى ابن الأكوع فزعاً » فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال : « شاهت الوجوه » فما خلى الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين ، فهزمهم الله وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين .

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار عن أبى عبد الرحمن الفهرى قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى حنين فسرنا فى يوم قائظ شديد الحر فنزلنا تحت ظلال السمر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتى وركبت فرسى فأتيت رسول الله ﷺ وهو فى فسطاطه فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرواح يا رسول الله ؟ قال : « أجل » ثم قال رسول الله ﷺ : « يا بلال » فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك فقال : « أسرج لى فرسى » فأتاه بدفتين من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر ، قال فركب فرسه فسرنا يومنا فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين ، كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » واقتحم رسول الله ﷺ فرسه ، وحدثنى من كان أقرب إليه منى أنه أخذ حفنة من التراب فحثى بها وجوه العدو وقال : « شاهت الوجوه » قال يعلى بن عطاء : فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقى أحد إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد فهزمهم الله عز وجل . ورواه أبو داود السجستانى فى سننه عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمه به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحارث بن حصين حدثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولّى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولهم الدبر ، وهم

الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : ورسول الله ﷺ على بغلته يمضى قدما ، فحادت به بغلته فمال عن السرج فقلت له : ارتفع رفعك الله ، فقال : « ناولنى كفًا من تراب » فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً ، قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء ، قال : « اهتف بهم » فهتفت بهم فجاءوا سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب وولّى المشركون أدبارهم ، تفرد به أحمد .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو الحسين محمد بن تميم القنطرى حدثنا أبو قلابة حدثنا أبو عاصم حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى أخبرنى عبد الله ابن عياض بن الحارث الأنصارى عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن فى اثنى عشر ألفاً فقُتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر ، قال : وأخذ رسول الله ﷺ كفًا من حصى فرمى بها فى وجوهنا فانهزمنا ، ورواه البخارى فى تاريخه ولم ينسب عياضاً . وقال مسدد : حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف بن عبد الرحمن ، مولى أم برثن ، عمن شهد حنينا كافرا قال : لما التقينا نحن ورسول الله لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدى رسول الله حتى إذا غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه فارجعوا ، فهُزمنا من ذلك الكلام ، رواه البيهقى .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سفيان حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى محمد بن عبد الله الشعبى عن الحارث بن بدل النصرى عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان الثقفى قالا : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباس وأبو سفيان بن الحارث ، قال : فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصباء فرمى بها فى وجوههم ، قال : فانهزمنا فما خُيّل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا ، قال الثقفى : فأعجزت على فرسى حتى دخلت الطائف ، وروى يونس بن بكير فى مغازيه عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله ﷺ يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد .

وروى البيهقى من طريق الكديمى حدثنا موسى بن مسعود حدثنا سعيد بن السائب ابن يسار الطائفى عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائى أنه قال عند انكشافة انكشفها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا ، شاهت الوجوه » فما أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذى فى عينيه ، ثم روى من طريقين آخرين عن أبى حذيفة حدثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفى حدثنا أبى ، السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامر

السوائى ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد ـ قال : فنحن نسأله عن الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال : فكان يأخذ لنا بحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن ، قال : كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمى حدثنا أبو أيوب ابن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والله ما أخرجنى إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش ، فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله ، إنى أرى خيلا بلقاً ، فقال : « يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافر » فضرب يده فى صدرى ثم قال : « اللهم آهدِ شيبة » ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم آهدِ شيبة » ثم ضربها الثالثة ثم قال : « اللهم آهدِ شيبة » قال : فوالله ما رفع يده عن صدرى فى الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلىّ منه ، ثم ذكر الحديث فى التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزنى حدثنا يوسف بن موسى حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى عبد الله بن المبارك عن أبى بكر الهذلى عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عرى ، ذكرت أبى وعمى وقتل علىّ وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأرى من رسول الله ، قال فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا بالعباس ابن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله ، قال : ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت : ابن عمه ولن يخذله ، قال : ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بينى وبينه ، كأنه برق ، فخفت أن يمحشنى ، فوضعت يدى على بصرى ومشيت القهقرى ، فالتفت رسول الله ﷺ وقال : « يا شيب آدن منى ، اللهم أذهب عنه الشيطان » قال : فرفعت إليه بصرى ولهو أحب إلىّ من سمعى وبصرى فقال : « ياشيب قاتل الكفار » .

وقال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، أخو بنى عبد الدار ، قلت : اليوم أدرك ثأرى ـ وكان أبوه قد قتل يوم أحد ـ اليوم أقتل محمدا ، قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تغشى فؤادى فلم أطق ذاك وعلمت أنه ممنوع منى ، وقال

محمد بن إسحاق : وحدثني والدي إسحاق بن يسار عمن حدثه عن جبير بن مطعم قال : إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتتلون إذ نظرت إلى مثل البجاد الأسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا نمل منثور قد ملأ الوادى فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة ، ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق به . وزاد فقال خديج بن العرجاء النصرى - يعنى فى ذلك :

ولما دنونا من حنين ومائه … رأينا سواداً منكرَ اللونِ أخصفا
بملمومة شهباء لو قذفوا بها … شماريخَ من عروى إذاً عاد صفصفا
ولو أنّ قومى طاوعتنى سراتهم … إذا ما لقينا العارضَ المتكشفا
إذا ما لقينا جندَ آلِ محمدٍ … ثمانين ألفاً واستمدوا بخندفا

وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النصرى رئيس هوازن يوم القتال وهو فى حومة الوغى يرتجز ويقول :

أقدم مجاج إنه يوم نكر … مثلى على مثلك يحمى ويكر
إذا أضيع الصف يوما والدبر … ثم احزألت زمر بعد زمر
كتائب يكل فيهن البصر … قد أطعن الطعنة تقذى بالسبر
حين يذم المستكن المنجحر … وأطعن النجلاء تعوى وتهر
لها من الجوف رشاش منهمر … تفهق تاراتٍ وحيناً تنفجر
وثعلب العامل فيها منكسر … يا زيد يا بن همهم أين تفر
قد نفد الضرس وقد طال العمر … قد علم البيض الطويلات الخمر
أنى فى أمثالها غير غمر … إذ تخرج الحاصن من تحت الستر

وذكر البيهقى من طريق يونس بن بكير عن أبى إسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً ، حين ولّى أصحابه منهزمين ، وذلك قوله بعدما أسلم وقيل : هى لغيره :

أذكر مسيرهم والناس كلهم … ومالك فوقه الرايات تختفقُ
ومالك مالك ما فوقه أحد … يوم حنين عليه التاج يأتلقُ
حتى لقوا الناس حين البأس يقدمهم … عليهم البيض والأبدانُ والدرقُ
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدًا … حول النبى وحتى جَنّهُ الغسقُ
حتى تنزّل جبريل بنصرهم … فالقوم منهزم منا ومعتلقُ

منا ولو غير جبريل يقاتلنا ... لمنعتنا إذاً أسيافُنا الفلقُ
وقد وفّى عمر الفاروق إذ هزموا ... بطعنةٍ كان منها سرجه العلقُ

قال ابن إسحاق : ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبتْ خيلُ الله خيلَ اللاتِ ... والله أحقُّ بالثباتِ

قال ابن هشام : وقد أنشدنيه بعض أهل الرواية للشعر :

قد غلبت خيل الله خيل اللات ... وخيله أحقُّ بالثباتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، وكانت مع ذى الخمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرنى عامر بن وهب ابن الأسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال : « أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا » وذكر ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصرانى ، فجاء رجل من الأنصار ليسلبه فإذا هو أغرل ، فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب ، إن ثقيفاً غُرْل ، قال المغيرة بن شعبة الثقفى : فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت : لا تقل كذلك فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى ، ثم جعلت أكشف له القتلى فأقول له : ألا تراهم مختتنين كما ترى ؟.

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من بنى غيرة يقال له : وهب ، ورجل من بنى كبة يقال له : الجلاح ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : « قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيدة » يعنى الحارث بن أويس . قال ابن إسحاق : فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت :

ألا مَنْ مبلغٍ غيلانَ عنّى ... وسوف أخالُ يأتيهِ الخبيرُ
وعروة إنما أهدى جوابا ... وقولا غير قولكما يسيرُ
بأن محمداً عبدٌ رسولٌ ... لربٍّ لا يضلُّ ولا يجورُ
وجدناه نبيًّا مثل موسى ... فكل فتى يخايره مخيرُ
وبئس الأمر أمر بنى قسى ... بوجٍّ إذا تقسّمت الأمورُ

أضاعوا أمرهم ولكل قوم أميرٌ والدوائر قد تدورُ
فجئنا أُسدَ غاباتٍ إليهم جنودُ الله ضاحية تسيرُ
نؤم الجمعَ جمعَ بنى قسى على حنق نكادُ له نطيرُ
وأقسم لو همو مكثوا لسرنا إليهم بالجنود ولم يغوروا
فكنا أُسد لية ثم حتى أبحناها وأسلمت النصورُ
ويوم كان قبل لدى خنين فأقلع والدماءُ به تمورُ
من الأيام لم تسمع كيومٍ ولم يسمع به قوم ذكورُ
قتلنا فى الغبار بنى حُطَيْطٍ على راياتِها والخيلُ زورُ
ولم يكُ ذو الخمارِ رئيسَ قومٍ لهم عقل يعاقبُ أو نكيرُ
أقام بهم على سنن المنايا وقد بانت لمبصرها الأمورُ
فأفلتَ من نجا منهم حريضًا وقُتل منهم بشَرٌ كثيرُ
ولا يغنى الأمورَ أخو التوانى ولا الغلق الصريِّرة الحصورُ
أحانهم وحان وملَّكوه أمورهم وأفلتت الصقورُ
بنو عوف تميح بهم جيادٌ أهين لها الفصافص والشعيرُ
فلولا قارب وبنو أبيهِ تقسّمتِ المزارعُ والقصورُ
ولكنّ الرياسةَ عمّموها على يمن أشار به المشيرُ
أطاعوا قاربا ولهم جدودٌ وأحلامٌ إلى عزٍّ تصيرُ
فإن يُهْدَوْا إلى الإسلام يلفوا أنوف الناس ما سمر السميرُ
فإن لم يسلموا فهمو أذانٌ بحربِ الله ليس لهم نصيرُ
كما حكمتْ بنى سعد وجرت برهط بنى غزية عنقفيرُ
كأن بنى معاوية بن بكر إلى الإسلام ضائنةٌ تخورُ
فقلنا أسلموا إنا أخوكم وقد برأتْ من الإحن الصدورُ
كأنّ القومَ إذ جاءوا إلينا من البغضاء بعد السلم عورُ

فصـــــل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال : قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم ، قال ابن إسحاق : فبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما

واضعى رمـاحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم ، فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ، فلمـا أقبلوا سلكـوا بطن الـوادى ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضى رماحهم إغفالا على خيلهم ، فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بنى سليم ، ثم طلع فارس ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : فارساً طويل الباد واضعاً رمحه على عاتقه عاصباً رأسة بملاءة حمراء ، قال : هذا الزبير بن العوام ، وأقسم باللات ليخالطنكم فاثبتوا له ، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

فصــــــــل

وأمـر رسـول الله ﷺ بالغنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق إلى الجعرانة فتحبس هناك ، قال ابن إسحاق : و جعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود ابن عمرو الغفارى .

فصــــــــل

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة قتلها خالد ابن الوليد والناس متقصفون عليها ، فقال لبعض أصحابه : « أدرك خالدا فقل له : إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً » هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الـزنـاد حدثنى المرقع بن صيفى عن جده رباح بن ربيع ، أخى بنى حنظلة الكاتب، أنه أخبره أنه رجع مع رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فمر رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله ﷺ ، فقال : « ما كانت هذه لتقاتل » ، فقال لأحدهم : « الحق خالداً فقل له : لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً » وكذلك رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفى به نحوه .

غزوة أوطــــــــاس

وكان سببها أن هوازن لما ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا بها ، وسارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له : أوطاس فبعث إليهم رسول الله ﷺ سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعرى فقاتلوهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف ، كما سيأتى ، قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك الثنايا ، قال : فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمى ويعرف بابن الدّغنّة - وهى أمه - دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شجار له ، فإذا برجل فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً ، قال : بئس ما سلحتك أمك ، خذ سيفى هذا من مؤخر رحلى فى الشجار ، ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإنى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع تكشف فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثاً ، ثم ذكر ابن إسحاق ما رثت به عمرة بنت دريد أباها ، فمن ذلك قولها :

قالوا قتلنا دريداً قلتُ قد صدقوا ... فظل دمعى على السربال منحدر
لولا الذى قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف يأتمر
إذن لصبحهم غبا وظاهرة ... حيث استقرت نواهم جحفل ذفر

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ففتح الله عليه ، وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم فأصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عنى فإنى سلمه ... ابن سمادير لمن توسمه
أضرب بالسيف رءوس المسلمه

قال ابن إسحاق : وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعرى لقى يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقى العاشر ، فحمل على أبى عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقال الرجل : اللهم لا تشهد علىّ ، فكف عنه أبو عامر فأفلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبى ﷺ إذا رآه قال : « هذا شريد أبى عامر » قال : ورمى أبا عامر أخوان : العلاءُ وأوفى ابنا الحارث من بنى جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولّى الناس أبا موسى فحمل عليهما فقتلهما ، فقال : رجل من بنى جشم بن معاوية يرثيهما :

إن الرزية قتل العلا ... ء وأوفى جميعاً ولم يسندا
هما القاتلان أبا عامر ... وقد كان داهيةً أربدا
هما تركاه لدى معرك ... كأنّ على عطفه مجسدا
فلم يُرَ فى الناس مثليْهما ... أقل عثارا وأرمى يدا

وقال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء وحدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه ، قال أبو موسى : وبعثنى مع أبى عامر فرُمِىَ أبو عامر فى ركبته ، رماه جشمى بسهم فأثبته فى ركبته ، قال : فانتهيت إليه ، فقلت : يا عم ، من رماك ؟ فأشار إلى أبى موسى ، فقال : ذاك قاتلى الذى رمانى ، فقصدت له فلحقته ، فلما رآنى ولّى فاتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحى ، ألا تثبت ؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبى عامر : قتل الله صاحبك ، قال : فانتزع هذا السهم ، فنزعته فنزا منه الماء ، قال يا بن أخى ، أقرىء رسول الله ﷺ السلام وقل له : استغفر لى ، واستخلفنى أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات ، فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ فى بيته على سرير مُرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبى عامر وقوله : قل له : استغفر لى ، قال : فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه ، فقال : « اللهم اغفر لعبيد أبى عامر » ورأيت بياض إبطيه ، ثم قال : « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك - أو من

الناس » فقلت : ولى فاستغفر ، فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما » قال أبو بردة : إحداهما لأبى عامر والأخرى لأبى موسى رضى الله عنهما ، ورواه مسلم عن أبى كريب محمد بن العلاء و عبد الله بن أبى براد عن أبى أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان ـ هو الثورى ـ عن عثمان البتى عن أبى الخليل عن أبى سعيد الخدرى ، قال : أصبنا نساء من سبى أوطاس و لهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبى ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ [1] قال : فاستحللنا بها فروجهن ، وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان البتى به ، وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث شعبة عن قتادة عن أبى الخليل عن أبى سعيد الخدرى ، وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث سعيد بن أبى عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذى من حديث همام عن يحيى ثلاثهم عن قتادة عن أبى الخليل عن أبى علقمة الهاشمى عن أبى سعيد أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأثموا من غشيانهن ، فنزلت هذة الآية فى ذلك ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ وهذا لفظ أحمد بن حنبل فزاد فى هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمى ، وهو ثقة ، وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم ، وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الأمة طلاقها ، روى ذلك عن ابن مسعود وأبى بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بريرة حيث بيعت ، ثم خيرت فى فسخ نكاحها أو إبقائه ، فلو كان بيعها طلاقاً لها لما خيرت ، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية ، وسنذكره إن شاء الله فى الأحكام الكبير ، وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأَمَةِ المشركة بهذا الحديث فى سبايا أوطاس وخالفهم الجمهور وقالوا : هذه قضية عين فلعلهن أسلمن أو كن كتابيات ، وموضع تقرير ذلك فى الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

---

(١) الآية : ٢٤ من سورة النساء .

فصل فيمن استشهد يوم حنين وبسرية أوطاس

أيمن ابن أم أيمن ، مولى رسول الله ﷺ ، وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمح به فرسه الذى يقال له : الجناح فمات ، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدى الأنصارى ، من بنى العجلان ، وأبو عامر الأشعرى ، أمير سرية أوطاس ، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

فصل فيما قيل من الأشعار فى غزوة هوازن

فمن ذلك قول بجير بن زهير بن أبى سلمى :

لولا الإله وعبده ولّيتم ... حين استخف الرعبُ كلَّ جبانِ
بالجزع يوم حيالنا أقراننا ... وسوابح يُكبّون للأذقانِ
من بين ساعٍ ثوبهُ فى كفّه ... ومقطر بسنابك ولبانِ
والله أكرمنا وأظهر ديننا ... وأعزّنا بعبادةِ الرحمٰنِ
والله أهلكهم وفرّق جمعهم ... وأذلّهم بعبادةِ الشيطانِ

قال ابن هشام ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عمُّ نبيكم ووليُّهُ ... يدعون يالكتيبةِ الإيمانِ
أين الذين همُ أجابوا ربهم ... يومَ العريض وبيعةِ الرضوانِ

وقال عباس بن مرداس السلمى :

فإنى والسوابح يوم جمعٍ ... وما يتلو الرسول من الكتابِ
لقد أحببتُ ما لقيتْ ثقيفٌ ... بجنب الشعب أمس من العذابِ
همُ رأس العدو من اهل نجد ... فقتلهم ألذّ من الشرابِ
هزمنا الجمع جمعَ بنى قسى ... وحلت بركها ببنى رئابِ
وصرما من هلال غادرتهم ... بأوطاسٍ تعفّر بالترابِ
ولو لاقينَ جمع بنى كلاب ... لقام نساؤهم والنقع كابى
ركضنا الخيل فيهم بين بس ... إلى الأورال تنْحطُ بالنهابِ
بذى لجب رسول الله فيهم ... كتيبته تعرض للضرابِ

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النُّبَّاء إنك مرسلٌ ... بالحقِّ كل هدى السبيل هداكا
إنّ الإله بنى عليك محبّة ... فى خلقه ومحمّدًا سماكا
ثم الذين وفَوْا بما عاهدتهم ... جندٌ بعثتَ عليهم الضحاكا
رجلا به درب السلاح كأنّه ... لمّا تكنّفه العدو يراكا
يغشى ذوى النسب القريب وإنما ... يبغى رضا الرحمٰن ثم رضاكا
أنبئك أنى قد رأيت مكرّه ... تحت العجاجة يدمغ الإشراكا
طورا يعانق باليدين وتارة ... يفرى الجماجم صارماً فتّاكا
يغشى به هام الكماة ولو ترى ... منه الذى عاينتُ كان شفاكا (١)
وبنو سليم معنقون أمامه ... ضربا وطعناً فى العدو دراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم ... أُسْدُ العرين أردن ثم عراكا
ما يرتجون من القريب قرابة ... إلا لطاعة ربهم وهواكا
هذى مشاهدنا التى كانت لنا ... معروفة ووليّنا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً (٢) :

عفا مِجْدلٌ من أهله فمتالعُ ... فمطلا أريكٍ قد خلا فالمصانعُ
ديارٌ لنا يا جُمل إذ جُلُّ عيشنا ... رخى وصرف الدهر للحى جامعُ
حبيبةٌ ألوتْ بها غربةُ النوى ... لبيْنٍ فهلْ ماضٍ من العيشِ راجعُ
فإن تبتغى الكفار غير ملومةٍ ... فإنى وزيرٌ للنبى وتابعُ
دعانا إليه خيرُ وفدٍ علمتهم ... خزيمة والمرار منهم وواسعُ
فجئنا بألفٍ من سليم عليهم ... لبوس لهم من نسجِ داودَ رائعُ
نبايعه بالأخشبيْن وإنّما ... يد اللهِ بين الأخشبيْن نبايعُ
فجسنا مع المهدىّ مكةَ عُنْوَةً ... بأسيافنا والنقعُ كابٍ وساطعُ
علانية والخيل يغشى متونَها ... حميمٌ وآنٍ من دم الجوف ناقعُ
ويومَ حنينٍ حين سارت هوازنُ ... إلينا وضاقتْ بالنفوس الأضالعُ
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراعُ الأعادى منهم والوقائعُ

---

(١) هذا البيت زدناه من سيرة ابن هشام .

(٢) سقط من التيمورية هذه القصائد إلى آخر الفصل .

أمامَ رسول الله يخفق فوقنا ... لواءٌ كخذروفِ السحابةِ لامعُ
عشية ضحاك بن سفيان معتص ... بسيفِ رسولِ الله والموتُ كانعُ
نذودُ أخانا عن أخينا ولو نرى ... مصالا لكنّا الأقربين نتابعُ
ولكنّ دينَ الله دين محمّدٍ ... رضينا به فيه الهدى والشرائعُ
أقامَ به بعدَ الضلالة أمرَنا ... وليسَ لأمرٍ حَمَّه الله دافعُ

وقال عباس أيضاً :

تقطّع باقى وصل أمّ مؤملٍ ... بعاقبةٍ واستبدلت نية خلفا
وقد حلفتْ بالله لا تقطع القوى ... فما صدقتْ فية ولا برّتِ الحلفا
خفافية بطن العقيق مصيفها ... وتحتل فى البادين وجرة فالعرفا
فإن تتبعِ الكفار أم مؤمل ... فقد زودت قلبى على نأيها شغفا
وسوف ينبئها الخبيرُ بأننا ... أبينا ولم نطلب سوى ربّنا حلفا
وأنا مع الهادى النبى محمدٍ ... وفينا ولم يستوفها معشر ألفا
بفتيانِ صدقٍ من سليم أعزةٍ ... أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
خفاف وذكوان وعوف تخالهم ... مصاعب زافت فى طروقتها كُلْفا
كأنّ نسيج الشهب والبيض ملبس ... أسودا تلاقت فى مراصدها غضفا
بنا عزّ دين الله غير تنحلٍ ... وزدنا على الحى الذى معه ضعفا
بمكة إذ جئنا كأنّ لواءنا ... عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
على شُخّص الأبصار تحسب بينها ... إذا هى جالت فى مراودها عزفا
غداة وطئنا المشركين ولم نجد ... لأمر رسول الله عدلا ولا صرفا
بمعتركٍ لا يسمع القوم وسطه ... لنا زجمة إلا التذامر والنقفا
بيض تطير الهام عن مستقرِّها ... ونقطف أعناق الكماة بها قطفا
فكائن تركنا من قتيل ملحب ... وأرملة تدعو على بعلها لهفا
رضا الله ننوى لا الناس نبتغى ... ولله ما يبدو جميعاً وما يخفى

وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

مابال عينك فيها عائر سهر ... مثلُ الحماطة أغضى فوقها الشفرُ
عين تأوبها من شجوها أرقٌ ... فالماء يغمرها طورا و ينحدرُ
كأنه نظمُ دُرٍّ عند ناظمهِ ... تقطع السلك منه فهو منتشرُ
يا بعد منزل من ترجو مودتهُ ... و مَنْ أتى دونة الصمان فالحفرُ

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد وَلَّى الشباب وزار الشيب و الزعرُ
واذكر بلاء سليم فى مواطنها وفى سليم لأهل الفخر مفتخرُ
قومٌ همو نصروا الرحمٰن واتبعوا دين الرسول وأمر الناس مشتجرُ
لا يغرسون فسيل النخل وسطهم و لا تخاور فى مشتاهم البقرُ
إلا سوابح كالعقبان مغربة فى دارةٍ حولها الأخطارُ و العكرُ
تدعى خفاف وعوف فى جوانبها و حيّ ذكوان لا ميل و لا ضجرُ
الضاربون جنود الشرك ضاحية ببطن مكة والأرواحُ تبتدرُ
حتى رفعنا وقتلاهم كأنهم نخلٌ بظاهرة البطحاء منقعرُ
ونحن يوم حنين كان مشهدنا للدين عزًّا وعند الله مدّخرُ
إذ نركب الموت مخضرًّا بطائنهُ والخيل ينجاب عنها ساطعٌ كدرُ
تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا كما مشى الليثُ فى غاباته الخدرُ
فى مأزق من مجر الحرب كلكلُها تكاد تأفلُ منه الشمس والقمرُ
و قد صبرنا بأوطاس أسنتنا لله ننصر من شئنا وننتصرُ
حتى تأوّب أقوامٌ منازلهم لولا المليك ولولا نحن ما صدروا
فما ترى معشراً قلّوا و لا كثروا إلا و قد أصبح منا فيهم أثرُ

وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

يا أيها الرجل الذى تهوى به وجناء مجمرة المناسم عرمسُ
إمّا أتيتَ على النبى فقل لهُ حقًّا عليكَ إذا اطمأن المجلسُ
يا خيرَ من ركبَ المطى ومن مشى فوق الترابِ إذا تعد الأنفسُ
إنا وفينا بالذى عاهدتنا والخيل تقدعُ بالكماة و تضرسُ
إذ سال من أفناء بُهْثة كلها جمع تظل به المخارم ترجسُ
حتى صبحنا أهلَ مكة فيلقا شهباء يقدمها الهمامُ الأشوسُ
من كل أغلب من سليم فوقه بيضاء محكمة الدخال و قونسُ
يروى القناةَ إذا تجاسر فى الوغى وتخاله أَسَداً إذا ما يعبسُ
يغشى الكتيبة معلما ويكفه عضب يقد به ولدن مدعسُ
وعلى حنين قد وفى من جمعنا ألف أمد به الرسول عرندسُ
كانوا أمام المؤمنين دريئة والشمس يومئذ عليهم أشمسُ
نمضى ويحرسنا الإلٰه بحفظهِ والله ليس بضائعٍ من يحرسُ

ولقـد حبسنـا بالمنـاقب محبسـاً رضـى الإلـه به فنعـم الـمحبسُ
وغـداة أوطـاس شددنـا شدة كفت العـدو وقيل منهـا يا احبسـوا
تدعـو هوازن بالأخـوة بيننـا ثدى تمـد به هوازن أيبسُ
حتـى تركنـا جمعهـم وكـأنّـهُ عير تعـاقبـه السبـاع مفـرّسُ

وقال أيضاً رضى الله عنه :

مَنْ مبلـغٌ الأقـوامَ أنّ محـمـدا رسـولُ الإلـه راشـدٌ حيث يمّـمـا
دعـا ربّـهُ واستنصـرَ الله وحـدَهُ فأصبـح قد وفّى إليه وأنعـمـا
سرينـا وواعـدنـا قديداً محـمـدا يؤم بنـا أمـراً من الله محكـمـا
تمـاروا بنـا فى الفجـر حتى تبيّنـوا مع الفجـر فتيانـاً و غابـاً مقـوّمـا
على الخيل مشـدوداً علينا دروعنـا ورجـلا كدفّـاع الأتـىّ عرمـرمـا
فإن سراة الـحـى إن كنت سائـلا سليم وفيهـم منهـم من تسلّمـا
وجنـد من الأنصـار لا يخـذلونـه أطـاعـوا فمـا يعصونـه ما تكلّما
فإن تك قد أمـرت فى القـوم خالـدا وقـدّمـتـه فإنـه قد تقـدّمـا
بجـنـد هداة الله أنـت أمـيره تصيبُ به فى الحق من كان أَظْلَما
حلفـتُ يمـينـاً بَرّةً لمـحـمـدٍ فأكملتهـا ألفـاً من الخيل ملجمـا
وقـال نبـى الـمؤمـنين تقـدمـوا وحب إلينـا أن نكـون المقـدمـا
وبتـنـا بنـهى المستـدير ولم يكن بنـا الخـوف إلا رغبـة و تحـرّمـا
أطعنـاك حتى أسلم النـاس كلهم وحتى صبحنـا الجمعَ أهـل يلملما
يضـل الحصـان الأبلق الـورد وسطه ولا يطمئـن الشـيخ حتى يسـوّمـا
سمـونـا لهم ورد القـطا زفّـةً ضحي وكـل تراه عن أخيه قَدَ آحـجـمـا
لدن غدوة حتـى تركـنـا عشـيةً حنينـاً وقـد سالت دوامعـه دمـا
إذا شئـت من كل رأيت طمـرّةً وفارسـهـا يهـوى ورمحـاً محطمـا
وقـد أحـرزت منـا هوازن سربها وحـب إليهـا أن نخيب و نحـرمـا

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضا وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك والله أعلم .

بســـــم الله الرحمن الرحيم

غزو الطـــــــائف

قال عروة و موسى بن عقبة عن الزهرى : قاتل رسول الله ﷺ يوم حنين وحاصر الطائف فى شوال سنة ثمان ، وقال محمد بن إسحاق : ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ، ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور ، قال : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرع من حنين ، فقال كعب بن مالك فى ذلك :

قضـينـا من تهـامـة كلَّ ريبٍ ... وخيبـرَ ثم أجـممنـا السيوفـا
نخيرهـا ولـو نطقـتْ لقـالـتْ ... قواطـعـهـنّ دَوْسـاً أو ثقيفـا
فلسـت لحـاضـن إن لم تروهـا ... بسـاحـةِ داركم منّا ألـوفـا
ونـنـتـزع الـعـروش ببطن وجّ ... وتـصبـح دوركم منكم خلوفـا
ويأتـيكـم لنـا سرعـان خيلٍ ... يغـادرُ خلفَـهُ جمعـاً كثيفـا
إذا نزلـوا بسـاحتكم سمعتم ... لهـا ممـا أنـاخ بهـا رجيفـا
بأيديهـم قواضـب مرهـفـاتٌ ... يزرن المصطلين بهـا الحتوفـا
كأمثـال العقـائق أخلصتهـا ... قيون الهـنـد لم تضرب كتيفـا
تخـال جدية الأبـطال فيهـا ... غداة الـزحـف جاديا مدوفـا
أجـدهـم ألـيس لهـم نصيح ... من الأقـوام كان بنـا عريفـا
يخـبـرهـم بأنـا قد جمـعـنـا ... عتـاقَ الخيل والنجبَ الطروفـا
وأنّـا قد أتـينـاهـم بزحـفٍ ... يحيط بسـورِ حصنهم صفـوفـا
رئـيسـهـم النبى وكـان صلبـاً ... نقـىَّ القلْب مصطبـراً عزوفـاً
رشـيدَ الأمـر ذا حكـم وعـلـم ... وحـلـم لم يكـن نزقـا خفيفـا
نطيع نبـينـا ، ونـطيع ربًّـا ... هو الـرحـمٰـن كان بنـا رءوفـاً
فإن تُلقـوا إلـينـا السلم نقبـل ... ونـجعلكم لنـا عضـداً وريفـا
وإن تأبـوا نجـاهـدكم ونـصبـرْ ... ولا يكُ أمـرُنـا رعـشـا ضعيفـا
نجـالـد ما بقـينـا أو تنـيبـوا ... إلـى الإسـلام إذعـانـا مضيفـا
نجـاهـد لا نبـالـى ما لقـينـا ... أأهـلكنـا التـلاد أم الطريفـا

وكـم من معـشـر ألـبـوا علينـا ... صميم الجـزم منهـم والحليفـا
أتـونـا لا يرون لهـم كفـاءً ... فجـدعنـا المسـامـع والأنـوفـا
بكـل مُهَـنَّـد ليِّن صقيلٍ ... نسـوقـهـم بهـا سوقًـا عنيفـا
لأمـر الله والإسـلام حتـى ... يقـوم الـدين معتـدلا حنيفـا
وتُنسـى الـلاتُ والعُـزَّى وودّ ... ونسلبهـا القـلائـد والشنـوفـا
فأمـسَـوْا قد أقـرّوا واطـمـأنـوا ... ومـن لا يمتـنـع يقبـل خسـوفـا

وقال ابن إسحاق : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى .

قلت : قد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك فى وفد ثقيف فأسلم معهم ، قاله موسى ابن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد ، وزعم المدائنى أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتنصر ومات بها :

من كان يبـغـينـا يريد قتـالـنـا ... فإنـا بدار مَعْـلم لا نريمُـهـا
وجـدنـا بهـا الآبـاء من قبـل ماترى ... وكـانـت لنـا أطـواؤهـا وكـرومُهـا
وقـد جربتنا قبلُ عمـرو بن عامـر ... فأخـبـرَهـا ذو رأيهـا وحـليمُـهـا
وقـد علمـت إن قالتِ الحق أننّـا ... إذا ما أتت صعـر الخـدود نقيمُهـا
نقـومـهـا حتـى يلين شريسُـهـا ... ويعـرف للحـق المـبين ظلومُهـا
علينـا دلاص من تراث محـرق ... كلون السـمـاء زينتهـا نجـومُهـا
نرفعهـا عنّـا ببيضٍ صوارمٍ ... إذا جردت فى غمـرة لا نشيمُـهـا

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف :

لا تنصـروا الـلاتَ إن الله مهلكُهـا ... وكـيف يُنْصَـرُ من هو ليس ينتصـرُ
إن الـتـى حرقـت بالسـد فاشتعلتْ ... ولم تقـاتـل لدى أحجـارهـا هدرُ
إن الـرسـول متى ينـزل بلادكـم ... يظعن وليس بهـا من أهلهـا بشـرُ

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله ﷺ ـ يعنى من حنين إلى الطائف ـ على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ثم على المليح ثم على بحرة الرغاء من لية فابتنى فيها مسجداً فصلى فيه . قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب أنه ﷺ أقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم أقيد به فى الإسلام رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك فى طريق يقال لها : الضيقة ، فلما توجه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل : الضيقة ، فقال : بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نحب حتى نزل تحت سدرة يقال لها : الصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه ، وقال ابن إسحاق : عن إسماعيل ابن أمية عن بجير بن أبى بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله ﷺ : « هذا قبر أبى رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » قال : فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن ورواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن إسحاق به ، ورواه البيهقى من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن إسماعيل بن أمية به .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فتأخروا إلى موضع مسجده ﷺ اليوم بالطائف الذى بنته ثقيف بعد إسلامها ، بناه عمرو ابن أمية بن وهب ، وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلا سمع لها نقيض فيما يذكرون ، قال : فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ، قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة ، وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف وترك السبى بالجعرانة ، وملئت عرش مكة منهم فنزل رسول الله ﷺ بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبى بكرة بن مسروح أخى زيادة لأمه ، فأعتقه رسول الله ﷺ وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغيظوهم بها فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لكم . وقال عروة : أمر رسول الله ﷺ كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات ، وبعث مناديا ينادى : من خرج إلينا فهو حر . فاقتحم إليه نفر منهم أبو بكرة بن مسروح ، أخو زياد بن أبى سفيان لأمه ، فأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يعوله ويحمله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم

الطائف رجلين ، وقال أحمد : حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس حدثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فخرج إليه عبدان فأعتقهما ، أحدهما أبو بكرة ، وكان رسول الله ﷺ يعتق العبيد إذا خرجوا إليه ، وقال أحمد أيضا : حدثنا نصر بن رئاب عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال : قال النبى ﷺ ، يوم الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حر » فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله ﷺ ، هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق حكما شرعيا مطلقاً عاماً ، وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حكما عاماً ، ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما فى قوله ﷺ « من قتل قتيلا فله سلبه » .

وقد قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى عبد الله بن المكرم الثقفى قال : لما حاصر النبى ﷺ أهل الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم ، أبو بكرة عبداً للحارث بن كلدة ، والمنبعث وكان اسمه المضطجع فسماه النبى ﷺ المنبعث ، ويحنس ووردان فى رهط من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا : يا رسول الله ردّ علينا رقيقنا الذين أتوك ، قال : « لا ، أولئك عتقاء الله » ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله إليه . وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشار حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا عثمان قال : سمعت سعداً ـ وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله وأبا بكرة ، وكان تسور حصن الطائف فى أناس ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ـ قالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام » ورواه مسلم من حديث عاصم به . قال البخارى : وقال هشام : أنبأنا معمر عن عاصم عن أبى العالية أو أبى عثمان النهدى قال : سمعت سعداً وأبا بكرة عن النبى ﷺ قال عاصم : قلت : لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما ، قال : أجل أما أحدهما فأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف . قال محمد بن إسحاق : وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة ، فضرب لهما قبتين ، فكان يصلى بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتالا شديداً وتراموا بالنبل .

قال ابن هشام : ورماهم بالمنجنيق ، فحدثنى من أثق به أن النبى ﷺ أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف . وذكر ابن اسحاق أن نفراً من الصحابة دخلوا تحت دبابة ثم زحفوا ليخرقوا جدار أهل الطائف فأرسلت عليم سكك الحديد

محمـاة فخـرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجلا ، فحينئذ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون ، قال : تقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلموهم فأمنوهم فدعوا نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهم ، وهما يخافان عليهن السباء ، إذا فتح الحصن ، فأبين فقال لهما أبو الأسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال أبى الأسود حيث قد علمتـم ، وكـان رسـول الله ﷺ نازلا بواد يقال له : العقيق ، وهو بين مال بنى الأسود والطائف وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعنا لله وللرحم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم . وقد روى الواقدى عن شيوخه نحو هذا ، وعنده أن سلمان الفارسى هو الذى أشار بالمنجنيق وعمله بيده ، وقيل : قدم به وبدبابتين ، فالله أعلم .

وقد أورد البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ فى أن يأتى أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات فى حصنهم ، وقال : لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار ، فى كلام طويل ، فلما رجع قال له ﷺ : « ما قلت لهم ؟ » قال : دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة ، فقال : « كذبت ، بل قلت لهم كذا وكذا » ، فقال : صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله وإليك من ذلك ، وقد روى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمـد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام الدستوائى عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن ابن أبى نجيح السلمى ، وهو عمرو بن عبسة رضى الله عنه ، قال : حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بلغ بسهم فله درجة فى الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعته يقول : « من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيما رجل أعتق رجلا مسلما فإن الله جاعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بعظم ، وأيمّا امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها من النار » ، ورواه أبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث قتادة به .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى سمع سفيان حدثنا هشام عن أبيه عن زينب أم سلمة عن أم سلمة قالت : دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى مخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبى أمية : أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع

وتدبر بثمان ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخلن هؤلاء عليكن » قال ابن عيينة ، وقال ابن جريج : المخنث هِيت ، وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به ، وفى لفظ وكانوا يرونه من غير أولى الإربة من الرجال ، وفى لفظ فقال رسول الله ﷺ : « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكن هؤلاء » يعنى إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل فى قوله تعالى : ﴿ **أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** ﴾ [1] والمراد بالمخنث فى عرف السلف الذى لا همة له إلى النساء وليس المراد به الذى يُؤتى ، إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتما كما دل عليه الحديث وكما قتله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومعنى قوله : تقبل بأربع وتدبر بثمان يعنى بذلك عكن بطنها فإنها تكون أربعا إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أدبرت ، وهذه المرأة هى بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف ، وهذا المخنث قد ذكر البخارى عن ابن جريج أن اسمه هيت وهذا هو المشهور ، لكن قال يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته بنت عمرو بن عابد مخنث يقال له : ماتع يدخل على نساء رسول الله ﷺ فى بيته ولا نرى أنه يفطن لشىء من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يرى أن له فى ذلك إرباً فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد ، إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتن منكم بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفطن لهذا » الحديث ، ثم قال لنسائه : « لا يدخلن عليكن » فحجب عن بيت رسول الله ﷺ .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن أبى العباس ، الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فثقل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتح ؟ فقال : « اغدوا على القتال » فغدوا فأصابهم جراح ، فقال : « إنا قافلون غدا إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبى ﷺ ، وقال سفيان بن مرة : فتبسم ، ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف فى نسخ البخارى ففى نسخة كذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص والله أعلم ، وقال الواقدى : حدثنى كثير بن زيد بن الوليد بن رباح عن أبى هريرة قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدئلى فقال : « يا نوفل ، ما ترى فى المقام عليهم ؟ » قال : يارسول الله ، ثعلب فى جحر إن أقمت عليه أخذته ، وإن

---

(١) الآية ٣١ من سورة النور .

تركته لم يضرك ، قال ابن إسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر ، وهو محاصر ثقيفاً : « يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أهديت لى قعبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها » ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد ، فقال رسول الله ﷺ : « و أنا لا أرى ذلك » قال : ثم إن خولة بنت حكيم السلمية ، وهى امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله ، أعطنى ، إن فتح الله عليك ، حلىّ بادية بنت غيلان بن سلمة أو حلىّ الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف - فذكر أن رسـول الله ﷺ قال لهـا : « وإن كان لم يؤذن فى ثقيف يا خويلة » فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدثتنيه خولة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : « قد قلته » قال : أوما أذن فيهم ؟ قال : لا ، قال : أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال : بلى ، فأذن عمر بالرحيل ، فلما استقبل الناس نادى سعيدُ بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم ، قال : يقول عيينـة بن حصن : أجل والله مجدة كراماً ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال : إنى والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلّها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفاً مناكير .

وقـد روى ابن لهيعـة عن أبى الأسود عن عروة قصة خولة بنت حكيم وقول رسول الله ﷺ ما قال ، وتأذين عمر بالرحيل ، قال : وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرحوا ظهـرهم ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ودعا حين ركب قافلا فقال : « اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم » ، وروى الترمذى من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبى الـزبير عن جابـر قالوا : يا رسول الله ، أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم ، فقال : « اللهم اهد ثقيفاً » ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب ، وروى يونس عن ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر وعبد الله بن المكرم عمن أدركوا من أهل العلم ، قالوا : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم ، فقدم المدينة فجاءه وفدهم فى رمضان فأسلموا ، وسيأتى ذلك مفصلا فى رمضان من سنة تسع إن شاء الله .

وهذة تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن اسحاق ، فمن قريش : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعرفطة بن حُباب ، حليف لبنى أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبى بكر الصديق ، رُمِىَ بسهم فتوفى منه بالمدينة ، بعـد وفـاة

رسول الله ﷺ وعبدالله بن أبى أمية، بن المغيرة المخزومى، من رمية رميها يومئذ، وعبدالله ابن عامر بن ربيعة ، حليف لبنى عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى وأخوه عبد الله ، وجليحة بن عبد الله ، من بنى سعد بن ليث ، ومن الأنصار ثم من الخزرج : ثابت بن الجذع الأسلمى ، والحارث بن سهل بن أبى صعصعة المازنى ، والمنذر بن عبد الله ، من بنى ساعدة ، ومن الأوس : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد ابن لوذان بن معاوية فقط . فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا : سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث ، رضى الله عنهم أجمعين . قال ابن اسحاق : ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت علالةَ يوم بطنِ حنين ... وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبرقِ
جمعتْ بإغواءٍ هوازنُ جَمعَها ... فتبدَّدوا كالطائرِ المتمزقِ
لم يمنعوا منا مقاماً واحداً ... إلا جدارَهم وبطنَ الخندقِ
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا ... فاستحصنوا منّا بباب مُغلَقِ
ترتد حسرانا إلى رجراجةٍ ... شهباءَ تلمع بالمنايا فيلقَ
ملمومة خضراء لو قذفوا بها ... حصناً لظلّ كأنه لم يخلقِ
مشى الضراء على الهراس كأنّنا ... قدر تفرق فى القياد ويلتقى
فى كل سابغةٍ إذا ما استحصنتْ ... كالنهى ، هبتْ ريحه ، المترقرقِ
جدل تمس فضولهن نعالنا ... من نسج داودَ وآلِ محرقِ

وقال أبو داود : حدثنا عمر بن الخطاب أبو حفص حدثنا الفريابى حدثنا أبان حدثنا عمرو - هو ابن عبد الله بن أبى حازم - حدثنا عثمان بن أبى حازم عن أبيه عن جده صخر - هو أبو العيلة الأحمسى - أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً ، فلما أن سمع ذلك صخر ركب فى خيل يمد النبى ﷺ فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهداً وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وكتب إليه صخر : أما بعد ، فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله ، وأنا مقبل بهم وهم فى خيلى ، فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعة، فدعا لأحمس عشر دعوات : « اللهم بارك لأحمس فى خيلها ورجالها » وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبة فقال : يا رسول الله ، إن صخراً أخذ عمتى ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، فدعاه فقال : « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم ،

فادفع إلى المغيرة عمته » فدفعها إليه وسأل رسول الله ﷺ ماء لبنى سليم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يا رسول الله أنزلنيه أنا وقومى ، قال : « نعم » فأنزله وأسلم - يعنى الأسلميين ، فأتوا صخراً فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وأتينا صخراً ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا فقال : « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم » قال : نعم يا نبى الله ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذه الماء ، تفرد به أبو داود وفى إسناده اختلاف .

قلت : وكانت الحكمة الإلهية تقتضى أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلا لأنه قد تقدم أنه ﷺ لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبى طالب فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموما فلم يستفق إلا عند قرن الثعالب ، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل فناداه ملك الجبال فقال : يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال رسول الله ﷺ : « بل أستأنى بهم ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئا » فناسب قوله : « بل أستأنى بهم » أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين فى رمضان من العام المقبل ، كما سيأتى بيانه ، إن شاء الله تعالى .

فصل فى مرجعه ﷺ من الطائف وقسمة غنائم هوازن التى أصابها يوم حنين قبل دخوله مكة معتمراً من الجعرانة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبى كثير ، وقد قال له رجل من أصحابه ، يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ، ادع عليهم فقال : « اللهم اهد ثقيفاً وَأْتِ بهم » قال : ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء ، ومن الإبل والشاء ما لا يدرى عدته . قال ابن اسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، وفى رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : كنا مع رسول الله ﷺ بحنين ، فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم

وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة ، وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك ، فامنن علينا منّ الله عليك ، وقام خطيبهم زهير بن صرد ، أبو صرد ، فقال : يا رسول الله ، إنما فى الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا لابن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك لرجونا عائدتهما وعطفهما وأنت رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول :

آمننْ علينا رسولَ الله فى كرمٍ فإنك المرءُ نرجوه وننتظرُ
آمنن على بيضةٍ قد عاقها قدرٌ مُمزَّقٌ شملُها فى دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهر هتّافا على حَزَنٍ على قلوبهمُ الغماءُ والغمرُ
[يا خيرَ طفلٍ ومولودٍ ومنتجبٍ فى العالمينَ إذا ما حصّل البشرُ] (١)
إن لم تداركها نعماء تنشرها يا أرجحَ الناسِ حلماً حين يختبرُ
آمنن على نسوة قد كنت ترضعُها إذ فوك تملؤه من محضها الدررُ
آمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتى وما تذرُ (٢)
لا تجعلنا كمن شالت نعامتهُ واستبقِ منّا فإنا معشر زهرُ
إنا لنشكر آلاءً وإن كُفِرتْ وعندنا بعد هذا اليوم مدّخرُ

قال : فقال رسول الله ﷺ : « نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا ، فقال رسول الله ﷺ : « أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ فى أبنائنا ونسائنا فإنى سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » فلما صلى رسول الله ﷺ قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فقال : « أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال العباس بن مرداس السلمى : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، قال : يقول عباس بن مرداس لبنى سليم : وهنتمونى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فىء

(١) هذا البيت زيادة عن السهيلى وزاد عليها ثلاثة أبيات أخرى .
(٢) فى السهيلى : إذ كنت طفلا صغيراً كنت ترضعها وفى التيمورية وإذ يريبك إلخ .

نصيبه » فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم ، ثم ركب رسول الله ﷺ واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله : اقسم علينا فيأنا، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال : « أيها الناس ردّوا عليَّ ردائى ، فوالذى نفسى فى يده لو كان لكم عندى عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما أَلْفَيتمونى بخيلا و لا جباناً و لاكذاباً » ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال : « أيها الناس ، والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط ، فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة » فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لى دبر ، فقال رسول الله ﷺ : « أما حقى منها فلك » فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لى بها ، فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضى أنه ﷺ رد إليهم سبيهم قبل القسمة كما ذهب إليه محمد بن إسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

وفى صحيح البخارى من طريق الليث عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن ترد إليهم أموالهم ونساؤهم فقال رسول الله ﷺ : « معى من ترون ، وأحب الحديث إلىّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين : إما السبى وإما المال ؟ وقد كنت استأنيت بكم » وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير رادٍّ إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : إنا نختار سبينا ، فقام رسول الله ﷺ وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءوا تائبين ، وإنى قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب أن يطيّب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفىء الله علينا فليفعل » فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله ، فقال لهم : « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بأنهم قد طيبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبى هوازن ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما بل سكت عن ذلك والمثبت مقدم على النافى فكيف الساكت .

وروى البخارى من حديث الزهرى أخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مَقْفله من حنين علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف

رسـول الله ﷺ ثم قال: «أعطونى ردائى ، فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوباً ولا جبانا » تفرد به البخارى . وقال ابن اسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى أن رسول الله ﷺ أعطى على بن أبى طالب جارية يقال لها : ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها : زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد الله ، وقال ابن اسحاق : فحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فجئت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالـوا : رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا ، قلت : تلكم صاحبتكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن اسحاق : وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال ، حين أخذها : أرى عجوزاً ، إنى لأحسب لها فى الحى نسباً وعسى أن يعظم فداؤها ، فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض أبى أن يردها ، فقال له زهير بن صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بماكد ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفاً وثيرة ، فردها بست فرائض ، قال الواقدى : ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة أصاب كل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة ، وقال سلمة عن محمد بن إسحاق : عن عبد الله بن أبى بكر أن رجلا ممن شهد حنين قال : والله إنى لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقة لى وفى رجلى نعل غليظة إذ زحمت ناقتى ناقة رسول الله ﷺ ويقع حرف نعلى على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه ، فقرع قدمى بالسوط وقال : « أوجعتنى فتأخر عنى ، فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسنى ، قال : قلت : هذا والله ، لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس ، قال : فجئته وأنا أتوقع فقال : « إنك أصبت رجلى بالأمس فأوجعتنى فقـرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطانى ثمانين نعجة بالضربة التى ضربنى ، والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره .

وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذى أورده محمد بن إسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبى وركب علقت الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له : اقسم علينا فيأنا ، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فقال : « ردوا على ردائى أيها الناس ، فوالذى نفسى بيده لو كان لكم عدد هذه

العضاة نعما لقسمته فيكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » كما رواه البخارى عن جبير بن مطعم بنحوه ، وكأنهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم فسألوه قسمة ذلك فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة ، كما أمره الله عز وجل ، وآثر أناساً فى القسمة وتألف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبيّن لهم وجه الحكمة فيما فعله تطييباً لقلوبهم ، وتنقد بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذى الخويصرة وأشباهه ، قبحه ، الله كما سيأتى تفصيله وبيانه فى الأحاديث الواردة فى ذلك ، وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبى يقول : حدثنا السميط السدوسى عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ، ثم إنا غزونا حنينا فجاء المشركون بأحسن صفوف رَأَيت فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة ثم صفت النساء من وراء ذلك ثم صفت الغنم ، ثم النعم ، قال : ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد، قال: فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا، قال فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرت الأعراب ومن نعلم من الناس ، قال : فنادى رسول الله ﷺ : يا للمهاجرين يا للمهاجرين ، يا للأنصار ـ قال أنس : هذا حديث عمته [1] ـ قال : قلنا : لبيك يا رسول الله ، قال : وتقدم رسول الله ﷺ ، قال وايم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله ، قال : فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا إلى مكة ، قال : فنزلنا فجعل رسول الله ﷺ يعطى الرجل المائة ويعطى الرجل المائتين ، قال : فتحدث الأنصار بينها أمّا من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه ؟! فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال : « لا يدخلن علىّ إلا أنصارى ـ أو الأنصار » قال : فدخلنا القبة حتى ملأناها فقال نبى الله ﷺ . « يا معشر الأنصار » أو كما قال « ما حديث أتانى ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ، قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله ، قال فرضوا أو كما قال . وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان وفيه من الغريب قوله : إنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما كانوا اثنى عشر ألفاً ، وقوله : حاصروا الطائف أربعين ليلة وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة ، فالله أعلم .

---

(١) فى التيمورية : يا آل المهاجرين ، يا آل المهاجرين يا آل الأنصار ، قال أنس : هذا حديث عمه .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام حدثنا معمر عن الزهرى حدثنى أنس بن مالك قال : قال ناس من الأنصار ، حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء من أموال هوازن فطفق النبى ﷺ يعطى رجلا المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ، يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ قال أنس بن مالك : فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم فى قبه أدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبى ﷺ فقال : « ما حديث بلغنى عنكم ؟ » قال : فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا ، حديثة أسنانهم ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ، يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال رسول الله ﷺ : « فإنى لأعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبى إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا : يا رسول الله قد رضينا ، فقال لهم النبى ﷺ : « فستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإنى على الحوض » قال أنس : فلم يصبروا . تفرد به البخارى من هذا الوجه .

ثم رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد عن جده أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبى ﷺ عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا فقال : « يامعشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك ، لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله ﷺ فقال : « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا : فدعاهم فأدخلهم فى قبته فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » قالوا بلى ، فقال رسول الله ﷺ : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » . وفى رواية للبخارى من هذا الوجه قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقى وحده فنادى نداءين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » فقالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مغانم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا ، فبلغه ذلك فجمعهم فى قبة فقال : « يا معشر الأنصار ، ما بلغنى ؟ » فسكتوا فقال : « يا معشر الأنصار ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول

الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟» قالوا : بلى : فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » . قال هشام : قلت : يا أبا حمزة ، وأنت شاهد ذلك ؟ قال : وأين أغيب عنه ؟ .

ثم رواه البخارى ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال : « إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة ، وإنى أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى ، قال : « لو سلك الناس ، واديا وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادى الأنصار أو شعب الأنصـار » . وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة عن أبى التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه ، وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ، إن سيوفنا لتقطر من دمائهم والغنائم تقسم فيهم ، فخطبهم ﷺ وذكر نحو ما تقدم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو فى آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، سيوفنا تقطر من دمـائهم وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبى ﷺ فجمعهم فى قبة له حتى فاضت فقال : « فيكم أحد من غيركم ؟ » قالوا : لا ، إلا ابن أختنا ، قال : « ابن أخت القوم منهم » ثم قال : « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا : نعم ، قال : « أنتم الشعار والناس الدثار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى دياركم ؟ » قالوا : بلى ، قال : « الأنصـار كرشى وعيبتى ، لو سلك النـاس واديا وسلك الأنصـار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » وقال : قال حماد : أعطى مائة من الإبل فسمى كل واحد من هؤلاء . تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشـر الأنصار ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله بى ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بى ، ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « أفلا تقولون : جئتنا خائفاً فأمّناك ، وطريداً فآويناك ، ومخذولا فنصرناك ؟ » قالوا : بل لله المن علينا ولرسوله ، وهذا إسناد ثلاثى على الصحيحين ، فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالـك ، وقد روى عن غيره من الصحابة : قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسول الله ﷺ يوم حنين قسم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم

ولم يعط الأنصـار شيئاً ، فكأنهم وجدوا فى أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ؟ وعالة فأغناكم الله بى ؟ » كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أَمَنُّ ، قال : « لو شئتم لقلتم : جئتنا كذا وكذا ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعبا لسلكتُ وادى الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازنى به .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد عن أبى سعيد الخدرى قال : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله قومه ، فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ؟ فقال : « فيم ؟ » قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شىء ، فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت من ذلـك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤ من قومى ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « فاجمـع لى قومـك فى هذه الحـظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم فى تلك الحظيرة ، فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فردهم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال : يا رسول الله ، قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم ، فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضلالاً فهـداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى ، ثم قال رسـول الله ﷺ : « ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المن لله ولرسوله ، قال : « والله لو شئتم لقلتم ، فصدَقتم ، وصدِّقتم ، جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، وخائفا فأمّناك ، ومخذولا فنصرناك » فقالوا : المن لله ولرسوله ، فقال رسول الله ﷺ : « أوجدتم فى نفوسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً

لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ربًّا ورسوله قسما ثم انصرف وتفرقوا ، وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد عن يحيى بن بكير عن الفضل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال رجل من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو استقامت الأمور لقد آثر عليكم ، قال : فردوا عليه ردا عنيفاً ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم ، تفرد به أحمد أيضاً ، وهكذا رواه الإمام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد بنحوه ، ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر مختصراً ، وقال سفيان بن عيينة : عن عمر بن سعيد ابن مسروق عن أبيه عن عباية بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من سبى حنين مائة من الإبل ، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ، وأعطى صفوان بن أمية مائة ، وأعطى عيينة بن حصن مائة ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة ، وأعطى علقمة بن علاثة مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول :

أتجعل نهبى ونهب العبـ ... ـيد بين عيينة والأقرعِ
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقانِ مرداسَ فى المجمعِ
وما كنتُ دون امرىء منهما ... ومَنْ تخفض اليومَ لا يُرفَعِ
وقد كنت فى الحرب ذا تُدْرَأ ... فلم أعط شيئاً ولم أمنعِ

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة ، رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه ، وهذا لفظ البيهقى ، وفى رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق فقال :

كانت نهاباً تلافيتها ... بكرِّى على المهر فى الأجرعِ
وإيقاظى الحى أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجعِ
فأصبح نهبى و نهب العبـ ... ـيد بين عيينة والأقرعِ
وقد كنت فى الحرب ذا تدرأ ... فلم أعط شيئاً ولم أمنعِ
إلا أفايل أعطيتُها ... عديد قوائمها الأربعِ

ومـا كان حصـن ولا حابس يفـوقـان مرداس فى المـجـمـعِ
ومـا كنـتُ دون امـرىء منهـمـا ومـن تضـعِ اليوم لا يرفـعِ

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : « أنت القائل أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ » فقال أبو بكر : ما هكذا قال يا رسول الله ، ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغى لك ، فقال : « كيف قال ؟ » فأنشده أبـو بكـر فقـال رسول الله ﷺ : « هما سواء ، ما يضرك بأيهما بدأت » ثم قال رسول الله ﷺ : « اقطعوا عنى لسانه » فخشى بعض الناس أن يكون أراد المثلة به ، وإنما أراد النبى ﷺ العطية ، قال أبو عبيد : فرسه .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى قال : كنت عند النبى ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى رسول الله ﷺ أعرابى فقال : ألا تنجز لى ما وعدتنى ؟ فقال له : « أبشر » فقال : قد أكثرت علىّ من أبشر ! فأقبل على أبى موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال : « رَدَّ البشرى فاقبلا أنتما » ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال : « اشربا منه وأفرغا على وجوهكا ونحوركما وأبشرا » فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما . فأفضلا لها منه طائفة . هكذا رواه ، وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه جذبه شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

وقـد ذكـر ابن إسحـاق الـذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذ مائة من الإبل وهم : أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلدة ، أخو بنى عبـد الـدار ، وعلقمـة بن علاثة ، والعلاء بن حارثة الثقفى ، حليف بنى زهرة ، والحارث بن هشام ، وجبير بن مطعم ، ومالك بن عوف النصرى ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع بن حابس ، قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى أن قائلا قال لرسول الله ﷺ ، من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمرى ؟! فقال رسول الله ﷺ : « أما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من

طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتهما ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه » ثم ذكر ابن إسحاق من أعطاه رسول الله ﷺ دون المائة ممن يطول ذكره ، وفى الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله ﷺ يعطينى من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إلىَّ حتى ما خلق الله شيئا أحب إلى منه .

ذكر قدوم مالك بن عوف النصرى على رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال : « أخبروه أنه إن أتانى مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل » فلما بلغ ذلك مالكا انسل من ثقيف حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فرد عليه أهله وماله ، ولما أعطاه مائة قال مالك بن عوف رضى الله عنه :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثلهِ … فى الناسِ كلهم بمثل محمدِ
أوفى وأعطى للجزيلِ إذا اجتدى … ومتى تشأ يخبرْك عمّا فى غدِ
وإذا الكتيبة عردت أنيابها … بالسمهرى وضرب كل مهندِ
فكأنه ليثٌ على أشبالهِ … وسط الهباءة خادرٌ فى مرصدِ

قال : واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل : ثمالة وسلمة وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم ، وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا الحسن حدثنى عمرو ابن تغلب قال : أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال : « إنى أعطى قوماً أخاف هلعهم وجزعهم وأَكِلُ قوماً إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » قال عمرو : فما أحب أن لى بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم ، زاد أبو عاصم عن جرير سمعت الحسن حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أتى بمال - أو سبى - فقسمه بهذا ، وفى رواية للبخارى قال : أتى رسول الله ﷺ بمال - أو بشىء - فأعطى رجالا وترك رجالا فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد » فذكر مثله سواء ، تفرد به البخارى [1] وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنيمة :

---

(١) هذا الحديث مؤخر فى التيمورية بعد قصيدة حسان .

زاد الهموم فماء العين منحدر ... سحًّا إذا حفلته عبرة دَرِرُ
وجداً بشماء إذ شماءُ[1] بهكنة ... هيفاء لا ذنن فيها ولا خورُ
دع عنك شماء إذ كانت مودتها ... نزرا وشر وصال الواصل النزرُ
وأت الرسول وقل يا خيرَ مؤتمنٍ ... للمؤمنين إذا ما عدد البشرُ
علام تدعى سليم وهى نازحة ... قدام قوم همو آووا وهم نصروا
سماهم الله أنصارا بنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعرُ
وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا ... للنائبات وما خانوا وما ضجروا
والناسُ إلْبٌ علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوفُ وأطرافُ القنا وزرُ
نجالد الناسَ لا نُبقى على أحدٍ ... ولا نضيِّعُ ما توحى به السورُ
ولا تهر جناة الحربِ نادينا ... ونحن حين تلظى نارُها سعرُ
كما رددنا ببدر دون ما طلبوا ... أهل النفاق وفينا ينزل الظفرُ
ونحن جندُك يوم النعفِ من أحدٍ ... إذ حزّبت بطراً أحزابَها مضرُ
فما ونينا وما خمنا وما خبروا ... منا عثارا وكل الناس قد عثروا

ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق على رسول الله ﷺ فى القسمة العادلة بالاتفاق

قال البخارى : حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله قال : لما قسم النبى ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فتغير وجهه ثم قال : « رحمة الله على موسى ، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر » . ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قال البخارى : حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبى ﷺ ناسا فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا ، فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله ، فقلت : لأخبرن النبى ﷺ ، فأخبرته فقال : « رحم الله موسى ، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر » . وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به . وفى رواية للبخارى ، فقال رجل : والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ، فقلت : والله لأخبرن رسول الله ﷺ ، فأتيته فأخبرته ،

---

(١) فى الحلبية : شنباء .

فقال : « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟! رحم الله موسى ، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر » .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثى حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمى يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم يقال له : ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال له : يا محمد ، قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « أجل ، فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عدلت قال : فغضب النبى ﷺ فقال : « ويحك ، إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ » فقال عمر بن الخطاب : ألا نقتله ؟ فقال : « دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر فى النصل فلا يوجد شىء ، ثم فى القدح فلا يوجد شىء ، ثم فى الفوق فلا يوجد شىء ، سبق الفرث والدم » وقال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجعرانة النبى ﷺ منصرفه من حنين ، وفى ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطى الناس ، فقال : يا محمد اعدل ، قال : « و يلك ، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ، لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب : دعنى يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال : « معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » ورواه مسلم عن محمد بن رمح عن الليث .

وقال أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بينما رسول الله ﷺ يقسم مغانم حنين إذ قام إليه رجل فقال : اعدل، فقال : « لقد شقيت إذ لم أعدل » ورواه البخارى عن مسلم بن إبراهيم عن قرة بن خالد السدوسى به ، وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن أبى سلمة عن أبى سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما إذ أتاه ذو الخويصرة ، رجل من بنى تميم ، فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال رسول الله ﷺ : « و يلك ، ومن يعدل إن لم أعدل، لقد خبت وخسرت، إذا لم أعدل فمن يعدل » ؟ فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله آئذن لى فيه فأضرب عنقه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق

السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شئ ، ثم إلى رصافه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر إلى نصبه ـ وهو قدحه ـ فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شئ ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذى نعت ، ورواه مسلم أيضاً من حديث القاسم بن الفضل عن أبى نضرة عن أبى سعيد به نحوه .

ذكر مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة وهو بالجعرانة واسمها الشيماء

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن : « إن قدرتم على نجاد ـ رجل من بنى سعد بن بكر ـ فلا يفلتنكم » وكان قد أحدث حدثا ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى ، أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، قال : فعنفوا عليها فى السوق ، فقالت للمسلمين : تعلمون والله إنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ ، قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ـ هو أبو وجزة ـ قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، إنى أختك من الرضاعة ، قال : « وما علامة ذلك ؟ » قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك ، قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال : « إن أحببت فعندى محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعى إلى قومك فعلت ؟ » قالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى ، فمتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها ، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له : مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

وروى البيهقى من حديث الحكم بن عبد الملك عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، أنا أختك أنا شيماء بنت الحارث ، فقال لها : « إن تكونى صادقة فإن بك منى أثر لا يبلى » قال : فكشفت عن عضدها ، فقالت : نعم يا رسول الله ، وأنتَ صغير عضضتنى هذه العضة ، قال : فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ثم قال : « سلى تعطى و اشفعى تشفعى »، وقال

البيهقى : أنبأنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا عمرو بن إسماعيل بن عبد السلمى حدثنا مسلم حدثنا أبو عاصم حدثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان أخبرنى عمى عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم نعما بالجعرانة ، قال فجاءته امرأة فبسط لها رداءه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمه التى أرضعته ، هذا حديث غريب ولعله يريد أخته وقد كانت تحضنه مع أمها حليمة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عمرت حليمة دهراً فإن من وقت أرضعت رسول الله ﷺ إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته ﷺ ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك ، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه والله أعلم بصحته .

قال أبو داود : فى المراسيل : حدثنا أحمد بن سعيد الهمدانى حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاءه أخوه من الرضاعة ، فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه ، وتقدم أن هوازن بكمالها متوالية برضاعته من بنى سعد بن بكر ، وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله ، إنما فى الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فآمنن علينا منّ الله عليك ، وقال فيما قال :

آمنن على نسوة قد كنت تَرضعها ... إذ فوك يملؤه من محضها دررُ
آمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتى وما تذرُ

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم فعادت فواضله ﷺ عليهم قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً ، وقد ذكر الواقدى عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال : كان النضر بن الحارث بن كلدة من أجمل الناس فكان يقول : الحمد لله الذى منّ علينا بالإسلام ، ومنّ علينا بمحمد ﷺ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الإخوة ، وبنو العم ، ثم ذكر عداوته للنبى ﷺ وأنه خرج مع قريش إلى حنين وهم على دينهم بعد ، قال : ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد . . أن نغير عليه فلم يمكنا ذلك ، فلما صار بالجعرانة فوالله إنى لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ ، فقال : « أنضير ؟ » قلت : لبيك ، قال : « هل لك إلى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه ؟ » قال : فأقبلت إليه سريعاً ، فقال : « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع » قلت : قد أدرى أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإنى

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم زده ثباتاً » قال النضير : فوالذى بعثه بالحق لكأن قلبى حجر ثباتا فى الدين ، وتبصرة بالحق ، فقال رسول الله ﷺ: « الحمد لله الذى هداه » .

عمرة الجعرانة فى ذى القعـــــدة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعبد الصمد المَعْنى قالا : حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة قال : سألت أنس بن مالك قلت : كم حج رسول الله ﷺ؟ قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات ، عمرته زمن الحديبية وعمرته فى ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجعـرانـة فى ذى القعـدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته ، ورواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى من طرق عن همام بن يحيى به ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا داود ـ يعنى العطار ـ عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر ؛ عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التى مع حجته ، ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث داود بن عبد الرحمن العطار المكى عن عمرو بن دينار به وحسنه والترمذى ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ قال : اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر ، كل ذلك فى ذى القعدة يلبى حتى يستلم الحجر ، غريب من هذا الوجه وهذه الثلاث عمر اللاتى وقعن فى ذى القعدة ماعدا عمرته مع حجته فإنها وقعت فى ذى الحجة مع الحجة وإن أراد ابتداء الإحرام بهن فى ذى القعدة ، فلعله لم يرد عمرة الحديبية لأنه صُدّ عنها ولم يفعلها ، والله أعلم .

قلت : وقـد كان نافـع ومولاه ، ابن عمر ، ينكران يكون رسول الله ﷺ اعتمر من الجعرانة بالكلية وذلك فيما قال البخارى : حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان علىّ اعتكاف يوم فى الجاهلية فأمره أن يفى به ، قال : وأصاب عمر جاريتين من سبى حنين فوضعهما فى بعض بيوت مكة ، قال : فمنّ رسول الله ﷺ على سبى حنين فجعلوا يسعون فى السكك ، فقال عمر : يا عبد الله انظر ما هذا ؟ قال مَنَّ رسول الله ﷺ على السبى ، قال اذهب فأرسل الجاريتين ، قال نافع و لم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ولو اعتمر لم يخف على عبد الله ، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السختيانى عن نافع عن ابن

عمر به ، ورواه مسلم أيضا عن أحمد بن عبدة الضبى عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع قال : ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة فقال : لم يعتمر منها ، وهذا غريب جدا عن ابن عمر وعن مولاه نافع فى إنكارهما عمرة الجعرانة وقد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وذكر ذلك أصحاب المغازى والسنن كلهم ، وهذا أيضاً كما ثبت فى الصحيحين من حديث عطاء ابن أبى رباح عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله : إن رسول الله ﷺ اعتمر فى رجب ، وقالت : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو شاهد ، وما اعتمر فى رجب قط .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا الأعمش عن مجاهد قال : سأل عروة بن الزبير ابن عمر فى أى شهر اعتمر رسول الله ﷺ؟ قال : فى رجب ، فسمعتنا عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر [1] عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط إلا فى ذى القعدة ، وأخرجه البخارى ومسلم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد به نحوه ، ورواه أبو داود والنسائى أيضاً من حديث زهير عن أبى إسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال مرتين ، فقالت عائشة : لقد علم أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التى قرنها بحجة الوداع ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مفضل عن منصور عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلون الضحى ، فقال عروة : أبا عبد الرحمن ، ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعة ، فقال له عروة : أبا عبد الرحمن ، كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً إحداهن فى رجب ، قال : وسمعنا استنان عائشة فى الحجرة ، فقال لها عروة : إن عبد الرحمن يزعم أن رسول الله ﷺ اعتمر أربعاً إحداهن فى رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النبى ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر فى رجب قط ، وهكذا رواه الترمذى عن أحمد ابن منيع عن الحسن بن موسى عن شيبان عن منصور ، وقال حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرنى مزاحم بن أبى مزاحم عن عبد الغزيز بن عبد الله عن مخرش الكعبى أن رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة ليلا حين أمسى معتمرا فدخل مكة ليلا يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة

---

(١) أى : رسول الله ﷺ [دار الغـــد] .

كبائت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة فى بطن سرف ، حتى جاء مع الطريق - طريق المدينة - بسرف ، قال مخرش : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس ، ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج كذلك وهو من أفراده ، والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابته بالنقل الصحيح الذى لا يمكن منعه ولا دفعه ومن نفاها لا حجة معه فى مقابلة من أثبتها والله أعلم ، ثم هم كالمجمعين على أنها كانت فى ذى القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين ، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير قائلا : حدثنا الحسن بن إسحاق التسترى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا محمد بن الحسن الأسدى حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبى الزبير عن عمير ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال ، فإنه غريب جداً وفى إسناده نظر والله أعلم ، وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن جريج أخبرنى عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه ، قال : فبينا رسول الله ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أُظلّ به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابى عليه جبة متضمخ بطيب ، قال : فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده أن تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبى ﷺ محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال : « أين الذى يسألنى عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال : « أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ثم اصنع كما تصنع فى حجك » ورواه مسلم من حديث ابن جريج وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء ، كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أسامة أنبأنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل فى العمرة من كدى ، وقال أبو داود : حدثنا موسى أبو سلمة حدثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثا ومشوا أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى ، تفرد به أبو داود ورواه أيضاً ابن ماجه من حديث ابن خثيم عن أبى الطفيل عن ابن عباس مختصرا ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج حدثنى الحسن بن مسلم عن طاوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال : قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقص أو قال : رأيته يقصر عنه بمشقص عند المروة ، وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث

ابن جريج به ، ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس عن معاوية به ، ورواه أبو داود والنسائى أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنى عمر بن محمد الناقد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال : قصّرت عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة .

والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون فى عمرة الجعرانة وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صُدّ عنها ، كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ، ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله ﷺ بل خرجوا منها ، وتغيبوا عنها مدة مقامه ﷺ بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التى كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ، فتعين أن هذا التقصير الذى تعاطاه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما من رأس رسول الله ﷺ عند المروة إنما كان فى عمرة الجعرانة كما قلنا والله تعالى أعلم . وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء الفىء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران .

قلت : الظاهر أنه ﷺ إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة . قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أُسيد على مكة وخلّف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن . وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ خلف معاذا مع عتاب بمكة قبل خروجه إلى هوازن ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة . وقال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله ﷺ درهما كل يوم فليست لى حاجة إلى أحد ، قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ فى ذى القعدة ، وقدم المدينة فى بقية ذى القعدة أو فى أول ذى الحجة ، قال ابن هشام : قدمها لست بقين من ذى القعدة فيما قال أبو عمرو المدينى ، قال ابن إسحاق : وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهى سنة ثمان ، قال وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

إسلام كعب بن زهير بن أبى سلمى ، وأبوه هو صاحب إحدى المعلقات السبع الشاعر ابن الشاعر وذكر قصيدته التى سمعها رسول الله ﷺ وهى : بانت سعاد

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير ابن أبى سلمى إلى أخيه لأبويه ، كعب بن زهير ، يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأن من بقى من شعراء قريش : ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض ، وكان كعب قد قال :

ألا بلغا عنى بجيراً رسالة ... فويحك [1] فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا إن كنت لست بفاعل ... على أى شىء غير ذلك دلّكا
على خلق لم ألف يوماً أباً له ... عليه وما تُلفى عليه أباً لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إمّا عثرت لعاً لكا
سقاك بها المأمون كأسًا روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغٌ عنى بجيراً رسالةً ... فهل لك فيما قلتَ بالخيف هل لكا
شربتَ مع المأمون كأسا رويةً ... فأنهلك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعتَهُ ... على أى شىء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أمًّا ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسف ... ولا قائلٌ إمّا عثرتَ لعاً لكا

قال ابن إسحاق : وبعث بها إلى بجير ، فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع سقاك بها المأمون قال : « صدق وإنه

---

(١) كذا فى الأصل وفى ابن هشام ، وفى التيمورية :

★ فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا ★

لكذوب أنا المأمون » ولما سمع على خلق لم تلف أمًّا ولا أباً عليه ، قال : « أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه » قال : ثم كتب بجير إلى كعب يقول له :

من مبلغٌ كعباً فهل لك في التى ... تلوم عليها باطلا وهي أحزمُ
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلمُ
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ ... من الناس إلا طاهرُ القلب مسلمُ
فدين زهير وهو لا شيء دينه ... ودين أبى سلمى عليّ محرمُ

قال : فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه وقالوا : هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بُدًّا قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة ، كما ذكر لى ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ فى صلاة الصبح فصلى رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال : هذا رسول الله فقم فاستأمنه ، فذكر لى أنه قام إلى رسول الله ﷺ ، فجلس إليه ووضع يده فى يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل إن جئتك به ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » فقال : إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، دعنى وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : « دعه عنك ، فإنه جاء تائباً نازعاً » قال : فغضب كعب بن زهير على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، و ذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من الهاجرين إلا بخير .

فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله ﷺ :

بانت سعادُ فقلبى اليومَ متبول ... مُتيَّمٌ عندها لم يفد مكبولُ
وما سعاد غداةَ البيْن إذ رحلوا ... إلا أغنّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ
هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً ... لا يشتكى قصر منها و لا طولُ [1]
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمتْ ... كأنّه منهلٌ بالراح معلولُ
شجت بذى شبم من ماء محنيةٍ ... صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمولُ
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غاديةٍ بيضُ يعاليلُ

---

(١) لم يورد المصنف هذا البيت واختصر بعض أبيات منها مع تقديم وتأخير ، وهى مشهورة فلتراجع .

فيالــهـا خلة لو أنــهـا صدقــتْ — بوعــدهــا أو لو انّ النصحَ مقبولُ
لكــنـهـا خلة قد سيط من دمِـهـا — فجـعٌ وولـعٌ وإخـلافٌ وتـبـديلُ
فمـا تدوم على حال تكـون بهـا — كمـا تلون فى أثـوابـهـا الغـولُ
ومـا تمسّك بالعهـد الـذى زعمتْ — إلا كمـا يمسـك المـاءَ الغرابيلُ
فلا يغـرنـك ما منّتْ ومـا وعـدتْ — إنّ الأمـانـى والأحـلامَ تضـليلُ
كانـت مواعيدُ عرقـوبٍ لهـا مثـلا — ومـا مواعـيدهـا إلا الأبـاطـيلُ
أرجـو وآمـل أن تدنـو مودتُـهـا — ومـا لهنّ أخـال الـدهـرَ تعجيلُ
أمـسـت سعـادُ بأرضٍ لا تبلغُهـا — إلا العتـاقُ النجيبـاتُ المـراسيلُ
ولـن يـبـلـغـهـا إلّا عذافـرةٌ — فيهـا على الأينِ إرْقـالٌ وتـبـغيلُ
من كل نضّاخةِ الـذفرى إذا عرفتْ — عرضتهـا طامسَ الأعـلامِ مجهـولُ
ترمى الغيوب بعينـى مفـرد لهقٍ — إذا توقّـدتِ الـحـزانُ والـمـيلُ
ضخـمٌ مقـلّدهـا فعـم مقـيّدهـا — فى خلقها عن بناتِ الفحلِ تفضيلُ
حرف أخـوهـا أبـوهـا من مهجنةٍ — وعـمـهـا خالـهـا قوداءُ شمليلُ
يمشـى القـراد عليهـا ثم يزلقـه — منـهـا لبـانٌ وأقـرابٌ زهـالـيلُ
عيرانـة قذفت بالنحض عن عرضٍ — مرفقهـا عن بنـاتِ الـزور مفتـولُ
قنـواء فى حُرَّتيهـا للبصير بهـا — عتقٌ مبينٌ وفى الـخـديْن تسهيلُ
كأنـمـا فات عينيْهـا ومـذبحهـا — من خطمـهـا ومـن اللحيين برطيلُ
تمـر مثـل عسيب النخـل ذا خصـلٍ — فى غارز لم تخـوّنـه الأحـالـيلُ
تهـوى على يسـرات وهـى لاهيةٌ — ذوابـلٌ مسّـهـنّ الأرض تحـليلُ
يومـاً يظل به الحـربـاء مصـطخـدًا — كأن ضاحـيهُ بالـشـمسِ محلولُ
وقـال للقـوم حاديهم وقـد جعلتْ — ورق الجنـادب يركضن الحصـا قيلو
أوب يدى فاقـد شمـطاء معـولـة — قامت فجـاوبـهـا نكـد مثـاكيلُ
نواحـة رخـوة الـضبعين ليس لهـا — لمّـا نعى بكرهـا الناعـون معقولُ
تفـرى اللبـان بكفّيْهـا ومـدرعهـا — مشـقـق عن تراقـيهـا رعـابـيلُ
تسعى الغـواة جنـابيهـا وقـولهم — إنـك يا بن أبى سلمى لمقتـولُ
وقـال كل صديق كنـت آمـلهُ — لا ألـهـيـنـك إنى عنـك مشغـولُ
فقـلـتُ خلّوا سبيلى لا أبـا لكـمُ — فكـلّ ما قدّر الـرحـمـنُ مفعـولُ
كل ابـن أنـثى وإن طالت سلامتـهُ — يومـاً على آلـةٍ حدبـاء محـمـولُ
نبئـت أن رسـول الله أوعـدنـى — والـعـفـو عنـد رسـول الله مأمـولُ

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ ... ـقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذنى بأقوال الوشاةِ ولم ... أذنب ولو كثرت فىَّ الأقاويلُ
لقد أقوم مقاماً لو يقوم بهِ ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيلُ
لظل يرعد إلا أن يكون لهُ ... من الرسول بإذن الله تنويلُ
حتى وضعتُ يمينى ما أنازعها ... فى كفِّ ذى نقماتٍ قوله القيلُ
فلهو أخوف عندى إذ أكلمهُ ... وقيل إنك منسوب ومسئولُ
من ضيغم بضراء الأرض مخدرة ... فى بطن عثّر غيلٌ دونه غيلُ
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ... لحم من الناس معفورٌ خراديلُ
إذا يساور قرنا لا يحل لهُ ... أن يترك القرنَ إلا وهو مغلولُ
منه تظل حمير الوحش نافرةً ... ولا تمشى بواديه الأراجيلُ
ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ ... مضرج البزِّ والدرسان مأكولُ
إن الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ بهِ ... مهنّدٌ من سيوفِ الله مسلولُ
فى عصبةٍ من قريشٍ قال قائلهمْ ... ببطنِ مكةَ لمّا أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كشفٌ ... عند اللقاءِ ولا ميلٌ معازيلُ
يمشون مشى الجمالِ الزهر يعصمهمْ ... ضربٌ إذا عرّد السودُ التنابيلُ
شمُّ العرانين أبطالٌ لَبوسُهُم ... من نسجِ داود فى الهيجا سرابيلُ
بيضٌ سوابغ قد شكت لها حلق ... كأنّها حَلق القفعاء مجدولُ
ليسوا معاريجَ إن نالت رماحهم ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ... ولا لهم عن حياض الموت تهليلُ

قال ابن هشام : هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً ، وقد رواها الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة بإسناد متصل ، فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدى بهمذان ، حدثنا إبراهيم بن الحسين حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا الحجاج بن ذى الرقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبى سلمى عن أبيه عن جده قال : خرج كعب وبجير ، ابنا زهير ، حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب : آثبت فى هذا المكان حتى آتى هذا الرجل ـ يعنى رسول الله ﷺ ـ فأسمع ما يقول ، فثبت كعب و خرج بجير فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالةً ... على أىّ شىءٍ ويب غيرك دلّكا

على خلق لم تلف أُمًّا ولا أباً   عليه ولم تدرك عليه أخالكا
سقاك أبو بكر بكأس رويةٍ   وأنهلك المأمونُ منها وعلكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه وقال : « من لقى كعباً فليقتله » فكتب بذلك بجير إلى أخيه وذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له : النجاء وما أراك تنفلت ، ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابى هذا فأسلم وأقبل ، قال : فأسلم كعب وقال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ﷺ ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم ، قال كعب : فأنخت راحلتى بباب المسجد فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة حتى جلست إليه ، فأسلمت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله ، الأمان يا رسول الله ، قال : « ومن أنت » قال : كعب بن زهير ، قال : « الذى يقول » ثم التفت رسول الله ﷺ فقال : « كيف قال يا أبا بكر ؟» فأنشده أبو بكر :

سقاك بها المأمون كأسا روية   وأنهلك المأمون منها وعلكا

قال : يا رسول الله ما قلت هكذا ، قال : « فكيف قلت ؟» قال : قلت :

سقاك بها المأمون كأس روية   وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله ﷺ : مأمون والله ، ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهى هذه القصيدة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيمٌ عندها لم يفد مكبولُ

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن اسحاق والبيهقى رحمهما الله عز وجل وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إن الرسولَ لنورٌ يستضاء به   مهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ
نُبّئتُ أن رسولَ الله أوعدنى   والعفوُ عند رسول الله مأمولُ

قال : فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا ، وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة فى مغازيه ولله الحمد والمنة .

قلت : ورد فى بعض الروايات أن رسول الله ﷺ أعطاه بردته حين أنشده القصيدة .

وقد نظم ذلك الصرصرى فى بعض مدائحه ، وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن ابن الأثير فى أُسْدِ الغابة ، وهى البردة التى عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك فى شىء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه فالله أعلم .

وقد روى أن رسول الله ﷺ قال له ، لما قال بانت سعاد : ومن سعاد ؟ قال : زوجتى يا رسول الله ، قال : لم تبن ، ولكن لم يصح ذلك ، وكأنه على ذلك توهم أن بإسلامه تبين امرأته ، والظاهر أنه إنما أراد البينونة الحسية لا الحكمية والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب - يعنى فى قصيدته - إذا عرد السود التنابيل ، وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الأنصار فقال : بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن :

من سرّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزلْ ... فى مقنبٍ من صالحى الأنصارِ
ورثوا المكارمَ كابرا عن كابرٍ ... إن الخيارَ همو بنو الأخيارِ
المكرهين السمهرى بأذرعٍ ... كسوالفِ الهندىّ غير قصارِ
والناظرين بأعين محمرةٍ ... كالجمر ، غير كليلةِ الإبصارِ
والبائعين نفوسهم لنبيهمْ ... للموت ، يومَ تعانقٍ وكرارِ
والقائدين الناس عن أديانهم ... بالمشرفى وبالقنا الخطارِ
يتطهرون ، يرونه نسكا لهم ... بدماءِ من علقوا من الكفارِ
دربوا كما دربت بطون خفية ... غلب الرقاب من الأسود ضوارى
وإذا حللتَ ليمنعوك إليهم ... أصبحتَ عند معاقل الإغفارِ
ضربوا عليًّا يوم بدر ضربةً ... دانتْ لوقعتها جميعُ نزارِ
لو يعلم الأقوامُ علمى كلّهُ ... فيهم لصدقنى الذين أمارى
قومٌ إذا خوت النجومُ فإنهم ... للطارقين النازلين مقارى
فى السفر من غسان من جرثومةٍ ... أعيت محافرها على المنقار

قال ابن هشام ، و يقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد : « لولا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل » فقال كعب هذه الأبيات وهى فى قصيدة له ،

قال : وبلغنى عن على بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ فى المسجد بانت سعاد فقلبى اليوم متبول . وقد رواه الحافظ بإسناده المتقدم إلى إبراهيم ابن المنذر الحزامى حدثنى معن بن عيسى حدثنى محمد بن عبد الرحمن الأفطس عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب بعدما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدما فى طبقته هو وأخوه بجير ، وكعب أشعرهما وأبوهما زهير فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنتُ أَعجبُ من شىء لأعجبنى ... سعى الفتى وهو مخبوء له القدرُ
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنفس واحدةٌ والهمُّ منتشرُ
والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهى العينُ حتى ينتهى الأثرُ

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ، ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير فى كتاب أُسْدِ الغابة فى معرفة الصحابة ، ولكن حكى أن أباه توفى قبل المبعث بسنة فالله أعلم ، وقال السهيلى ، ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله ﷺ :

تجرى به الناقة الأدماءُ معتجراً ... بالبرد كالبدرِ جلّى ليلة الظلم
ففى عاطفيه ، أو أثناء بردتهِ ... ما يعلمُ الله من دينٍ ومن كرمِ

فصل

فيما كان من الحوادث المشهورة فى سنة ثمان ، والوفيات

فكان فى جمادى منها وقعة مؤتة ، وفى رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها فى شوال غزوة هوازن بحنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجعرانة فى ذى القعدة ، ثم عاد ﷺ إلى المدينة فى بقية السنة .

قال الواقدى : رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليال بقين من ذى الحجة فى سفرته هذه ، قال الواقدى : وفى هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ، ابنى الجلندى من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب ، قال : وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابى فى

ذى القعدة فاستعاذت منه ﷺ ففارقها ، وقيل : بل خيرها فاختارت الدنيا ففارقها ، قال : وفى ذى الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولدا ذكرا وكانت قابلتها فيه سلمى ، مولاة رسول الله ﷺ ، فخرجت إلى أبى رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله ﷺ فأعطاه مملوكا ، ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن أسيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وزوجها البراء بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول ، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء فى هذه الوقائع ، وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذى كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف و ذلك لخمس بقين من رمضان منها . قال الواقدى : وفيها كان هدم سواع الذى كانت تعبده هذيل برهاط ، هدمه عمرو بن العاص رضى الله عنه ولم يجد فى خزانته شيئاً ، وفيها هدم مناة بالمشلل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن زيد الأشهلى رضى الله عنه ، وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطاً فى تفسير سورة النجم عند قوله تعالى : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ [١] .

قلت : وقد ذكر البخارى بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذى كانت تعبده ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التى بمكة ، ويسمون التى بمكة الشامية ، ولتلك الكعبة اليمانية ، فقال البخارى : حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن جرير قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟» فقلت : بلى ، فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فضرب يده فى صدرى حتى رأيت أثر يده فى صدرى وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » قال : فما وقعت عن فرس بعد ، قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له : الكعبة اليمانية ، قال : فأتاها فحرقها فى النار وكسرها ، قال : فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام فقيل له : إن رسول رسول الله ﷺ هاهنا فإن قدر عليك ضرب عنقك ، قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال لتكسرنها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك ؟ فكسرها وشهد . ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أرطاة إلى النبى ﷺ يبشره بذلك ، قال : فلما أتى رسول الله ﷺ قال : يا

---

(١) آيتا : ١٩ ، ٢٠ من سورة النجم .

رسول الله ، والذى بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، قال : فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات . ورواه مسلم من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى بنحوه .

تم بحمد الله تعالى المجلد الثانى من كتاب
البداية والنهاية ويليه ـ إن شاء الله ـ
المجلد الثالث وأوله ذكر غزوة تبوك
ـ أعان الله على إتمامه ـ

وكان الفراغ من طبع المجلد الثانى بمطابع دار الغد العربى
مساء يوم الأحد أول رمضان المبارك سنة ١٤١١ هجرية
الموافق لليوم السابع عشر من شهر مارس سنة ١٩٩١ ميلادية

مدير عام المطابع
حمدان جعفر

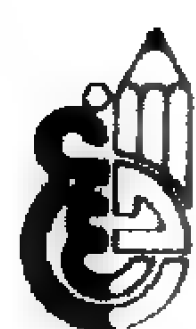
فهرس المجلد الثاني

من كتاب البداية والنهاية

للإمام الحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير

أولاً : فهرس الجزء الثالث

ثانيا : فهرس الجزء الرابع



دار الغد العربي

٣ شارع دانش - العباسية

ت : ٨٢٤٣٢٩ القاهرة